

جامعة الخليل

كلية الدراسات العليا

الجهود الإسلامية

في

فتح القسطنطينية

إعداد

مهند صادق محمد العملة

إشراف

الأستاذ الدكتور خلقي خنفر

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الخليل

آذار 2011م

الجهود الإسلامية

في

فتح القسطنطينية

Islamic Efforts in conquest

Of

Constantinople

إعداد

مهند صادق محمد العملة

نوقشت هذه الرسالة يوم الأحد بتاريخ 2011/5/15م، الموافق 12 جمادى الآخرة 1432هـ وأجيزت .

أعضاء لجنة المناقشة :		التوقيع
1. أ.د. خلقي خنفر	مشرفاً ورئيساً	....
2. د. سعيد البيشاوي	عضواً خارجياً	....
3. د. عمر شلبي	عضواً داخلياً	....

قال رسول الله (ﷺ) :



(1)

صدق رسول الله(ﷺ)

---

(1) ابن عبد البر، يوسف، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**250/1 إسناده حسن؛ الهيثمي، نور الدين علي، **مجمع الزوائد** 221/6 رجاله ثقات؛ ابن حنبل، أحمد، **المسند** 335/4، 3/ 287؛ البخاري، محمد، **التاريخ الكبير** 81/2

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي هذه

إلى

والدي الكريمين ... أطال الله عمرهما

زوجتي ... التي ضحت من أجلي وعانت معي الكثير

ولدي ... مهتدي

ابنتي ... تلين

الشكر والتقدير

أتقدم بجزيل شكري وعظيم تقديري إلى

الأستاذ الدكتور خلقي خنفر – حفظه الله – المشرف على هذا البحث، والذي بذل جهوداً ثرّة في إخراج

هذه الدراسة إلى حيز الوجود، نصحاً ... وإرشاداً ... وتوجيهاً ... وتدقيقاً لغوياً

الدكتور سعيد البيشاوي الذي شرح لي صدره، وفتح لي مكتبته لأنهل من عذب معينها

وأرشف من رحيق تراثها

الدكتور حاتم الطحاوي الذي حفزني على البحث ووجهني إلى الكثير

من المصادر والمراجع ذات العلاقة

السادة أمناء وموظفي مكتبات: جامعة الخليل ... بلدية الخليل ... جامعة بير زيت ... الجامعة

الأردنية ... جامعة أم القرى ... جامعة القاهرة

الإخوة الأفاضل الذين أسهموا في رفدي ببعض كتب الدراسة من ... مصر ... السعودية ... الأردن

عبد الكريم .... مؤيد ... خالد

السادة في المكتبة الإلكترونية لجامعة أم القرى، والذين زودوني بالعديد من الرسائل الجامعية، والبحوث

العلمية – عبر الإنترنت –

كل من ترك بصمات خيّرة في إعداد، وإخراج، وطباعة، هذه الدراسة

أبتهل إلى الله العلي القدير أن يجزيهم عنا خير الجزاء

المحتويات

ملخص باللغة العربية

تتناول هذه الدراسة المحاولات الإسلامية لفتح القسطنطينية، تلك المدينة التي بشر الرسول (ﷺ) بفتحها، فتكررت المحاولات ـ عبر عصور الدولة الإسلامية ـ لتحقيق تلك البشارة، ولهذا افتتحت الدراسة ببحث تأسيس، وموقع، وحصانة القسطنطينية لأهميتها في صد تلك المحاولات، بقصد إظهار حصانتها، وتبيان موقعها .

كما بحثت موقف المسلمين والروم تجاه بعضهما، وإجلاء موقف الإسلام من الروم في القرآن الكريم الذي أبدى تسامحاً معهم، كونهم أهل كتاب، فأباح الزواج منهم، واكتفى بالجزية على من يرفض الإسلام، وحللت جذور الصراع الإسلامي البيزنطي الذي أوقد فتيله مناصرو الإمبراطورية البيزنطية من عرب الشام، بمنع الأقوات والميرة عن المدينة حيناً، وبقتل الدعاة المسلمين حيناً آخر وبهذا شكلت الإمبراطورية البيزنطية عدواً يتهدد أمن دولة الرسول الناشئة، فأخذ (ﷺ) في مجابهتها من خلال غزواته وسراياه على ساحتهم، كما أوجزت فتوحات الراشدين على الساحة البيزنطية، كونها حلقة من سلسلة حلقات الصراع بين المسلمين والروم .

ولما كانت محاولات فتح القسطنطينية لا بد من تسييرها براً وبحراً، فقد وجب تأسيس الأسطول الإسلامي الذي أنجز فتح بعض جزر البحر الأبيض المتوسط، كقبرص، ورودس، وأرواد، كما حقق الانتصار على البيزنطيين في معركة ذات الصواري34هـ/654م التي هيأت الظروف لضرب القسطنطينية، لكن الفتنة التي نشبت بين معاوية وعلي أخرت تلك الحملات إلى أن تركزت دعائم الدولة الأموية عام 41هـ661م، فوجه معاوية بن أبي سفيان حملتين سارتا بين عامي 49- 60هـ 668 – 679م إلى القسطنطينية، تلتهما حملة وجهها سليمان بن عبد الملك عام 98هـ/717م، وقد أفاضت الدراسة في الحديث عن تلك المحاولات، من حيث إعداد الطرفين، وتتبعت خط سير تلك الحملات وضربها الحصار على القسطنطينية، وعرضت مجريات الحصار، وما رافقه من عمليات حربية انتهاءً بفشل الحملات، وتحليل أسبابه، وتحقيق مدد الحصار، وأهم النتائج وانعكاساتها على الجانبين الإسلامي والبيزنطي .

واستمراراً لطبيعة العلاقات الإسلامية البيزنطية، تناولت الدراسة تطلعات العباسيين لفتح القسطنطينية، خاصة في عهد كل من: المنصور، والمهدي، وهارون الرشيد الذي وصلت على يديه حملتان إلى القسطنطينية، لكنهما لم تضربا حصاراً عليها، بل انتهتا بتوقيع عقود صلح مع البيزنطيين تكفلوا خلالها بدفع الإتاوات، وانتهاءً بتطلع المعتصم لفتح القسطنطينية بعد فتحه قلعة عمورية التي كان مصيرها كسابقاتها من التطلعات .

واقتضت ضرورة المنهج العلمي القائم على المقارنة والتحليل، بحث الحملة الصليبية الرابعة التي أسقطت القسطنطينية عام 1204م، من حيث إعدادها وتجهيزها، وتتبعت خط سيرها، وحصارها للقسطنطينية وإسقاطها، ومقارنة أسباب سقوطها في يد الصليبيين واستعصائها على المسلمين التي أظهرت الضعف العام الذي كان يعتريها، مما حتم دراسة أحوال العالم الإسلامي الذي لم يوجه حملة لها في تلك الفترة، لأن أحواله لم تكن أوفر حظاً من أحوال القسطنطينية، بدليل تعرضه لحملات الصليبيين من الغرب، والغزو المغولي من الشرق .

فيما شغل الحديث عن محاولات العثمانيين لفتح القسطنطينية حيزاً من الدراسة، والذين تطلعوا لتحقيق ذلك الهدف منذ تأسيس دولتهم، ووضعوا استراتيجية تتمحور في الدوران حولها، وعزلها عن عالمها الغربي، ومن ثم الانقضاض عليها، وبعد ذلك صوبوا أربع حملات نحوها، قاد اثنتين منهما السلطان بايزيد الأول بين عامي 799- 805هـ/1394 – 1402م وقد انتهتا بالفشل، نظراً لأحلاف صليبية تشكلت في الغرب، وغزوات تيمورلنك من الشرق، أما الحملة الثالثة فقد قادها السلطان مراد الثاني عام 825هـ/1422م وفرض عليها (القسطنطينية) حصاراً محكماً، غير أن نشوب فتنة داخلية تولى كبرها أخوه مصطفى، منعته من تحقيق الفتح الذي تم على يد ابنه محمد الثاني عام 857هـ/1453م .

هذا وبحثت الدراسة فتح القسطنطينية على يد محمد الثاني (الفاتح) الذي أعد لهذا الفتح الكثير من الأسلحة، والعتاد، والجيوش، وسار نحو القسطنطينية ضارباً عليها حصاراً محكماً، تخللته عبقرية عسكرية بدخول القرن الذهبي بعد جر السفن براً، وحفر العديد من الأنفاق، وقد دار حول القسطنطينية الكثير من المعارك التي أودت بحياة العديد من المجاهدين، ورغم ذلك تمكن الفاتح من فتحها بعد أن اقتحم الجنود أسوار المدينة، وقتل إمبراطورها، لتفتح القسطنطينية لهم أبوابها بعد ثلاثة وخمسين يوماً من الحصار، وانتهت دراسة فتح القسطنطينية على يد الفاتح بتحليل أسباب الفتح، وانعكاساته على المسلمين وأوروبا في النواحي كافة .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن نهج نهجهم إلى يوم الدين، وبعد :

فتعد رسالة الإسلام خاتمة الرسالات السماوية، مما توجب على كواهل معتنقيها نشرها بين البشرية جمعاء، فقامت الفتوحات الإسلامية لطمس أوكار الظلم والعبودية، خاصة وأن بيزنطة بصرت بهذه الدولة عدواً يهدد أمنها وكيانها، وخطراً يستأصل شأفتها وتراثها، حيث إن حدودها متاخمة لحدود دولة الإسلام، فعملت بيزنطة على مجابهتها والتصدي لها، وجندت كل من يلوذ بفلكها للقضاء على هذه الدولة الفتية، مما حتم على المسلمين خوض غمار صراع طال أمده واستطالت سنواته، ولم يتوقف إلا بعد أن أذن الله للمسلمين بفتح عاصمتهم القسطنطينية، هدف دراستنا، وتوجه رسالتنا .

على أن الحبيب المصطفى (عليه أفضل الصلاة والسلام) قد بشر بفتحها، فكان من أهم أسباب المنافسة بين القيادات الإسلامية المتعاقبة، فشغلت القسطنطينية الأمويين، بتوجيه بضع حملات لها وحذا العباسيون حذوهم، ولكن بوتيرة وحماس أقل، ولما جاء العثمانيون وضعوا نصب أعينهم فتحها، فشرع قادتها بتوجيه حملات لها، إلى أن حققوا نبوءة محمد (ﷺ) بفتحها عام857هـ/ 1453م .

اختيار الموضوع

لقد لفت نظر الباحث تلك المحاولات الجمة من قبل القيادة الإسلامية لفتح عاصمة الإمبراطورية البيزنطية " القسطنطينية "، لما تتمتع به من منزلة إستراتيجية، ومكانة تاريخية، وقد بشر الرسول (ﷺ) بفتحها، الأمر الذي حث المسلمين على توجيه حملات عسكرية لنيل شرف تحقيق نبوءة الرسول(ﷺ)، واستئصال الخطر الموجه من قبل هذه العاصمة العصية على المهاجمين لفتحها، حتى تحقق هذا الفتح المبين في عهد الدولة العثمانية .

إضافة إلى أن محاولات فتح القسطنطينية لم تنل الحظ الوافي من الدراسة الموضوعية، والنصيب الكافي من العناية العلمية، الأمر الذي شجعني على دراستها بشوق، وأن أخوض غمار محاولات فتحها بتوق، كما كان لتوجيه واهتمام أستاذي الدكتور خلقي خنفر– حفظه الله – المشرف على هذه الرسالة دور كبير لأقوم بزرع بذور دراستها، وجني قطوف نتائجها، بعد جهد جهيد، وعمل دؤوب .

أهمية الدراسة

تنبع أهمية الدراسة كونها تبحث في مجال الفتوحات الإسلامية ضد الإمبراطورية البيزنطية التي طبقت شهرتها الآفاق، وبسطت نفوذها على كثير من مناطق العالم القديم، إلى أن جاء الفتح الإسلامي

الذي وجد فيها عدواً يؤرق جفونها، ويهدد أمنها وبقاءها، فأملى على المسلمين صد خطرها منذ عصر الرسول (ﷺ) الذي وجه غزواته لتلك الإمبراطورية، إلى أن تحقق فتح القسطنطينية على يد العثمانيين.

كما تبرز أهمية هذه الدراسة في رفد مكتبتنا العربية بدراسة حول جهود المسلمين في فتح القسطنطينية، تلك التي كلفت الدولة الإسلامية دماءً غزيرة، وأموالاً كثيرة .

ومما يزيد الدراسة أهمية هو أنها تبحث في موضوع ما زالت تبعاته تظهر ردّات سلبيّة على العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في وقتنا الحاضر بين الفينة والأخرى، والتي تتهم المسلمين بالإرهاب، والقتل، والدمار، وهذا ما تبينه الدراسة في إماطة اللثام عن أسباب التحول في العلاقات المسيحية الإسلامية من الحضن (الحبشة) الذي أوى المسلمون إليه في بادئ الأمر، وبشر بهذا الدين رهبانه وقساوسته المسيحيون، إلى العداء السافر الذي امتدت آثاره إلى يومنا هذا، ويظهر ذلك من خلال ملاحقة المسلمين في كل مكان، ومنع تركيا - وريثة العثمانيين الذين فتحوا القسطنطينية - من الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي حديثاً .

الدراسات السابقة

بدا للباحث من خلال البحث والاطلاع على المصادر والمراجع ذات الصلة، قلة الدراسات السابقة لموضوع هذا البحث، بل ندرتها، مما يزيده قيمة وأهمية، وبذلك تنفرد هذه الدراسة في دراسة هذا الموضوع، غير أنه للحق والحق أقول، إنه كتبت بعض المقالات والدراسات التي تطرقت إلى فتح القسطنطينية، وكتب باحثون في الفتح العثماني للقسطنطينية، ولكن هذه الدراسات لم ترق في معظمها إلى مستوى البحث العلمي، كما أن أغلبها تحدث عن بعض المحاولات دون الأخرى، أو عن تاريخ الدولة الإسلامية وما قامت به من فتوح، أما موضوع هذه الدراسة فهو موضوع شامل للمحاولات التي وجهت إلى القسطنطينية كافة مع بيان مفصل لمجريات تلك الحملات، وما أفرزته من نتائج .

منهجية الدراسة

تتناول هذه الدراسة محاولات المسلمين لفتح القسطنطينية، وترصد تلك المحاولات منذ بدء الفتوح الإسلامية، وحتى إنجاز الفتح في عهد الدولة العثمانية، وقد سلكت منهج استقراء الأحداث التاريخية، ودراسة الروايات المختلفة حول تلك الحملات، وفق منهج قائم على المناقشة، والتحليل وجمع المعلومات من مصادرها الأولية، إضافة إلى مقارنة الحملات الإسلامية التي فشلت كلها في فتح القسطنطينية – باستثناء الحملة الأخيرة - بالحملات التي نجحت في اقتحامها، خاصة الحملة الصليبية الرابعة، وإجراء المقارنة بين تداعيات النجاح الصليبي، وأسباب الفشل الإسلامي .

وقد حاول الباحث في إعداد الدراسة قراءة غالبية المصادر التي تتعلق بها، سواء أكانت من المصادر الخاصة بتاريخ صدر الإسلام أم ما تلاه من عصور، كما رصدت العديد من الكتابات

التاريخية الحديثة ذات العلاقة، وناقشت الكثير من القضايا المهمة، وتناولت الكثير من القضايا الخلافية التي أوردها المؤرخون، فدققتها، ومحصتها، ليحثني كل ذلك إلى ترجيح الخبر وإقراره بنفس راضية مرضية، والخروج بنتائج قد تخالف الطرفين أو تميل إلى أحدهما .

صعوبات الدراسة

واجهت الباحث في إعداد هذه الدراسة مشكلات عدة، كان أهمها تنوع مصادرها، ما بين مصادر التاريخ الإسلامي، إلى كتب التراجم، والجغرافيا، والفتوح، وكتب الفقه، ابتداءً من تاريخ صدر الإسلام، وانتهاءً بالعصر العثماني، حيث شكل تنوع هذه المصادر عبئاً ثقيلاً على كاهل الباحث في التنقل ما بين تلك المصادر، نظراً لاختلاف أساليب المؤرخين في كل عصر، إضافة إلى اختلاف المصادر في تسمية بعض الأماكن، والمناطق، والمعارك، خاصة في العصر العثماني الذي ينفرد بتباين هذه الأسماء، كون الكثير منهم يسميها بأسماء أعجمية، أو عربية، كما أن الكثير من هذه المصادر دوّن على شكل حوليات تعتمد الترتيب الزمني للأحداث التاريخية، بحديث عن كل عام على حدة، مما أرهق الباحث في التنقل بين أعطاف تلك السنوات، لترابط الكثير من الأحداث التاريخية بين عامين متتاليين، أو أعوام عدة، وافتقارها لغزارة المعلومات عن كثير من المواضيع، الأمر الذي ألجأ الباحث إلى التوجه نحو كتب التراجم التاريخية التي لبّت في كثير منها الرغبة في إشباع البحث في فصول الدراسة .

مصادر الدراسة

استقت الدراسة مادتها من العديد من المصادر والمراجع، والتي تنوعت وفق المنوال الآتي :

أولاً : كتب التاريخ: وقد حوت معلومات هامة حول الفتوحات الإسلامية التي من ضمنها محاولات فتح القسطنطينية، ويأتي في مقدمتها كتاب تاريخ خليفة بن خياط (ت240هـ/854م)، وكتاب المحبر لابن حبيب (ت245هـ/859م)، وتاريخ ابن أبي خيثمة (ت 279هـ/892) وتاريخ اليعقوبي (ت282هـ/895م) والمعارف لابن قتيبة (ت 276هـ/889م)، وكتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري (ت310هـ/922م)، وقد زودت هذه المصادر الدراسة بمعلومات وافية حول الفتوحات الإسلامية ابتداء من عصر الرسول (ﷺ) وحتى أواسط العصر العباسي الأول تقريباً .

ثانياً: كتب الفتوح، والمغازي، والسير: والتي أوردت معلومات قيمة حول جهود المسلمين في فتوحاتهم الإسلامية، وتتبعت ظروفها وأحوالها، وكان على رأس تلك الكتب، كتاب السير لأبي إسحق الفزاري (186هـ/802م)، والمغازي للواقدي (ت207هـ/822م)، والسيرة النبوية لابن هشام (125هـ/741م) وفتوح البلدان للبلاذري (ت 279هـ/892م) وكتاب الفتوح لابن أعثم (314هـ/926م)، والكامل في التاريخ لابن الأثير(ت 630هـ/1232م) والبداية والنهاية لابن كثير (ت 774هـ/1343م) فرفدت تلك المصادر الدراسة بمعلومات مهمة حول غزوات الرسول(ﷺ) وسراياه، خاصة على

الجبهة البيزنطية بالإضافة إلى كتابات حول الفتوحات الإسلامية وتتابعها، وتجهيز الحملات الإسلامية لفتح القسطنطينية، وإشارات لبعض مجريات الحصار.

ثالثاً: كتب التراجم: ويجد الباحث في هذا النوع من المصادر الكثير من المعلومات حول دقائق الأحداث التاريخية، خاصة في المحاولات الإسلامية لفتح القسطنطينية، وكان على رأس تلك الكتب كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد (ت 230هـ/844م)، وكتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (ت 463هـ/1070م) وكتاب تاريخ دمشق لابن عساكر (ت571هـ/1175م)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (ت748هـ/1347م)، وكتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (ت852هـ/1449م) والتي أثرت البحث بمعلومات حول أحداث الحصارات الإسلامية للقسطنطينية وأخص بالذكر كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر، الذي زود الدراسة بمعلومات قيمة حول مجريات المحاولات الأموية لفتح القسطنطينية، فتحدث بروايات حية من شهود عيان كانوا ضمن تلك المحاولات، وهذا أعطى الدراسة فائدة للاعتماد على روايات من شهود عيان.

رابعاً: المصادر الجغرافية: تلك التي تتحدث عن البلدان وجغرافيتها، إذ لا تقل هذه المصادر عن سابقاتها من أهمية، فدعمت الدراسة بمعلومات حول البلدان، وطرق فتحها، وأهميتها، وقد بدا أثرها واضحاً في التعريف بكثير من المواقع والأماكن الجغرافية، إضافة إلى إضاءات قيمة فيما تعرضت له القسطنطينية من حملات، ويقف على رأس تلك المصادر كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة (ت 300هـ/913م) وكتاب معجم ما استعجم من أسماء البلاد والأماكن والمواضع للبكري (ت487هـ/1072م)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (ت626هـ/1228م)، وكتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لشيخ الربوة (ت727هـ/1327م) وغيرها من الكتب الجغرافية .

خامساً: كتب الحديث النبوي الشريف: والتي احتوت أحاديث النبي (ﷺ) حول القسطنطينية، فكان لها دور في تزويد الدراسة بتلك الأحاديث التي كانت المحرك الأساس لقادة الدولة الإسلامية في تحركهم نحو القسطنطينية، وإيراد الكثير منها لأحداث الحملات الأولى لفتح القسطنطينية، وكان أهمها المسند لأحمد ابن حنبل (ت 241هـ/854م) وصحيح البخاري، للبخاري (ت 256هـ/869م)، وصحيح مسلم لمسلم (ت 261هـ/874م)، بالإضافة إلى المستدرك على الصحيحين للحاكم (ت405هـ/1014م) وغيرها من كتب الحديث .

سادساً: المصادر الأجنبية: والتي أمدت الدراسة بمعلومات قيمة حول وجهة النظر البيزنطية في محاولات فتح القسطنطينية، خاصة في الحملة الأخيرة التي أسقطتها، فكانت بمثابة وجهة نظر الآخر والتي نقلت الصورة من داخل القسطنطينية المحاصرة، وكان من أهم تلك المصادر، كتاب الفتح الإسلامي للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني، لنيقولو باربارو، ذلك الطبيب البندقي الذي كان يعمل على إحدى السفن البندقية أثناء حصار القسطنطينية الأخير، وكتاب فتح القسطنطينية، سبعة

مصادر معاصرة للبرفوسور ج.ر جونز، والذي ترجم روايات سبعة معاصرين لفتح القسطنطينية وهم: جياكومو تيدالدي، التاجر الفلورنسي الذي نجح في الهرب من القسطنطينية إبان فتحها، وليونارد الخيوسي، أحد الوافدين للقسطنطينية قبل فتحها من أجل تحقيق الاتحاد الكنسي الذي تم أواخر عام 1452م، ولاونيكوس خالكو كونديلاس المؤرخ اليوناني الذي كان معاصراً للحدث، وميخائيل دوكاس المؤرخ البيزنطي الذي التقى بالسلطان الفاتح أكثر من مرة، وكريستوفورو ريشيريو الذي كان بالقسطنطينية أثناء حصارها الأخير، وجورجي دولفين، المؤرخ الإيطالي المعاصر أيضاً، ورواية القنصل الجنوي لحي غلطة(بيرا) إبان الاقتحام العثماني للقسطنطينية جيوفاني لوميللينو، وكان لكتابات هؤلاء أهمية في نقل وجهة نظرهم حول ذلك الفتح، وأفادت الكثير من المصادر والمراجع الأجنبية المترجمة وغير المترجمة في إعداد هذه الدراسة، والتي أرفقت بقائمة المصادر والمراجع .

سابعاً: المراجع العربية الحديثة: فقد كتب العديد من الباحثين في مجال الفتوحات الإسلامية، وقد تطرقوا إلى محاولات فتح القسطنطينية، لكن حديثهم كان بإشارات عابرة، غير أنه كان لها أهمية في توجيه نظر الباحث إلى العديد من المصادر التاريخية التي اعتمدوا عليها، بالإضافة إلى التعرف إلى بعض جنبات موضوع البحث، بالاعتماد على المصادر والمراجع الأجنبية التي لم أتمكن من الحصول عليها، كما كان لكتابها بعض وجهات النظر حول بعض أحداث العلاقات الإسلامية البيزنطية، وهذا مما أكسب الدراسة طلاوة بآراء هؤلاء الباحثين .

فصول الدراسة

حوت الدراسة تمهيداً وستة فصول وخاتمة، فخصّ التمهيد القسطنطينية، واشتمل على تأسيسها وموقعها، وحصانتها، وأسهب القول فيها جميعها، فأظهر موقعها، وحدده من جهاته الأربع، وبيّن المكانة الإستراتيجية التي تمتعت بها، كما تعرض لحصانتها بقصد إظهار تلك الحصانة ودورها في رد الكثير من المحاولات التي تعرضت لها، وحماية المتحصنين بها .

وناقش الفصل الأول موقف كل من المسلمين والروم تجاه بعضهم، فوضح موقف الإسلام من القسطنطينية والروم من خلال القرآن الكريم الذي كان صريحاً تجاههم، فأباح الزواج منهم، وعدهم أهل كتاب، وتطرق لهم في سورة الروم التي خصصت باسمهم، ومن خلال السنة النبوية التي ساهمت في توجيه أنظار المسلمين نحو القسطنطينية بالعديد من الأحاديث النبوية التي بشرت بفتحها وتطرق لبيان موقف الروم من الدعوة الإسلامية، وأجاب حول الانقلاب التاريخي الذي أدى لتدهور العلاقات الإسلامية البيزنطية، بعد أن كان قد بشر بعض الرهبان برسالة الإسلام وكانوا الحضن الذي التجأ إليه المسلمون بداية الدعوة "الحبشة"، ثم تتبع العلاقات الإسلامية البيزنطية في عصر الرسول(ﷺ) من خلال السرايا والغزوات التي وجهها إلى الإمبراطورية البيزنطية، ومراسلاته مع الحكام المجاورين من أمرائها وحكامها، وما نجم عنه من أحداث، بالإضافة إلى تتبع طريق الفتوحات

الإسلامية في عصر الراشدين، وتوسع الدولة الإسلامية على حساب البيزنطيين وظهور الثغور وخطوط الدفاع بين الطرفين .

أما الفصل الثاني فقد حوى الحملات الأموية على القسطنطينية، فبدأ بتمهيد حول تأسيس الأسطول الإسلامي على يد معاوية بن أبي سفيان، وما حققه من فتوحات في البحر، كفتح قبرص 28هـ/647م، ومعركة ذات الصواري 34هـ/654م، على اعتبار أن هذا الأسطول هو المعول عليه في تلك الحملات، كما فند حملة معاوية عام 32هـ/653م التي قيل إنها وصلت القسطنطينية، ودرس المحاولات الأموية على القسطنطينية، ابتداءً بحملاتي معاوية بن أبي سفيان بين الأعوام 49- 60هـ/668م -679م، وانتهاءً بحملة سليمان بن عبد الملك عام 98هـ/717م، من حيث إعداد الطرفين الإسلامي والبيزنطي، و تتبع خط سير تلك الحملات، والحصارات التي أقيمت على القسطنطينية، وما رافقها من مجريات وأحداث، وشبهات، وموقف المؤرخين من الإمدادات، وتحقيق الخبر في مدد الحصارات، وتوضيح أسباب فشل تلك الحملات، وما نتج عنها من نتائج انعكست على المسلمين والروم، وختم هذا الفصل ببيان سياسة الأمويين بعد تلك الحملات، ووجهة نظر الفن الحربي الحديث من تلك الحملات .

وعالجت الدراسة في فصلها الثالث تطلعات العباسيين لفتح القسطنطينية، والتي أطلقت عليها تطلعات كونها لم ترق لأن تكون حملات يقصد من ورائها فتح القسطنطينية، فالدولة العباسية تحولت في وجهتها من خلال انتقال عاصمتها، والتي عملت على الحفاظ على حدودها، والاكتفاء بما تم من فتوح، وبهذا بحث هذا الفصل تطلعات كل من المنصور، والمهدي، وما رافقها من علاقات مع البيزنطيين، إضافة إلى توضيح تطلعات هارون الرشيد الذي عمل على إعادة توجيه الضربات للبيزنطيين، التي رافقها العديد من العهود والمواثيق مع حكام بيزنطة المعاصرين، وختم بإبراز حملة المعتصم على القسطنطينية، من خلال فتح بعض حصون الروم، وتداعيات تلك الحملة، والسبب في انصرافها عن تحقيق هدفها .

ولتحقيق المنهج العلمي القائم على المقارنة، فقد أجريت مقارنة بين الحملات الإسلامية على القسطنطينية والحملة الصليبية الرابعة، وهذا ما استوعبه الفصل الرابع، فناقش الحملة الصليبية الرابعة من حيث الدعوة، والإعداد، وتداعيات انحرافها نحو القسطنطينية، وتتبع خط سيرها وضربها للحصار على القسطنطينية، ثم إسقاطها وفتحها، وما نتج عن هذا السقوط من نتائج، كما أجاب عن التساؤلات حول الأسباب التي أدت إلى نجاح هذه الحملة، وفشل الحملات الإسلامية مع إجراء مقارنة بينها، وبيّن سبب عدم توجيه القيادة الإسلامية لحملة على القسطنطينية في تلك الفترة والذي قاد إلى دراسة أحوال العالم الإسلامي في ظل الحروب الصليبية .

أما الحملات العثمانية على القسطنطينية، ودراسة نسب العثمانيين، وتخطيطهم الاستراتيجي في فتح القسطنطينية بالالتفاف حولها، وفتح المناطق المحيطة بها، ومن ثم التوجه لها بعد عزلها عن عالمها المسيحي من الغرب، وتناول ثلاث حملات وجهت نحو القسطنطينية، اثنتين في عهد بايزيد الأول، وواحدة في عهد مراد الثاني، وتلك الإعدادات التي جُهزت من قبل الطرفين، وضرب الحصار على القسطنطينية، وتداعيات فشل تلك الحملات، ونتائجها، إذ أن غالبها كان لأسباب خارجية تمثلت بأحلاف صليبية ضد الدولة العثمانية، الأمر الذي قاد لبحث تلك الأحلاف، وما رافقها من معارك، خاصة في الحصار الأخير للسلطان بايزيد، والذي انتهى بمعركة أنقرة التي دارت بينه وبين تيمورلنك، وأسفرت عن انهيار الدولة العثمانية، وانشغال أبنائه بحروب داخلية أخرت سقوط القسطنطينية نصف قرن من الزمان، فقد سرد كل ذلك الفصل الخامس .

أما الفصل السادس – والأخير – فقد اشتمل على الفتح العثماني للقسطنطينية على يد السلطان محمد الثاني "الفاتح"، إذ استهل بتعريف به، ثم مناقشة دوافعه لفتح القسطنطينية، وما أعده لهذا الفتح من أسلحة مبتكرة، وخطط محكمة، بالإضافة إلى تقدير قوات الطرفين، وترتيباتهما العسكرية وحصار القسطنطينية وما رافقه من عمليات حربية، وأساليب قتالية، إضافة إلى مناقشة ما جرى بين البيزنطيين والمسلمين من مفاوضات، انتهاءً بمصرع إمبراطور القسطنطينية، وتحقق الفتح، وما رافقه من تداعيات، مع تحقيق مدة الحصار، وأسباب تحقق النصر، وما نتج عنه من نتائج انعكست على المسلمين والأوروبيين في النواحي كافة .

ثم ختمت الدراسة بخاتمة ضمت ما خلص إليه الباحث من نتائج وتوصيات، ثم قائمة بمصادر ومراجع الدارسة، كما ردفت بالعديد من الملاحق التوضيحية، كملحق الخرائط، وملحق تحصينات القسطنطينية، وملخص المحاولات الإسلامية لفتح القسطنطينية .

وفي الختام أسأل الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في إعداد هذه الدراسة، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، إنه نعم المولى ونعم النصير – آمين يا رب العالمين .

الباحث

مهند صادق العملة

آذار2011م / ربيع آخر1432هـ

تمهيد

القسطنطينية: البناء - الموقع – الحصانة

- البناء

تعد القسطنطينية من المدن التي حظيت بعناية المؤرخين، كونها عاصمة الإمبراطورية البيزنطية والتي تأسست على يد الإمبراطور البيزنطي قسطنطين[1] بن سوريوس[2] "الأول" بعد انقسام الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين: الإمبراطورية الرومانية الشرقية، والإمبراطورية الرومانية الغربية[3]، لتكون مقراً لعاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية[4] على غرار ما فعله رميلوس منشئ روما، والإسكندر منشئ الإسكندرية[5].

---

(1) **قسطنطين:**اسمه الكامل گايوس فلاڤيوس ڤالريوس أورليوس قنسطنطينوس (باللاتينية Flavius Valerius Gaius Aurelius Constantinus) هو إمبراطور روماني يعرف أيضا بالإسم قسطنطين العظيم، وهو قسطنطين بن قسطنديوس كلوروس من زوجته هيلانة، ولد في نيش من أعمال يوغسلافية حوالي 280م، نشأ في نيقوميدية في حاشية الإمبراطور ديوقليتيانوس، والتحق بالجيش في الخامسة عشرة من عمره، فأظهر شجاعة وحنكة، لذلك رقي إلى رتبة قائد وهو في الثامنة عشرة من عمره، ولما تولى غلاريوس قيادة الإمبراطورية على إثر استقالة ديوقليتيانوس فصل قسطنطين عن الجيش، غير أنه بقي في معيته لتعلق الجند به، واستبسالهم من أجله، وكان واسع الخلق، رحب الصدر، مع سرعة البادرة، وشدة الغضب (رستم أسد، **الروم في سياستهم وحضارتهم** 51-52؛ ينظر: آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان**20)، توفي قسطنطين في عام 337م بالحمى، حيث حنط جسمه، ووضع بتابوت من ذهب ليدفن في كنيسة الرسل (نفسه 72- 73)؛ وللاستزادة حول قسطنطين الأول ينظر نيكول، دونالد، **معجم التراجم البيزنطية** 130 – 132

(2) القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 368؛ القزويني، زكريا، **آثار البلاد وأخبار العباد** 603؛ جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 7

(3) لمزيد من المعلومات والتعرف إلى تفاصيل وأسباب انقسام الإمبراطورية الرومانية، والنظريات التي قامت حولها، ينظر سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 129/1 – 131؛ ربيع، حسنين، **تاريخ الدولة البيزنطية** 11 - 19؛ الشيخ محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية**11 - 13؛ عمران، محمود، **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية**9–15؛ صبرة، عفاف **الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان** 18 – 21؛ العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 17 – 23؛ Ostrogorsky, **History of the Byzantine start**.Pp.27 – 28؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 15 – 23 توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 23 – 34

(4) شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** 259 ؛ صفوت، محمد، **فتح القسطنطينية وسيرة السلطان محمد الفاتح** 336-340؛ فرج، وسام، **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 25؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 15؛ عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**28؛ عمران، محمود، **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 23 ؛ سيف الدين، عبد الحكيم، **عهد المتوكل العباسي بين الحقيقة التاريخية وظلم المؤرخين،** مجلة المؤرخ العربي اتحاد المؤرخين العرب، ع15، 2007، 125؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 16؛ العدوي، إبراهيم **الأمويون والبيزنطيون** 152؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 48

(5) الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 12؛ وللاستزادة حول دوافع قسطنطين الأول لبناء القسطنطينية، ينظر: أومان تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 15 - 16

وقد باشر قسطنطين بناءها بعد ثلاث سنوات من توليه الحكم[1]، أي عام 324م[2] وافتتحت عام 330م[3]، لتظهر في سماء البسفور بعد ستة أعوام من بدء العمل بها[4]، وذلك على أنقاض مدينة بيزنتة[5] التي أسسها أحد قادة اليونان قبل التاريخ المسيحي بمائتي عام وألف[6]، وعد ذلك بداية تاريخ

---

(1) المسعودي، علي، **التنبيه والإشراف** 136؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 252/1؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 43

(2) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 15؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 152؛ ربيع، حسنين، **تاريخ الدولة البيزنطية** 31

(3) Ostrogorsky, **History of the Byzantine start** p.44؛ عمران، محمود، **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 12؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية** 31 – 32؛ عبد الجواد، ليلى، **مملكة القسطنطينية في مسالك الأبصار وممالك الأمصار للعمري دراسة وتحقيق**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، ع15، 2007م، 305 ؛ لويس برنارلد، **إسطنبول حضارة الخلافة الإسلامية** 11؛ هسي، ج.م ، **العالم البيزنطي** 90؛ فرج، وسام، **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 15؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 19؛ عوض، محمد، **الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب** 253؛ نيكول، دونالد، **معجم التراجم البيزنطية** 130؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 38

(4) جيبون، إدوارد، **اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها** 505/1؛ الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 13 العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 153

(5) **بيزنتة** : مستوطنة أقامها مجموعة من سكان مدينة ميجارا الإغريقية(رستم، أسد، **الروم في سياستهم وحضارتهم** 62 العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 147؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية** 31؛ فرج، وسام، **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 4؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 5، 47 - 48) ويرجع اختيار موقعها إلى القائد البحري "بيزس" الذي سميت باسمه، حيث غدت مركزاً تجارياً مهماً، لموقعها بين البرين الآسيوي والأوروبي ويحميها الماء من جانبين، والثالث يحميه سور كبير، وكان مصير هذه المستوطنة مرتبطاً بمصير أثينا، ثم تحولت لجانب مدينة روما، إلى أن جاء قسطنطين الأول فأعاد بناءها وجعلها مقراً لمملكته (ينظر: بورفيروجنيتوس، قسطنطين، **إدارة الإمبراطورية البيزنطية في عهد قسطنطين السابع** 94؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 3- 13؛ جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 5؛ اليوسف، عبد القادر، **الإمبراطورية البيزنطية** 19؛ عبد الجواد، ليلى، **مملكة القسطنطينية في مسالك الأبصار وممالك الأمصار للعمري دراسة وتحقيق**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ع 15، 2007م 291؛ فرج، وسام، **بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والإداري** 4) ويذكر أن بيزنطة تأسست عام 667 قبل الميلاد، إلا أن التاريخ الفعلي لتأسيس المدينة ما زال موضع جدال بين المؤرخين منذ القدم، وغالبًا ما يؤخذ بقول المؤرخ الإغريقي "هيرودوت" الذي يقول بأن المدينة تأسست بعد بلدة "خلقيدونية" بسبع عشرة سنة، أي حوالي عام 685ق.م، إلا أن "يوسابيوس القيصري" يقول بأن المدينة ظهرت سنة 659 ق.م، على الرغم من اتفاقه مع "هيرودوت" على أن "خلقيدونية" تأسست سنة 685 ق.م، أما بالنسبة للمؤرخين المعاصرين، فيقول "كارل روبك" إن المدينة تأسست في عقد الأربعينيات من القرن السادس قبل الميلاد، بينما يقول آخرون إنها تأسست في وقت لاحق على هذا بكثير، أضف إلى ذلك إن تاريخ تأسيس "خلقيدونية" نفسها موضع جدال بين الخبراء؛ فعلى الرغم أن الكثير من المصادر تشير إلى سنة 685 ق.م، فإن مصادر أخرى تشير إلى سنة 675 ق.م أو سنة 639 ق.م، ويوضع تاريخ تأسيس بيزنطة بهذا في سنة 619 ق.م. وكنتيجة لهذا الجدل، فإن بعض المراجع اختارت وضع تاريخ تأسيس بيزنطة في القرن السابع قبل الميلاد(http://**wapedia**.mobi)

(6) ينظر: جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 5 ؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 122/1؛ فرج، وسام، **بيزنطة، قراءة في التاريخ السياسي والإداري** 4؛ العبيدي، إبراهيم، **قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان** 27؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 11؛ هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 89؛ عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 29؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 19؛عبد اللطيف، عبد الشافي، **العالم الإسلامي** 242؛ الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 11؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 36

الإمبراطورية البيزنطية[1]، ودعيت في بادئ أمرها بروما الجديدة، أو الثانية[2]، ولكنها سرعان ما حملت اسم قسطنطين لتعرف[3] بالقسطنطينية[4]،أي مدينة القسطنطين[5].

---

(1) صبرة، عفاف، **الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان** 14؛ العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 17 ربيع، حسنين، **تاريخ الدولة البيزنطية**11؛ Vasiliev, **History of the Byzantine** p. 324

(2) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني** 5؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 122/1؛ رانسيمان، ستيفن، **الحضارة البيزنطية** 32؛ جيبون، إدوارد، **اضمحلال الإمبراطورية البيزنطية** 1/ 356 ؛ لويس برنارلد، **إسطنبول حضارة الخلافة الإسلامية** 11؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 25؛ نيكول، دونالد، **معجم التراجم البيزنطية**130؛ وبالرغم مما سبق فليس هناك من دليل يُفيد بصحة الاعتقاد الشائع أن قسطنطين الأول أطلق على المدينة اسم "روما الجديدة" بشكل رسمي، إذ تفيد المسكوكات التذكارية التي تم سكها خلال عقد 330 بأن اسم المدينة خلال هذه الفترة كان *Constantinopolis* أي "القسطنطينية" ويُحتمل بأن الإمبراطور أطلق على المدينة اسم "روما الثانية" (*Rhome Deutera*) بمرسوم رسمي، كما يقول المؤرخ اللاهوتي من القرن الخامس "سقرط القسطنطيني" (ينظر: http://**wapedia**.mobi)

(3) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 253/1؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 563/12؛ الحموي ياقوت، **معجم البلدان** 395/4 ؛ الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار** 481؛ القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 372؛ شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**259؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 15 فرج، وسام، **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 15؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 20 **القسطنطينية مدينة المليون نسمة**، مجلة وجهات نظر،ع18، أكتوبر1999، 9؛ ساليفان، ريتشارد، **ورثة الإمبراطورية البيزنطية** 49؛ ربيع، حسنين، **تاريخ الدولة البيزنطية** 32؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 25؛ يوسف، جوزيف **تاريخ الدولة البيزنطية** 5؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 38

(4) **قسطنطينية**، أو قسطنطينة : بضم أوله وإسكان ثانيه (البكري، عبد الله، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع** 1074/3) وتسمية القسطنطينية بهذا الاسم هي تسمية عربية، فقد كان الروم يسمونها "بولن "، وإذا أرادوا العبارة بأنها دار الملك قالوا عنها:" استن بولن " ولا يدعونها القسطنطينية بل العرب تعبر عنها بذلك(المسعودي، علي، **التنبيه والإشراف** 138)، ولعل ما ذكره المسعودي صحيح، فقد ذكر الباحثون المحدثون أن اسم المدينة هو يوناني، وهو اس - تن - بولن (Is - tn - bolin) ومعناه في المدينة، وكلمة إسطنبول التي أطلقت عليها ما هي إلا تحريفاً لتلك التسمية اليونانية (شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**259)؛ كما أن العرب استخدموا لفظ إسطنبول للدلالة نفسها عن القسطنطينية، وقد أورد الكثير من المؤرخين أن قسطنطين هو الذي بنى القسطنطينية والتي تسميها الروم إسطنبول (ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 252/1،؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 563/12؛ ابن بطوطة، محمد، **الرحلة** 226/1-227؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 347/4؛ شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**259) كما أطلق العرب على القسطنطينية أسماء أخرى منها "فروق" لأن فيها تفرقت القياصرة شرقاً وغرباً (جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 7؛ آصف، يوسف **تاريخ سلاطين بني عثمان** 20)؛ كما وردت تلك اللفظة في كثير من الأشعار والقواميس العربية (أبو تمام، حبيب بن أوس **ديوانه** 436/2 ؛ شوقي، أحمد، **الشوقيات** 154/1، 163/1، 230/1؛ الفيروز أبادي، محمد، **القاموس المحيط** مادة "فرق" الزبيدي، مرتضى، **تاج العروس** مادة "فرق")؛ كما أطلق على القسطنطينية اسم الأستانة، ودار السعادة، وأطلق اليونان عليها اسم "مانيطس" (شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**143) وكانت تسمى عند السلاف "زارغراد" أي مدينة الإمبراطور، وأطلق عليها سكان شمال أوروبا "ميكالاغراد"، أو "ميكل غارث"، أي البرج العظيم، وعرفها اليونان والرومان ببيزنطة، وروما الجديدة، وقسطنطينوبولس، كما اكتفوا بلفظ المدينة للدلالة عليها (لويس، برنارلد، **إسطنبول حضارة الخلافة الإسلامية** 11)

(5) فرج، وسام، **بيزنطة، قراءة في التاريخ السياسي والإداري** 4؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 153؛ لويس برنارلد، **إسطنبول حضارة الخلافة الإسلامية** 11

هذا وكان قسطنطين قد كلف العديد من الأشخاص لبنائها، فقد استخدم في ذلك نحو أربعين ألفاً من الرجال القوط الأصدقاء، أو المحالفين[1]، وقد كان سخاؤه كبيراً في الإنفاق عليها، إذ قدرت نفقات ذلك بحوالي خمسمائة ألف ومليوني جنيه، فبنيت الأسوار، والأروقة، وقناطر الماء[2]، وقد ساهمت الغابات المحيطة بالبحر الأسود، والمحاجر الموجودة فيها من توفير كل ما يلزم البناء [3].

ولإظهارها بالمظهر اللائق، حرص قسطنطين على تجميلها وتزيينها[4] بالتحف الفنية المختلفة فاهتم بجلب تحف المعابد الوثنية، والبنايات القديمة إليها، وأمعن في البحث لها عن بدائع العمارة والفنون من أنحاء البلاد[5]، وقرر أن يجعلها مركزاً للفنون والعلوم، فبنى فيها دور الكتب المحشوة بالمخطوطات اليونانية، وملأ شوارعها ومتاحفها بالكنوز الثمينة، حتى غدت مدينة اجتمعت فيها أمنيات الدنيا ورغباتها[6].

كما قرر أن يهيئها لتلعب الدور الذي تلعبه روما القديمة، فأكثر من بناء المباني العامة والكنائس[7] وأسس مبنى السيناتو (مجلس الشيوخ) [8] الذي يتصل بقصره الإمبراطوري[9]، وملعب سباق

---

(1) الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 13؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 37

(2) عمران، محمود، **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 30

(3) جيبون، إدوارد، **اضمحلال الإمبراطورية البيزنطية** 1/ 352

(4) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 122/1؛ جيبون، إدوارد، **اضمحلال الإمبراطورية الرومانية** 505/1 فرج، وسام، **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 15؛ الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 13؛ آصف يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 20؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 37

(5) الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 13

(6) رانسيمان، ستيفن، **الحضارة البيزنطية** 22- 23؛ عبد الجواد، ليلى، **مملكة القسطنطينية في مسالك الأبصار وممالك الأمصار للعمري**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ع 15، 2007م، 297؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية**48، وللاستزادة حول مظهر القسطنطينية وجمالياتها، ينظر:جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية**30-40

(7) نيكول، دونالد، **معجم التراجم البيزنطية** 131

(8) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 19 ؛ ربيع، حسنين، **تاريخ الدولة البيزنطية** 33

(9) يطلق على قصر الإمبراطور " البلاشيران"، وعلى ملعب سباق الخيل " الهيدروم" وكثيراً ما كان الإمبراطور يخرج من قصره إلى ملعب سباق الخيل، إذ لم يكن الملعب مجرد مكان للاستعراضات، بل كان محور الحياة السياسية، والاجتماعية بالقسطنطينية، حيث عقدت فيه الاجتماعات لمناقشة الأمور السياسية، والاجتماعية، والدينية كافة، والجدير بالذكر أن القسطنطينية كان بها قصران هما: قصر البوكليون" فم الأسد"، والذي يقع على الواجهة البحرية الشرقية لها، والثاني هو قصر البلاشيران الواقع على بحر مرمرة، والذي يضم قاعات ضخمة، وغرفاً فسيحة وأفنية، وكنيسة كبيرة، وأجنحة للرجال والنساء، وخزائن وثكنات الجند، بالإضافة إلى المقصورة الضخمة التي تمكن الإمبراطور من مشاهدة كل ما يجري في ميدان سباق الخيل (ينظر كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 124 – 126؛ رانسيمان، ستيفن، **الحضارة البيزنطية** 226 – 227 عبد الجواد، ليلى، **مملكة القسطنطينية في مسالك الأبصار وممالك الأمصار للعمري**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب القاهرة،ع 15، 2007م، 308 - 309)؛ وللاستزادة حول القصر الإمبراطوري (ينظر: أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 18)

الخيل[1] الذي تحوطه التماثيل المصنوعة من النحاس الأحمر[2]، ومخازن الحبوب والغلال[3] وشق فيها العديد من الشوارع، وزينها بالأعمدة، وقد تميزت تلك الشوارع بضيقها[4] بسبب شرفات بيوتها وأدراجها البارزة[5]، والتي تلتقي في ميدان دائري وسط المدينة (ميدان الميزا)[6] بالإضافة إلى دار الملك، والتي هي عظيمة البناء بعقود منظمة، وأبنية رفيعة واسعة مفروشة بالرخام الأبيض والملون[7] ناهيك عن المرافق المختلفة كالمنارات، والتي من أشهرها منارة من الرصاص والحديد[8]، وقد كان تجميلها وتجديدها مستمراً[9]، حتى فاقت روما في بنائها، ووفرة

---

(1) ربيع، حسنين، **تاريخ الدولة البيزنطية** 33؛ بحري، فائقة، **أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا** 20، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – مكة 1989م ، وقد بني هذا الملعب عام 196م في عهد سبتيميوس سيفروس، ثم أكمل بناءه قسطنطين الأول، و كان هذا الملعب محور الحياة السياسية في الإمبراطورية البيزنطية، إذ كانت تجري فيه المسابقات والاحتفالات، واستعراض الأسرى، وهو من المساحة ما يكفي لستين ألف مشاهد، وبه المقصورة الكبرى للإمبراطورية (جونز ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 16)؛ فطوله حوالي 640 ذراعاً، وعرضه 160ذراعاً (أومان، تشارلز **الإمبراطورية البيزنطية** 20)

(2) ينظر: الإدريسي، محمد، **نزهة المشتاق** 802 ؛ شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** 227؛ الحميري محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار** 482؛ كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين**130؛ رستم، أسد، **الروم في سياستهم وحضارتهم** 63-64؛ عبد الجواد، ليلى، **مملكة القسطنطينية في مسالك الأبصار للعمري**، مجلة المؤرخ العربي اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة،ع 15، 2007م ، 292، 309؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 16

(3) ينظر: يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 51 – 53؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 37

(4) جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 1/ 29؛ الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 37

(5) يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 53

(6) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 16؛ جيبون، إدوارد، **اضمحلال الإمبراطورية البيزنطية** 1/ 353 ؛ ينظر يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 51 – 53؛ هذا وقد تم بناء العديد من القصور بها، وللتعرف إليها (ينظر: غنيم، إسمت **الحملة الصليبية الرابعة ومسؤولية انحرافها ضد القسطنطينية** 86 – 89)

(7) عبد الجواد، ليلى، **مملكة القسطنطينية في مسالك الأبصار وممالك الأمصار للعمري**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة،ع 15، 2007م، 292

(8) القزويني، زكريا، **آثار البلاد وأخبار العباد** 605؛ ينظر: العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 156 - 159

(9) الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 13؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 20

شعوبها، وكثـرة ثرواتها واتساع تجارتهـا[1]، بـل أصـبحت أهم مراكـز التجـارة الدوليـة[2] فـي العصـور الوسطى[3] .

حرص قسطنطين على إسكان الناس بها، فشجعهم على الانتقـال إليهـا، وأغراهم بنيـة الدولـة توزيـع ثمانين ألف حصة خبز يومياً فيها[4]، والعمل على حمايتهم من المتنفذين والأغنياء[5]، ومنحهم أراضـي مملوكـة للدولـة مجانـاً[6]، لـذلك قـدم إليهـا النـاس مـن كـل صـوب وحـدب، فـاجتمع فيهـا: الإغريـق والآسيويون، والروس، والبلغار، والأوروبيون، والصقالبة، ومن مختلف أنحـاء أوروبـا[7]، كمـا دعـا عدداً كبيراً مـن رجـال مجلس الشيوخ فـي رومـا القديمـة، وكثيـراً مـن أغنيـاء بـلاد اليونـان ليقيمـوا فيهـا وأسند إليهم مناصب في مجلس شيوخه[8]، ولهذا وضـع في حساباته الزيـادة المضطردة للسكان، فعمل على ترتيبات لتزويد السكان بالمؤن والحبوب، والغلال، والتـي كان كثير منها يجلب من مصر[9].

---

(1) جيبـون، إدوارد، **اضـمحلال الإمبراطوريـة الرومانيـة** 505/1؛ جـاويش، سـليمان، **التحفـة السنية فـي فـتح القسطنطينية** 7 الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 13؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 20

(2) العرينـي، البـاز، **الدولـة البيزنطيـة** 27؛ ربيـع، حسنين، **تـاريخ الدولـة البيزنطيـة** 33؛ بينـز، نورمـان، **الإمبراطوريـة البيزنطية** 7- 8

(3) لقد عد تاريخ بناء القسطنطينية عاصمة للدولة البيزنطية بداية لتاريخ العصور الوسطى، وسقوطها نهاية لهذه الحقبـة الزمنيـة (سيف الدين، عبد الحكيم، **عهد المتوكل العباسي بين الحقيقـة التاريخيـة وظلم المـؤرخين**، مجلـة المؤرخ العربـي، ع15، اتحـاد المؤرخين العرب، القاهرة، 2007، 125)

(4) فرج، وسام، **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطوريـة البيزنطيـة** 15؛ رستم، أسد، **الروم في سياسـتهم وحضارتهم** 64 ربيع، حسنين، **الإمبراطورية البيزنطية** 34

(5) عيـاش، حسن، **الـولاة والعمـال فـي الجهـاز الإداري فـي صـدر الإسـلام** 43، رسـالة ماجستير، جامعـة النجـاح الوطنيـة نابلس 2002م

(6) فرج، وسام، **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 15

(7) البحراني، عماد، **فتح القسطنطينية في عهد محمد الفـاتح**، مجلة كان التاريخية، السنة الثانيـة،ع3، 61؛ السيد، محمـود **تـاريخ الدولـة العثمانيـة وحضارتها** 35-36 عبد الجواد، ليلـى، **مملكـة القسطنطينية فـي مسالك الأبصار وممالـك الأمصار للعمري**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ع15،2007م، 297

(8) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 19 ؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 54؛ توفيق، عمر، **تـاريخ الدولـة البيزنطية** 38

(9) جـونز، ج.ر، **الحصار العثمـاني للقسطنطينية** 17؛ عبد الجـواد، ليلـى، **مملكـة القسطنطينية في مسالك الأبصار وممالـك الأمصار للعمري**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة،ع 15، 2007م، 295

أما عن عدد سكانها في العصور الوسطى، فمن العسير إحصائه، فهو كما قدره بعض الباحثين يتراوح بين ربع المليون والمليون نسمة[1] وارتأى آخرون أنهم مليون ونصف[2] والذين توزعوا على أربع عشرة منطقة[3]، أما اليوم فهي من أكبر المدن في تركيا، وخامس أكبر مدينة في العالم من حيث عدد السكان، حيث يسكنها 12.8 مليون نسمة[4].

وليحقق للسكان أسباب الراحة والسرور، ضمت القسطنطينية العديد من المدارس، والمسارح والحمامات العامة، والأروقة، والمحاكم، والقصور[5]، والأسواق التجارية، والتي كانت في المناطق المرتفعة من المدينة[6]، وقد كانت تحمى بأبواب ضخمة تغلق ليلاً[7]، بالإضافة إلى العديد من الحصون والقلاع، كحصن القفل[8]، كما زودت بمصادر المياه، فقد أجاد البيزنطيون بناء خزانات المياه والقناطر، والتي انتشرت في سائر أنحاء المدينة، إلى جانب ذلك كان هناك نهر ليكوس الذي يجري بعرض المدينة، ويصب في بحر مرمرة[9]، ووجدت ثلاث آبار كبيرة مفتوحة للسكان بشكل دائم[10] كما أسس سجن لمعاقبة المخالفين، وهو على شكل حلزون، لا يهتدي إلى طريق الفرار منه أحد[11].

---

(1) آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 21؛ العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 17؛ الطحاوي، حاتم، **بيزنطة والمدن الإيطالية** 29؛ فرج، وسام، **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 15؛ الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 37؛ **القسطنطينية مدينة المليون نسمة**، مجلة وجهات نظر، ع9، 1999، 18

(2) جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 24؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 20؛ جونز، ج.ر **الحصار العثماني للقسطنطينية** 17

(3) إذ تقع اثنتا عشرة منطقة منها داخل أسوار المدينة، بينما تقع المنطقة الثالثة عشرة في منطقة غلطة (بيرا)، على حين ظلت المنطقة الرابعة عشرة مجهولة في مكان ما بجوار خليج القرن الذهبي (جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 19) الذي كانت عليه سلسلة ضخمة من الحديد تغلقه، فلا يدخل الخليج إلا من أذن له (شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**143؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 38)

(4) http://**wapedia**.mobi

(5) جيبون، إدوارد، **اضمحلال الإمبراطورية البيزنطية** 354/1 ؛ الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 37

(6) جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 25/1؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 53

(7) ابن بطوطة، محمد، **الرحلة** 351؛ كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 131؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 28

(8) البكري، عبد الله، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع** 1087/3

(9) Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P.73.؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 159 – 160

(10) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 18؛ وللتعرف إلى المزيد من محتويات مدينة القسطنطينية، ينظر: العبيدي إبراهيم، **قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان** 28 - 29

(11) شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** 227

لقد كان إنشاء القسطنطينية من أهم الأحداث التاريخية التي قام بها قسطنطين الأول، بالإضافة لاعتناقه المسيحية، واتخاذها ديناً رسمياً للدولة[(1)]، فكان اعترافه بالمسيحية مقروناً بإقامة حصن لها ومركز لأشياعها لم تدنسه من قبل تيارات الوثنية، أو تلوث أرضه عبادة الآلهة المزيفة[(2)]، وبهذا أمد النصرانية بعاصمة تنطلق منها إلى الجهات كافة، لا سيما وأن روما كانت لا تزال حصن الديانة القديمة، مع بقائها وثنية إلى وقت طويل[(3)]، لذلك حملت طابعاً مسيحياً منذ نشأتها[(4)] فزاد تشييد الكنائس فيها[(5)] وفي الأراضي البيزنطية كلها، خاصة الموطن الأول للمسيحية[(6)]، فأقيم فيها العديد من الكنائس مثل: كنيسة القديسة إيرين، وكنيسة أكاكيوس، وموكيوس[(7)]، وبطرس، وبولس، والحواريين[(8)] إضافة إلى كنيسة أيا صوفيا[(9)]، ذات الأبواب الثلاثة عشر[(10)]، وكنيسة الرسل التي تحتوي قبر قسطنطين

---

(1) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 252/1؛ القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 372؛ سيرهنك، إسماعيل **حقائق الأخبار عن دول البحار** 122/1؛ بينز، نورمان، **الإمبراطورية البيزنطية** 8-9؛ هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 92؛ فرج وسام، **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 11؛ الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 10؛ كلاري روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 127؛ Vasiliev, **History of the Byzantine** p52؛ ربيع، حسنين، **تاريخ الدولة البيزنطية** 25؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 44 وللتعرف إلى دوافع قسطنطين لاعتناق الديانة المسيحية ينظر: فرج، وسام، **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 15 – 20؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 40-48

(2) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 122/1؛ العريني، الباز، **تاريخ الدولة البيزنطية** 31؛ الشيخ، محمد **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 14؛ فرج، وسام، **بيزنطة، قراءة في التاريخ السياسي والإداري** 4؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 39

(3) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 48؛ ؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 51

(4) ربيع، حسنين، **تاريخ الدولة البيزنطية** 34 ؛ وللاستزادة حول معالم القسطنطينية ينظر: ابن بطوطة، محمد **الرحلة** 344-355؛ بينز، نورمان، **الإمبراطورية البيزنطية** 13 -15؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 18-20

(5) وقد ذكر ابن بطوطة، محمد، **الرحلة** 354 أن بها كنائس لا تعد ولا تحصى لكثرتها؛ وذكر ابن كثير، عماد الدين إسماعيل **البداية والنهاية** 563/11 أن قسطنطين بنى بها أكثر من اثنتي عشرة كنيسة .

(6) Vasiliev, **History of the Byzantine** p. 52 - 53؛ ربيع، حسنين، **تاريخ الدولة البيزنطية** 27 – 28

(7) ينظر: **القسطنطينية مدينة المليون نسمة**، مجلة وجهات نظر، ع9، 1999م، 17

(8) ابن خرداذبة، عبيد الله، **المسالك والممالك**11؛ شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**227

(9) **أيا صوفيا**: يقصد بها في اللغة اليونانية الثالوث المقدس، وهي مستديرة البناء، ولها قباب عديدة محمولة على أعمدة ضخمة لمزيد من التفاصيل حول هذه الكنيسة (ينظر:ابن بطوطة، محمد، **الرحلة** 351،234 – 353؛ شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** 227؛ القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 372؛ كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 127-128؛ عبد الجواد، ليلى، **مملكة القسطنطينية في مسالك الأبصار وممالك الأمصار للعمري**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب - القاهرة، ع 15، 2007م، 307؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 23 Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P.53.؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 51 آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 21)

(10) ابن بطوطة، محمد، **الرحلة** 351

وأمه هيلانة وبعض الأباطرة البيزنطيين[1]، ولكثرة أديرتها وكنائسها فلا يستطيع أحد أن يعددها[2] فقد كانت تلك الكنائس تنتشر على ناصية كل شارع، والتي حفظ بداخلها الكثير من الآثار والنفائس المسيحية، ويبدو أن السبب في ذلك هو لتخليصها من العقدة التي عانت منها بسبب افتقارها لمثل تلك الآثار، كونها لم تحظ بزيارة أحد الرسل لها، أو الاستشهاد قربها، أو بناء كنيسة بها[3] .

هذا ولم يهمل قسطنطين التشريعات والقوانين التي تنظيم المدينة، وتطورها في النواحي كافة فأصدر العديد من القوانين التي تهدف إلى توفير أسباب القوة للبلاد، وحمايتها من الأخطار[4].

ـ الموقع

تتربع القسطنطينية موقعاً استراتيجياً مهماً وفريداً بين مدن العالم، إذ تقع عند التقاء قارتي آسيا وأوروبا[5]، وتزداد أهمية هذا الموقع من خلال حدوده، فهي من الشمال البحر الأسود وهضبة الأناضول، ومن الجنوب بحر مرمرة ومضيق الدردنيل؛ وبلاد الترك في أوروبا من الغرب واسكودار وجزء من بر الأناضول من الشرق[6]؛ وبهذا فهي محاطة بالمياه من ثلاث جهات[7] فمن الشمال مياه القرن الذهبي، ومن الشرق مياه مضيق البسفور، ومن الجنوب مياه بحر مرمرة على شكل مثلث متساوي الساقين[8]، رأسه بارز شرقاً في ميدان البسفور، والضلع الشمالي يطل على بحر مرمرة، أما قاعدته فهي المنطقة الغربية التي تتصل بالقارة الأوروبية[9] .

---

(1) كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 129؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 24

(2) نفسه 132

(3) غنيم، إسمت، **الحملة الصليبية الرابعة ومسؤولية انحرافها ضد القسطنطينية** 84؛ وللاستزادة حول ما حوته القسطنطينية من آثار (ينظر: نفسه 84 -87)

(4) للتعرف إلى هذه التشريعات والقوانين، ينظر: سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 122/1 – 123؛ يوسف جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 57 - 59

(5) غنيم، إسمت، **الحملة الصليبية الرابعة ومسؤولية انحرافها ضد القسطنطينية** 83

(6) جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 24/1؛ ربيع، حسنين، **تاريخ الدولة البيزنطية** 33

(7) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 47؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 148 – 149 ؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 98؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 27؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 21

(8) جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 25؛ العبيدي، إبراهيم، **قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان** 28 عمران، محمود، **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 28؛ الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 12؛ يوسف، جوزيف **تاريخ الدولة البيزنطية** 48- 49؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 98

(9) ينظر: **خريطة رقم (1) من الملحق (1)** نهاية الدراسة .

ويتميز موقعها هذا بأنه آمن في مواجهة خطرين: الأول الجبهة الغربية(جبهة الدانوب) التي كانت تشكل خطراً عليها من القبائل البربرية، والثاني الجبهة الشرقية المتمثلة في القوات الفارسية[1] في بادئ الأمر، والقوات الإسلامية فيما بعد، فهي تقع في مركز وسط بين تلك الجبهتين، والطريق منها سهل إلى كلتا الجبهتين بالبر والبحر[2]، وبهذا أصبحت قاعدة تعبأ فيها الجيوش المرسلة إلى تلك الجبهتين، وترسل منها الأساطيل التي تجوب البحر المتوسط، وقد صممت بحيث تصمد في وجه الحصارات الطويلة، الأمر الذي جعلها تصمد حوالي ألف عام قبل أن تسقط في يد العثمانيين[3] .

كما لموقع القسطنطينية أهمية تجارية[4]، فهي تقع بين بحرين: الأسود والمتوسط، حيث تتحكم في مدخليهما، إضافة إلى تحكمها في الطريق المؤدية إلى آسيا[5]، وتجارتها، وتحديد مساراتها ومراقبتها[6] لذلك أخذ التجار بين آسيا وأوروبا يمرون بها[7]، كما تكفل هذا الموقع بسيطرتها التجارية بين غرب أوروبا وبلدان البحر الأسود وشواطئ بحر مرمرة[8]، ولا أدل على ذلك من صعود العملة البيزنطية في العصور الوسطى، والتي كانت تتداولها بلدان الشرق والغرب[9]، كما وتصل البرين: الآسيوي بالأوروبي، وبهذا فهي تتحكم بالطرق التجارية بينهما[10] .

---

(1) فرج، وسام، **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 14؛ عمران، محمود، **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 28؛ ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 15

(2) فرج، وسام، **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 14

(3) الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 12

(4) فرج، وسام، **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 14؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 49 توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 39

(5) العريني، الباز، **تاريخ الدولة البيزنطية** 30 ؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 50؛ صبرة، عفاف **الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان** 14 ؛ الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 12؛ فرج وسام، **أضواء على مجتمع القسطنطينية** ، بحث منشور في كتاب **دراسات في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي في العصور الوسطى** 14؛ ربيع، حسنين، **تاريخ الدولة البيزنطية** 33؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 50

(6) الطحاوي، حاتم، **بيزنطة والمدن الإيطالية** 29

(7) الإدريسي، محمد، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** 605/2؛ الإصطخري، إبراهيم، **المسالك والممالك** 188؛ الطحاوي حاتم، **بيزنطة والمدن الإيطالية** 31

(8) العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 148؛ غنيم، إسمت، **الحملة الصليبية الرابعة ومسؤولية انحرافها ضد القسطنطينية** 83؛ ربيع، حسنين، **تاريخ الدولة البيزنطية** 33

(9) الطحاوي، حاتم، **بيزنطة والمدن الإيطالية** 27

(10) صبرة، عفاف، **الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان** 14 ؛ الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 11؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 47

كما أنها تشرف على مضيقين: البسفور والدردنيل، فإذا ما تم إغلاقهما أصبح العبور منهما مستحيلاً[1]، واستأثر هذا الموقع البحري بميناء القرن الذهبي، الذي هيأ لها مرفأ طبيعياً يمكن لأي أسطول يُراد له العبور أن يرسو فيه[2]، ونظراً لأهمية هذا الميناء، وشكله الذي يشبه قرن الغزال، فقد أطلق عليه ميناء القرن الذهبي[3]، فهو من الاتساع ما يسمح لعمليات الشحن والتفريغ أن تتم بكل سهولة، كما يندر فيه عمليات المد والجزر[4]، وقد كان نصفه عميقاً يسمح لأي سفينة كبيرة من الوصول إلى الشاطئ بسلام، ونصفه الآخر ضحلاً وفسيحاً، لدرجة تكفل دخول المراكب الصغيرة[5] وحصن هذا الميناء بسلسلة عند مدخله تمنع السفن غير المرغوب فيها من الرسو فيه وبهذا فقد نظمت هذه المدينة الملاحة في مياهها لسفنها التجارية وأسطولها الحربي[6]، ولما كانت المياه تتدفق من مضيق البسفور نحو الشمال والجنوب، فقد منح ذلك المدينة الجو الصحي نتيجة تجدد الهواء[7]، ورغم تلك المكانة التجارية للقسطنطينية إلا أنها اكتفت بأن تكون ميداناً تجارياً دون أن تكون التجارة أحدى أولوياتها[8] .

هذا وقامت خارج القسطنطينية – خلف القرن الذهبي – ضاحيتان مهمتان تطلان عليه، لذا شكلتا موانئ مهمة، ربطت بالعاصمة بجسر خشبي، بُدل فيما بعد بجسر حجري[9] .

وقد أضفى هذا الموقع الاستراتيجي على القسطنطينية أهمية ثقافية، بحكم قربها من المراكز المهمة للثقافة الهيلينية، فتسنمت بذلك مكانة ثقافية مميزة[10]، حتى قيل: " لو كانت الدنيا مملكة واحدة لكانت القسطنطينية أصلح المدن لتكون عاصمة لها [11]" .

---

(1) عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 43

(2) يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 49؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 98

(3) للتعرف إلى مميزات هذا الميناء وطبيعته، ينظر: آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 22-23

(4) شيخ الربوة،محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**143؛ عمران، محمود، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 29 ؛Vasiliev, **History of the Byzantine** p.60؛ عبد الجواد، ليلى، **مملكة القسطنطينية في مسالك الأبصار وممالك الأمصار للعمري**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة،ع15،2007م،313؛ ؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 49؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 47

(5) غنيم، إسمت، **الحملة الصليبية الرابعة ومسؤولية انحرافها ضد القسطنطينية** 83

(6) العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 158

(7) غنيم، إسمت، **الحملة الصليبية الرابعة ومسؤولية انحرافها ضد القسطنطينية** 83

(8) الطحاوي، حاتم، **بيزنطة والمدن الإيطالية** 27؛ لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية والتجارية في حوض المتوسط** 196

(9) Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P.72؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 157

(10) Ostrogorsky, **History of the Byzantine start** p.45

(11) كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 92؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 47 ؛ العمري،عبد العزيز **الفتوح الإسلامية عبر العصور** 355 – 356

كما أن التحصينات التـي ألحقت بها أضافت لها أهميـة عسكرية، فقد كـان تجديدها دائمـاً ومستمراً بهدف تأمينها من الأخطار الخارجية المختلفة[1]، فأسوارها، وحصونها استطاعت ـ وعلى مر السنين ـ أن تـصد الكثيـر مـن العـادين[2] كـل ذلـك جعـل لهـا مكانـة سـامية فـي العديـد مـن المجـالات الـسياسية والثقافية، والتجارية، مما دفع صاحب التحفة السنية[3] أن يصفها بأنهـا مـن المدن التـي سمع لهـا وقـع كبير، وعرف لها شأن خطير .

هذا وقد حبتها الطبيعة خصوبة التربة، وتنوع الأراضي الزراعية[4]، واعتدال المناخ مما ساعدها علـى إقامـة المنـاطق الزراعيـة، إلـى جانـب إحاطتهـا بالميـاه الغنيـة بـالثروات الـسمكية، والتـي شـكلت مصدر غذاء لسكانها، الأمر الذي مكنها من الاكتفاء ببعض مصادر الغذاء[5]، والتمتع بأسباب المنعة والقوة [6].

ـ الحصانة

عند تشييد القسطنطينية لـم يُقم أيـة استحكامات دفاعيـة مـن جهـة البحر، لعدم وجـود تهديدات مـن قبله[7]، غيـر أن قسطنطين الأول رسم لنفسه ولخلفائه من بعده سياسة للنهوض بهذه المدينة، وتوجيهها للدفاع عـن إمبراطـوريتهم، فحـصنها ببنـاء حـائط مـن الجهـة البريـة يمتـد مـن البـسفور وحتــى القـرن الذهبي[8].

ولما عمل الأباطرة البيزنطيون على توسيع رقعتها، شيدوا حولها الأسوار المنيعة المدعمة بأبراج يصل عددهـا إلى عشرين برجـاً[9]، فأصبح موقعها منيعاً، محاطاً بالمياه البحرية من ثلاث جـهات[10]

---

(1) ينظر: Bury, **roman Empire** I.p.435

(2) فقد تعرضت للحصار تسعاً وعشرين مرة، ولم تسقط إلا في سبع مرات (جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 10؛ بحري، فائقة، **أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا** 20، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى مكة 1989م

(3) جاويش، سليمان 10

(4) الطحاوي، حاتم، **بيزنطة والمدن الإيطالية** 27

(5) صبرة، عفاف، **الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان** 14؛ عبد الجواد، ليلى، **مملكة القسطنطينية في مسالك الأبصار وممالك الأمصار للعمري**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة،ع 15، 2007م، 293

(6) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 47

(7) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 15

(8) العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 154

(9) جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 31؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 24

(10) القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 368؛ شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** 260؛ العبيدي إبراهيم، **قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان** 28؛ الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 10؛ رمضان، عبد العظيم **الصراع بين العرب وأوروبا** 98

ويمتد على طول كل منها سور، أما الجانب الغربي الذي يتصل بالقارة الأوروبية، فيحميه سوران ويبلغ ارتفاع السور الداخلي منهما نحو أربعين قدماً، ومدعم بأبراج يبلغ ارتفاعها ستين قدماً[1]، وتبلغ المسافة بين كل برج وآخر نحو مائة وثمانين قدماً، أما السور الخارجي فيبلغ ارتفاعه قرابة خمس وعشرين قدماً، وعليه أبراج موزعة مليئة بالجند[2] ويتخلله أبواب عديدة[3]، منها ما هو معد للأغراض العسكرية، ومنها ما هو معد للأغراض المدنية، وبهذا أصبحت تامة الحصون مستكملة وسائل الدفاع[4] لذلك بقيت مستقرة الدعائم، تحدوها مسحة من الرياء والاستعلاء، فضلاً عن غطرسة السلوك والمكابرة[5]، إلا أنها كانت تبدو ضعيفة الحماية لأن أسوارها البرية غير محمية بحواجز طبيعية[6].

كانت مدينة القسطنطينية على قدر من الاتساع، فطولها ست وخمسون درجة، وعشرون دقيقة وعرضها ثلاث وأربعون درجة، وقد قيل إنه لا يوجد مثلها في الكبر قطر إلا روما[7]، بل إنها فاقتها ببنائها وسكانها، وغناها[8]، حتى فاق اتساعها أي مدينة أخرى، وقد وصفها المقدسي[9] بأن مساحتها تماثل مساحة البصرة، أو أصغر قليلاً، وأن بناءها من الحجر، وهي محصنة منيعة، ولها أبواب متقابلة[10] .

كما أحيطت مدينة القسطنطينية بنواح ثلاث، اثنتان منها في البحر، والثالثة مما يلي البر ولها اثنا عشر عملاً، يجمعها جانبي الخليج: الشرقي، والغربي، فالشرقي يضم ما أطلق عليه بلاد الروم أما الغربي فهو يشتمل على ثلاثة أعمال كثيرة الحصون والقلاع[11]، ولها

---

(1) جيبون، إدوارد، **اضمحلال الإمبراطورية البيزنطية وسقوطها** 345/3؛ Bury, **roman Empire** I.p.70-77

(2) ينظر: العبيدي، إبراهيم، **قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان** 28؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 2 الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 96، وللتعرف إلى حجم التحصينات وأطوال الأسوار، وارتفاعاتها وأشكالها، (ينظر: عثمان، فتحي **الحدود الإسلامية البيزنطية** 13/2 -14؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 154- 155)

(3) جيبون، إدوارد، **اضمحلال الإمبراطورية البيزنطية وسقوطها** 345/3

(4) العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 156

(5) الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 10

(6) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 16؛ ينظر: **ملحق رقم (2)** نهاية الدراسة

(7) الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار** 482

(8) جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 7/1

(9) كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 100

(10) عمران، محمود، **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 28

(11) شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** 260

من الأبواب نحو مئة، أكبرها باب الذهب[1] القريب من بحر مرمرة، ويتلوه باقي الأبواب[2]، وقد وصف ابن بطوطة[3] حجم مدينة القسطنطينية وتحصيناتها بأنها "مدينة متناهية في الكبر، منقسمة بقسمين بينهما نهر عظيم المد والجزر[4]، على شكل وادي سلا من بلاد المغرب ... والمدينة في سفح جبل داخل في البحر نحو تسعة أميال، وعرضه مثل ذلك أو أكثر، وفي أعلاه قلعة صغيرة وقصر السلطان، والسور يحيط بهذا الجبل وهو مانع لا سبيل لأحد إليه من جهة البحر، وفيه نحو ثلاث عشرة قرية عامرة، والكنيسة العظمى[5]".

ونتيجة لمكانة القسطنطينية وموقعها، فقد أدرك الغزاة والفاتحون منذ القدم هذه الأهمية وخطورة الموقع، فحاولوا الاستيلاء عليها[6]، حيث تتالت عليها غارات الملوك، فحل بها الخراب مراراً، فأغار عليها دول من التتر، والبلغار، والأعاجم، والصليب، وكابدت شدة الحصار، والسلب، والنهب مراراً وتكراراً[7]، كما ارتبط اسم هذه المدينة بتاريخ الصراع بين الإمبراطورية البيزنطية، والدول الإسلامية: كالدولة الأموية، والعباسية، والعثمانية[8] غير أنها بمناعتها وقوة حصونها، تمكنت من صد معظم هؤلاء الغزاة والفاتحين[9] إلى أن فتحها العثمانيون الأتراك عام 1453م .

---

(1) Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P.52-53.؛ الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الإقطار**481 – 482

(2) العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 156

(3) **الرحلة** 350-351؛ عبد الجواد، ليلى، **مملكة القسطنطينية في مسالك الأبصار وممالك الأمصار للعمري**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ع 15، 2007م، 293

(4) عن وصف هذا النهر ينظر: القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** 377/5

(5) كان الروم يقدسون هذه الكنيسة لأنه كما يقال كان بها اجتماع قسطنطين على النصرانية، وبها صليب الصلبوت، وعصا موسى، وزنار مريم، ومسح المسيح (ينظر :عبد الجواد، ليلى، **مملكة القسطنطينية في مسالك الأبصار وممالك الأمصار للعمري**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب القاهرة،ع 15، 2007م، 295؛ وعن وصف هذه الكنيسة ينظر: ابن بطوطة، محمد، **الرحلة** 351-353؛ القزويني، زكريا، **آثار البلاد وأخبار العباد** 603-604

(6) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 48

(7) جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 8؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 20

(8) الوهيبي،خالد، **أشراط الساعة** 230

(9) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 48؛ وللتعرف إلى عوامل صمود القسطنطينية في مواجهة أعدائها، ينظر: يوسف، جوزيف **تاريخ الدولة البيزنطية** 27 - 32

الفصل الأول

القسطنطينية بين المسلمين والروم

موقف الشريعة الإسلامية من الروم

أولاً: في القرآن الكريم

درجت المصادر العربية والإسلامية، وعلى رأسها القرآن الكريم، على إطلاق لفظ "الروم" على سكان الإمبراطورية البيزنطية، ولقبت حاكمهم بإمبراطور الروم[1]، كما سمت أقاليم الإمبراطورية البيزنطية في جملتها "بلاد الروم[2]"، ولفظ الرومي في العصور الإسلامية ترادف النصراني، كما عرف البحر المتوسط ببحر الروم[3] .

وقد تعرض القرآن للمسيحية والمسيحيين في حوالي 117 آية، كان في أغلبها ملايناً ومقارباً لهم بطريقة تختلف عن ما انتهجه القرآن مع الديانات الأخرى، قال تعالى: " لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا، وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى، ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ [4]" .

كما أن القرآن لم يساوِ في أحكامه بين النصارى والمشركين، حيث لا يرغمهم على الإسلام مقابل دفع الجزية، بل يتيح للمسلمين أن يأكلوا من أكلهم، وأن يتزوجوا نساءهم[5]، وعد القرآن المسيحيين أهل كتاب، فحدد التعامل معهم في حال تمسكهم بدينهم، بدفع الجزية تمييزاً لهم عن الوثنيين، والذين لم يكن أمامهم إلا الإسلام، أو السيف .

كما ورد ذكر الروم في القرآن الكريم من خلال سورة خصصت باسمهم[6]، تلك التي تحدثت عن الحروب التي دارت رحاها بين الفرس - عبدة النار- و الروم

---

(1) عمران، محمود، **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 12؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 24

(2) القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 337؛ القزويني، زكريا، **آثار البلاد وأخبار العباد** 586؛ فرج، وسام، **بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والإداري** 5

(3) الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 21/1، 345؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **المقدمة** 252؛ لسترينج، كي، **بلدان الخلافة الشرقية** 159 – 160 ؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 199/1؛ ديك، أغناطيوس، **الحضور المسيحي في حلب خلال الألفين المنصرمين** 28؛ عبد الجواد، ليلى، **مملكة القسطنطينية في مسالك الأبصار وممالك الأمصار للعمري**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ع15، 2007م، 310؛ العمري، عبد العزيز، **خطط الراشدين في البحر المتوسط**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، مج1، ع8، 2000م، 316

(4) المائدة 82

(5) المائدة 5

(6) سورة الروم

المسيحيين[1]، والتي كان المسلمون يتعاطفون فيها مع الروم باعتبارهم أهل كتاب، على عكس كفار

(1) عند ظهور الإسلام كان الصراع بين الفرس والروم على أشده، فكان إمبراطور الفرس "كسرى ابراويز الثاني" مخلصاً لإمبراطور الروم موريس (582- 602م) ، و تربطهما علاقة مصاهرة وصداقة، لأنه وقف إلى جانبه في استرداد عرشه وعرش آبائه الذي سلبه بهرام أحد قادة الفرس (ابن العبري، غريغوريوس، **تاريخ مختصر الدول** 91 أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 101) وبعد أن عاد العرش لكسرى تزوج بابنة موريس(الطبري، محمد **تاريخ الرسل والملوك** 176/2) ولما انقلب فوكاس على موريس وصار إمبراطوراً للروم، غضب إمبراطور الفرس ورفض الاعتراف بشرعية حكومة الروم الجديدة و قرر (كسرى) مهاجمة الأراضي البيزنطية (عبد الجواد ليلى، **الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور هرقل** 41) وكان قتل الإمبراطور موريس على يد فوكاس الحجة التي اتخذها كسرى لاستئناف القتال مع الإمبراطورية البيزنطية واجتياح أراضيها (Ostrogorsky**, History of the Byzantine,** p.67؛ و للتعرف إلى طبيعة الصراع بين الفرس والروم ودوافعه ينظر: عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 114/1-127) فزحف كسرى إلى الشام استولى على مدينتي أنطاكية والقدس (فرج وسام، **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 149 – 150؛ ربيع حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 61؛ العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 34 العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 124؛ رستم، أسد **الروم في سياستهم وحضارتهم** 223 Vasiliev, **History of the Byzantine Empire,** p.213؛ توفيق عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 90) واستبد بالرعايا الروم، فدمر الكنائس، وأقام بيوت النار، وسلب الصليب المقدس (ينظر: عثمان، فتحي **الحدود الإسلامية البيزنطية** 118/1، 6/2) كما اتجه شمالاً، واكتسح ولايات آسيا الصغرى، حتى وصل أبواب خلقدونية (ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 339/1؛ عثمان فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 6/2 ؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ ا الدولة البيزنطية** 101؛ Ostrogorsky, **History of the Byzantine start** p.86 ؛ الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 74-75؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 101؛ العدوي، إبراهيم **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 33) عندها ناشد الروم الحاكم الرومي في المستعمرات الإفريقية إنقاذ الإمبراطورية (العريني الباز، **الدولة البيزنطية** 110؛ رستم أسد، **الروم في سياستهم** 225/1؛ ربيع، حسنين، **الإمبراطورية البيزنطية** 62 أومان، تشارلز،**الإمبراطورية البيزنطية** 101) فأرسل جيشاً بقيادة ابنه هرقل الذي استطاع أن يستولي على الإمبراطورية، بعد قتل الإمبراطور فوكاس (سيرهنك، إسماعيل **حقائق الأخبار عن دول البحار** 138/1؛ **History of the Byzantine start** p.95 Ostrogorsky, ؛ أومان، تشارلز **الإمبراطورية البيزنطية** 102)، وفي هذه الأثناء أرسل هرقل سفيراً إلى كسرى طالباً منه الصلح، لكن كسرى رفض وهدد باجتياح الأراضي الرومية كلها Vasiliev, **History of the Byzantine Empire** p.198)؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 103 فرج، وسام، **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 151)، غير أنه بعد مضي ستة أعوام على الحرب رضي أن يصالح هرقل على أن يدفع ألف قطعة من الذهب، وألف قطعة من الفضة، وألف ثوب من الحرير، وألف جواد، وألف فتاة عذراء، وقد وصف جيبون، إدوارد، **اضمحلال الإمبراطورية البيزنطية** 74/5 هذه الشروط بأنها "مخزية" دون شك، وكان من الممكن أن يقبلها هرقل لولا المدة القصيرة التي أتيحت له، ولذلك آثر أن يستعمل هذه الثروة كمحاولة أخيرة ضد أعدائه.

مكة الذين كانوا يتعاطفون مع الفرس لأنهم وثنيون[1]، وكانت كل جماعة تشعر بأن نتيجة هذا الصراع هي نفس مآل صراعهما، فلما انتصر الفرس على الروم، انتهز المشركون الفرصة للسخرية من المسلمين قائلين: لقد غلب إخواننا على إخوانكم، وكذلك سوف نقضي عليكم، إذا لم تصطلحوا معنا عند ذلك كانت البشارة من السماء الماثلة في قوله تعالى:"الم {1} غُلِبَتِ الرُّومُ {2} فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ {3} فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ {4} بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ {5} وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ{6}[2]"

---

(1) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 1/ 357؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 7/2؛ وتعليقاً على هذه النبوءة يذكر جيبون، إدوارد، **اضمحلال الإمبراطورية البيزنطية** 76/5 "حين تنبأ القرآن بهذه النبوءة، لم تكن أية نبوءة أبعد منها وقوعاً لأن السنين الاثنتي عشرة الأولى من حكومة هرقل، كانت تؤذن بانتهاء الإمبراطورية الرومانية... إلا أن هرقل استطاع أن يستعيد مجد الروم خلال ست حروب شجاعة شنها ضد الفرس" فقد وضع خطة عظيمة لقهر الفرس (العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 110 رستم، أسد، **الروم في سياستهم وحضارتهم** 223/1؛ ربيع، حسنين، **الإمبراطورية البيزنطية** 62 ؛ الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 76؛ العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 34) ورغم ذلك، فعندما خرج هرقل مع جنوده، بدا لكثيرين من سكان القسطنطينية أنهم يرون آخر جيش في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية (جيبون، إدوارد، **اضمحلال الإمبراطورية البيزنطية** 76/5) إلا أنه خاض العديد من الحروب ضد الفرس، والتي كانت أول حرب بيزنطية بحافز ديني لإنقاذ المسيحية (ربيع، حسنين، **الإمبراطورية البيزنطية** 62؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 105) وهنا شن هرقل هجوماً على الفرس، وأنزل بهم هزيمة فادحة (عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 6/2؛ عبد الجواد، ليلى، **الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور هرقل** 253 يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 97 ؛ باركر، ارنست، **الدولة البيزنطية** 127؛ محمد عمر، **التوسع السلجوقي في آسيا الصغرى** ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، مج 14 2006م/1427هـ ، 37؛ الرشيدي، سالم **محمد الفاتح** 49) فاضطروا إلى الانسحاب من الأراضي الرومية، وكانت آخر هذه الحروب في نينوى عام 627م (العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 113؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 105- 107 ربيع، حسنين، **الإمبراطورية البيزنطية** 63؛ الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 81) كما حدثت تطورات في بلاد الفرس عجلت بخضوعها لإرادة هرقل، إذ نشب الخلاف داخل الأسرة الحاكمة، والذي انتهى بتولي شيرويه قيادة الفرس، فعقد صلحاً مع هرقل (ابن سعد، محمد **الطبقات الكبرى** 224/1؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 383/1؛ فرج، وسام **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 157؛ Ostrogorsky, **History of the Byzantine start** p.96) وقد أرسل إمبراطور الفرس إلى هرقل بطلب الصلح وتخليه عن كل ما استولى عليه من البلاد، وإطلاق جميع الأسرى الروم وإعادة الصليب المقدس، وقد تم توقيع هذا الصلح عام 628م (Vasiliev, **History of the Byzantine Empire** p.263 سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 138/1؛ أومان، تشارلز،**الإمبراطورية البيزنطية** 107 – 108؛ هسي، ج.م **العالم البيزنطي** 123؛ فرج، وسام، **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 157؛ الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 81؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 107؛ العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 36؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 92)

(2) الروم 1- 6

ويروى أن أبا بكر الصديق (ﷺ) لقي عند نزول هذه الآيات رجالاً من المشركين فقال لهم: إن أهل الكتاب سيغلبون فارساً، قالوا: في كم ؟ قال في بضع سنين، ولكنهم طلبوا منه تحديد عدد معين من السنين، فسمى أبو بكر سبع سنين، فلما رجع أبو بكر وأخبر الرسول(ﷺ) بالخبر، قال له: لم فعلت؟ فكل ما دون العشر بضع ...، ثم أظهر الله الروم على فارس زمن الحديبية ... ففرح المسلمون بظهور أهل الكتاب(1) .

وهكذا صدق ما تنبأ به القرآن الكريم عن غلبة الروم في مدته المقررة، أي في أقل من عشر سنين كما هو المراد في لغة العرب من كلمة "بضع"(2)، وقد أبدى جيبون(3) حيرته وإعجابه بهذه النبوءة ولكنه كي يقلل من أهميتها ربطها برسالة النبي (ﷺ) إلى كسرى فيقول "عندما أتم الإمبراطور الفارسي نصره على الروم، وصلته رسالة من مواطن خامل الذكر في مكة دعاه إلى الإيمان بمحمد، ولكنه رفض هذه الدعوة، ومزق الرسالة، وعندما بلغ هذا الخبر رسول العرب، قال: سوف يمزق الله دولته"، بيد أن جميع مؤرخي الإسلام يعرفون معرفة تامة، أن هذه النبوءة لا علاقة لها بالرسالة التي وجهها النبي (ﷺ) إلى كسرى، لأن تلك الرسالة، إنما أرسلت في العام السابع من الهجرة، بعد هدنة الحديبية(4)، أي عام 628م، في حين أن آية النبوءة المذكورة نزلت بمكة عام 616م، أي قبل الهجرة بوقت طويل، فبين الحدثين فاصل يبلغ اثني عشر عاماً .

وبناءً على ما سبق يمكن القول إن العلاقات الإسلامية البيزنطية في تلك الفترة تميزت بالسلم والتوادد والتقارب بين العقيدتين، والابتعاد عن كل ما يثير التباغض والتناحر، وقد بدا ذلك جلياً من خلال تعاطي المسلمين مع الروم في حربهم ضد الفرس كونهم وثنيين، ولكن ما الذي قلب المعادلة؟ ولماذا تحولت العلاقة بين الطرفين إلى حروب لم يتوقف رحاها إلا بسقوط عاصمة الروم القسطنطينية عام 1453م؟ هذا ما سنُحاول الإجابة عنه في الصفحات التالية .

---

(1) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 356/1 ؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 7/2 ؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 110

(2) الزبيدي، مرتضى، **تاج العروس** مادة "بضع" والتي تعني من ثلاث سنوات إلى تسع

(3) **اضمحلال الإمبراطورية البيزنطية** 5/ 73 - 74

(4) نلفت الانتباه إلى أن كلمة صلح التي ألحقت بالحديبية من قبل المؤرخين، ففي المفاهيم العسكرية الحديثة، كلمة صلح أعم من مفهوم الاتفاق على وقف القتال الذي وضعه الرسول(ﷺ) مع قريش، وإذا توخينا الدقة في التعبير أطلقنا على اتفاق الحديبية كلمة "هدنة"، لأن كلمة صلح لا تتفق مع الهدف الذي بعث إليه الرسول (ﷺ) وهو سحق الوثنية وإبادتها، ولكن التحديد الاصطلاحي لم يكن معروفاً في تلك الحقبة من التاريخ، فصح إطلاق كلمة صلح على هذه الهدنة (خنفر، خلقي، **تاريخ الدعوة في حياة الرسول** 136)

ثانياً: في السنة النبوية

حظيت القسطنطينية بنصيب وافر من الأحاديث النبوية الشريفة التي تبشر بفتحها، مبينة عظيم أجر من يحوز على ذلك، ووعدته بالمغفرة والرضوان، فعن بشر الغنوي أنه سمع النبي (ﷺ) يقول: "لتفتحن القسطنطينية، فنعم الأمير أميرها، ونعم الجيش ذلك الجيش[(1)]"، وقد سئل رسول الله(ﷺ): أي المدينتين تفتح أولا: القسطنطينية، أو رومية ؟ فقال: مدينة هرقل تفتح أولا، يعني قسطنطينية[(2)].

وعن خالد بن معدان أن عمير بن الأسود العنسي حدثه أنه أتى عبادة بن الصامت وهو نازل في ساحة حمص، وهو في بناء له، ومعه أم حرام[(3)]، قال عمير: فحدثتنا أم حرام أنها سمعت النبي (ﷺ) يقول: أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا، قالت أم حرام: قلت: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال أنت فيهم، ثم قال النبي(ﷺ): أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم فقلت: أنا فيهم؟ قال لا[(4)].

وعن بشر بن عبد الله بن يسار قال: كان عبد الله بن بشر صاحب النبي (ﷺ) يأخذ بأذني، ويقول: يا ابن أخي إن أدركت فتح القسطنطينية، فلا تدع أن تأخذ بحظك منها[(5)].

غير أن هناك الكثير من الأحاديث النبوية التي ترجئ فتح القسطنطينية إلى آخر الزمان، وخروج الدجال، ومن هذه الأحاديث ما رواه معاذ بن جبل عن النبي (ﷺ) قال:"عمران بيت القدس، وخراب يثرب، وخروج الملحمة، و فتح القسطنطينية، وخروج الدجال، ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدثه، أو منكبيه، ثم قال : إن هذا الحق كما أنك هاهنا[(6)]" وقوله (ﷺ) "الملحمة العظمى، وفتح القسطنطينية وخروج الدجال، في سبعة أشهر[(7)]" .

وعن أبي هريرة أن النبي (ﷺ) قال :" سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟ قالوا : نعم يا رسول الله. قال : لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا من بني إسحق فإذا جاءوها

---

(1) ابن عبد البر، يوسف، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**250/1 إسناده حسن؛ الهيثمي، نور الدين علي، **مجمع الزوائد** 221/6 رجاله ثقات؛ ابن حنبل، أحمد، **المسند** 335/4، 287/3؛ البخاري، محمد، **التاريخ الكبير** 81/2؛ وقد ضعفه الألباني، ناصر الدين، **سلسلة الأحاديث الضعيفة** 878 لعدم كفاية توثيق أحد رواة الحديث وهو (عبد الله بن بشر الغنوي) حيث شكك في هل هو بشر الغنوي أم بشر الخثعمي، غير أن ابن حجر العسقلاني، أحمد ، **الإصابة في تمييز الصحابة** 51 ترجم لبشر الخثعمي على أنه الغنوي، و ذكر روايته في فتح القسطنطينية حيث قال : الخثعمي الغنوي

(2) الألباني، ناصر الدين، **السلسلة الصحيحة** 4 صحيح

(3) **أم حرام بنت ملحان الأنصارية**: خالة أنس بن مالك، كانت تخرج مع الغزاة، فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت لفتح قبرص سنة 28هـ، فوقصتها دابتها هناك فماتت بالجزيرة (ينظر عنها: ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 405/9؛ اليافعي عبد الله، **مرآة الجنان** 71/1؛ ابن عبد البر، يوسف، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** 1931/8؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 489/2)

(4) البخاري، محمد، **صحيح البخاري** 42/4

(5) الشيباني، أحمد، **الآحاد والمثاني** 48/3

(6) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **إرشاد الفقيه** 20/2 إسناده صحيح

(7) ابن حجر العسقلاني، أحمد، **إتحاف المهرة** 254/13 فيه ضعف

نزلوا، فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم، قالوا : لا إله إلا الله والله أكبر، فيفرج لهم فيدخلوها ويغنموا، فبينما هم يقتسمون المغانم إذ جاءهم الصريخ، فقال إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء فيرجعون [1]" .

وعن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال :" لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق، أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم : خلوا بيننا وبين الذين سَبَوْا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم، فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلث لا يفتنون أبداً، فيفتحون القسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان : إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام خرج، فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم فأمهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حربته[2]".

لقد مثلت هذه الأحاديث دافعاً للقيادة الإسلامية على مر العصور للقيام بمحاولات لفتح القسطنطينية ونيل شرف تحقيق نبوءة الرسول (ﷺ)، فكانت تلك الأحاديث مما رفع من قيمة فتح القسطنطينية في نظرهم وشجعهم على اتخاذها هدفاً مهماً سعوا إلى تحقيقه، رغبة في تحقق ذلك الوعد النبوي الصادق على أيديهم ويبدو أن الرسول (ﷺ) أراد بهذه الأحاديث أن يقوي عزيمة المسلمين لمواجهة الإمبراطورية الرومانية – أعظم قوة في ذلك الوقت– إذ وجه أنظارهم إلى تلك المدينة وهو يعلم أن ذلك لن يكون إلا بفتح ما دونها من بلاد، وبهذا جعل بتلك الأحاديث محركاً للمسلمين بضرورة فتح ما دونها من بلاد وصولاً لها، وهذا ما كان فعلاً، إلا أن هناك العديد من الملاحظات والتساؤلات التي تطرح نفسها في بعض هذه الأحاديث، وخاصة تلك الأحاديث التي ترجئ فتح القسطنطينية إلى آخر الزمان، مع أن فتح القسطنطينية قد تم على يد القائد محمد الثاني" الفاتح " عام 1453م ، حيث خالفت بعض تلك الأحاديث الواقع التاريخي[3].

ويرى أحمد شاكر[4] أن فتح القسطنطينية على يد الفاتح كان تمهيداً للفتح الذي سيكون في آخر الزمان، لأن حكومة أتاتورك هي حكومة غير إسلامية، فأسقطت الخلافة الإسلامية، غير أنني أميل إلى أن فتح العثمانيين هو الفتح المقصود بفتح القسطنطينية، كما أجاب الرسول(ﷺ) عن فتح القسطنطينية قبل فتح رومية[5].

---

(1) القشيري، مسلم، **صحيحة** 2221/4، 2238

(2) نفسه 2897/4؛ الألباني، ناصر الدين، **صحيح الجامع** 7433، حديث صحيح

(3) للاستزادة حول الأحاديث التي تحدثت عن فتح القسطنطينية، ومناقشتها، وتفنيدها، (ينظر: الوهيبي، خالد، **أشراط الساعة** 234 – 273)

(4) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **عمدة التفسير** 256/2 تحقيق أحمد شاكر

(5) ينظر: الألباني، ناصر الدين، **السلسلة الصحيحة** 4، حديث صحيح

جذور الصراع الإسلامي البيزنطي

أولاً: في عصر الرسول (ﷺ)

عندما أسس الرسول(ﷺ) دولته بالمدينة، كانت أهم القوى الملاصقة له هي الإمبراطورية الرومانية، ولما كان الإسلام في جوهره ديناً ودعوة لكل الناس، فكان من الطبيعي أن يحاول الرسول (ﷺ) نشر الإسلام بين كل من استطاع الوصول إليهم، والاتصال بهم، فالإسلام ليس ديناً للعرب وحدهم بل للناس جميعاً قال تعالى :"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ[1]" وهنا كان من بين تلك الشعوب التي اتصل بها المسلمون في بادئ دعوتهم الروم، فماذا كان موقفهم من الدعوة الإسلامية؟

لم يكن الروم البيزنطيون غرباء عن شبه جزيرة العرب قبل الإسلام، فقد كان لعرب الحجاز قبل الإسلام علاقات بالدولة البيزنطية، ولعل أهم تلك العلاقات هي الرحلات التجارية، والتي ذكرها القرآن الكريم[2]، وقد شارك في بعضها الرسول(ﷺ) قبل بعثته[3]، كما سيطر البيزنطيون على جنوب شبه جزيرة العرب، عن طريق حلفائهم الأحباش عام 525م[4]، و حاولوا السيطرة على مكة، ومحاوله هدمها[5]، وقد باءت تلك المحاولة بالفشل، والتي أشار إليها القرآن الكريم في سورة الفيل[6].

وحينما ظهر الإسلام كانت فترة البعثة (610 – 632م) من أخطر مراحل التاريخ بين المسلمين والبيزنطيين، والتي مثلت جذور الصراع الحقيقي بين تلك القوتين، فمنذ ذلك الحين اتسم رد فعل المسيحية - المتمثل في الإمبراطورية البيزنطية آنذاك - بالعدائية تجاه دين رأت فيه تهديداً وخصماً كما عد المسيحيون الإسلام إفكاً، لذلك كان الصراع والعداء بينهما أمراً متوقعاً، فقد كانت ردة فعل

---

(1) الأنبياء 107

(2) "لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ، رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ " (قريش1-4)

(3) صحب عمه أبا طالب في رحلة تجارية إلى الشام، التقى خلالها بحيرا الراهب الذي تنبأ بمبعثه (ابن هشام، عبد الملك **السيرة النبوية** 204/1 ؛ الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 2/ 277 – 278؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 4/3،2 ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 128/1؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 37/2؛ الحاكم، محمد، **المستدرك** 615/2 ابن سيد الناس، محمد، **عيون الأثر** 105/1 ؛ الكتبي، صلاح الدين محمد، **عيون التواريخ** 32/1؛ الترمذي، محمد، **سننه** 242/9 عبد الوهاب، محمد، **مختصر سيرة الرسول** 16)، كما خرج في رحلة أخرى في تجارة خديجة بصحبة غلامها ميسرة، وقابل في بصرى الراهب نسطورا الذي صدرت عنه نبوءة مماثلة (ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية** 1/ 213؛ الكتبي، صلاح الدين محمد، **عيون التواريخ** 1/ 37 – 38؛ ابن سيد الناس، محمد، **عيون الأثر** 1/ 115؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 4/3 ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى**130/1) وللاطلاع على ما بدر من الرهبان حول نبوة محمد (ﷺ) ينظر: ابن عساكر، علي **تاريخ دمشق** 3/ 10، 415-458)

(4) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 2/ 130؛ علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** 462/3 – 463 507/3 ؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 121/1

(5) ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية** 67/1؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 342/1؛ ابن خلدون، عبد الرحمن **تاريخه** 71/2

(6) "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ،أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ،تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ " (الفيل 1-5)

المسيحية الأولى تجاه الإسلام نابعة من الخوف على ضياع مصالحها، حتى أصبح طابع هذه الحرب عقدياً إلى يومنا هذا[1] .

والحقيقة أن المسيحيين نظروا إلى الإسلام نظرة خاطئة[2]، لأنهم نظروا إليه على أنه أحد مذاهب المسيحية، ولم يدركوا أنه شريعة لكل الناس، ويعد يوحنا الدمشقي الذي ولد بعد وفاة النبي (ﷺ) بخمسين عاماً مؤسس هذا التقليد، فكتب في عام 743م رسالة بعنوان" نبع المعرفة" نعت فيها الإسلام بالبدعة والأسطورة الماكرة لأبناء إسماعيل (أجداد المسيح الدجال)، وأن الإسلام تحريف للمسيحية والقرآن هو تلفيق للعهدين القديم والجديد، وقد تمسك التابعون لهذا النهج بكيل التهم والأباطيل للنيل من شخص الرسول(ﷺ)، فهذا عبد المسيح بن إسحق الكندي الذي ألف "رسالة الكندي" حوالي 800م حاول فيها إثبات بطلان الأسس التي قام عليها الإسلام، وزيف نبوة محمد حيث نسجت الأكاذيب التي استغلت كسلاح في ترسانة أعداء الإسلام[3] .

غير أن الفترة المكية كانت خالية من أي صراع وعداء، حيث الدعوة الإسلامية السرية، ومن ثم كانت المرحلة العلنية التي توسعت فيها الدعوة، واكتسبت فيها مزيداً من الأتباع، إلا أنهم ما زالوا ضعفاء، فهاجر عدد منهم إلى الحبشة التي كانت موالية للروم، فاستقبلتهم أحسن استقبال، ولم تسلمهم لوفد قريش الذي سار في طلبهم[4]، إذ لم يكن هناك ما يثير الريبة حول هؤلاء الفارين بدينهم، كما كانت دولة الروم في ذلك الوقت منشغلة بالحروب بينها وبين دولة الفرس، ولم يدر في خلد الروم أن يتعرض أمنهم لخطر مصدره شبه جزيرة العرب، إذ أن المسلمين كانوا يتمنون أن يظهر الروم على الفرس لأنهم وثنيون[5] كما أسلفنا سابقاً .

وبعد الهجرة إلى المدينة المنورة، انصب اهتمام المسلمين على مواجهة خطر المشركين في مكة فأخذوا يعدون العدة لمواجهتهم، فالتقوا معهم في غزوة بدر الكبرى 2هـ/624م[6] التي انتصروا فيها فكان لذلك صدى قوياً ليس في جزيرة العرب وحدها، بل تعداه إلى خارجها، إذ أن المدينة تتوسط الطريق التجاري بين مكة والشام، والذي أخذوا يتحكمون فيه، مما لفت أنظار البيزنطيين لتلك القوة

---

(1) الشلش، محمد، **أخلاقيات الإسلام بين الفقه الإسلامي والقانون الدولي بين النظرية والتطبيق**، مجلة جامعة الخليل للبحوث مج 3، ع1، 2007م 106 - 107

(2) Vasiliev :**History of the Byzantine Empire** p.207

(3) ينظر : حسن، محمد، **الإسلام في الأدبيات الغربية في العصور الوسطى** 2 - 8

(4) ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية** 362/1؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 596/1-598؛ ابن خلدون عبد الرحمن، **تاريخه** 412/2

(5) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 1/ 357

(6) ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية** 364/2 ؛ ابن سيد الناس، محمد، **عيون الأثر** 1/ 378؛ ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 11/2 ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 14/2؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 426/2 – 427؛ القضاعي محمد، **تاريخه** 191؛ ابن أبي خيثمة، أحمد، **تاريخه** 385/1؛ ابن حبيب، محمد، **المحبر** 111؛ عبد الوهاب، محمد، **مختصر سيرة الرسول** 202

الجديدة، ومع أن المسلمين انهزموا في أحد 3هـ/625م[1]، إلا أنهم سرعان ما استعادوا مكانتهم، وأكدوا هيبتهم بانتصارهم في غزوة الخندق 5هـ/626م[2]، فكان لتلك الأحداث صداها العميق على الإمبراطورية البيزنطية، وعلى القبائل العربية المتنصرة على حدود شبه جزيرة العرب الشمالية والذين كانوا حلفاءً للبيزنطيين[3] .

لقد فوجئ البيزنطيون بقوة المسلمين الذين خرجوا من مكة تحت ضغط القهر، مما دفعهم إلى تضييق الخناق على تلك القوة، وقطع أسباب الحياة عنها، بعد أن انتزع المسلمون من قريش ويهود الحجاز دورهم الاقتصادي، وقاموا بتسيير القوافل التجارية للشام وغيره[4]، فظهرت عدة مواجهات بينهم وبين المسلمين، وكانت أولى تلك المواجهات في غزوة[5] دومة الجندل[6]، التي تقدم

---

(1) ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية** 23/2؛ ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 33/2 ؛ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 44/2؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 434/2؛ اليافعي، عبد الله، **مرآة الجنان** 11/1 القضاعي، محمد، **تاريخه** 192 ابن أبي خيثمة، أحمد، **تاريخه** 6/2؛ الواقدي، محمد، **المغازي** 199/1؛ العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 67 الطبري، محمد **تاريخ الرسل والملوك** 2499؛ البلاذري، أحمد، **أنساب الأشراف** 311/1 ؛ ابن حبيب، محمد، **المحبر** 112؛ ابن سيد الناس محمد، **عيون الأثر** 5/2؛ عبد الوهاب، محمد، **مختصر سيرة الرسول** 242

(2) ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية** 165/2؛ ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 65/2؛ الواقدي، محمد، **المغازي** 440/1 الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 564/2؛ البلاذري، أحمد، **أنساب الأشراف** 343/1؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 178/2؛ ابن حزم، علي، **جوامع السير** 516؛ المقدسي، محمد، **البدء والتاريخ** 198/4؛ ابن حبيب، محمد، **المحبر** 112 ابن سيد الناس، محمد، **عيون الأثر** 84/2 الكتبي، صلاح الدين، **عيون التواريخ** 153/1 اليافعي، عبد الله، **مرآة الجنان** 12/1 ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 440/2؛ القضاعي، محمد، **تاريخه** 194 ؛ ابن أبي خيثمة، أحمد، **تاريخه** 10/2؛ عبد الوهاب محمد، **مختصر سيرة الرسول** 280

(3) عياش، حسن، **الولاة والعمال في الجهاز الإداري في صدر الإسلام** 50، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية- نابلس 2002م

(4) القواسمي، سحر، **التجارة ودولة الخلافة في صدر الإسلام** 73، رسالة ماجستير،جامعة النجاح الوطنية– نابلس1999م

(5) ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية** 3/ 165؛ ابن سيد الناس، محمد، **عيون الأثر** 83/2؛ الكتبي، صلاح الدين محمد **عيون التواريخ** 194/1؛ الواقدي، محمد، **المغازي** 403/1؛ المسعودي، علي، **التنبيه والإشراف** 214؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 3/2؛ اليافعي، عبد الله، **مرآة الجنان** 13/1؛ ابن حبيب، محمد، **المحبر** 114؛ المعيقيل، خليل، **مسجد عمر بن الحطاب بدومة الجندل**، مجلة جامعة الملك سعود، مج1، 1994، 196-197؛ والتي كان ملكها نصرانياً وفي طاعة هرقل (المسعودي علي، **التنبيه والإشراف** 215) وكان أهلها يلحقون الأذى بالتجار بين المدينة والشام (ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 58/5 البلاذري، أحمد، **أنساب الأشراف** 278/1؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 1/ 413، 20/2،23/34،107،203؛ ابن الأثير عز الدين، **أسد الغابة** 263/4؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 25/5؛ عبد الوهاب، محمد، **مختصر سيرة الرسول** 265؛ القواسمي، سحر، **التجارة ودولة الخلافة في صدر الإسلام** 71، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية – نابلس 1999م) ولم يكتفوا بذلك، بل حاولوا الزحف نحو المدينة (ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 85/2 ؛ الواقدي، محمد، **المغازي** 403/1؛ البلاذري، أحمد، **أنساب الأشراف** 341/1 القضاعي، محمد، **تاريخه** 209)

(6) دومة الجندل: سميت بدومة الجندل لأن حصنها مبني بالجندل، وهي حصن وقرى بين الشام والمدينة، قرب جبل طيء كانت به بنو كنانة من كلب (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 2/ 487)، وذكر الذهبي، شمس الدين محمد، **تاريخ الإسلام** 213/1؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 3/2 أنها أرض ذات نخل، يزرعون الشعير وغيره، ويسقون على النواضح، وبها عين ماء؛ كما هي أحدى كور جزيرة العرب (شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** 216)

الرسول(ﷺ) إليها في ألف من أصحابه[1] فهرب أهلها، ونزل بساحتهم فلم يجد بها أحداً[2] .

والملاحظ أن هذا الجيش الذي سار به الرسول(ﷺ) إلى دومة الجندل هو أكبر جيش يسيره في ذلك الوقت، إذا استثنينا من ذلك الجيش الذي سيره إلى بدر الموعد[3] بعد غزوة أحد عام 4هـ/626م والذي كان عدده ألفاً وخمسمائة مقاتل[4] ويدل هذا على مدى اهتمام المسلمين بالجبهة الشمالية، والخطر الذي بدت بوادره بالظهور، بعد ذلك عاد(ﷺ) إلى المدينة بعد أن أكد هيبة الدولة الإسلامية، وقد بات من المؤكد بعد هذه الغزوة أن هناك جبهة تهديد فتحت أمام المسلمين وهي جبهة البيزنطيين وحلفائهم في الشام .

ولم يكتف الرسول(ﷺ) بالغزوة السابقة، بل وجه سرية إلى قبيلة كلب بدومة الجندل بقيادة عبد الرحمن بن عوف لدعوتهم إلى الإسلام[5]، وحينما تعرض أهل حِسْمى[6]، وبمساعدة عدد من قبيلة لخم[7] لدحية الكلبي موفد رسول الله (ﷺ) إلى قيصر، وقطعوا عليه الطريق، وأصابوا ما معه، فلم

---

(1) البلاذري، أحمد، **أنساب الأشراف** 341/1؛ ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 62/2؛ الواقدي، محمد، **المغازي** 403/1 ابن القيم، محمد، **زاد المعاد** 112/2

(2) ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية** 165/2؛ الواقدي، محمد، **المغازي**402/1؛ الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 564/2؛ البلاذري، أحمد، **أنساب الأشراف** 1/ 341؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 177/2 ابن سعد، محمد **الطبقات الكبرى** 62/2؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 440/2؛ المعيقيل، خليل، **مسجد عمر بن الحطاب بدومة الجندل** مجلة جامعة الملك سعود، مج1، 1994م، 196-197

(3) **بدر الموعد**: غزوة قادها الرسول (ﷺ) ضد مشركي مكة بعد انتصارهم في أحد، حينما توعدوا الرسول (ﷺ) باجتثاث المسلمين بعد عشرين شهراً من أحد (ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية** 160/2؛ الواقدي، محمد، **المغازي** 384/1؛ البلاذري أحمد، **أنساب الأشراف** 339/1؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 175/2؛ ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 55/2 القضاعي، محمد، **تاريخه** 208؛ ابن حبيب، محمد، **المحبر** 113؛ ابن سيد الناس، محمد، **عيون الأثر** 82/2)

(4) ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 85/2؛ عبد الوهاب، محمد، **مختصر سيرة الرسول** 265

(5) ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 86/2؛ ابن سيد الناس، محمد، **عيون الأثر** 155/2؛ المعيقيل، خليل، **مسجد عمر بن الحطاب بدومة الجندل**، مجلة جامعة الملك سعود، مج1، 1994م، 196-197؛ وبعد ثلاثة أيام أسلم زعيمهم الأصبع بن عمر الكلبي وجماعة من قومه، كما أذعن الباقون بأداء الجزية، وقد أمر الرسول(ﷺ) عبد الرحمن بن عوف أن يتزوج ابنة الأصبع الكلبي تماضر (الواقدي، محمد، **المغازي** 561/1 ؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 2/ 4-5؛ ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 86/2؛ ابن سيد الناس، محمد، **عيون الأثر** 155/2 المعيقيل، خليل، **مسجد عمر بن الحطاب بدومة الجندل**، مجلة جامعة الملك سعود، مج1، 1994م، 196-197) ومن هنا حققت السرية هدفها، فأسلم من أسلم، واكتفى بالجزية لمن رفض، ومن أجل توثيق الروابط بن المسلمين وأهل دومة الجندل، أمر الرسول(ﷺ) عبد الرحمن بن عوف بالمصاهرة مع صاحبها، حيث تعد المصاهرة أحد أهم وسائل الترابط السياسي، والاجتماعي، والعرقي .

(6) **حِسْمى**: بالكسر ثم السكون، وهي أرض ببادية الشام على مشارف الحجاز، كما هي أرض غليظة، لا خير فيها (الحموي ياقوت، **معجم البلدان** 112/2)

(7) البلاذري، أحمد، **أنساب الأشراف** 277/1

يصل إلا[1] بسَمَل[2]، بعث إليهم بسرية زيد بن حارثة، فأغار عليهم صباحاً، فأصاب ما أصاب، وقتل فأوجع[3]، ثم أرسل زيداً بسرية أخرى إلى وادي القرى[4]عام 6هـ/628 م [5] .

بعد هدنه الحديبية

بعد أن عقد الرسول(ﷺ) مع أهل مكة هدنه الحديبية 6هـ/628 م[6] كاتب ملوك وأمراء الدول المجاورة يدعوهم إلى الإسلام[7]، بما فيهم زعماء ومناصرو الإمبراطورية البيزنطية، فأرسل إلى هرقل كتاباً[8] مع دحية الكلبي، وأمره بأن يدفعه إلى عظيم بصرى ليرسله إلى هرقل[9] والذي استقبله استقبالاً حسناً، كما أرسل إلى المقوقس عظيم مصر كتاباً[10]، ولم يكن استقبال المقوقس بأقل حفاوة من هرقل، فقد أرسل بكسوة، وبغلة بسرجها، وجاريتين للرسول(ﷺ)[11]، كما أرسل كتاباً[12] مع شجاع بن وهب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني الذي أساء استقبال رسول رسول الله، وقال له: من ينتزع مني

---

(1) الذهبي، شمس الدين محمد، **تاريخ الإسلام** 294/1

(2) **السمل :** الخَلَق من الثياب (الرازي، محمد، **مختار الصحاح** مادة سمل)

(3) الواقدي، محمد، **المغازي** 557/1 – 558؛ ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 84/2؛ ابن حبيب، محمد، **المحبر** 121 ابن سيد الناس، محمد، **عيون الأثر** 152/2

(4) **وادي القرى**: واد بين المدينة والشام، وهو بين تيماء وخيبر فيه قرى كثيرة (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 338/3 (345/4

(5) البلاذري، أحمد، **أنساب الأشراف**377/1 – 378 ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 87/2؛ ابن أبي خيثمة، أحمد **تاريخه** 16/2؛ ابن حبيب، محمد، **المحبر** 119؛ ابن سيد الناس، محمد، **عيون الأثر** 153/2؛ ويبدو أن نتيجة هذه السرية لم تكن في صالح المسلمين، لأن المصادر التاريخية لم تذكر أسبابها، ولا حتى نتيجتها، سوى إشارة بسيطة أوردها خليفة بن خياط **تاريخه** 77، أوضح فيها بأنه قتل فيها جميع أصحاب زيد .

(6) ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية** 255/2؛ الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 620/2؛ ابن سعد، محمد **الطبقات الكبرى** 192/2؛ الواقدي، محمد، **المغازي** 571/2؛ البلاذري، أحمد، **أنساب الأشراف**349/1؛ ابن الأثير، عز الدين **الكامل في التاريخ** 2/ 200؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 447/2؛ القضاعي، محمد، **تاريخه** 210؛ ابن أبي خيثمة، أحمد **تاريخه** 14/2؛ العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه**81؛ اليافعي، عبد الله، **مرآة الجنان** 14/1؛ ابن حبيب، محمد، **المحبر**115 ابن سيد الناس، محمد، **عيون الأثر** 160/2

(7) ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 222/1؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 449/2 ؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 139/1، 176؛ ربيع، حسنين، **الإمبراطورية البيزنطية** 64؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 110

(8) ونص الكتاب "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعوة الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم جميع الأكاريين"(الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 649/2؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 92/2-93)

(9) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 648/2؛ ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 223/1؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 95/2 ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 450/2؛ القضاعي، محمد، **تاريخه** 239؛ابن حبيب، محمد، **المحبر** 75 ابن سيد الناس، محمد، **عيون الأثر** 344/2؛ ابن الوكيل، يوسف، **تحفة الأحباب** 24

(10) ونص الكتاب" بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الإسلام إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعوة الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين "(ابن عبد الحكم، عبد الرحمن، **فتوح مصر وأخبارها** 47)

(11) ابن عبد الحكم، عبد الرحمن، **فتوح مصر وأخبارها** 47؛ المقدسي، محمد، **البدء والتاريخ** 4/ 229؛ ابن قيم، محمد، **زاد المعاد** 1/ 30؛ الكتبي، صلاح الدين محمد، **عيون التواريخ** 254/1؛ ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 224/1؛ ابن سيد الناس محمد، **عيون الأثر** 350/2

(12) نص الكتاب" بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر، سلام على من اتبع الهدى، وآمن به وصدق، وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك" (الديار بكري، حسين، **تاريخ الخميس** 39/2)

ملكي؟ أنا سائر إليه[1]، وأرسل الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بصرى الذي نزل مؤتة[2] فاعترضه شرحبيل ابن عمرو الغساني فقتله[3]، فكان من أسباب غزوة مؤتة.

والملاحظ في مراسلات الرسول(ﷺ) لملوك الدول المجاورة أن غالبيتهم أحسنوا استقبال تلك الرسائل، ما عدا عرب الشام المناصرين للروم، وبهذا يخيّل إليّ أن هؤلاء كانوا السبب في إيقاد فتيل الحرب بين المسلمين والبيزنطيين، فقد رأينا الرسول(ﷺ) يلتجئ للروم والنصارى في الحبشة، داعياً أصحابه إلى الهجرة إليها[4]، كونها أرض صدق، وبها ملك لا يظلم عنده أحد[5]، غير أن رد الغساسنة على رسائل الرسول(ﷺ) لم يكن عدائياً فحسب، بل تعداه لقتل رسول رسول الله لهم، وربما كانت تلك الحوادث قد فجرت العلاقة بين المسلمين والروم، لأنه يمثل استهانة بالمسلمين، ومساساً بكرامتهم وشرفهم[6] .

ولعل ما حدث بعد عام تقريباً، أظهر أن هؤلاء العرب - الموالين للبيزنطيين - قد أسقطوا من حساباتهم التعايش السلمي بينهم وبين المسلمين، واختاروا أسلوب المواجهة المسلحة، فقد بعث الرسول (ﷺ) في عام 8هـ/629م كعب بن عمير الغفاري في خمسة عشر رجلاً إلى موضع يقال له ذات أطلاح[7] لدعوتهم إلى الإسلام، فخرجت عليهم قضاعة وقتلتهم جميعاً، غير واحد فر بجراحه، وقدم إلى الرسول (ﷺ) فأخبره بما حدث، ولم يستطع الرسول(ﷺ) الانتقام لهم، لأنهم تركوا موضعهم إلى مكان آخر[8] .

لقد كان للاستفزازات التي قام بها الغساسنة وعرب الشمال، أن دعت الرسول(ﷺ) لاتخاذ موقف حاسم تجاههم، وخاصة مقتل الحارث بن عمير، ومقتل الدعاة المسلمين بقيادة كعب الغفاري، فكانت

---

(1) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 652/2 ؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 210/2 ؛ الديار بكري، حسين **تاريخ الخميس**39/2 ؛ القضاعي، محمد، **تاريخه** 39/2392 ؛ المقدسي، محمد، **البدء والتاريخ** 4/ 229؛ ابن سعد، محمد **الطبقات الكبرى**224/1- 225؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 95/2؛ ابن حبيب، محمد، **المحبر** 76؛ عياش، حسن **الولاة والعمال في الجهاز الإداري في صدر الإسلام** 67، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية – نابلس 2002م .

(2) **مؤتة :** قرية من قرى البلقاء بحدود الشام،على اثني عشر ميلاً من أذرح (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 220/5؛ القرماني أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 489)

(3) الواقدي، محمد، **المغازي** 755/2 ؛ ابن حجر العسقلاني، أحمد، **الإصابة في تمييز الصحابة** 285/1 – 286 ؛ ابن سيد الناس، محمد، **عيون الأثر** 356/2؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 26

(4) ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 176/1

(5) ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية** 344/1 ؛ ابن سيد الناس، محمد، **عيون الأثر** 1/ 209

(6) رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 26؛ العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 45

(7) **ذات أطلاح** : أرض وراء وادي القرى، بين تبوك وأذرعات من بلاد دمشق من أرض الشام (المسعودي، علي، **التنبيه والإشراف** 230)

(8) الواقدي، محمد، **المغازي** 2/ 752- 753؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 2/ 5؛ ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 119/2؛ ابن حبيب، محمد، **المحبر** 120

غـزوة مؤتــة بهـدف تــأديبهم[1]، وفـرض هيبــة الدولــة الإســلامية فــي تلـك الأمــاكن، بحيـث لا تتكـرر مثـل تلـك الأحـداث، وعليـه مثلـت تلـك الأحـداث قطـب الرحـى الـذي دارت عليـه سياســة الرسـول (ﷺ) الحربيـة وخلفائـه مـن بعـده تجـاه الـروم فـي بـلاد الـشام[2]، وقـد اختلـف المؤرخـون فـي نتيجـة هـذه الغزوة[3]، هل هي نصر أم هزيمة، ولكن الكل يجمع على أنها لفتت أنظار المسلمين إلى أن هناك عدواً شرساً يتحين الفرص للانقضاض عليهم، فكانـت تلـك الغـزوة الـشرارة التــي لـم تنطفـئ جذوتها حتــى

---

(1) ابن أبي خيثمة، أحمد، **تاريخه** 20/2؛ ابن سيد النـاس، محمـد، **عيـون الأثـر** 207/2؛ وحينمـا علـم شرحبيل الغساني بتحرك المسلمين استنجد ببعض القبائل العربية، والذين كانوا بقيادة مالك بن رافلـة (ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبويـة** 16/2 – 17 ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 247/4) وقد اختلفت المصادر في تسمية قائد الرومان، فمنهم مـن قـال إن قائدهم هو شرحبيل الغساني (ابن عساكر، علي، **تـاريخ دمـشق** 396/1) غير أنـه يعود فيقول إنـه ابن أبـي سبرة الغساني (ابـن عساكر علي، **تاريخ دمشق** 396/1) كما اختلفت في عددهم: فقيل مائـة ألـف مـن الـروم، ومائـة ألـف مـن العـرب (ابـن هشام، عبد الملك **الـسيرة النبويـة** 430/3؛ الطبـري، محمـد، **تـاريخ الرسـل والملـوك** 37/3) وقيـل إن عـددهم كـان مئـة ألـف (الواقـدي، محمـد **المغـازي** 760/2؛ المسعودي، علـي، **التنبيـه والإشـراف** 230) وهنـاك روايـة تقـول إن الـروم كـانوا مئتـي ألـف وكـان العـرب المتنصرة خمسين ألفاً (ابن برهان الدين، علي، **السيرة الحلبيـة** 787/2) وكـان علـى أقل تقدير أحد البـاحثين (طـلاس، مصطفى **سيف الله خالد بن الوليد** 90) عشرين ألفاً، وحينما التقى الفريقان، لقي المسلمون مقاومة شديدة فاستشهد القـادة الثلاثـة الـذين كـان الرسول(ﷺ) قد أسند قيادة الغزوة إليهم، وهم: زيد بن حارثة، و فجعفر بـن أبـي طالـب، و عبـد الله بـن رواحـة (ابـن كثيـر، عمـاد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 241/4؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 6/2 ؛ العصفري، خليفة بـن خيـاط، **تاريخـه** 87؛ ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 119/2؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 110/2) واختار المسلمون خالد بـن الوليد (ابـن برهـان الـدين، علـي **الـسيرة الحلبيـة** 87/3؛ الـذهبي، شـمس الـدين محمـد، **العبـر فـي أخبـار مـن غبـر** 9/1 ؛ ابـن حبيـب، محمـد **المحبـر** 123) الـذي أظهـر عبقريـة فـذة (الواقـدي، محمـد، **المغـازي** 764/2؛ العـدوي، إبـراهيم، **الدولـة الإسـلامية وإمبراطوريـة الـروم** 45) فانسحب بأقل الخسائر، ودون أن يتبعهم العدو، ومـن هنـا أثنـى عليـه الرسـول(ﷺ) قـائلاً :"اللهم هو سيف مـن سيوفك فانتصر به " فمنذ ذلك اليوم سمي سيف الله المسلول (الطبـري، محمـد، **تـاريخ الرسـل والملـوك** 399/3،41؛ ابـن عسـاكر، علـي **تاريخ دمشق** 398/1؛ ابن الأثير، عز الدين **الكامل في التـاريخ** 115/2؛ اليافعي، عبـد الله، **مـرآة الجنـان** 17/1؛ رمضـان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 26) والجدير بالذكر أنه قد استشهد في تلك الغزوة ستة (الواقدي، محمـد، **المغـازي** 769/2 ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 392/1؛ الذهبي، شمس الدين محمد، **تاريخ الإسلام** 416/1)، أو ثمانيـة شـهداء (ابـن هشام، عبـد الملك، **السيرة النبوية** 447/3؛ ابن حزم، علي، **جوامع السير** 222؛ ابـن سيد النـاس، محمـد، **عيـون الأثـر** 211/2-212)، وقيـل يزيدون عن العشرة (ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخـه** 456/2) وهـم: الأمـراء الثلاثـة، ومسعود بـن أوس، ووهـب بـن سـعد وعبادة بن قيس، وحارثة بن النعمان، وسراقة بن عمرو، وأبو كليب، وجـابر ابنـا عمـرو بـن زيـد، وعمـرو، وعاصـم ابنـا سـعد بـن الحارث (ابن سيد الناس محمد، **عيون الأثر** 211/2-212؛ عبد الوهاب، محمد **مختصر سيرة الرسول** 330)

(2) العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 49

(3) اتجه المؤرخون في ذلك إلى ثلاثة اتجاهات: فهناك من عدها نصراً، فقد أورد الواقدي، محمد، **المغازي** 764/2 أن خالداً لما عـدل فــي موضــوع الجــيش رعــب عــدوهم، وهزمــوا وقتلــوا مقتلــة لــم يقتلهــا قــوم؛ ويــروي ابــن ســعد، محمــد، **الطبقــات الكبرى** 129/2-130عن شاهد عيان، أن خالداً لما أخذ اللواء، حمل على العدو فهزمهم الله شر هزيمـة، حتـى وضـع المسلمون أسيافهم حيث شاءوا؛ ورأى فريق آخر أن المعركة كانـت هزيمـة، واسـتندوا إلـى أن جيش مؤتـة لمـا قـدم المدينـة استقبله الرسـول (ﷺ) والناس يحثون على الجيش التراب قائلين لهم: يا فرار، فأخذ الرسول (ﷺ) يشد من عضدهم وقال: بل هم الكرار إن شاء الله (ابن هشام، عبـد الملك، **السيرة النبويـة** 438/3؛ الطبـري، محمـد، **تـاريخ الرسـل والملـوك** 42/3؛ ابـن سـعد، محمـد، **الطبقـات الكبرى** 120/2)؛ أمـا أصـحاب الاتجـاه الثالـث فقـالوا إن نتيجـة المعركـة لـم تكـن نـصراً ولا هزيمـة، بـل إن كـل فئـة انحـازت عـن الأخرى (ابن القيم، محمد، **زاد المعاد** 155/1)، واستطاع خالد أن يحاشي بالناس (ابـن قتيبـة، عبـد الله، **المعـارف** 163) ويـروي ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 397/1 أن خالداً لما أخذ الراية، قاتل الروم قتالاً شديداً، ثم انحاز الفريقان عن غير هزيمـة؛ هذا وقد أصاب المسلمون من العدو وأصاب العدو منهم، وغنموا بعض أمتعة المشركين (الواقدي، محمد، **المغازي** 768/2)

أزال المسلمون عرش القياصرة من الشام وفلسطين، ومن ثم مصر، وتسلمت بعد ذلك القسطنطينية سنة 1453م على يد محمد الفاتح[1] .

وقد كانت هذه الغزوة أولى معارك العرب على المستوى الدولي - في ذلك الوقت - وتعرف فيها المسلمون إلى مخاطر اللقاء مع دولة كبرى كدولة الروم، لذلك راحوا يتعلمون ما كانوا يجهلونه من فنون تعبئة الجيوش وأدوات الحرب، كما دفعت إمبراطورية الروم للتنبه لقوة المسلمين، والاستعداد لمواجهتها، والحد من قوتها [2].

وفي أعقاب غزوة مؤتة أدرك المسلمون أن الصدام بينهم وبين الروم قادم لا محالة، فعمل الرسول (ﷺ) على اجتذاب القبائل العربية الواقعة على الحدود الإسلامية البيزنطية للإسلام، فأرسل سرية بقيادة عمرو بن العاص في ثلاثمائة رجل من سراة المهاجرين والأنصار[3] إلى ذات السلاسل[4]، وقد نجحت هذه السرية في مهمتها، حيث انضمت إليه بعض القبائل العربية، من بلاد بلي، وعذرة وبلقين[5]. ولما بلغ الرسول(ﷺ) أن هرقل وجمعاً من عرب لخم، وجذام، وغسان زحفوا إلى[6] البلقاء[7] يريدون غزو المدينة[8]، أعد جيشاً[9]من ثلاثين ألف مقاتل، و خرج به إلى الشام في رجب

(1) خنفر، خلقي، **تاريخ الدعوة في حياة الرسول** 170؛ خطاب، محمود، **بين العقيدة والقيادة** 202

(2) ينظر: رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 26 - 28

(3) الواقدي، محمد، **المغازي** 770/2؛ ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 121/2 -122؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 110/2؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 22/2؛ ابن سيد الناس، محمد، **عيون الأثر** 214/2

(4) **ذات السلاسل:** ماء بأرض جذام، في مشارف الشام عرفت به هذه السرية (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 233/2 عبد الوهاب، محمد، **مختصر سيرة الرسول** 330) وهي بلاد بلي وعذرة وراء وادي القرى، بينها وبين المدينة عشرة أيام، وهي من قضاعة؛ وذكر ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 131/2 سبب هذه السرية هو أن جماعة من قضاعة كانوا يتأهبون لغزو المدينة، وقد اختار النبي (ﷺ) عمرو بن العاص لقيادة هذه السرية لأنه كان ذا رحم بهم، فكانت أم العاص بن وائل بلوية (ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 273/4؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 22/2؛ خنفر، خلقي، **تاريخ الدعوة في حياة الرسول** 170)

(5) الواقدي، محمد، **المغازي** 771/2؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 22/2، 8/18 ، 251/25؛ ابن حبيب، محمد **المحبر** 121-122؛ ابن سيد الناس، محمد، **عيون الأثر** 214/2؛ عبد الوهاب، محمد، **مختصر سيرة الرسول** 331

(6) الواقدي، محمد، **المغازي** 990/2

(7) **البلقاء** : كورة بين الشام ووادي القرى من أعمال دمشق (الحموي، ياقوت **معجم البلدان** 489/1)

(8) البلاذري، أحمد، **أنساب الأشراف** 368/1؛ ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 151/2؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 149/2؛ عبد الوهاب، محمد، **مختصر سيرة الرسول** 391

(9) كان ذلك في زمن عسرة، وشدة، وجدب، حيث يحب الناس المقام (ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية** 155/4 الطبري محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 101/3؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 28/2؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 149/2؛ ابن حبيب، محمد، **المحبر** 116؛ ابن سيد الناس، محمد، **عيون الأثر** 293/2؛ عبد الوهاب، محمد، **مختصر سيرة الرسول** 391؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 28)

9هـ/631م[1]، بهدف إجهاض فكرة الروم بغزو المدينة[2]، وتحرك الرسول (ﷺ) بالجيش[3]،حتى وصل "تبوك"[4] ولم يجد في طريقه أحداً، حيث هابوا محاربته فلم يلق كيداً[5] .

وبهذا فإن خروج مثل هذا العدد من المقاتلين في زمن الحر القاسي، كان مفاجئة للعدو الذي لم يتوقع خروج مثل هذا الجيش، فتقهقر داخل بلاد الشام متخذاً أسلوب الدفاع لا الهجوم، وقد كان هدف النبي (ﷺ) من تجهيز هذا الجيش - وبسرعة فائقة - هو تحقيق ذلك، وإشعار الروم بصلابة وبأس جيش المسلمين[6]، هذا وكان تلقين المسلمين درساً في الجهاد وعدم التخاذل، من أهم الدروس التي تعلموها من تلك الغزوة، والتي نص عليها القرآن الكريم[7]، كما تحرروا من عقدة الخوف من لقاء الروم ومواجهتهم[8].

---

(1) ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية** 155/4؛ الواقدي، محمد، **المغازي**989/3؛ الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 100/3؛ البلاذري، أحمد، **أنساب الأشراف** 368/1؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 3031/2؛ ابن سعد، محمد **الطبقات الكبرى** 150/2؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 466/2؛ القضاعي، محمد، **تاريخه** 211؛ ابن أبي خيثمة، أحمد **تاريخه** 28/2؛ العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 92؛ اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 67/2

(2) أورد اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 67/2 أن هدف تلك الغزوة هو الانتقام لمقتل القادة المسلمين في مؤتة؛ ولكن يبدو أن الرومان ومصالحهم التجارية أصبحت في خطر، خاصة أن معظم القبائل العربية قد دانت للرسول (ﷺ) بعد فتح مكة، وغزوة حنين والطائف (خنفر، خلقي، **تاريخ الدعوة في حياة الرسول** 189)

(3) ابن قتيبة، عبد الله، **المعارف** 165؛ ابن سيد الناس، محمد، **عيون الأثر** 292/2

(4) **تبوك**: موضع بين وادي القرى والشام (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 15/2؛ القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 340)

(5) البلاذري، أحمد، **أنساب الأشراف** 368/1؛ اليافعي، عبد الله، **مرآة الجنان** 18/1؛ ابن حبيب، محمد، **المحبر** 116؛ إسكندر فايز، **الفتوحات الإسلامية لأرمينيا** 20؛ عبد الوهاب، محمد، **مختصر سيرة الرسول** 400؛ العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 46

(6) رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 28؛ وقد أقام الرسول (ﷺ) عشرين ليلة دون أن يواجهه عدو (ابن سعد محمد، **الطبقات الكبرى** 153/2؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 152/2؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 32/2؛ عبد الوهاب، محمد، **مختصر سيرة الرسول** 399) فاستشار أصحابه في التقدم نحو الشام لمواجهة الروم، فأشار عمر بن الخطاب إن للروم جموعاً كثيرة، وليس فيهم أحد من أهل الإسلام، وقد أفزعهم قدوم المسلمين (الواقدي، محمد، **المغازي** 1019/3 ؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 37/2؛ عبد الوهاب، محمد، **مختصر سيرة الرسول** 400) واكتفى الرسول (ﷺ) من هذه الغزوة بعقد معاهدات مع قبائل دومة الجندل، وأيلة، ومقنا، وأذرح، والجرباء (ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية** 165/4- 166؛ البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 59 – 60؛ ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 250/1؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 152/2؛ ينظر: ابن عساكر، علي **تاريخ دمشق** 32/2؛ ابن سيد الناس، محمد، **عيون الأثر** 297/2 إسكندر، فايز، **الفتوحات الإسلامية لأرمينيا** 20؛ عبد الوهاب محمد، **مختصر سيرة الرسول** 396)، وأرسل كتاباً إلى هرقل يخيره فيه بين أحد ثلاثة أمور: الإسلام، أو الجزية، أو السيف، فرد برفض الإسلام والجزية مع رجل من تنوخ (ابن عساكر علي، **تاريخ دمشق** 1/ 417 – 418، 38/2؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 14/5؛ عبد الوهاب، محمد **مختصر سيرة الرسول** 400) ، وبهذا يكون الرسول (ﷺ) قد بعث بكتابين إلى هرقل، الأول في سنة 7هـ/629م والآخر أثناء مقامه بتبوك 9هـ/631م (ابن برهان الدين، علي، **السيرة الحلبية** 284/3؛ ويروي البلاذري، أحمد، **أنساب الأشراف** 368/1 ما يؤكد مراسلة النبي (ﷺ) لهرقل وهو بتبوك، فيذكر أن رسل هرقل قدمت إلى الرسول (ﷺ) فكساهم وردهم .

(7) التوبة 38

(8) رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 28

وبعد أن عاد الرسول (ﷺ) من تبوك، قدمت عليه الوفود من شبه جزيرة العرب وما حولها معلنة إسلامها، حيث عرف ذلك العام بعام الوفود[1]، فامتد انتشار الدعوة الإسلامية إلى أطراف جزيرتهم كما قدم في عام 11هـ/633م إلى الرسول (ﷺ) وفد من غسان معلنين إسلامهم، ثم انصرفوا يبشرون بالإسلام بين قومهم[2]، كما أسلم فروة بن عمرو الجذامي، والذي كان عاملاً للروم على من يليه من العرب[3]، وقد أمر هرقل باعتقاله وصلبه[4].

وفي ضوء ذلك أخذ الروم يحاولون التسلل للجبهة الإسلامية الداخلية وضربها، وذلك بتشجيع حركات الانشقاق في صفوف المسلمين، فقد أرسل الحارث بن أبي شمر إلى الصحابي الجليل كعب بن مالك - وهو أحد الذين خلفوا عن غزوة تبوك - يغريه للحاق به وبالبيزنطيين، حين علم أن الرسول (ﷺ) قد أمر بمقاطعة هؤلاء الثلاثة[5]، وقد نجح البيزنطيون في بعض المواقف بضم بعض من تظاهروا بالإسلام، وكان من بين ذلك علقمة بن علاثة الذي قدم على الرسول(ﷺ) في عام الوفود فأسلم، ثم ارتد ولحق بقيصر[6]، وكذلك أبو عامر الراهب الذي كان من رؤوس النفاق[7] والذي توجه إلى أرض الروم فأقام بها إلى أن توفي عام 10هـ/ 632م[8].

نستنتج مما سبق أن الروم البيزنطيين في هذه المرحلة وجهوا جهودهم إلى محاربة المد الإسلامي في بلاد الشام، سالكين شتّى الطرق، ولكن معظم تلك المحاولات باءت بالفشل، فالمد الإسلامي استمر في أطراف الشام، كما لم ينالوا من الجبهة الإسلامية الداخلية التي كانت أصلب من أن ينالها بعض المارقين.

ومع أن غزوة تبوك كانت آخر غزوات الرسول(ﷺ)، إلا أنه قبيل وفاته كان قد جهّز حملة إلى بلاد الروم، وهي بعثة أسامة، والتي كان هدفها الانتقام لشهداء مؤتة، وفرض هيبة الدولة الإسلامية، فلم

---

(1) للاستزادة والتعرف إلى الوفود التي قدمت للرسول (ﷺ) ينظر: ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية** 203/4؛ ابن سعد محمد، **الطبقات الكبرى**252/1-309؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 157/2؛ ابن خلدون، عبد الرحمن **تاريخه** 470/2 - 479؛ ابن سيد الناس، محمد، **عيون الأثر** 312/2-344؛ عبد الوهاب، محمد، **مختصر سيرة الرسول** 413-440

(2) ابن برهان الدين، علي، **السيرة الحلبية** 277/3؛ ابن القيم، محمد، **زاد المعاد** 53/3؛ ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 292/1؛ ابن سيد الناس، محمد، **عيون الأثر** 340/2؛ عبد الوهاب، محمد، **مختصر سيرة الرسول** 434

(3) ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية** 234/4؛ الكتبي، صلاح الدين محمد، **عيون التواريخ** 391/1؛ ابن القيم، محمد **زاد المعاد** 45/3؛ ابن سيد الناس، محمد، **عيون الأثر** 325/2؛ عبد الوهاب، محمد، **مختصر سيرة الرسول** 429

(4) ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 243/1؛ ابن سيد الناس، محمد، **عيون الأثر** 326/2؛ ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية** 234/4؛ عبد الوهاب، محمد، **مختصر سيرة الرسول** 429

(5) الواقدي، محمد، **المغازي** 1051/3؛ ابن هشام، عبد الملك، **السيرة النبوية** 177/4

(6) ابن قتيبة، محمد، **المعارف** 231؛ وقد عاد علقمة إلى الإسلام بعد ذلك، واستعمله عمر بن الخطاب على حوران وبقي فيها إلى أن مات (ابن حزم، علي، **جمهرة أنساب العرب** 284)

(7) ابن قتيبة، محمد، **المعارف** 343

(8) ابن حجر العسقلاني، أحمد، **الإصابة في تمييز الصحابة** 305/3

يزل الرسول (ﷺ) يذكرهم، حتى دعا أسامة بن زيد ليسير إلى مقتل أبيه فيوطئهم بالخيل[1]، وقد خرج أسامة في هذه السرية على فرس أبيه[2] وتوجه إلى الشام، وعسكر بالجرف على مشارف المدينة، لكنه حينما علم بمرض الرسول(ﷺ)، اضطر إلى العودة، وبعد وفاته (ﷺ) تولى الخلافة أبو بكر الصديق(رضي الله عنه)، فكان أول أعماله إنفاذ جيش أسامة[3]، وقد سار الجيش إلى أبنى[4]، و آبل الزيت[5] ومؤتة، كما أغار على قبائل قضاعة، وجذام، ولخم، ثم عاد إلى المدينة وقد صاحبه النصر بعد غياب دام أربعين يوماً، سوى مقامه ومقفله راجعاً[6]، وجاء في بعض الروايات كانت غيبته سبعين يوماً وبذلك كان مقامه ومقفله راجعاً ثلاثين يوماً[7].

ثانياً: في عهد الخلفاء الراشدين

عند قيام دولة الخلفاء الراشدين، واجه المسلمون قوتين كبيرتين معاديتين هما: دولة الفرس، ودولة الروم البيزنطية، وقد نجحوا مبكراً في تقويض أركان الإمبراطورية الفارسية بعد معركة القادسية عام

---

(1) الواقدي، محمد، **المغازي** 1117/3؛ البلاذري، أحمد، **أنساب الأشراف** 384/1؛ اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 113/2 ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 46/2؛ ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 170/2؛ ابن الأثير، عز الدين **الكامل في التاريخ** 199/2؛ القضاعي، محمد، **تاريخه** 212؛ ابن حبيب، محمد، **المحبر** 125؛ وقد كان لاختيار الرسول(ﷺ) أسامة مغزىً بعيد الأثر، لارتباط هذه السرية بغزوة مؤتة الذي استشهد فيها أبوه، مؤكداً على أنها موقعة واحدة يتوارثها الأبناء عن الآباء، إضافة إلى الثقة بالنفس وبنصر الله، إلى حد تولية شاب لمهمة خطيرة كهذه، مع وجود العديد ممن عركتهم الحياة، وأثبتوا جدارة بالغة في السرايا والغزوات .

(2) الواقدي، محمد، **المغازي** 1123/3

(3) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 50/2؛ ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 171/2؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 32

(4) **أبنى**: بالضم ثم السكون وفتح النون، موضع بالشام من جهة البلقاء (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 79/1)

(5) **آبل الزيت**: موضع بالأردن من مشارف الشام (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 50/1؛ القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 329)

(6) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 432/1، 52/2؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 325/2؛ ابن سعد، محمد **الطبقات الكبرى** 172/2؛ إسكندر، فايز، **الفتوحات الإسلامية لأرمينيا** 21؛ العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 47

(7) النويري، شهاب الدين أحمد، **نهاية الأرب في فنون الأدب** 49/19 ؛ خنفر، خلقي، **الخلافة الراشدة** 22؛ وقد لفتت هذه السرية أنظار البيزنطيين إلى الخطر الذي يهدد حدودهم، لذلك أمر هرقل بوضع حامية عسكرية في البلقاء لحماية حدود الشام من القوات الإسلامية، وقد قال لبطارقته بعد بعث أسامة "قد صارت العرب تأتي من مسيرة شهر فتغير عليكم، ثم تخرج من ساعتها ولم تكلم"(ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 439/1) وقد استمرت تلك الحامية إلى أن قدمت الجيوش الإسلامية إلى الشام زمن أبي بكر وعمر (ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 192/2) ليبدأ فصل جديد من تاريخ الصراع الإسلامي البيزنطي .

14هـ/635م[1] ودخول عاصمتها المدائن[2] عام16هـ/637م[3]، في حين اكتفوا بانتزاع ممتلكات بيزنطة في شمال الشام بعد معركة أجنادين[4] الأولى سنة13هـ/634م[5]، ثم معركة اليرموك عام 15هـ/636م[6]، التي شكلت نقطة تحول في تاريخ الفتوحات الإسلامية، فأدت إلى انهيار قوى الروم، وانفصال الشام عن جسم الإمبراطورية البيزنطية[7]، ومن ثم معركة أجنادين الثانية عام

---

(1) عن معركة القادسية ينظر: ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 218/9 – 230؛ اليافعي، عبد الله، **مرآة الجنان** 61/1-62؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 524/2؛ ابن الطقطقا، محمد، **الفخري في الآداب السلطانية** 78- 81

(2) **المدائن**: مدينة بين الفرات ودجلة، وتتوسط مصب الفرات في دجلة، كانت عاصمة للفرس الذين كانوا يسمونها توسفون وعربها المسلمون عندما تم فتحها إلى طيسفون، كما سموها المدائن لأنها سبع مدائن بين الواحدة والأخرى مسافة قريبة أو بعيدة (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 74/5- 75)

(3) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 480/3 – 529؛ البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 356؛ ابن الأثير، عز الدين **الكامل في التاريخ** 299/2؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 5/10؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 536/2 اليافعي، عبد الله، **مرآة الجنان** 61/1؛ القضاعي، محمد، **تاريخه** 293؛ شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**46؛ ابن الطقطقا، محمد، **الفخري في الآداب السلطانية** 80؛ عنان، محمد، **مواقف حاسمة في التاريخ** 10/1 – 12 مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 7

(4) **أجنادين**: موضع معروف من نواحي الشام بفلسطين، من كورة بيت جبرين، كانت به وقعة شهيرة بين المسلمين والروم (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 103/1)

(5) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 418/3، 605؛ اليافعي، عبد الله، **مرآة الجنان** 57/1؛ ابن أعثم، أحمد **الفتوح** 218/1 – 244؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 98/2؛ الواقدي، محمد، **فتوح الشام** 37/1؛ البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 157؛ ابن الطقطقا، محمد، **الفخري في الآداب السلطانية** 75- 76؛ سيرهنك إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 177/1؛ بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 94؛ عبد الوهاب، محمد، **مختصر سيرة الرسول** 480

(6) **اليرموك**: واد بناحية الشام في طرف الثغور، يصب في نهر الأردن، وقعت عليه معركة اليرموك الفاصلة بين المسلمين والروم (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 434/5)، إذ كان عدد المسلمون أربعة وعشرين ألفاً، وعليهم أبو عبيدة بن الجراح والروم عشرين ومائة ألف، وعليهم ماهان وسقلان(ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 143/2؛ ابن خلدون، عبد الرحمن **تاريخه** 515/2) وكان ماهان أميراً على جميع الأجناد (ابن أعثم، أحمد، **الفتوح** 173/1) وفي تلك المعركة انتصر المسلمون وقتل الكثير من الروم، كما قتل ماهان، ولما بلغ هرقل انتصار المسلمين هرب إلى القسطنطينية، وكانت وقعة اليرموك في رجب سنة خمس عشرة (ينظر: الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 394/3 - 408؛ البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 140-143 اليافعي، عبد الله، **مرآة الجنان** 61/1؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 2/ 262) وبمعركة اليرموك سقطت بلاد الشام في أيدي المسلمين، ولكنهم لم يواصلوا الحرب إلى القسطنطينية، إلا ما ذكروا من أن مالك الأشتر توغل في جريدة خلف قوات الروم (ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 245/9؛ إسكندر، فايز، **الفتوحات الإسلامية لأرمينيا** 18)

(7) ابن العديم، عمر، **زبدة الحلب في تاريخ حلب** 15؛ فرج، وسام، **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 158 سالم، عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية** 13؛ بركات، وفيق، **فن الحرب البحرية** 17؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 38؛ العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 49؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 95

15هـ/636م، والتـي فتحت على إثرها فلسطين والقدس[1]، ثم توالى سقوط مدن الشام، وانفصالها عن جسم الإمبراطورية[2] التـي خسرت خلال سبع سنوات ما حكمته حوالي سبعمائة سنة[3] .

وهكذا انتهت تلك المرحلة من مراحل الصراع الإسلامي البيزنطي بسقوط الشام، وانتـزاعه من أيدي الروم، ولكنه لم يكن فتحاً يسيراً، لأن حروب الشام كلفت الدولة الإسلامية دماء غزيرة، ونفوساً عزيزة، غيـر أن المعارك لا تحسب بعدد الشهداء، بل بالنتائج، إذ صبغ الشام بالصبغة الإسلامية ووصل العرب للبحر المتوسط، بل أصبحت الدولة الإسلامية إحدى أهم دوله، والذي سيكون لها بالغ الأثر على الإمبراطورية البيزنطية.

هذا وتتابعت فتوحات الجزيرة وأرمينيا[4]، كما فتحت مصر عام 20هـ/640 م[5]، ولم تنته حياة هرقل سنة 20هـ/641م، إلا وقد انكمشت حدود الإمبراطورية البيزنطية في آسيا الصغرى، وبلاد البلقان، وأجزاء من أفريقيا[6]، بعكس ما قيل من أن المسلمين لم يبدءوا فتوحاتهم إلا بعد وفاة هرقل الذي هابه المسلمون[7] .

وهنا لم تتوقف الفتوحات الإسلامية عند هذا الحد، بل استعد المسلمون لإسقاط العاصمة البيزنطية القسطنطينية، فأقدموا على فتحها، وأثبتوا للبيزنطيين أن عاصمتهم ليست بعيدة المنال في سبيل نشر الإسلام الذي ظهرت رحمته في الحرب، رحمة دفعت كثيراً من سكان البلاد المفتوحة إلى اعتناقه[8] خلافاً لما ذهب إليه بعض المستشرقين[9] من أن الدافع للفتوحات الإسلامية كان دافعاً اقتصادياً

---

(1) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 144- 149؛ الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 607/3 – 613؛ ابن الأثير، عز الدين **الكامل في التاريخ** 347/2؛ القضاعي، محمد، **تاريخه** 293؛ بورفيروجنيتوس، قسطنطين، **إدارة الإمبراطورية البيزنطية في عهد قسطنطين السابع** 77؛ خنفر، خلقي، **الخلافة الراشدة** 79 – 80؛ عبد الوهاب، محمد، **مختصر سيرة الرسول** 483

(2) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 171/2؛ فرج، وسام، **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 159 سالم، عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية** 13؛ بركات، وفيق، **فن الحرب البحرية في التاريخ الإسلامي** 17

(3) رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 18

(4) لمزيد من التفاصيل حول فتوحات أرمينيا، ينظر: إسكندر، فايز، **الفتوحات الإسلامية لأرمينيا** 35

(5) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 214؛ الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 104/4 - 110؛ اليافعي، عبد الله، **مرآة الجنان** 65/1؛ العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 142؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 405/2؛ ابن خلدون عبد الرحمن، **تاريخه** 554/2؛ القضاعي، محمد، **تاريخه** 293؛ المقريزي، تقي الدين، **الخطط المقريزية** 71/2؛ ابن الوكيل يوسف، **تحفة الأحباب** 39؛ عبد الوهاب، محمد، **مختصر سيرة الرسول** 483

(6) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 9/2؛ Vasiliev, **History of Byzantine Empire**, I .P 213 فازيلف، **العرب والروم** 9؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 114

(7) إسكندر، فايز، **الفتوحات الإسلامية لأرمينيا** 22؛ وللتعرف إلى أسباب انتصار المسلمين، ومناقشة تلك الأسباب، والسرعة في ذلك (ينظر: رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 33 – 35)

(8) الشلش، محمد، **أخلاقيات الإسلام بين الفقه الإسلامي والقانون الدولي بين النظرية والتطبيق**، مجلة جامعة الخليل للبحوث مج3، ع1، 2007م، 106

(9) آرنولد، توماس، **الدعوة إلى الإسلام** 64؛ حتي، فيليب، **تاريخ العرب** 220؛ بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 90

أو سياسياً، يقول ريتشارد. أ. ساليفان[1]:" لم يكن غزو المسلمين للإمبراطورية البيزنطية غزواً بربرياً كتلك الغارات التـي تعرضت لها روما من قبل، فالغزو الجديد كان دافعه الإسلام الذي نادى بـه محمد" وبهذا فهدف الجهاد في الإسلام إزالة العوائق التـي تحول دون نشر الدعوة بالطرق السلمية[2]، وإذا ما نظر المرء إلى الخريطة السياسية في تلك المرحلة، وجد سلطان المسلمين قد امتد من إفريقيا وجبال طوروس إلى سيحون وجيحون، ولم يلبث أن قطع بعد فترة قليلة إلى ما وراء النهر.

وقد عد فيليب حتـي[3] هذه الفتوح من بين أروع الحملات التـي تمت في تاريخ الحروب، والتـي تجمل مقارنتها بحروب نابليون، أو هانيبال، أو الإسكندر، وإن كانت الفتوحات الإسلامية أجدر من فتوحات هؤلاء وأجدى، وذلك لأنها باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وفتوحاتهم ذهبت أدراج الرياح، والعبرة في النتائج كما يقولون .

ولذلك كانت الأمور تفرض على الإمبراطورية البيزنطية أن تحشد كل إمكاناتها للاحتفاظ بجبال طوروس حداً فاصلاً بين القوتين، وبالرغم من تجاوز القوات الإسلامية لتلك السلسلة الجبلية مرات عدة، إلا أن اللغة العربية كانت تتجمد على منحدرات تلك الجبال[4]، بالإضافة إلى وضع نظام دفاعي يحجبهما عن بعضهما بإفراغ المنطقة من السكان، غير أن المسلمين عملوا على إعادة بناء تلك المدن فنما خط من التحصينات الإسلامية في الثغور[5] والتـي شحنت بالمقاتلين، ووصلت الغارات المتكررة إلى العاصمة البيزنطية القسطنطينية، والتـي هي محور البحث في الصفحات اللاحقة .

---

(1) **ورثة الإمبراطورية البيزنطية** 49

(2) آرنولد، توماس، **الدعوة إلى الإسلام** 25-33؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية** 65؛ وللتعرف إلى أهداف الحرب في الإسلام، ينظر: الشلش، محمد، **أخلاقيات الإسلام بين الفقه الإسلامي والقانون الدولي بين النظرية والتطبيق** مجلة جامعة الخليل للبحوث، مج3، ع1، 2007م، 109 -111

(3) **تاريخ العرب** 1/ 174

(4) نفسه 1/ 174

(5) **الثغر**: كل موضع قريب من أرض العدو، كأنه مأخوذ من الثغرة، وهي الفرجة في الحائط (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 16/3)، وسميت بذلك لأن المتطوعين كانوا يرابطون فيها لغزو الروم (شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** 214) وللاستزادة والتعرف إلى معظم الثغور والعواصم، ينظر: عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية**1/213-257 دياب، صابر، **المسلمون وجهادهم ضد الروم** 20 – 25)

الفصل الثاني

محاولات فتح القسطنطينية في العصر الأموي

تمهيد: تأسيس الأسطول الإسلامي

عندما استقر الفتح الإسلامي في بلاد الشام ومصر، تطلع المسلمون إلى أراضي الدولة البيزنطية في آسيا الصغرى[1]، فبدأوا بشن الغارات على معاقل الروم فيها، حتى غدت معرضة لضربات المسلمين بشكل دائم[2] والذين تطلعوا إلى القسطنطينية ليسقطوها كما فعلوا بالإمبراطورية الفارسية من قبل[3] خاصة وأنهم أخذوا يتحكمون في أهم المناطق المطلة على البحر المتوسط[4] .

بدأ المسلمون بتوجيه الحملات إلى بلاد الروم، وقد اختلف في أول من قام بذلك، حيث أورد البلاذري ومن وافقه[5] اختلاف الأقوال في أول من أدرب في بلاد الروم، ويعطينا الكتاب المنسوب للواقدي[6] تفصيلاً لطليعة الحملات الإسلامية لبلاد الروم، والتي كانت تهدف إلى تأمين الحدود الإسلامية، وإقصاء خطوط عدوهم، وعدم إتاحة الفرصة له بالهجوم، بالإضافة إلى التمهيد لفتح القسطنطينية .

وقد كانت الفتوحات الإسلامية في بادئ أمرها برية بسبب ما اقتضته الحاجة في ذلك العصر، ولكن سرعان ما تنبهت الدولة الإسلامية إلى أهمية البحر، وتبينت ضرورة دوره في عملياتها الحربية

---

(1) آسيا الصغرى: هي المنطقة التي تسميها العرب أرض روم، ويسميها الأتراك الأناضول، يحدها شمالاً بحر مرمرة والبحر الأسود، ومن الغرب بحر مرمرة ومضائق القسطنطينية، ومن الجنوب البحر المتوسط وبحر إيجة، ومن الشرق خط ممتد من خليج الإسكندرونة وحتى جبل اللكام شمالاً (ينظر: جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 22-23)

(2) ديك، أغناطيوس، **الحضور المسيحي في حلب خلال الألفين المنصرمين** 28

(3) فرج، وسام، **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 162؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 13/2

(4) العمري، عبد العزيز، **خطط الراشدين في البحر المتوسط**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، مج1 ع8، 2000م، 313

(5) قال إن أول من قطع الدروب ميسرة بن مسروق العبسي، ثم لحق به مالك الأشتر مدداً من قبل أبي عبيدة، وقال بعضهم: أول من قطع الدرب عمر بن سعد الأنصاري، حين توجه في أمر جبلة بن الأيهم، وقيل إن أبا عبيدة هو أول من غزا الصائفة، فمر بالمصيصة، وطرسوس (ينظر:البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 168-169؛ الفزاري، إبراهيم، **السير** 51، 109؛ ابن عساكر علي، **تاريخ دمشق** 114/32، 115)

(6) ينظر: **فتوح الشام** 30 – 38 ؛ ابن العديم، عمر، **زبدة الحلب في تاريخ حلب** 15

بقصد الدفاع عن أملاكها الجديدة[1]، ومواجهة خطر الروم، وغاراتهم البحرية، فأدرك والي الشام[2] - في ذلك الوقت - معاوية بن أبي سفيان، أن نقطة الضعف في فتوحاتهم هي الثغور الواقعة على سواحل المتوسط، فالروم كانوا سادة هذا البحر، وأساطيلهم تفسد على المسلمين خططهم في الاستيلاء على المدن الساحلية، فقد تمكن الأسطول الرومي بقيادة "مانويل"[3]، من الانقضاض على الإسكندرية وانتزاعها من أيدي حاميتها عام 25هـ/645م، فتصدى لهم عمرو بن العاص الذي تمكن من هزيمتهم وقتل قائدهم[4]، وقد رأى معاوية أنه لا بد من إيجاد أسطول لتحقيق الأغراض التالية[5]:

1. صد غارات الروم البيزنطيين عن بلاد الشام ومصر .
2. تأمين طرق التجارة الإسلامية .
3. اتخاذ قواعد بحرية للمسلمين في جزر البحر المتوسط لحماية السواحل الإسلامية .
4. مهاجمة عاصمة الإمبراطورية البيزنطية القسطنطينية[6] .

---

(1) لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية والتجارية في حوض المتوسط** 20؛ البيشي، سعدية، **الجهاد البحري العثماني من خلال معركة لبانتو** 8، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – مكة المكرمة 1997م

(2) العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 155؛ البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 183؛ الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 150/5؛ عياش، حسن، **الولاة والعمال في الجهاز الإداري في صدر الإسلام** 74، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية - نابلس 2002م

(3) ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 571/2؛ لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية في حوض المتوسط** 89؛ عبد العليم، أنور **الملاحة وعلوم البحر عند المسلمين** 91؛ ربيع، حسنين، **الإمبراطورية البيزنطية** 79؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 66

(4) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 250/4؛ اليافعي، عبد الله، **مرآة الجنان** 70/1؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 476/2؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 571/2؛ المقريزي، تقي الدين، **الخطط المقريزية** 167/1،92/2؛ سيرهنك إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 185/1؛ ينظر: خنفر، خلقي، **الخلافة الراشدة** 128-129، **عمرو بن العاص وأثره في الحرب والسياسة**571-572، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر – القاهرة 1974؛ ماهر، سعاد، **البحرية في مصر الإسلامية** 77 عواد، محمود، **الجيش والأسطول الإسلامي في العصر الأموي** 265، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية - عمان 1992م العمري، عبد العزيز، **خطط الراشدين في البحر المتوسط**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب القاهرة، مج1، ع8، 2000م، 313

(5) عبد العليم، أنور، **الملاحة وعلوم البحر عند المسلمين** 76؛ العمري، عبد العزيز، **خطط الراشدين في البحر المتوسط** مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب- القاهرة، مج1، ع8، 2000م،313؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 46، 66

(6) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 189/1؛ سالم، عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية** 21 العمري، عبد العزيز، **خطط الراشدين في البحر المتوسط**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب القاهرة، مج1، ع8، 2000م، 339؛ بورفيروجنيتوس، قسطنطين، **إدارة الإمبراطورية البيزنطية في عهد قسطنطين السابع** 78 باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 9

فعرض الأمر على عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، غير أن عمر رفض[1]، وعهد إليه بترميم الحصون والسواحل، وترتيب المقاتلين فيها، وحراستها[2]، ولما تولى عثمان بن عفان أمر المسلمين، ألح عليه في إنشاء الأسطول الإسلامي للغزو في البحر، وبين له سهولة الأمر، وشدة حاجة المسلمين له، حتى أذن له[3]، واشترط عليه ألا يكره الناس على الغزو[4] كما أمره بأن يُركِبَ معه امرأته[5]، عندها بدأ معاوية في بناء أول أسطول إسلامي[6]، فأنشئت السفن في مصر، وأمدته لبنان بما يلزم من الأخشاب ومما سهل على المسلمين تطوير البحرية وصناعة السفن، استعانتهم بالخبراء الأقباط مقابل أموال يدفعونها لهم، واستيلائهم على دور صناعة السفن البيزنطية في الإسكندرية، حيث أعيد تشغيل ما كان صالحاً من السفن في تلك الدور[7]، ولعل تسامح المسلمين مع غيرهم كان سبباً في مثل هذا التعاون[8]

---

(1) للتعرف إلى أسباب امتناع عمر عن السماح لمعاوية بركوب البحر، ينظر: بركات، وفيق، **فن الحرب البحرية في التاريخ الإسلامي** 23؛ العمري، عبد العزيز، **خطط الراشدين في البحر المتوسط**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب القاهرة مج1، ع8، 2000م، 318 – 328؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 46

(2) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 152؛ ينظر: ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 288/2؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 14/1، 184؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 47؛ البيشي، سعدية، **الجهاد البحري العثماني من خلال معركة لبانتو** 8، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – مكة المكرمة 1997م

(3) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 289/2؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 167/7؛ خماش، نجدت **الشام في صدر الإسلام** 201؛ سالم، عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية** 17

(4) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 260/4؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 489/2؛ البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 157 - 158؛ ابن أعثم، أحمد، **الفتوح** 348؛ المقريزي، تقي الدين، **الخطط المقريزية** 190/2 ؛ سيرهنك، إسماعيل **حقائق الأخبار عن دول البحار** 185/1؛ كرد علي، محمد، **خطط الشام** 35/5؛ الرفاعي، أنور، **النظم الإسلامية** 88؛ ربيع حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 84

(5) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 157 ؛ الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 260/4؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 489/2؛ السيوطي، جلال الدين، **تاريخ الخلفاء** 155؛ أبو الفرج، قدامة بن جعفر، **الخراج** 290؛ ابن أعثم، أحمد **الفتوح** 348؛ العمري، عبد العزيز، **خطط الراشدين في البحر المتوسط**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب القاهرة، مج1، ع8، 2000م، 328 -329

(6) لعل ما شجع المسلمين على ركوب البحر، وجود عدد كبير من الأحاديث النبوية الحاثة على الغزو في البحر، فضلاً عن أنهم لمسوا أمثلة للنشاط البحري في البلاد التي فتحوها، لذلك نرى رجال الحديث يفردون في كتبهم أبواباً خاصة للغزو في البحر، فعند البخاري، محمد، **صحيحه** 1060/3 " باب ركوب البحر"، وعند القشيري، مسلم، **صحيحه** 1518/1" باب فضل الغزو في البحر"، وتحدث ابن المبارك، عبد الله، **كتاب الجهاد** 155عن الغزو في البحر، وفضل الشهادة فيه، كما أورد أبو داود، سليمان **سننه** 6/3 الكثير من الأحاديث في هذا الجانب .

(7) حتي، فيليب، **تاريخ سوريا ولبنان** 24/2 ؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 60

(8) لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية والتجارية في حوض المتوسط** 88 - 90؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 1/ 15؛ البيشي، سعدية، **الجهاد البحري العثماني في معركة ليبانتو** 9، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – مكة المكرمة 1997م؛ العمري، عبد العزيز، **خطط الراشدين في البحر المتوسط**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب القاهرة، مج1، ع8، 2000م، 313، 331

حيث كانت مشاركة غير المسلمين في بناء الدولة الإسلامية والأسطول البحري طواعية في أكثر من موضع[1]، وبهذا أدخل المسلمون السلاح البحري، وحرب الأساطيل في استراتيجيتهم الحربية لأول مرة في التاريخ، وعملوا على تطويره، واستيعابه بسرعة فائقة، فاستعاض العرب عن الصحراء والجمل، بالبحر والمراكب[2]، وأضافوا عليه حتى واجهوا أقوى أساطيل زمانهم (الأسطول البيزنطي)[3] فصار البحر خولاً لهم، وتحت أيديهم[4] .

وقد كان من أهداف المسلمين من وراء تأسيس الأسطول البحري - كما ذكر سابقاً - ضرب عاصمة الروم القسطنطينية وإسقاطها، إذ أنهم لم يكونوا مطمئنين لجانب الروم بعد فتح الشام ومصر لذلك وجدوا أن عليهم أن يفتحوا القسطنطينية قلب بيزنطة، وقلعة الروم الحصينة، والرأس المدبر للتنظيم البحري للبيزنطيين في حوض المتوسط[5] .

ولعل هذه الفكرة قد دارت في مخيلة عثمان بن عفان(ﷺ) عندما أوعز لرجلين من إفريقيا للتوجه نحو الأندلس، وبين لهم أن القسطنطينية تفتح من قبلها، وإنهم إن فتحوها كانوا شركاء من يفتحها في الأجر[6]، مما حفز ولاة إفريقيا أن يتخذوا من وصية عثمان نبراساً يهتدون بها لفتح القسطنطينية[7] وإذا كان بعض الكتاب[8] قد قلل من أهمية هذه الرواية، فالأرجح أنها تدخل في باب استراتيجية فتحها من قبل الخليفة الراشد الثالث، وتوق المسلمين لفتحها، فبعد أن فتحت الشام، تابع المسلمون فتوحاتهم نحو مصر ثم إفريقيا، وبلاد المغرب العربي، إلى أن تم فتح الأندلس عام 92هـ/711م[9]، غير أن

---

(1) المقريزي، تقي الدين، **الخطط المقريزية** 166/1

(2) محفوظ، محمد، **السلاح البحري** مجلة الأمة، (د.ع)(د.م) شعبان 1406هـ ، 26

(3) نفسه 26،41

(4) ابن خلدون، عبد الرحمن، **المقدمة** 220؛ عبد العليم، أنور، **الملاحة وعلوم البحر عند المسلمين** 88؛ وللاستزادة والتعرف إلى دوافع نشوء البحرية الإسلامية ينظر: بركات، وفيق، **فن الحرب البحرية في التاريخ الإسلامي** 17 - 19

(5) بركات، وفيق، **فن الحرب البحرية في التاريخ الإسلامي** 17؛ سالم، عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية**21 ربيع، حسنين، **الإمبراطورية البيزنطية** 85؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 22

(6) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 255/4؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 486/2؛ رمضان، عبد العظيم **الصراع بين العرب وأوروبا** 62 - 63

(7) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 85/2

(8) نفسه 85/2

(9) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 468/6؛ البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 232؛ اليافعي، عبد الله، **مرآة الجنان** 144/1؛ ابن عبد الحكم، عبد الرحمن، **فتوح مصر** 346/1؛ أبو ريدة، جمال، **الخداع العسكرية للمسلمين في صدر الإسلام** 197، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية- غزة 2009م؛ عويس، عبد الحليم، **إحراق طارق بن زياد للسفن أسطورة لا تاريخ** 5

صعوبة الاستمرار في الفتوحات فيها، أخر الدوران حول أوروبا، ولم يعتزم موسى بن نصير التوقف في فتوحاته على ما فتح بالأندلس، وإنما كان يخطط لعبور جبال البرانس واجتياح أوروبا، والوصول إلى القسطنطينية، وفتحها من الغرب براً[1]، لولا أن استدعاه الوليد بن عبد الملك إلى دمشق، وأمره بوقف الفتوح إلى هذا الحد[2].

و المتتبع لحركة الفتوحات الإسلامية لبلاد الروم - والتي هي الطريق الأقرب لفتح القسطنطينية- لم تكن بالفتوحات المستقرة بشكل دائم، كما لم يكن قبل فتح الأندلس محاولات فعلية وجادة لفتح القسطنطينية، باستثناء محاولة الخليفة سليمان عبد الملك عام 98هـ/717م، وكان ذلك حينما واجه المسلمون صعوبة في الاستمرار بفتوحات الأندلس، والنفاذ من خلالها إلى القسطنطينية.

وحينما فشل المسلمون في فتح القسطنطينية في زمن الخليفة سليمان بن عبد الملك عام 98هـ/717م عادوا ليسيروا نحو الخطة التي وضعها عثمان بن عفان، فحاولوا اختراق أوروبا من جديد، فكانت معركة بلاط الشهداء114هـ/732م[3]، والتي هزم فيها المسلمون، وبعدها لم يحاول المسلمون أي محاولة لفتح القسطنطينية، إلى أن جاء العثمانيون الذين جددوا الأمل بفتحها، والذي تحقق على أيديهم عام 1453م، وبهذا فقد شكل انكسار المسلمين في معركة بلاط الشهداء، الصخرة التي تحطمت عليها آمالهم في فتح القسطنطينية بالدوران حول أوروبا، مثلما شكل فشل حملة سليمان ابن عبد الملك في الشرق من قبل، ولو قدر للإمكانات التي أعدها سليمان بن عبد الملك لفتح القسطنطينية عام 98هـ/717م أن تضم لما تم إعداده في معركة بلاط الشهداء في الأندلس، لربما كان النصر محتماً، ولما تأخر فتح القسطنطينية إلى عام 1453م .

فتح جزر البحر المتوسط

كان نتيجة لهذه الجهود أن توجه معاوية لفتح جزر البحر المتوسط[4]، ليقطع الطريق على البيزنطيين من تكوين قواعد لهم شرقه[5]، وكانت باكورة فتوحه على الماء فتح جزيرة

---

(1) المقري، أحمد، **نفح الطيب** 259/1؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 198/1؛ سالم، عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية** 22؛ الأحمد، ناصر، **حركة الجهاد والفتح في عهد الدولة الأموية** 128، رسالة دكتوراه، معهد الدعوة الجامعي للدراسات الإسلامية، لبنان – بيروت 2008م

(2) ابن قتيبة، محمد، **الإمامة والسياسة** 71/2؛ الكتبي، صلاح الدين محمد، **فوات الوفيات** 70/2

(3) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 203/1؛ بركات، وفيق، **فن الحرب البحرية في التاريخ الإسلامي** 24 – 25؛ عنان، محمد، **مواقف حاسمة في التاريخ** 54/1- 55؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 44

(4) شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** 208؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 239/1 عبد العليم، أنور، **الملاحة وعلوم البحر عند المسلمين** 92؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 46 ربيع حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 84

(5) العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 162

قبرص[1]عام 28هـ/647م[2]، والتي شارك في فتحها العديد من الصحابة[3]، فعقد مع أهلها صلحاً على دفع الجزية[4]، غير أن معاوية أعاد فتحها عام 33هـ/653م[5] لعدم التزام أهلها بشروط الصلح ففتحها عنوة، ثم أقر سكانها على صلحهم الأول، وأسكن بها اثني عشر ألفاً من المسلمين الذين رابطوا فيها، فبنوا المساجد، والدور، والحصون[6]، ونشروا الإسلام بها، ولتعدد معاهدات المسلمين مع أهل قبرص عبر العصور، واختلاف شروط الصلح معهم، فإن الفقهاء المسلمين بحثوا موضوعها بدقة[7] نظراً لأنهم الذين يصدرون الأحكام في التعامل مع الأراضي المفتوحة وفقاً لوضعها الشرعي.

وبفتح قبرص، أصبح للمسلمين أسطول بحري كبير، وتهدم جدار الوهم عند المسلمين بركوب البحر، وبدأ الصراع بين المسلمين والروم في البحر، كما تأمنت حدود بلاد الشام ومصر من غارات

---

(1) قبرص : جزيرة من جزر الروم في البحر المتوسط، بينهم وبينها مسيرة ستة عشر يوماً (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 305/4؛ القزويني، زكريا، **آثار البلاد وأخبار العباد** 240؛ جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 136) وقيل إنها سميت بقبرص ومعناها النحاس لكثرته بها (شيخ الربوة،محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**142)، تشتمل على حصون كثيرة، وقرى متعددة ذات بساتين وأنهار (القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 343)

(2) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 258/4؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 228/10 399/11 اليافعي، عبد الله، **مرآة الجنان** 71/1؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 488/2، 30/3؛ القضاعي، محمد، **تاريخه** 304 سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 15/1، 185؛ بركات، وفيق، **فن الحرب البحرية في التاريخ الإسلامي** 41 بورفيروجنيتوس، قسطنطين، **إدارة الإمبراطورية البيزنطية في عهد قسطنطين السابع** 78؛ عبد الوهاب، محمد، **مختصر سيرة الرسول** 488؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 66؛ العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 62

(3) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 258/4؛ البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 158؛ العصفري، خليفة بن خياط **تاريخه** 160؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 488/2، 30/3؛ الجدي، أحمد، **دور المرأة الجهادي في الإسلام** 115 رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية – غزة 2005م؛ سالم، عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية** 19 العمري، عبد العزيز، **خطط الراشدين في البحر المتوسط**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب القاهرة، مج1، ع8، 2000م 336؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 66

(4) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 158؛ أبو الفرج، قدامة بن جعفر، **الخراج وصنعة الكتابة** 306؛ اليافعي، عبد الله، **مرآة الجنان** 71/1؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 96/3 ابن أعثم، أحمد، **الفتوح** 349؛ ماهر، سعاد، **البحرية في مصر الإسلامية** 67؛ سالم، عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية** 20؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 84

(5) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 258/10؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 488/2

(6) ينظر: الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 261/4- 263؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 489/2، 30/3 البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 158؛ خماش، نجدت، **الشام في صدر الإسلام** 203؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 70

(7) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 159 – 160؛ العمري، عبد العزيز، **خطط الراشدين في البحر المتوسط**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب- القاهرة، مج1، ع8، 2000م ، 336

الروم بجعلها قاعدة إنذار متقدمة، هذا ووجه الأسطول البيزنطي ثقله إلى غرب البحر المتوسط، حيث كانت الفتوحات الإسلامية لا تزال بعيدة عن الوصول إلى هناك .

وقد أخذ معاوية بعد فتح جزيرة قبرص يتبع أسلوب التقدم التدريجي بأقدام ثابتة، فافتتح جزيرة أرواد [1] أثناء عودتهم من فتح جزيرة قبرص[2]، ولعل ترك معاوية لهذه الجزيرة حتى عودته من قبرص يعني تخطيطاً عسكرياً بحرياً مهماً، فالاستيلاء على قبرص يعد في الوقت نفسه حصاراً لأرواد، ومنعاً للإمدادات عنها تمهيداً لفتحها، كما كسب المسلمون بالسيطرة عليها موقعاً جديداً زالت عنه أقدام عدوهم[3]، بالإضافة إلى تأمين ظهر أسطوله من ناحية الجزر القريبة من ساحل الشام[4] وقد تحدثت المصادر الإسلامية[5] بإسهاب عن إعادة فتحها عام 54هـ/674م، ولعل ذلك يعني استعادة الروم لها مرة أخرى، كما حصل في العديد من المواقع، وبالتالي فإن فتحها كان ذيلاً لفتح قبرص ولذلك لم تشر له المصادر العربية.

وقد مضى معاوية في تنفيذ مخططه بفتح جزر البحر المتوسط، فبعد عدة أشهر من فتح قبرص وجه حملة بقيادة جنادة بن أمية إلى جزيرة رودس عام 35هـ/654م، والتي تعد من أهم قواعد الروم في البحر المتوسط[6]، حيث عمد معاوية إلى تدعيمها ببناء حصن منيع بها، ووضع حامية فيها، وبذلك كسب المسلمون أهم جزر بحر إيجة وأكثرها أهمية لبيزنطة، لاحتوائها على إحدى دور صناعة السفن[7] كما هو الحال بالنسبة لكريت، إذ أصبح الأسطول الإسلامي بذلك يهدد سواحل أوروبا الجنوبية، والكثير من جزر البحر المتوسط، خصوصاً قبيل معركة ذات الصواري، هذا وقد ثبت أن

---

(1) ابن أعثم، أحمد، **الفتوح** 145/2؛ بورفيروجنيتوس، قسطنطين، **إدارة الإمبراطورية البيزنطية في عهد قسطنطين السابع** 78

(2) العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 87 - 89

(3) العمري، عبد العزيز، **خطط الراشدين في البحر المتوسط**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب القاهرة، مج1، ع8، 2000م، 337

(4) رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 68

(5) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 341/3؛ البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 237؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 228/1؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 85

(6) الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 87/3؛ بورفيروجنيتوس، قسطنطين، **إدارة الإمبراطورية البيزنطية في عهد قسطنطين السابع** 78؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 70

(7) رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 70

معاوية نزل برودس في زمن عثمان بن عفان(ﷺ) ومعه بعض الصحابة[1]، غير أن الاستقرار بهذه الجزيرة كان في عام 53هـ/673م [2] .

بهذا يكون معاوية أول من ركب البحر[3]،إذ فطن إلى أهميته لحماية الثغور، ورد هجوم البيزنطيين منه[4]، وقد استعمل عليه عبد الله بن قيس الحارثي، الذي قيل إنه غزا خمسين غزاة فيه [5].

تفنيد محاولة فتح القسطنطينية عام 32هـ/653م

توالت الإغارات الإسلامية على بلاد الروم حتى بدت على نطاق واسع[6]، وغدت هناك حاميات عسكرية إسلامية في مناطق الثغور[7]، وقد أوردت المصادر[8] - في تلك الفترة المبكرة من تاريخ حركة الفتوح - أخباراً عن حملات إسلامية أوغلت في أرض الروم، فافتتحت أرمينيا على يد حبيب بن مسلمة القرشي عام 24هـ/645م' كما روي أن معاوية بن أبي سفيان غزا المضيق – مضيق القسطنطينية – وذلك عام 32هـ/653م ومعه زوجته، ونزل بالقرب منه[9]، وقد يكون هذا المشروع

---

(1) ابن المبارك، عبد الله، **كتاب الجهاد** 155؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 91؛ العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 142؛ العمري، عبد العزيز، **خطط الراشدين في البحر المتوسط**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب القاهرة، مج1، ع8، 2000م، 338

(2) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 238/3؛ البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 237

(3) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 181؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 46

(4) عبد المنعم، أنور، **الملاحة وعلوم البحار عند العرب** 91؛ ربيع، حسنين، **الإمبراطورية البيزنطية** 84؛ سالم، عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية** 15؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 17؛ العدوي، إبراهيم **قوات البحرية العربية في مياه المتوسط** 15 - 18

(5) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 260/4؛ البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 159 – 161؛ ابن حجر العسقلاني، أحمد **الإصابة في تمييز الصحابة** 93/3؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 490/2؛ كرد علي، محمد، **خطط الشام** 35/5

(6) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 150 ؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 239/10؛ الحموي، ياقوت **معجم البلدان** 169/5 – 170

(7) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 26/2

(8) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 248/4؛ الذهبي، شمس الدين محمد، **تاريخ الإسلام** 31/4 – 32؛ البلاذري، أحمد **فتوح البلدان** 202؛ ابن أعثم، أحمد، **الفتوح** 108/2؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 26/3 ويروى أنه كان يسمى حبيب الروم لكثرة غزواته في بلادهم (ابن العديم، عمر، **زبدة الحلب في تاريخ حلب** 21)

(9) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 304/4؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 25/3؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 243/10؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 704/16؛ الذهبي، شمس الدين محمد، **دول الإسلام** 22/1 الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 49/4؛ وقال القضاعي، محمد، **تاريخه** 304 إن معاوية سار في ثلاثين ألفاً؛ عبد الوهاب، محمد **مختصر سيرة الرسول** 488

المبكر في غزو القسطنطينية من أهم العوامل التـي أثـارت انتبـاه الـروم، ومـن ثـم أدت لنشوب معركـة ذات الصواري البحرية34هـ/654م[1] .

غيـر أنـه يخيّـل إلـيّ أن حملـة – فـي هـذه المرحلـة المبكـرة مـن الفتـوح، ومـن تكـوين الأسـطول الإسلامي– إلى القسطنطينية قد تكون مستبعدة، بدليل أن المسلمين حينما أرسلوا حملاتهم إليها لـم يكـن ذلك بالسهولة واليسر، بل سبق ذلك تحركات وغزوات لبلاد الروم، بقصد الاستكشاف والتدرب علـى ميدان آسيا الصغرى، ودروبها، وبهذا ربما يكون المضيق الذي أوردتـه الروايـة هو مكـان فـي منطقـة آسيا الصغرى، وما يعزز ذلك أن ياقوت الحموي[2] حينما عرف الدرب قال : "هو المنطقة الواقعة بين طرسوس وبلاد الروم لأنه مضيق كالدرب"، وربما كان هذا هو المضيق المقصود بغزوة معاويـة تلك بدليل أن معاوية في العام التالي 33هـ/654م غزا حصن المرأة من أرض الروم من ناحيـة ملطيـة[3] وبهذا يمكن القول إن حملـة معاويـة عـام 32هــ/653م كانـت حملـة موجهـة إلـى بـلاد الـروم فـي آسيا الـصغرى، ضـمن الـسياسة الإسـلامية القاضـية بفتحهـا، ومـا كلمـة المـضيق إلا تعبيـراً قد يكـون أخـل المؤرخون في المقصود به، وعدوه مضيق القسطنطينية .

معركة ذات الصواري البحرية

وحينما شاهد البيزنطيون تفوق المسلمين البحري، وتوالي هزائمهم أمام المسلمين[4] ووصول حملـة إلى "المضيق"، أفزعهم ذلك، وقد استلزمت قوة العرب المتنامية من بيزنطـة أن تعمل علـى إجـراء مضاد لمواجهة هذه القوة الجديدة[5]، وفـي محاولـة لمنـع المسلمين مـن الوصـول إلـى منـاطق الأخشاب علـى سـواحل الأناضـول[6] أعـدوا خطـة لـضرب الأسـطول الإسـلامي الناشـئ ضـربة قاضـية، فحشدوا الـسفن وشـحنوها بـآلاف المقـاتلين المـزودين بـأنواع الأسـلحة، وتقـدموا لغـزو الإسـكندرية عـام 34هـ/654م[7]، غيـر أن الأسطول الإسلامي تحرك من الشام بقيادة معاوية، ومن مصر بقيادة عبد الله

---

(1) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 23/2

(2) **معجم البلدان** 447/2؛ الفزاري، إبراهيم، **السير** 109

(3) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 317/4؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 30/3

(4) نفسه 291/4

(5) رانسيمان، ستيفن، **الحضارة البيزنطية** 176

(6) لويس، آرشيبالد، **القوى البحريـة والتجاريـة في حوض البحر المتوسط** 92؛ العمري، عبد العزيز، **خطط الراشدين في البحر المتوسط**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب- القاهرة، مج1، ع8، 2000م، 332

(7) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التـاريخ** 39/3؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البدايـة والنهايـة** 258/7؛ المقريزي تقي الدين، **الخطط المقريزية** 92/2 ؛ غيـر أن الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 291/4 قال إنها كانت عام 31هـ، ثم عاد ليقول إنها كانت في عام 34هـ؛ العمري، عبد العزيز، **خطط الراشدين في البحر المتوسط**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب- القاهرة، مج1، ع8، 2000م، 338

ابن أبي السرح[1] لمواجهة حشود الروم في المعركة الشهيرة "ذات الصواري"34هـ/ 654م[2]، وهذا يدل على مدى التنسيق بين القواعد البحرية الإسلامية[3]، وقد دعيت هذه المعركة في المصادر الأوروبية بوقعة[4] فونيكة[5] والتي أسفرت عن أول انتصار بحري إسلامي على الروم[6]، حيث انتهى الأمر "بكارثة" بالنسبة للبيزنطيين[7]، وغدت تلك المعركة "يرموك ثانية" حطمت فيها القوى البيزنطية تحطيماً كاملاً[8]، بل غيرت مجرى تاريخ البحر المتوسط، فدفعت الإمبراطور البيزنطي في ذلك الوقت "قنسطانز" للتخلي عن أفكار البيزنطيين من طرد المسلمين من البلاد التي استولوا عليها في شرق البحر المتوسط[9]، وكانت البداية لأفول نجم التفوق البيزنطي، وجعل البحر المتوسط "بحيرة إسلامية" بعد أن تزعمه الأسطول البيزنطي ردحاً من الزمن، كما انتهت أحلامه باستعادة ما فقد في شرقه[10]، وبهذا استطاع الأسطول الإسلامي تأمين السواحل الإسلامية على البحر من خطر الغارات البيزنطية[11]، والذين فقدوا الكثير من الاستقرار، وتدهورت قوتهم العسكرية[12]، ويصف ابن

---

(1) الذهبي، شمس الدين محمد، **سير أعلام النبلاء** 34/3؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 71

(2) المسعودي، علي، **التنبيه والإشراف** 158 ؛ ابن تغري بردي، جمال الدين، **النجوم الزاهرة** 80/1 ؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 237/10، 260؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 13/3، 39؛ الذهبي، شمس الدين محمد **دول الإسلام** 23/1؛ ابن أعثم، أحمد، **الفتوح** 354؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 349/9؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 185/1؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 85؛ العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 62

(3) العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 96؛ العمري، عبد العزيز، **خطط الراشدين في البحر المتوسط**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب- القاهرة، مج1، ع8، 2000م، 338

(4) خنفر، خلقي، **الخلافة الراشدة** 134؛ ربيع، حسنين، **الإمبراطورية البيزنطية** 85؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 71؛ العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 62؛ البيشي، سعدية، **الجهاد البحري العثماني من خلال معركة ليبانتو** 8، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – مكة المكرمة 1997م

(5) **فونيكة**: ثغر يقع إلى الغرب من مدينة الإسكندرية، وبالقرب من مرسي مطروح (ماهر، سعاد، **البحرية في مصر الإسلامية**84)

(6) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 291/4، 292؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 3/ 153؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 258/7 ؛سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 15/1؛ عبد العليم، أنور، **الملاحة وعلوم البحر عند المسلمين** 93؛ ماهر، سعاد، **البحرية في مصر الإسلامية** 84

(7) لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط** 92

(8) حتي، فيليب، **تاريخ العرب** 204/4؛ ربيع، حسنين، **الإمبراطورية البيزنطية** 86؛ العمري، عبد العزيز، **خطط الراشدين في البحر المتوسط**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب- القاهرة، مج1، ع8، 2000م، 339؛ رمضان، عبد العظيم **الصراع بين العرب وأوروبا** 71

(9) العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 94 – 99

(10) ماجد، عبد المنعم، **التاريخ السياسي للدولة العربية** 34/1؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 53 الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 96؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 86؛ خنفر، خلقي **الدولة الأموية** 183؛ **تاريخ الحضارة الإسلامية** 198؛ العدوي، إبراهيم، **القوات البحرية العربية في مياه البحر المتوسط** 51 **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 62؛ عبد الجواد، ليلى، **مملكة القسطنطينية في مسالك الأبصار وممالك الأمصار للعمري**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة مج 15، 2007م، 310

(11) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 338/2؛ عواد، محمود، **الجيش والأسطول الإسلامي في العصر الأموي** 267 رسالة دكتوراه الجامعة الأردنية - عمان 1992م ؛ العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 62

(12) أبو ريدة، جمال، **الخداع العسكرية للمسلمين في صدر الإسلام** 197، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية - غزة 2009م

خلدون[1] سيادة الأسطول الإسلامي على البحر المتوسط بقوله :" فأساطيل المسلمين ضربت عليهم (البيزنطيين) ضراء الأسد على فريسته، وقد ملأت الأكثر من بسيط هذا البحر عدة وعدداً، واختلفت في طرقه سلماً وحرباً، فلم تظهر للنصرانية فيه ألواح"، وقد أدى انتزاع المسلمين لبلاد الشام، ومصر وانتصاراتهم البحرية إلى فقدان البيزنطيين قدراً كبيراً من سمعتهم وصيتهم[2] .

وبالرغم من أن تلك المعركة كانت ضمن السياسة الإسلامية الدفاعية، إلا أنها جعلت المسلمين يدركون أنهم أصبحوا قوة بحرية لا يستهان بها[3]، وتلاشت أحلام الروم بالعودة لما خسروه من مناطق بل محاولة الحفاظ على ما تبقى لهم في آسيا الصغرى[4]، وبذلك تهيأت الفرصة لفتح القسطنطينية غير أن بعض الاضطرابات التي لحقت بالدولة الإسلامية، كان لها دور في عدم تمكن المسلمين من فتح القسطنطينية بعد هذا النصر الحاسم[5]، فالفتنة التي اندلعت ضد عثمان بن عفان عوقت إفادة المسلمين من هذا النصر[6]، فامتنع المسلمون عن الغزو في البحر لانشغالهم بتلك الحروب[7]، ولم تكن هناك شاتية ولا صائفة حتى اجتمعت الأمة على معاوية بن أبي سفيان[8]، الذي أخذ يجني ثمار هذا الانتصار بعد أن استقر الأمر له عام 41هـ/661م [9] .

وخلاصة القول، إن تكوين الأسطول الإسلامي أوجد فرصاً ناجحة لحماية السواحل الإسلامية فضلاً عن الهجوم المظفر على أعدائها، فبدأ المسلمون بشن الحملات البحرية بدورهم[10]، حتى غدت سيطرتهم على سواحل المتوسط كالهلال على ما يقرب من ثلث شواطئه[11]، وتقدمت قوات البحرية الإسلامية نحو قلب الإمبراطورية البيزنطية[12] ووصلت إلى القسطنطينية مرات عدة، بالرغم مما حل بالدولة الأموية من الثورات، فتحولت الدولة الإسلامية - في ذلك الوقت - من دولة قارية إلى دولة ذات طابع متوسطي[13]، وهذه الحملات هي التي سنذكرها فيما بعد .

---

(1) **المقدمة** 221

(2) لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط** 93

(3) ماهر، سعاد، **البحرية في مصر الإسلامية** 84 – 85؛ آل كمال، سليمان، **الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية** 541 رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى - مكة المكرمة 1998؛ العمري، عبد العزيز، **خطط الراشدين في البحر المتوسط**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب- القاهرة، مج1، ع8، 2000م، 339

(4) رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 72

(5) حتي، فيليب، **تاريخ العرب** 204/4 – 205 ؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 94 – 99؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 31/2؛ Ostrogorsky, **History of The Byzantine State**, P.103

(6) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 48/3؛ الذهبي، شمس الدين محمد، **تاريخ الإسلام** 22/4؛ أبو زرعة، عبد الرحمن **تاريخه** 181/1؛ ربيع، حسنين، **الإمبراطورية البيزنطية** 86؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 72

(7) المسعودي، علي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر** 387/2

(8) الذهبي، شمس الدين محمد، **تاريخ الإسلام** 22/4؛ أبو زرعة، عبد الرحمن، **تاريخه** 181/1

(9) العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 143؛ العمري، عبد العزيز، **خطط الراشدين في البحر المتوسط**، مجلة المؤرخ العربي اتحاد المؤرخين العرب- القاهرة، مج1، ع8، 2000م، 339

(10) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 134 – 135

(11) لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية والتجارة في حوض البحر الأبيض المتوسط** 103

(12) ساليفان، ريتشارد، **ورثة الإمبراطورية البيزنطية** 70

(13) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 41/2 ؛ مؤنس، حسين، **المسلمون في البحر المتوسط** ، المجلة التاريخية المصرية مج4 ،ع1 مايو 1951م، 19؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 18

الحملة الأولى: في عهد معاوية بن أبي سفيان عام 49هـ/668م

الاستعدادات الإسلامية

ولما توطد الملك لمعاوية بن أبي سفيان (ﷺ) (41-60هـ/661-680م)[1] واصل محاربة الروم في البر والبحر، إذ لا يمكن الفصل بين عهده كوالٍ على الشام، وعهده كخليفة في سياسته تجاه الروم، بل ظل أساس هذه السياسة واحداً[2]، باتباع سياسة هجومية في البر والبحر، والتي بلغت ذروتها في محاصرة القسطنطينية[3]، إذ ظلت تلك المدينة وأجزاء من الإمبراطورية البيزنطية سليمة، ولمس معاوية هذه الخطورة في فترة الخلاف التي حدثت بينه وبين علي بن أبي طالب (ﷺ) (35-40هـ/656-660م)، لذلك عقد هدنة مع البيزنطيين عام 38هـ/659م، استعد خلالها بدفع مبلغ من المال[4]، ريثما تتحسن أمور دولته[5] .

ولكنه سرعان ما رفض دفع هذه الإتاوة، الأمر الذي مهد الطريق أمام حملات جديدة، أمكن للقوة البحرية الإسلامية أن تلعب دوراً بارزاً فيها[6]، ولعل السبب في ذلك هو نقل عاصمة الدولة الإسلامية إلى دمشق القريبة من الحدود البيزنطية، والتي جعلت وجه الدولة الأموية شاخصاً إلى الغرب، وبدأت سياسة توسع في هذا الاتجاه[7]، بهدف تحطيم قوى الروم، وفتح عاصمتهم[8]، لذلك تعد حملات

---

(1) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك**162/5؛ المسعودي، علي، **مروج الذهب** 33/3؛ اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 217/2 اليافعي، عبد الله، **مرآة الجنان** 96/1؛ العصفري، خليفة ابن خياط، **تاريخه** 203؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 12/3 ابن العديم، عمر، **زبدة الحلب في تاريخ حلب** 23؛ المقريزي، تقي الدين، **الذهب المسبوك** 53؛ ابن العبري، غريغوريوس، **تاريخ مختصر الدول** 187؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 429/11؛ ابن الطقطقا، محمد، **الفخري في الآداب السلطانية** 103؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 188/1؛ عبد الوهاب محمد، **مختصر سيرة الرسول**503

(2) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 39/2 ؛ آل كمال، سليمان، **الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية** 473، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1998؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 13؛ العمري عبد العزيز، **خطط الراشدين في البحر المتوسط**، مجلة المؤرخ، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، مج1،ع8، 2000م، 340

(3) ماجد، عبد المنعم، **التاريخ السياسي للدولة العربية** 36/1 ؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 18

(4) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 166 – 167؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 88/3؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل **البداية والنهاية**400/11؛ الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 186/10؛ ابن قتيبة، عبد الله، **الإمامة والسياسة** 160/2 الدينوري، أحمد، **الأخبار الطوال** 157؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 72؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 131؛ ؛ خنفر، خلقي، **الدولة الأموية** 124

(5) العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 143؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 14؛ ماجد، عبد المنعم **التاريخ السياسي للدولة العربية** 35/1؛ ؛ خنفر، خلقي، **الدولة الأموية** 125

(6) اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 258/2

(7) مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 15؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 96

(8) بركات، وفيق، **فن الحرب البحرية** 13؛ العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 64

المسلمين على القسطنطينية حجر الزاوية في بناء سياستهم الحربية في البحر[1]، فقد كان معاوية قادراً على فهم وتقدير خطر الروم، وعلى مواجهته أيضاً، فقد أكسبه عمله كوالٍ في الشام خبرة واسعة في أحوال البيزنطيين، وسياستهم، وأهدافهم، فرسم سياسة محكمة لمواجهة خطرهم تقوم على إشغال البيزنطيين بحروب متواصلة، مع انتهاز الفرص لغزو القسطنطينية ذاتها[2]، نتيجة لجوار الإمبراطورية البيزنطية، وقوتها، ونديتها، وعدم اطمئنان العرب لجانبها[3]، لذلك كان لا بد من القضاء على تلك الإمبراطورية، كما تم القضاء على إمبراطورية الفرس من قبل، كما مثلت أحاديث النبي (ﷺ) محفزاً له ولغيره ممن حاولوا فتح القسطنطينية لينالهم الأجر، والثواب، والمغفرة، وقد سار معاوية بن أبي سفيان في تحقيق هذا الهدف بالقيام بالاستعدادات الآتية :

أولاً: الاهتمام بدور صناعة السفن، واختيار أمهر الصناع للعمل فيها، والإغداق عليهم بالأجور والهبات حتى يبذلوا قصارى جهدهم بالعمل[4]، إذ أن سياسته كانت موجهة نحو الاشتباك مع البيزنطيين والسيطرة على البحر المتوسط[5]، على عكس الفرس الذين أهملوا أمر الأسطول عندما سيطروا على الشام، وبالتالي استطاع البيزنطيون استعادته منهم[6]، وقد بلغ الأسطول الإسلامي في تلك الفترة حوالي ألف وسبعمائة سفينة[7]، منها ثلاثمائة سفينة كبيرة تحمل الواحدة منها ألف رجل وعدد الطرادات خمسة آلاف، كل منها يحمل مائة رجل[8]، وقد اعتمد معاوية في ذلك على ذوي الخبرة في فن وبناء السفن الحربية، فقد طلب من أحدهم أن ينشئ مركباً له مجاذيف في جوفه

---

(1) العدوي، إبراهيم، **الأساطيل العربية في حوض البحر المتوسط** 45؛ بركات، وفيق، **فن الحرب البحرية** 36 -37؛ مصطفى نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 13

(2) الأحمد، ناصر، **حركة الجهاد والفتح في عهد الدولة الأموية** 95، رسالة دكتوراه، معهد الدعوة الجامعي، لبنان بيروت 2008م

(3) الأسطل، عبد القادر، **مسلمة بن عبد الملك حياته وجهاده** 74، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية- غزة 2007م

(4) أبو الفرج، قدامة بن جعفر، **الخراج** 290؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 143/4؛ كرد علي، محمد، **خطط الشام** 37/5 عبد اللطيف، عبد الشافي، **العالم الإسلامي في العصر الأموي**245؛ العمري، عبد العزيز، **خطط الراشدين في البحر المتوسط** مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب- القاهرة، مج1، ع8، 2000م، 344

(5) رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 61

(6) نفسه 96

(7) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 15/1، 189؛ كرد علي، محمد، **خطط الشام** 37/5؛ حسن، إبراهيم **تاريخ الإسلام** 228/1؛ الخضري، محمد، **الدولة الأموية** 276؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 74؛ خنفر خلقي، **الدولة الأموية** 184

(8) ماهر، سعاد، **البحرية في مصر الإسلامية** 75

ليستخدمه في غزو بلاد الروم[1]، وفي الوقت نفسه أعد قواته البرية التي خصصت للتعاون مع القوات البحرية في الهجوم على القسطنطينية[2] .

ثانيًا: تقوية ثغور البحر المتوسط في مصر والشام، وتحصين المدن الساحلية، وتزويدها بالقوات لجعلها قواعد لنقل الجنود بحرًا إلى أي مكان يشاء، خاصة وأن الإمكانات العسكرية أضحت متاحة بعد تقوية الأسطول البحري، الذي شحن بالسلاح، وأمطر بالعساكر والمقاتلين لمن وراء البحر من أمم الكفر[3]، فقام معاوية بترميم وبناء القلاع والحصون، وتقويتها، وتدعيمها على السواحل ومفارق الطرق البرية المؤدية إلى الأراضي البيزنطية، وقد عرفت هذه القلاع بالثغور أو العواصم[4] وهي قسمان[5]: ثغور الجزيرة، مثل: ملطية[6] وزبطرة[7]، ومرعش[8]، والحَدَث[9]، وسميساط[10] وقد كانت مهمتها حماية الدولة من هجمات الروم البيزنطيين[11]؛ وثغور الشام، بالقرب من الساحل

---

(1) النويري، شهاب الدين أحمد، **نهاية الأرب** 186/6؛ كرد علي، محمد، **خطط الشام** 36/5؛ ماهر، سعاد، **البحرية في مصر الإسلامية** 85، 165؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 337/1؛ وقد أوجد المسلمون العديد من أنواع السفن، ومنها ذات الشراع المربع، والقراقير، والزوارق، والشواني، والعشاريات، ولكل واحدة منها مكانتها في الحرب، ومنها من كانت ذات طوابق ثلاثة، وهناك الغربان لنقل الغزاة، وهي تسير بالمجاذيف، ومنها وما له مئة وثمانون مجذافاً (عبد العليم، أنور، **الملاحة وعلوم البحر عند المسلمين** 83) وللاستزادة حول بناء وأنواع وأحجام السفن في العصر الأموي وما تلاه من عصور ينظر ماهر، سعاد، **البحرية في مصر الإسلامية** 165 – 187، 327- 373؛ عواد، محمود، **الجيش والأسطول الإسلامي في العصر الأموي** 411، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية - عمان 1992م

(2) العدوي، إبراهيم، **الأساطيل العربية في حوض البحر المتوسط** 45؛ بركات، وفيق، **فن الحرب البحرية** 55؛ ماهر، سعاد **البحرية في مصر الإسلامية** 85

(3) اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 354/1؛ الإصطخري، إبراهيم، **مسالك الممالك** 71؛ سيرهنك، إسماعيل **حقائق الأخبار عن دول البحار** 16/1 ماهر، سعاد، **البحرية في مصر الإسلامية** 73، 147

(4) **العواصم**: جمع عاصم وهو المانع، وهي حصون وموانع وولاية تحيط بها بين حلب وأنطاكيا، وقصبتها أنطاكيا، وقيل منبج وقد بناها قوم واعتصموا بها من الأعداء وأكثرها في الجبال، فسميت بذلك (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 237/6؛ وللاستزادة والتعرف إلى معظم الثغور والعواصم، (ينظر :شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**206؛ عثمان، فتحي **الحدود الإسلامية البيزنطية**213/1-257)

(5) شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** 212

(6) **ملطية**: مدينة مشهورة من مدن الروم تتاخم الشام (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 192/5؛ القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 488) بينها وبين الفرات جبل كمخ (شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**214)

(7) **زبطرة**: مدينة من مدن الروم، تبعد عن ملطية خمسة فراسخ، وعن سميساط واحد وعشرون فرسخاً، وعن الحدث أربعة فراسخ (ابن خرداذبة، عبيد الله، **المسالك والممالك** 97؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 130/3 – 131؛ فازيلف، **العرب والروم** 125)

(8) **مرعش**: مدينة كبيرة، ذات خيرات كثيرة، تقع في الثغر بين الشام وبلاد الروم (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 107/5 القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 488؛ شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**214)

(9) **الحدث**: قلعة حصينة بين ملطية، وسميساط، ومرعش، وهي من الثغور(الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 227/2)

(10) **سميساط**: مدينة على شاطئ الفرات الغربي، من طرف بلاد الروم(الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 258/3)

(11) الجنزوري، علية، **الثغور البرية الإسلامية** 20 – 25؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 21

الـشمالي لخلـيج الإسـكندرونة[1]، كالمصيـصة[2] وأذنـة[3]، وطرسـوس[4] ومهمتهـا مهاجمـة الدولـة البيزنطية ذاتها[5] ويرجع الفضل إلى معاوية في إقامة نظم عسكرية فعالة في الثغور على عكس ما كانت عليه أيام الراشدين الذين نظروا إلى السواحل على أنها مصدر خطر لا حد أمان[6] .

ومن أجل أن يطمئن معاوية على صمود هذه الثغور أمام هجمات البيزنطيين، فقد أعاد تعميرها وتحصينها، وإسكانها بالجند، وتعهدها باستمرار[7]، وشحنها بالمقاتلة الذين أجرى عليهم الأعطيات فعرف هؤلاء بالمرابطة أو المرابطين لحمايتها من هجمات الروم[8]، ولتكون ملجأ يحتمي به الأهالي - في المناطق الساحلية - إذا ما لاح خطر السفن البيزنطية في المياه الإقليمية، فكان الحصن في الرباط يضم حجرات للجند ومساكن لهم، ومخازن للأسلحة والمؤن وبرجاً للمراقبة، ثم لم يلبث أن اتسع وازدادت أهميته حتى أصبح قاعدة للهجوم وشن الغارات[9] .

---

(1) **الإسكندرونة**: مدينة تقع شرقي أنطاكيا على ساحل بحر الشام (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 182/1؛ القرماني، أحمد **أخبار الدول وآثار الأول** 327)

(2) **المصيصة**: مدينة كبيرة، ذات خيرات كثيرة، تقع في الثغر بين الشام وبلاد الروم (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 107/5 القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 488؛ الفزاري، إبراهيم، **السير** 50)

(3) **أذنة**: مدينة مشهورة من مدن الثغور، قرب المصيصة (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 165/1؛ شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** 214) وكانت قديماً بيد الأرمن (القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 324)

(4) **طرسوس**: مدينة بثغر الشام، بين أنطاكيا وحلب وبلاد الروم (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 28/4؛ شيخ الربوة، محمد **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** 214)

(5) الجنزوري، علية، **الثغور البرية الإسلامية** 20 – 25 ؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 21

(6) الجاسم، هاشم، **دراسات تاريخية عسكرية عن الثغور البيزنطية العربية منذ الفتح العربي للشام إلى نهاية العصر العباسي الأول** 79، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة - القاهرة 1971؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات**21

(7) ينظر: البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 244؛ أبو الفرج، قدامة بن جعفر، **الخراج** 319 – 320؛ الحميري، محمد، **الروض المعطار** 541؛؛ خنفر، خلقي، **الدولة الأموية** 125؛ ليسترنج، كي، **بلدان الخلافة الشرقية** 160 – 161؛ العدوي، إبراهيم **الأمويون والبيزنطيون** 110؛ الجاسم، هاشم، **دراسات تاريخية عسكرية عن الثغور البيزنطية العربية منذ الفتح العربي للشام إلى نهاية العصر العباسي الأول** 90، رسالة ماجستير، كلية الآداب ، جامعة القاهرة، القاهرة 1971

(8) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 156؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 38/1، 212/3؛ ابن خلدون، عبد الرحمن **المقدمة** 162/1

(9) ينظر: العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 83 – 84؛ الجاسم، هاشم، **دراسات تاريخية عسكرية عن الثغور البيزنطية العربية منذ الفتح العربي للشام إلى نهاية العصر العباسي الأول** 89، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة - القاهرة 1971؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 21؛ جلال، آمنة، **دور مكة والمدينة في الثقافة الإسلامية عصر الوليد بن عبد الملك** ، مجلة المؤرخ العربي، ع15، 2007م، 114

ثالثًا: الاستيلاء على جزر البحر المتوسط، وإسكانها بالمسلمين[1]، فشرق البحر المتوسط تنتشر فيه الجزر التي تقسمه إلى بحار داخلية صغيرة، تتصل مع بعضها بمضائق تتحكم بمداخلها وأطرافها والسيطرة عليها يسد كل المنافذ أمام الأسطول البيزنطي إذا ما رغب في مهاجمة المسلمين[2]، وجعلها رباطًا يدافعون منه عن الشام، فأحاطها بالجو الديني لإعلاء راية الإسلام بين أهاليها، فافتتحت جزيرة رودس[3] عنوة[4]، وأقام بها جنداً من أشد جند المسلمين[5]، ثم جزيرة أرواد[6] القريبة من القسطنطينية[7]، والتي أسكنت بجند المسلمين، وذلك عام 54هـ/674م[8]، كما فتحت جزيرة إقريطش(كريت)[9]، التي اتخذت قاعدة بحرية للمسلمين أيضاً[10]، وقد كان الهدف من فتح تلك الجزر هو تدريب البحرية الإسلامية، وإكسابها الخبرة القتالية تمهيداً لفتح القسطنطينية، بالإضافة إلى نشر

---

(1) الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 162/1؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 22/3؛ كرد علي، محمد، **خطط الشام** 36/5؛ العمري، عبد العزيز، **خطط الراشدين في البحر المتوسط**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب القاهرة، مج1، ع8، 2000م، 344؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 46

(2) العدوي، إبراهيم، **قوات البحرية العربية في مياه المتوسط** 36؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات**17

(3) **رودس**: بضم أوله وكسر ثالثه، جزيرة ببلاد الروم ، تقابل الإسكندرية، وبينهما البحر المتوسط على ليلة منها (الحموي ياقوت، **معجم البلدان**87/3؛ القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 343) كان بها حصنان للروم (شيخ الربوة، محمد **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** 141)، وهي معتدلة الهواء، خصبة التربة، تكثر فيها زراعة الورد، لذلك لقبها اليونان باسم الورد (جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 100)

(4) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 278

(5) حدث اختلاف في تاريخ فتحها، فقيل سنة52هـ/672م، وقيل 53هـ/673م (البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 278؛ الطبري محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 88/5؛ ابن أعثم، أحمد، **الفتوح** 354/1؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 22/3؛ ابن تغري بردي، جمال الدين، **النجوم الزاهرة** 144/1

(6) **أرواد**: جزيرة من جزر الروم في البحر المتوسط قرب القسطنطينية (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 162/1) من جهة ثغر أنطرسوس (شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** 142)

(7) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 293/5؛ البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 279؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 162/1؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 22/3؛ شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**142؛ كرد علي، محمد، **خطط الشام** 36/5؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات**35؛ الجاسم، هاشم، **دراسات تاريخية عسكرية عن الثغور البيزنطية العربية منذ الفتح العربي للشام إلى نهاية العصر العباسي الأول** 90، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة - القاهرة 1971

(8) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 279؛ الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 293/5؛ ابن أعثم، أحمد، **الفتوح** 354/1 ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 23/3؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 162/1؛ كرد علي، محمد، **خطط الشام**36/5

(9) **كريت**: جزيرة من جزر البحر المتوسط، بها مدن وقرى كثيرة، يقابلها من بر إفريقيا ليبيا، وبينها وبين الإسكندرية ستمائة ميل (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 236/2؛ جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 143) وهي غنية بالمعادن الثمينة كالذهب (شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**142)

(10) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 279؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 236/1؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 35

الإسلام، وتأمين فتوحاتهم[1]، فكانت سيطرة المسلمين على جزر البحر المتوسط هي التي مهدت الطريق أمامهم، وهيأت الظروف لتوجيه الحملات نحو القسطنطينية براً وبحراً[2] .

رابعًا: تحصين أطراف بلاد الشام وسواحلها[3]، وشحنها بالمقاتلة، لصد غارات البيزنطيين من ناحية، ولتكون سندًا للقوات الزاحفة على القسطنطينية من ناحية ثانية، فقد قام البيزنطيون عند انسحابهم من بلاد الشام بتخريب المناطق الواقعة شمال حلب وأنطاكيا[4]، لئلا يستفيد منها المسلمون كما خربوا معظم الحصون فيما بين الإسكندرونة وطرسوس[5]، فرأى معاوية ضرورة الاهتمام بهذه المناطق وتعميرها، وتحصينها، فاهتم بمدينة أنطاكيا التي كانت معرضة للإغارات البيزنطية المفاجئة، واتبع في تعميرها السياسة التي سار عليها إزاء المدن الساحلية للشام، إذ أغرى الناس للإقامة بها[6]، بمنحهم القطائع[7] من الأرض، وقوى الرباط المخصص للدفاع عنها، وأخذ يوالي تعمير تلك المدن حتى أصبحت حدود الشام تتاخم مباشرة جبال طوروس[8]، كما عمل على تحصين مرعش والحدث، وأسكنها بالجند، وكان يتعهدها باستمرار[9] .

---

(1) لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية والتجارية في حوض المتوسط** 88

(2) عاقل، نبيه، **خلافة بني أمية** 87؛ خماش، نجدت، **الشام في صدر الإسلام** 206؛ الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 95؛ لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية والتجارية في حوض المتوسط** 92

(3) رستم، أسد، **الروم في سياستهم وحضارتهم** 261

(4) **أنطاكيا**: مدينة معروفة من الثغور الشامية (البكري، عبد الله، **معجم ما استعجم** 200/1)، وعدها الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 266/1 قصبة العواصم في الثغور الشامية، ووصفها بطيب الهواء، وعذوبة الماء، وكثرة الفواكه، وسعة الخير، بناها أحد قادة الإسكندر سنة 300 ق.م، وأطلق عليها أنطاكيا نسبة إلى أبيه انطاكيوس (جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 52)، هذا وكانت إحدى كراسي ملك الروم، الذين يسمونها مدينة الله تعظيماً لها (شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** 206؛ القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 324-325؛ القزويني، زكريا، **آثار البلاد وأخبار العباد** 150) والمعروف أن أنطاكية تكتسب أهمية خاصة لدى النصارى، فهي أول مدينة تقام بها كنيسة نصرانية، وكانت تتمتع بحصانة طبيعية، وأسوار منيعة، ولكنها سقطت بسهولة لأن هناك موجة من الاضطرابات، والشغب، سادت المدينة في بداية حكم هرقل (ينظر:رستم، أسد، **كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى** 154/1)

(5) ينظر: البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 168

(6) نفسه 169؛ خنفر، خلقي، **الدولة الأموية** 125

(7) لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية والتجارية في حوض المتوسط** 88؛ الجاسم، هاشم، **دراسات تاريخية عسكرية عن الثغور البيزنطية العربية** 90، رسالة ماجستير، كلية الآداب ، جامعة القاهرة – القاهرة 1971م

(8) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 11/ 156؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 110

(9) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 224-225؛ أبو الفرج، قدامة بن جعفر، **الخراج** 319-320؛ الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار** 541؛ ليسترنج، كي، **بلدان الخلافة الشرقية** 161

خامساً: الغزو المستمر لبلاد الروم[1] عن طريق " الصوائف والشواتي"[2]، والتي كان معاوية يشرف عليها بنفسه[3] ويختار لها كبار القواد[4]، الذين كان يحثهم على الصبر والمصابرة في مجابهة العدو[5]، بعد أن يكتب لهم العهد بذلك[6] ويعقد لهم لواءً أو راية[7]، ونستطيع أن نرصد في عهد معاوية إحدى عشرة شاتية في إحدى عشرة سنة، وشاتيتين في سنة واحدة، إلى جانب أربع سنوات خرج في كل منها صائفة وشاتية[8]، فوجه شاتية بقيادة بسربن أبي أرطأة[9]عام43هـ/663م،وقد التقت مع الروم

---

(1) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 287/3؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 11/3؛ ؛ الذهبي، شمس الدين محمد **دول الإسلام** 38/1

(2) **الصوائف والشواتي**: هي عبارة عن جيوش تخرج في الصيف أو الشتاء تغير على الروم، وتغزو بلادهم (ينظر: الطبري محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 5/ 172؛ البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 189؛ الذهبي، شمس الدين محمد، **سير أعلام النبلاء** 151/3)، وقد كانت الصوائف تبدأ من منتصف مايو وحتى منتصف يونيو، حين تسمن الخيول من مراعي الربيع فتستمر شهراً كاملاً، وفي أثناء الغزو تجد الخيل من مراعي الروم غذاء وفيراً، وغزوات الصيف تبدأ من منتصف يوليو وحتى منتصف سبتمبر، أي تستمر شهرين متتاليين، أما الشواتي فكانت تبدأ من أواخر فبراير وحتى النصف الأول من مارس (ينظر أبو الفرج قدامة بن جعفر، **الخراج** 192 – 193 ؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية** 125 – 126؛ عبد اللطيف عبد الشافي، **العالم الإسلامي في العصر الأموي** 248؛ ماهر، سعاد، **البحرية في مصر الإسلامية** 305؛ فازيلف، **العرب والروم** 91؛ العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 93 - 94

(3) القلقشندي، أحمد، **صبح الأعشى** 264/3 ؛ آل كمال، سليمان، **الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية** 314، رسالة دكتوراه جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1998

(4) اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 217/2

(5) للمزيد حول تحريض ووصايا معاوية للجند على القتال، ينظر: ابن أعثم، أحمد، **الفتوح** 548/1

(6) إذ أن معاوية لم يكن ليسير جيشاً إلا وكتب لقائده عهداً، فقد كتب معاوية بن أبي سفيان عهده لعبد الرحمن بن خالد لقيادة إحدى الصوائف، وقال له: ما أنت صانع في عهدي؟ قال أتخذه إماماً لا أعصيه، فقال معاوية رد علي عهدي، ثم بعث لسفيان بن عوف فكتب له عهده، وسأله ما الذي يصنعه، فقال سفيان: أتخذه أماماً أمام الحزم، فإن خالفه خالفته، فقال معاوية: هذا الذي لا يكفف من عجلة، ولا يدفع في ظهره خور، ولا يضرب على الأمور ضرب الجمل الثقال (ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 349/21- 350 ابن عبد ربه، أحمد، **العقد الفريد** 132/1-133)

(7) كانت الجيوش في الخلافة الأموية لا تخرج إلا بعد أن يعقد الخليفة لقائده لواءً أو راية، تكون لهم شعاراً يسيرون خلفها ويذودون عنها، فنرى الواحد يصرع تلو الآخر وكل همه بقاءها منصوبة (الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 563/4، 197/5، 208، 209)

(8) الجنزوري، علية، **الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية** 20؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 19 - 20

(9) **بسر بن أبي أرطأة**: ولد بمكة قبل الهجرة، وأسلم وهو صغير، كان من رجال معاوية بن أبي سفيان، ولاه البحر فغزا الروم سنة 50هـ/669م فبلغ القسطنطينية، وأصيب بعد ذلك في عقله، فلم يزل معاوية مقربا له، وهو على تلك الحال إلى أن مات في دمشق وقيل في المدينة، عن نحو تسعين عاماً (ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 144/10-145؛ الزركلي، خير الدين **الأعلام** 51/2)

وأنزلت بهم هزيمة، لمنعهم من استعادة[1] أرمينيا[2]، و قيل إنها بلغت القسطنطينية[3] أو أذنه[4]؛ هذا وقد استعمل معاوية عبد الرحمن بن خالد بن الوليد[5] على غزو بلاد الروم[6] فشتى ما بين سنتي 44 و46هـ/664 و666م[7] في أرضهم، ثم انتقل إلى إقليم أنقرة[8]، فاستولى على بعض مدن الشواطئ الغربية لآسيا الصغرى[9] وتسلم جزية عمورية[10]، وخلف حامية فيها، ثم اتجه إلى قلاع شمال عمورية، ليتوقف بعد ذلك و يعود إلى حمص[11]؛ كما شتى عبد الرحمن بن خالد، وبسر ابن أبي أرطأة في حملتين منفصلتين في بلاد الروم عام 44هـ/664م[12]، وغزا معاوية بن حديج جزيرة صقلية[13] واختلف في من شتى بأرض الروم عام 46هـ/666م[14]،غير أن

---

(1) رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 97

(2) **أرمينيا**: هي بلاد الأرمن، تقع إلى الشرق من آسيا الصغرى (جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 44)

(3) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 181/5؛ الذهبي، شمس الدين محمد، **تاريخ الإسلام** 11/4؛ اليافعي، عبد الله **مرآة الجنان** 97/1؛ العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 206؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 7/10؛ ابن الأثير، عز الدين **الكامل في التاريخ** 425/3؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 11/3، أما عن بلوغ بسر القسطنطينية فغير دقيق، لأن الطبري محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 181/5 أوضح أن قوماً من أهل الأخبار قد أنكروا ذلك .

(4) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 148/10، 149، كما روى أنه شتى عام 44هـ/664م بأرض الروم في منطقة الجمد .

(5) **عبد الرحمن بن خالد**: كان عظيم القدر في أهل الشام، شهد مع معاوية صفين، وقيل إنه مات مسموماً في خلافة معاوية (الزبيري، مصعب، **نسب قريش** 224؛ ينظر ترجمته في ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 324/34 – 333)

(6) ابن العديم، عمر، **زبدة الحلب** 24؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 328/34

(7) العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 206؛ الذهبي، شمس الدين محمد، **تاريخ الإسلام** 12/4؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل **البداية والنهاية** 164/11؛ ابن العماد، عبد الحي، **شذرات الذهب** 54/1؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 298/3 ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 11/3؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 329/34،328

(8) **أنقرة**: مدينة في بلاد الروم كانت تسمى أنكورية، فتحها المعتصم عند ما فتح عمورية (ينظر: الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 271/1 -272 القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 325)

(9) رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 98

(10) **عمورية**: مدينة في بلاد الروم، كان فتحها من أعظم فتوح الإسلام (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 158/4) وهي ذات بساتين، وزروع، وأشجار، وأنهار(القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 465)

(11) ينظر: عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 42/2

(12) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 212/5 ؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 164/11 ابن الأثير عز الدين، **الكامل في التاريخ** 298/3؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 11/3؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق**21/ 349، 329/34

(13) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 237؛ ابن أعثم، أحمد، **الفتوح** 362

(14) فقيل مالك بن هبيرة الفزاري، وقيل بل مالك بن عبد الله، وقيل كان عبد الرحمن بن خالد (الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 227/5؛ العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 208؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 173/11 ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 309/3)، وقال البسوي، يعقوب، **المعرفة والتاريخ** 414/3 إنه في عام 46هـ/666م غزوة بسر بن شريك، ووافقه في ذلك ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 6/10؛ في حين أورد البلاذري أحمد، **فتوح البلدان** 195 أن من شتاها هو مالك بن عبد الله الخثعمي، الذي يقال له مالك الصوائف، حيث غزا بلاد الروم عام 46هـ/666م وغنم غنائم كثيرة ثم قفل، فلما وصل إلى الرهوة (على خمسة عشر ميلاً من حصن الحدث) إقام فيها ثلاثاً، فباع الغنائم، وقسم سهام الغنيمة فسميت تلك الرهوة بـ "رهوة مالك"

المصادر[1] اتفقت على أن من شتى بأرض الروم عام 47هـ/667م هو مالك بن هبيرة[2]؛ وأبو عبد الرحمن القيني بأنطاكيا[3] وشهد عام 48هـ/668م تكثيفاً للحملات الإسلامية على بلاد الروم، فقد شتى عبد الرحمن بن خالد، وعقبة بن عامر بأهل مصر في البحر، كما غزا مالك بن هبيرة البحر أيضاً[4] إضافة إلى صائفة عبد الله بن قيس الفزاري[5]، أما في عام 49هـ/668م، فكان فيها خروج أول حملة إلى القسطنطينية[6] وغزوة يزيد بن شجرة الرهاوي بالبحر[7]، وقد عمل معاوية على توجيه تلك الحملات من الصوائف والشواتي بهدف تحقيق الأهداف التالية :

1. دراسة الطرق المؤدية إلى العاصمة البيزنطية، واستطلاع الأنشطة المعادية لها [8] .

2. دراسة حالة البحر، والتيارات المائية، وتدريب القوات على عبورها[9]، فكانت هذه الحملات مدرسة للتدرب على الحرب، لتخريج الجيل الثاني من قادة المسلمين والذين أطلق عليهم " نابتة الفتح "

---

(1) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 231/5؛ العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخ خليفة** 208؛ الذهبي، شمس الدين محمد، **تاريخ الإسلام** 17/4؛ اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 240/2؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 311/3؛ ابن خلدون عبد الرحمن، **تاريخه** 11/3؛ واكتفى ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 176/11 بالقول إن المسلمين شتوا بأرض الروم في هذا العام .

(2) **مالك بن هبيرة**: من رؤساء كندة في العصر الأموي، ومن الخطباء، أدرك النبي (ﷺ) وروى عنه، وشارك في صفين إلى جانب معاوية، وكان أول من بايع لمعاوية، وولي له على حمص، وقد غزا في البحر عام 48هـ/668م، وتوفي سنة 65هـ/685م (ابن حجر العسقلاني أحمد، **الإصابة في تمييز الصحابة** 337/3؛ الزركلي، خير الدين، **الأعلام** 267/5)

(3) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 229/5 ؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 311/3؛ ابن خلدون عبد الرحمن، **تاريخه** 11/3

(4) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 179/11؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 313/3؛ ابن خلدون عبد الرحمن، **تاريخه** 10/3؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 329/34، 491/40؛ المقريزي، تقي الدين، **الخطط المقريزية**95/2؛ وأورد ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 501/40 أن عبد الرحمن بن خالد، وعقبة بن عامر افتتحما جزيرة رودس .

(5) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 229/5 ؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 313/3؛ ابن خلدون عبد الرحمن، **تاريخه** 10/3

(6) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 232/5 ؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 314/3؛ غير أن ابن خلدون عبد الرحمن، **تاريخه** 11/3 قال إن الحملة خرجت عام 50هـ/670م.

(7) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 232/5؛ العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 209؛ الذهبي، شمس الدين محمد **تاريخ الإسلام** 19/4؛ اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 239/2؛ المسعودي، علي، **مروج الذهب** 389/4؛ النويري، شهاب الدين أحمد، **نهاية الأرب** 323/20؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 23/8 ؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 314/3؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 299/48

(8) بركات، وفيق، **فن الحرب البحرية** 56

(9) يوليوس، فلهاوزن، **تاريخ الدولة العربية** 209؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 19

أولئك الذين نشأوا على حب الجهاد والفروسية، وسمعوا أحاديث المغامرات، والغزوات، والانتصارات من آبائهم وإخوانهم[1] .

3.جمع المعلومات اللازمة والضرورية من أجل وضع الخطط الحربية المناسبة .

4.استطلاع قوات العدو والاشتباك معه بشكل محدود، لدراسة مدى قوته والتعرف إلى أساليبه القتالية[2] .

5.شغل البيزنطيين في عقر دارهم بدافع متحرك من المعارك والغزوات بقصد إرهاقهم[3] .

وبعد أن أتم معاوية هذه الاستعدادات عمل على توفير كل ما يحتاجه الجيش من تموين بشتى أنواعه إذ كان ذلك من الأعمال التي كانت تتولاها الدولة وتوفره لعساكرها[4]، عاقداً العزم على ضرورة النجاح في اختراق القسطنطينية[5] ، بتوجيه أولى حملاته إليها .

الاستعدادات البيزنطية

هذا بالنسبة للمسلمين وما أعدوه لفتح القسطنطينية، في المقابل لم يكف البيزنطيون عن الإعداد ولم ينتهوا عن تجميع قواتهم لمواجهة قوة المسلمين في البحر، خاصة بعد تفوق المسلمين الظاهر فيه لدرجة أنها هددت الروم في آسيا الصغرى، وإيطاليا، وصقلية[6]، فقد ظنوا أن قوة المسلمين البحرية يمكن القضاء عليها، لأنها ما زالت في طور التكوين، غير أنهم فوجئوا بهزيمتهم في ذات الصواري فتوقعوا بعد ذلك أن تكون المعركة القادمة على أسوار القسطنطينية، فراحوا يستعدون لذلك، فعملوا على التعاون مع المردة[7] في تعطيل جهود المسلمين القاضية بفتح القسطنطينية، وذلك عام 47هـ/ 666م أي قبل انطلاق الحملة بعامين، إذ لما تطايرت أخبار الحملة إلى سلطان الروم اندفع

---

(1) رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 97

(2) بركات، وفيق، **فن الحرب البحرية** 56

(3) رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 97

(4) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 194/5، 231/6، 250، 255، 328، 432، 80/7؛ أبو الفرج، قدامة بن جعفر **الخراج** 308؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 111/4؛ ابن دقماق، إبراهيم محمد، **الجوهر الثمين** 65، 70

(5) عنان، محمد، **مواقف حاسمة في التاريخ** 36/1؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 22

(6) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 90/1؛ دياب، صابر، **المسلمون وجهادهم ضد الروم** 12

(7) **المردة**: ويسمون الجراجمة (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 123/2)وهم جماعة من سكان الجبال جندتهم بيزنطة لمواجهة المسلمين، وقد أطلقت عليهم اسم حائط آسيا الصغرى النحاسي (لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية في حوض المتوسط** 95) وكانت الإمبراطورية البيزنطية تستخدمهم كحائط يقيها هجمات المسلمين، وقد نقلتهم إلى أماكن عدة، منها آسيا الصغرى وصقلية، وغيرهما للاستزادة والتعرف أكثر (ينظر: الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 123/2؛ فرج، وسام، **العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية** 42-46)

الروم والمردة عبر جبال لبنان لإحداث اضطراب في صفوف الحملة المرتقبة، غير أن المردة لم يلبثوا أن عادوا إلى قواعدهم، حين عبأ معاوية قواته لقتالهم، مما دفع بالروم للانسحاب إلى آسيا الصغرى[1].

كما أن نظام الدفاع البيزنطي البحري كان يقوم على الاكتفاء بقوات بحرية صغيرة من الجنود المحترفين لشد أزر قوات الدفاع المحلية في المواقع البحرية، وقد احتفظت الدولة البيزنطية بقواعد بحرية ودور صناعة في كثير من المناطق : كقرطاجنة، والقسطنطينية، والتي كانت تزود الأسطول البيزنطي بكل ما يلزمه من العدة والعتاد، إضافة إلى قواعد في سبتة[2]، وجزر البليار[3]، وصقلية[4] . هذا وقد كانت الإمبراطورية البيزنطية تدعم أسطولها الحربي بالسفن التجارية لنقل الجنود والإمدادات، إذ كان لها العديد منها، فكان هناك أسطول مركزي إمبراطوري في القسطنطينية وأسطولان آخران في منطقة أسيا الصغرى، ورابط في الغرب أسطولان في صقلية، وقد احتفظ كل أسطول من هذه الأساطيل باكتفائه الذاتي من السفن، ووسائل الدفاع، ومعدات القتال، وذلك على نفقة الإقليم الذي يقيم فيه الأسطول، كما فرض على تلك الأقاليم تقديم ملاحين وسفن نقل ومؤونة[5] .

وهذا يوضح ضخامة الأساطيل البحرية البيزنطية، واستخدامها لموارد الإمبراطورية من مناطقها كافة، مع توزيع تكاليف الدفاع البحري على الأقاليم، مما أتاح لها حماية سواحل الإمبراطورية وعاصمتها بكل سهولة ويسر، وبتكاليف بسيطة .

كما فكر الإمبراطور البيزنطي "قنسطانز "أن ينقل مقر حكمه من القسطنطينية إلى صقلية ليربط دولته بما بقي لها في شمال إفريقيا، ولكن اغتياله[6] هو الذي عطل هذا المشروع[7]، كما أنه حاول

---

(1) بورفيروجنيتوس، قسطنطين، **إدارة الإمبراطورية البيزنطية في عهد قسطنطين السابع** 79

(2) **سبتة**: مدينة حصينة و مشهورة من قواعد بلاد المغرب، لها ميناء على البحر المتوسط، ومرساها من أجود المراسي عليه مقابل الأندلس (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 189/3)

(3) **جزر البليار**: هي جزر تقع في بلاد المغرب - وتسمى بالخالدات أو جزر السعادة - (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 131/2-132) في البحر الأبيض المتوسط، أكبرها جزيرة ميورقة، وفي جنوبها الغربي توجد العاصمة مدينة ميورقة وكانت تعرف أيام الحكم الإسلامي في الأندلس باسم الجزائر الشرقية (http://ar.**wikipedia**.org)

(4) **صقلية**: جزيرة في بحر الروم على شكل مثلث حيال إفريقيا، كثيرة الشجر والثمار والجبال، ولما كانت في أيدي المسلمين كانت كثيرة العلماء والفقهاء (شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** 140)، كما أنها كثيرة المعادن والمواشي (القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 360)

(5) رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 61 - 62

(6) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 441/4؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 88/3

(7) العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 63؛ الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 97- 98؛ Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P.p 297 – 298؛ سالم عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية** 23؛ Vasiliev, **History of the Byzantine Empire** P.p221 – 222؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 87 -88

ضرب سواحل الشام بأسطول ضخم أعده لذلك، غير أن الرياح سارت بما لا تشتهي سفنه، وكفى الله المؤمنين شر القتال[1] .

وقد أقام الروم نظام البنود (الثيمات[2]) لحماية العاصمة، في مقابل الثغور التي اتخذها المسلمون كقواعد للهجوم على الأراضي البيزنطية[3]، فكان يحمي القسطنطينية أربعة عشر بنداً[4] منها أربعة في الشرق هي: بند أرمينية، وبند الأناضول، وبند الأوبسيكون - حول بحر مرمرة لحماية العاصمة- والبند البحري كرافيزيوناروم على الشاطئ الجنوبي لآسيا الصغرى[5]، وقد كان كل بند من هذه البنود يضم وحدات تكتيكية، لكل وحدة منها قائد خاص، واستعداداً لحملات المسلمين نحو القسطنطينية[6]، فقد تم تقسيم البندين الكبيرين (بند الأناضول وأرمينيا) إلى عدة أقسام، وتحولت كل وحدة تكتيكية فيه إلى بند خاص[7] كما دعمت تلك البنود بحاميات أطلق عليها اسم حراس الحدود، والذين كانوا يتمتعون بقدر كبير من الاستقلال عن السلطة المركزية، لأن حالة الحرب هي الحالة الطبيعية في مناطقهم، وقد غدا نظام البنود في الإمبراطورية البيزنطية العمود الفقري لها[8] .

كما كان من ضمن الاستعدادات البيزنطية أن عملوا على تقوية وتدعيم وسائل الدفاع عن القسطنطينية، والطرق المؤدية إليها، فنظموا بنداً خاصاً لركن الشاطئ الأوروبي المواجه لآسيا الصغرى، والذي كان من قبل يعتمد في حمايته على بنود آسيا الصغرى، كما نظموا موارده الغذائية

---

(1) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 441/4 ؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 88/3

(2) الثيم (thimes) : نظام عسكري أوجده البيزنطيون في القرن السابع الميلادي للتصدي للمسلمين في آسيا الصغرى، وبدأ النظام بأن أنزلت ألوية من الجند بشكل دائم في أقاليم محددة، تم تحول الاسم فأصبحت أقاليم الإمبراطورية البيزنطية تعرف بمجموعة من الثيمات، أي الألوية، بمعنى المناطق العسكرية، وصارت كل منها تحمل اسم فرقتها الخاصة النازلة بها (لمزيد من التفاصيل ينظر: رانسيمان، ستيفن، **الحضارة البيزنطية** 97؛ دياب، صابر، **المسلمون وجهادهم ضد الروم** 13؛سليمان، أحمد **المسلمون والبيزنطيون** 35/1 – 36)

(3) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 131؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 74؛ محمد عمر، **التوسع السلجوقي في آسيا الصغرى**، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، مج 14 2006م/1427هـ، 38

(4) ينظر: ابن خرداذبة، عبيد الله، **المسالك والممالك** 105 -108

(5) دياب، صابر، **المسلمون و جهادهم ضد الروم** 12؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 131 - 132

(6) ربيع، حسنين، **الإمبراطورية البيزنطية** 77

(7) Vasiliev, **History of the Byzantine Empire** p.227 ؛ وللاستزادة حول البنود (الثيمات) وانقساماتها وتفصيلاتها ينظر: دياب، صابر، **المسلمون و جهادهم ضد الروم** 13 – 18؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 104/1 – 113؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 75- 77 محمد، عمر، **التوسع السلجوقي في آسيا الصغرى**، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، مج 14، 2006م/1427هـ، 38

(8) العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 130؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 77؛ الشيخ، محمد **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 89

التـي كانت تأتيه من اليونـان، وجزر بحر إيجة، وسهول القمح على شاطئ البحر الأسود[1]، فضلاً على كل ذلك فإن البيزنطيين كانوا يواجهون الحملات التـي تتقدم نحو عاصمتهم بما تتمتع به من موقع استراتيجي وتحصينات دفاعية كبيرة[2] .

كما عرفت بيزنطة نظام الإقطاع الحربي الذي يحصل صاحبه على قطعة من الأرض على أن يقدم عدداً من الجند للجيش، مقابل الحصول على حق جباية الموارد المالية في إقليمه، وكانت جيوش الروم بالآلاف[3]، وعليهم الأمراء والقادة الذين يمثلون الطبقة الأرستقراطية في الإمبراطورية[4] فكانت على تقدير أحد المؤرخين[5] بحوالي مئة وعشرين ألفاً، بل كان في باب إمبراطور الروم وحده حوالي أربعة آلاف فارس، إلى غير ذلك من العتاد والسلاح .

إضافة إلى ذلك فقد اعتمدت الإمبراطورية البيزنطية على نظام الإنذار المبكر، فالفرق الموزعة في أقاليم آسيا الصغرى، كانت إذا ما تعرضت فرقة للخطر، كان عليها أن تخبر مَنْ خلفها من الفرق وإنذار السكان المحليين والعمل على نقلهم لمنطقة أكثر أماناً، ثم استعمال تكتيك حرب العصابات بالهجوم على القوات الغازية من خلال الممرات الجبلية الوعرة في آسيا الصغرى[6] .

سير الحملة

بعد هذا الإعداد الذي قام به معاوية بن أبي سفيان، رأى أن الفرصة مواتية لتوجيه حملة إلى القسطنطينية، واستكشاف دفاعاتها، فوجه حملة استطلاعية لاختبار خط الدفاع البيزنطي عام

---

(1) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 197/3؛ المسعودي، علي، **مروج الذهب** 67/2؛ اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 303/2 حتي، فيليب، **تاريخ العرب** 251/1؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 45/2- 46؛ ماجد، عبد المنعم، **التاريخ السياسي للدولة العربية**42/2؛ .Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P.403؛ رستم، أسد، **الروم في سياستهم وحضارتهم** 260؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 154

(2) يمكن الرجوع إلى التمهيد من هذه الدراسة والتعرف إلى أهمية موقع القسطنطينية وحصانتها .

(3) ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 296؛ عبد الجواد، ليلى، **مملكة القسطنطينية في مسالك الأبصار وممالك الأمصار للعمري**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة،ع 15، 2007م، 291، 306 وذكرت أن عدد الجيوش كانت مائتي ألف فارس .

(4) عبد الجواد، ليلى، **مملكة القسطنطينية في مسالك الأبصار وممالك الأمصار للعمري**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة،ع 15، 2007م، 307؛ فرج، وسام، **أضواء على مجتمع القسطنطينية** ، بحث ضمن كتاب **دراسات في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي في العصور الوسطى** 14 – 16

(5) نفسه 109-111؛ وللاستزادة حول الجيوش البيزنطية وأساليبها القتالية ينظر: منصور، طارق، **فن القتال عند البيزنطيين دراسة في الإستراتيجية في ضوء"تكتيكا" ليو الحكيم**، بحث ضمن كتاب **دراسات في تاريخ العصور الوسطى** 149 - 184

(6) فرج، وسام، **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 166

48هـ/668م، بقيادة "أبو عبد الرحمن القيني" الذي أقام الشتاء بأنطاكيا[1]، وفتح جربة[2] وأصاب منها سبياً كثيراً[3]، وفي أثناء ذلك ورد خبر مقتل إمبراطور الروم" قنسطانز الثاني"[4]، فاغتنم المسلمون فرصة اضطراب شؤون الروم الداخلية، إذ تطلع إلى العرش الطامعون وتمردت فئات من الجند، وثار "سابور" أحد حكام المناطق المجاورة لأرمينية، والذي راسل معاوية بن أبي سفيان للتعاون معه فأدرك معاوية أن الفرصة سانحة لضرب الروم ضربة قاضية يستولي خلالها على عاصمتهم نفسها غير أن الثورة قد أخمدت قبل وصول المسلمين[5].

بعد ذلك جهز معاوية حملة لفتح القسطنطينية، ضمت قوات من مختلف أماكن الخلافة الإسلامية وقد اختلف في قائد هذه الحملة، فقيل عبد الرحمن بن خالد، أو عقبة بن عامر[6]، أو فضالة بن عبيد الأنصاري[7]،غير أن الذي كان على أهل مصر عقبة بن عامر[8] الجهني[9] .

(1) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 229/5 ؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 313/3؛ الحميدي، عبد العزيز **التاريخ الإسلامي مواقف وعبر** 12/1؛ وقيل إن الذي قاد تلك الحملة هو مالك بن هبيرة الفزاري (ابن كثير، عماد الدين إسماعيل **البداية والنهاية** 180/11؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 313/3) أو سفيان بن عوف (سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 189/1)

(2) **جربة**: يبدو أن جربة هي خرشنة: وهي بلد من بلاد الروم قرب ملطية (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 359/2) وأنه حدث خطأ في النسخ كما يرى عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 43/2، لأن جربة بلد في المغرب (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 118/2)

(3) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 232/5؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 314/3

(4) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 133 ؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 189/1

(5) رستم، أسد، **الروم في سياستهم وحضارتهم** 261؛ فرج، وسام، **العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية** 38 – 41؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 23؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 72

(6) ينظر: أبو داود، سليمان، **سننه** 27/3؛ الترمذي، محمد، **سننه** 212/5؛ النسائي، أحمد، **السنن الكبرى** 299/6؛ ابن حبان محمد، **صحيحه** 9/11؛ الحاكم، محمد، **المستدرك** 94/2، وفي رواية أبي داود: وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وليس فيها ذكر لعقبة بن عامر، وفي رواية النسائي: وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى أهل الشام فضالة بن عبيد، في حين اقتصرت رواية ابن حبان على ذكر إمارته على أهل مصر في تلك الغزوة، دون التعرض لذكر الأمير العام للجيش، وقد روى ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 329/34، عن أبي عمران التجيبي قال: غزونا القسطنطينية، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر الجهني، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فجمع بينهما، كما ذكر أن عقبة بن عامر، وعبد الرحمن بن خالد غزيا معًا رودس سنة سبع وأربعين، ولا يبعد أن يكون غزو رودس ضمن حملة غزو القسطنطينية، فقد كانت جزر البحر المتوسط الشرقية نقاط انطلاق لغزو القسطنطينية، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد كان معاوية يستعمله على غزو الروم، ينظر: ابن عساكر، علي **تاريخ دمشق** 325/34،328، وقد تكون الغزوة المذكورة إحدى الغزوات التي غزاها عبد الرحمن بن خالد بن الوليد إبان إقامته بأرض الروم غازيا؛ كما ذكر أن الوليد بن مسلم، قال: سمعت سعيد بن عبد العزيز، أو غيره، يخبر أن معاوية شتى عبد الرحمن ابن خالد سنتين في جيش مقيم بأرض الروم، يدخل عليه القواد سنة سنة، يصيف ويشتو عنده، ولم يغفل عنه حتى مات عبد الرحمن بأرض الروم (ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 329/34،330)

(7) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 130/6؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 163

(8) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 329/34، وقال أبو عمران التجيبي (أحد المشاركين في الحملة): غزونا القسطنطينية وعلى أهل مصر عقبة بن عامر.

(9) **عقبة بن عامر الجهني** : شهد صفين مع معاوية، توفي عام 58هـ/ 677م (ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 488/40)

كانت هذه الحملة مكونة من قوتين: قوة برية، وأخرى بحرية، خلافاً لما ذكره بعض المحدثين[1] من عدم اشتراك أسطول في عمليات الحصار، لأن تطوير وبناء الأسطول البحري كان من الأهداف الرئيسية لفتح القسطنطينية، كما أن جيش المسلمين ليس من السهولة بمكان عبوره نحو العدوة الأوروبية، وضرب الحصار على القسطنطينية دون مراكب، هذا وقد أورد ابن عساكر[2] أن عبد الله ابن قيس كان على غازية السفن إلى القسطنطينية؛ وهناك من أورد أن حملة يزيد بن أبي سفيان رافقها أسطول بحري حتى القسطنطينية[3]، وأن الأسطول الإسلامي الشامي قام بحملة بحرية عام 49هـ/669م، لشل الأسطول البيزنطي أثناء اختراق القوات الإسلامية للمضائق في طريقها للقسطنطينية، والتي لم تقابل أياً من السفن البيزنطية[4]، وهذا يؤكد أن أسطولاً بحرياً إسلامياً شارك في هذه الحملة، وكان عليه عبد الله بن قيس .

على أية حال، فقد انطلقت الحملة في خريف عام 49هـ/ 668م[5] متوغلة في بلاد الروم مكتسحة دفاعاتها، فاتجه فضالة إلى خرشنة، حيث عسكر جيشه إلى الغرب منها بقصد عزل العاصمة، وترك فرصة أمام السكان للمضي في تمردهم، وقد نجحت الحملة، وتمكنت من أسر كثيرين، الأمر الذي دفع بابن الإمبراطور المقتول أن يرسل مندوباً للصلح[6]، إلا أن القوات الإسلامية استمرت في سيرها والتقت في مدينة خلقدونية[7]، وهناك أقام المسلمون فصل الشتاء الذي أدركهم بها[8]، فتعرضوا للبرد الشديد، وكان لاختلاف المناخ على المسلمين في تلك البلاد، وانتشار مرض الجدري بين صفوفهم، وفتكه بكثير من الجند[9]،أن أدى إلى الموت، والغلاء الشديد[10]، كل ذلك

---

(1) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 44/2؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 98

2) **تاريخ دمشق** 119/23، وفي 69/16 قال: إن معاوية أغزى ابنه يزيد في جماعة من صحابة رسول الله في البر والبحر، حتى أجاز بهم الخليج؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 15/1

(3) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 189/1؛ الخضري، محمد، **الدولة الأموية** 276؛ بركات، وفيق **فن الحرب البحرية** 57؛ عبد العليم، أنور، **الملاحة وعلوم البحر عند المسلمين** 93؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 133

(4) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 44/2

(5) رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 98؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 10

(6) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 43/2

(7) **خلقدونية** : البلد الذي تتشكل منه المصيصة، وطرسوس (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 384/2)

(8) العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 163؛ لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية في حوض المتوسط** 96

(9) الأصفهاني، علي، **الأغاني** 211/17

(10) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 404/65؛ ابن العديم، عمر، **زبدة الحلب** 24

جعل ظروف الجيش صعبة، مما حدا بفضالة الاستنجاد بمعاوية طالباً المدد[1]، فعم الناس الحزن بما أصاب المسلمين في أرض العدو[2]، عندها جهز معاوية جيشاً كبيراً تحت قيادة ابنه يزيد[3]، ليعطيه فرصة يعلي بها قدره أمام الذين قللوا من ذلك بعد أن قرر أن يكون ولياً

---

(1) الأحمد، ناصر، **حركة الجهاد والفتح في عهد الدولة الأموية** 99،رسالة دكتوراه، معهد الدعوة الجامعي لبنان- بيروت 2008م

(2) المسعودي، علي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر** 33/3؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 458/3؛ أبو شبيكة إبراهيم، **خلافة بني أمية عند المسعودي** 143، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية – غزة 2007م

(3) يذكر أن يزيد بن معاوية قد تثاقل عن المسير في أول الأمر، حينما سمع بما حل بجيش المسلمين من جوع، ومرض، وأنشد يقول :

أهون علي بما لاقت جموعهم — يوم الطوانة من حمى ومن موم

إذا اتكأت على الأنماط مرتفقاً — بدير مروان عـندي أم كلثوم

وأم كلثوم هي زوجته، فبلغ معاوية شعره فأقسم عليه ليلحقن بالمسلمين في أرض الروم (ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 314/3؛ ابن العديم، عمر، **زبدة الحلب** 24؛ اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 282/2) وأورد ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق**:404/65 أن معاوية بعث جيشاً إلى الروم فنزلوا منزلاً يقال له الفرقدونة (ويبدو أنه خلقدونية) فأصابهم بها الموت، وغلاء شديد، فكبُر ذلك على معاوية، فاطّلع يوماً على ابنه يزيد فقال: أقسم عليك يا يزيد لترتحلن حتى تنزل مع القوم، وإلا خلعتك، فتهيأ يزيد للرحيل وكتب إلى أبيه:

تجنّى لا تزالُ تَعُدُّ ديـناً — ليقطع وصل حبلك من حبالي

فيوشك أن يريحك من بلائي — نزولي في المهالك وارتحالي

غير أن الناظر في تلك الروايات يرى أنها بحاجة إلى تدقيق وتمحيص، لأن غالبية هذه الروايات كتبت في العصر العباسي ومعروف مدى عداء العباسيين للأمويين، والتي أظهرت أن يزيد كان شاباً لاهياً، عابثاً، مغرماً بالصيد وشرب الخمر، وتربية الفهود، والقرود، والكلاب (الزبيري، مصعب، **نسب قريش**127؛ ابن قتيبة، يوسف، **الإمامة والسياسة** 163/1 اليعقوبي، أحمد **تاريخه** 229/2؛ ابن أعثم، أحمد، **الفتوح** 17/5؛ المسعودي، علي، **مروج الذهب** 33/3؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 11/3 عبد الله، فريال، **صورة يزيد بن معاوية في الروايات الأدبية** 86- 122 رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان1993م) غير أن موافقة عدد من كبار الصحابة على مصاحبته لغزو القسطنطينية، خير دليل على أن يزيد كان يتميز بالاستقامة، ويتمتع بالكفاءة لتأدية ما يوكل إليه من مهمات، وإلا لما وافق هؤلاء الصحابة أن يتولى قيادتهم شخص مثل من هذه صفاته، وما يؤكد ذلك أن محمد بن علي بن أبي طالب ـ المعروف بابن الحنفية ـ دخل يوماً على يزيد بدمشق ليودعه، بعد أن قضى عنده فترة من الوقت فقال له يزيد: يا أبا القاسم، إن كنت رأيت مني خلقاً تنكره، نزعت عنه، وأتيت الذي تُشير به علي؟ فقال: والله لو رأيت منكراً ما وسعني إلا أن أنهاك عنه... وما رأيت منك إلاّ خيراً (البلاذري، أحمد، **أنساب الأشراف** 17/5)؛ وحينما مشى عبد الله بن مطيع ـ وكان داعية لابن الزبير ـ وأصحابه من المدينة إلى محمد ابن الحنفية، وأرادوه على خلع يزيد، أبى عليهم، فقال ابن مطيع: إن يزيد يشرب الخمر، ويترك الصلاة، ويتعدى حكم الكتاب، فقال محمد ما رأيت منه ما تذكرون، قد حضرته وأقمت عنده فرأيته مواظباًعلى الصلاة، متحرياً للخير، يسأل عن الفقه، ملازماً للسنة، قالوا: ذلك كان منه تصنعاً لك، قال: و ما الذي خاف مني حتى يظهر إلي الخشوع؟ ثم أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر، فلئن كان أطلعكم على ذلك، فإنكم لشركاؤه، وإن لم يكن أطلعكم، فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا، قالوا: إنه عندنا لحق، وإن لم نكن رأيناه، فقال لهم: أبى الله ذلك على أهل الشهادة ولست من أمركم في شيء (ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية و النهاية** 233/8؛ الذهبي، شمس الدين محمد، **تاريخ الإسلام** 274)، هذا وقد أفتى الإمام الغزالي بعدم جواز لعن يزيد (للمزيد ينظر: الزبيري، مصعب، **نسب قريش** 127؛ ابن قتيبة عبد الله، **المعارف** 198 الذهبي، شمس الدين محمد، **سير أعلام النبلاء** 35/4-40؛ ابن تغري بردي، جمال الدين، **النجوم الزاهرة** 162/1؛ ابن العماد، عبد الحي **شذرات الذهب** 72/1) ومن قال بتثاقل يزيد عن هذه الغزوة فهو من باب سوء الظن به ولم يذكر ذلك كثير من المؤرخين (العصفري، خليفة ابن خياط، **تاريخه** 211؛ الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 232/5 الديار بكري، حسين، **تاريخ الخميس** 294/2؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 34/8)

لعهده[1]، وقد ضم هذا الجيش العديد من الصحابة: كعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وأبي أيوب[2]الأنصاري[3] والمنذر بن الزبير[4]، وعبد العزيز بن زرارة الكلابي[5] وحوى العديـــد من الفرسان المختارين، وعلى رأسهم سفيان بن عوف[6]، كما أوردت بعض المصادر[7] أن الحسين بن علي بن أبي طالب وفد على معاوية وتوجه غازياً إلى القسطنطينية في الجيش الذي كان أميره يزيد بن معاوية، وقد دعيت حملة يزيد بالرادفة[8].

---

(1) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 130/6؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 163

(2) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 232/5؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 180/11، 435/11 ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 314/3؛ القضاعي، محمد، **تاريخه** 326؛ الذهبي، شمس الدين، محمد، **سير أعلام النبلاء** 4230/3؛ **دول الإسلام** 39/1؛ ابن سعد، عبد الله، **الطبقات الكبرى** 484/3؛ ابن العديم، عمر، **زبدة الحلب** 8/3؛ ربيع حسنين، **الإمبراطورية البيزنطية** 88؛ بحري، فائقة، **أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا** 22، رسالة ماجستير جامعة أم القرى – مكة 1989م؛ ينظر: الشياب، شهاب، **دور أبو أيوب الأنصاري العسكري ومواقفه السياسية والعسكرية**، مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة اليرموك، ع23، 2000م، 346-347

(3) **أبو أيوب الأنصَاري**: هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة، من بني النجار، صحابي شهد العَقَبَة، وبدراً، وأُحداً، والخندق وسائر المشاهد، وكان شجاعاً، صابراً، تقياً، محباً للغزو والجهاد، روى عن النبي (ﷺ)، وعن أبي بن كعب، وعنه البَراء بن عازب وابن عباس وغيرهم، ولما غزا يزيد القسطنطينية في خلافة أبيه صحبه غازياً، فحضر الوقائع، ومرض فأوصى أن يوغل به في أرض العدو، فلما توفي دفن في أصل حصن القسطنطينية، له مئة وخمسة وخمسون حديثاً (ينظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد **الإصابة في تمييز الصحابة** 405/1، **وتهذيب التهذيب** 90/3، و**تقريب التهذيب** 88؛ الزركلي، خير الدين، **الأعلام** 336/2 وللاستزادة حول أبو أيوب الأنصاري، ينظر: الشياب، شهاب، **دور أبو أيوب الأنصاري العسكري ومواقفه السياسية والعسكرية** مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية،جامعة اليرموك، ع23، 2000م، 335-354)

(4) ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 11/3؛ ابن الأثير، عز الدين، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**479/7؛ سيرهنك، إسماعيل **حقائق الأخبار عن دول البحار** 189/1

(5) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 314/3؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 287/36؛ رمضان، عبد العظيم **الصراع بين العرب وأوروبا** 98

(6) **سفيان بن عوف**: صحابي شهد فتوح الشام مع أبي عبيدة ابن الجراح، واستعمله معاوية على الصوائف، توفي عام 53هـ/672م ، ولما بلغ معاوية وفاته كتب إلى الأمصار ينعاه فبكاه الناس في كل مسجد، وكان معاوية إذا رأى في الصوائف خللاً قال: واسفيناه، لا سفيان لي (ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 351/21؛ ابن حجر العسقلاني، أحمد، **الإصابة في تمييز الصحابة** 126/3؛ ابن العديم، عمر، **زبدة الحلب** 24؛ الزركلي، خير الدين، **الأعلام** 105/3؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 116) وقيل إن سفيان بن عوف كان يضع ضوابط للمشاركين معه في الصوائف والشواتي، حيث إنه لا يجيز رجلاً إلا بفرس ورمح، ومخطف، ومسلة، وترس، وخيوط كتان، ومخلاة، ومبضع، ومقود، وسكة حديد (ينظر: ابن عساكر، علي **تاريخ دمشق** 351/21- 352)

(7) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 111/14؛ الذهبي، شمس الدين محمد، **تاريخ الإسلام** 104/5

(8) اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 229/2؛ المسعودي، علي، **مروج الذهب** 24/3؛ الطبري، محمد **تاريخ الرسل والملوك** 130/6 سالم، عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية** 21

ويبدو أن الهدف من ضم العديد من الصحابة وعلى رأسهم أبو أيوب الأنصاري - الذي استضاف الرسول(ﷺ) بعد الهجرة- لهذه الحملة، لتكون بذلك محفزاً لجميع الناس بالمشاركة فيها .

تحرك جيش المدد من بلاد الشام إلى آسيا الصغرى، ثم أوغلوا في بلاد الروم[1] حتى وصل عمورية، وهناك أبقى بها حامية من خمسة آلاف رجل، ثم أوغل في بلاد الروم إلى أن وصل إلى خلقدونية[2]، وعلى ضفاف البسفور انضم إلى قوات فضالة، وتقدمت تلك القوات نحو القسطنطينية بواسطة الأسطول الذي تولى نقلها[3]، وعندما تكاملت القوى الإسلامية أمام أسوارها، سار المسلمون وفق السياسة الأموية العسكرية، والتي تقوم على الصفوف في المعارك الحربية[4]، فصف المسلمون قواتهم صفاً طويلاً جداً، وأظهروا السلاح[5]، إذ أن ذلك كان من أهم أساليب الأمويين في معاركهم[6] وقد كانوا أحياناً يصفون ثلاثة صفوف، صف فيه الرجال ومعهم السيوف، وصف من أصحاب الرماح وصف الرماة[7]، وذلك لاستعراض القوى أمام العدو، وبث الرعب والخوف في النفوس، وقد أورد أحد شهود العيان على الحملة وهو أبو عمران التجيبي، أنهم حينما وصلوا إلى القسطنطينية صفوا أمام المدينة صفين طويلين[8].

حصار القسطنطينية

بعد أن صف المسلمون صفين طويلين، بدأ الحصار الفعلي للقسطنطينية، ويبدو أن الهدف من ذلك هو إرهاب العدو، وبث الرعب والفزع في نفوسهم، وإشعارهم أن مدينتهم واقعة تحت الحصار الفعلي وهذا ما أيدته رواية أبي عمران التجيبي في حصار القسطنطينية، وكان لأبي أيوب الأنصاري دوره

---

(1) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 314/3

(2) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 44/2؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 164

(3) المسعودي، علي، **مروج الذهب** 33/3؛ اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 229/2؛ الخضري، محمد، **الدولة الأموية** 276 بركات، وفيق، **فن الحرب البحرية** 57؛ عبد العليم، أنور، **الملاحة وعلوم البحر عند المسلمين** 93؛ ربيع، حسنين، **الإمبراطورية البيزنطية** 88؛ أبو شبيكة، إبراهيم، **خلافة بني أمية عند المسعودي**144، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية – غزة 2007م

(4) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 617/5،197؛ 250/6، 253، 274؛ 73/7، 80، 116؛ ابن أعثم، أحمد **الفتوح** 123/1، 160/4

(5) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 338/50، 374/45؛ القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 368

(6) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 197/5، 617؛ 250/6، 253، 274، 296، 431؛ 73/7، 80، 116، 122، 297 ابن أعثم، أحمد، **الفتوح** 123/1، 160/4

(7) آل كمال، سليمان، **الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية** 232، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى – مكة المكرمة 1998م

(8) الحاكم، محمد، **المستدرك** 518/3

في حث الناس على القتال[1]، لما لذلك من دور فعال في رفع معنويات العسكر، وبث روح الحماس لديهم إذ لم تكن هناك معركة إلا وبها من يحرض الجند على القتال[2] .

شدد المسلمون الحصار حول القسطنطينية، وتراشقت قوات الطرفين بمختلف أنواع السلاح، خاصة بالسفن الإسلامية والتي كانت مزودة بآلات رمي الحجارة، والأبراج العالية[3]، وأظهر المسلمون الجلد والصبر، والقدرة على حصار المدينة، وقد اشتد القتال بينهم[4] وكان نتيجة لذلك استشهاد بعض أفراد الجيش الإسلامي كعبد العزيز بن زرارة الكلابي[5]، وأبي أيوب الأنصاري[6]، الذي دفن بالقرب من

---

(1) ينظر: أبو داود، سليمان، **سننه** 27/3؛ الترمذي، محمد، **سننه** 212/5؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 57/16-59

(2) لمزيد من الاطلاع على تحريض قادة بني أمية الجند على القتال ينظر: الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 195/5، 197، 208، 618؛ 244/6-246، 269، 323، 366، 424، 431، 443، 608؛ 58/7، 78 ؛ القلقشندي، شهاب الدين أحمد **صبح الأعشى** 232/10

(3) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 189/1؛ ماهر، سعاد، **البحرية في مصر الإسلامية** 75

(4) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 314/3؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 12/3

(5) وقيل إن عبد العزيز بن زرارة لم يزل يتعرض للشهادة فلم يقتل، فأنشد يقول :

قد عشت في الدهر أطواراً على طرق ... شتى فصادفت منها اللين والبشعا

كلا بـألوت فـــلا النعماء تبطرنــي ... ولا تخشـــعت من لأوائها جزعا

لا يملأ الأمر صـدري قبل موقعــه ... ولا أضـيق بـه ذرعاً إذا وقـــعا

ثم حمل على من يليه من الأعداء فقتل منهم، وانغمس بينهم فشجره الروم برماحهم حتى قتلوه (ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 314/3 – 315؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 287/36)، ولما بلغ معاوية خبر استشهاده أخبر أبوه بأمر ابنه حيث قال له:" هلك والله فتى العرب" فأجاب أبو عبد العزيز ابني أم ابنك؟ فقال معاوية :" بل ابنك" حينها أنشد وقال :

فإن يكن الموت أودى به ... وأصبح مخ الكلابي زيرا

فكل فتى شارب كأســه ... فإما صغيراً وإما كبـــيرا

(ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 315/3؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 286/36)

(6) ابن عبد البر، يوسف، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** 425/2؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 252/11 ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 315/3 ؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 12/3؛ القضاعي، محمد، **تاريخه** 326 شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** 227؛ البسوي، يعقوب، **المعرفة والتاريخ** 414/3؛ ابن عساكر، علي **تاريخ دمشق** 36/16؛ القزويني، زكريا، **أثار البلاد وأخبار العباد** 606؛ ابن طولون، محمد، **قيد الشريد في أخبار يزيد** 71 سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 140/1؛ ربيع، حسنين، **الإمبراطورية البيزنطية** 88؛ أبو شبيكة، إبراهيم **خلافة بني أمية عند المسعودي**143، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية،غزة 2007م؛ خالد، خالد، **رجال حول الرسول** 431

سور القسطنطينية[1]، بناءً على وصيته، وقد هدد المسلمون الأروام إن مس قبر أبي أيوب الأنصاري[2].

هذا وقد قاتل المسلمون على أبواب القسطنطينية[3]، وهاجم عبد الله بن قيس بالسفن والمحرقات سفن الروم عند خليج القسطنطينية، واقتتلوا قتالاً شديداً، فهزم الروم، وأحضر الأسرى إلى يزيد بن

---

(1) القضاعي، محمد، **تاريخه** 326 ؛ شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** 227؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 252/11؛ الذهبي، شمس الدين محمد، **دول الإسلام** 39/1؛ القزويني، زكريا، **أثار البلاد وأخبار العباد** 606؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 98؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 165؛ الشياب شهاب، **دور أبو أيوب الأنصاري العسكري ومواقفه السياسية والعسكرية**، مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة اليرموك، ع23، 2000م، 347

(2) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك** 222/2؛ ابن عبد البر، يوسف، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** 1606/4؛ البسوي، يعقوب **المعرفة والتاريخ** 414/3؛ ابن عساكر علي، **تاريخ دمشق** 38/16، 57؛ القضاعي، محمد، **تاريخه** 326؛ شيخ الربوة، محمد **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** 227؛ الشياب، شهاب، **دور أبو أيوب الأنصاري العسكري ومواقفه السياسية والعسكرية** مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة اليوموك، ع23، 2000م، 347؛ وكان من جملة التهديدات أن لا يضرب لهم ناقوس في بلاد الإسلام، وستنبش كل قبور النصارى في بلاد المسلمين، وستخرب كل كنائسهم (القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 368؛ القزويني، زكريا بن محمد، **أثار البلاد وأخبار العباد** 606) وقيل إن الروم كانوا إذا ما أمحلوا، كشفوا عن قبره فيمطروا(الذهبي، شمس الدين محمد، **دول الإسلام** 36/1؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 254/11؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 61/16؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 315/3؛ القضاعي، محمد، **تاريخه** 326 القزويني، زكريا، **أثار البلاد وأخبار العباد** 606؛ خالد، محمد، **رجال حول الرسول** 431)، كما قيل بأن الروم بنوا عليه بناءً وعلقوا عليه أربعة قناديل تسرج (ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 61/16- 62؛ القضاعي، محمد، **تاريخه** 326، وقد ذكر محققه أن ما ذكر حول قبر أبو أيوب الأنصاري كان من مشاهدته إياه لما سافر إلى بلاد الروم؛ كما أورد البسوي، يعقوب، **المعرفة والتاريخ** 414/3 أن شيخاً من فلسطين حدثه بأنه رأى بناية بيضاء بجوار سور القسطنطينية، ولما سأل عن ذلك قيل له إنه قبر أبي أيوب الأنصاري، ولما أتى ذلك المكان وجد فيه قبراً وعليه قنديل معلق بسلسلة) كما أقيم عليه (قبر أبي أيوب الأنصاري) مسجد(ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 254/11) كان خلفاء آل عثمان يتوجون فيه للخلافة (سيرهنك، إسماعيل **حقائق الأخبار عن دول البحار** 140/1 الخضري، محمد، **الدولة الأموية** 76؛ شاخت، جوزيف وزميله، **تراث الإسلام** 94/1 العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 165؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 162؛ الشناوي عبد العزيز، **الدولة العثمانية دولة مفترى عليها** 64)

(3) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 435/11؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 60/16

معاوية الذي أمر بضرب أعناقهم والروم تنظر إليهم[1]، ويبدو أن ذلك بهدف إرهابهم وإرغامهم على تسليم المدينة .

وأظهر يزيد بن معاوية من ضروب الشجاعة، والبسالة، والإقدام، ما حمل المؤرخين أن يطلقوا عليه "فتى العرب"[2]، وقد قيل إنه ضرب باب القسطنطينية بعمود حديد كان في يده فهشمه حتى انخرق[3] وأخذ بحلقته[4]، وقد تحصن السكان خلف الأسوار، وقد يكون لمثل هذا القول مبالغة كبيرة لكنه يعطي فكرة حول ما قدمه المسلمون في حصارهم الأول للقسطنطينية.

كما ورد أن يزيد حاول أن يستميل إلى جانبه بعض النصارى العرب الذين فروا إلى بلاد الروم بعد الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام، واستقروا في القسطنطينية، وكان معظمهم من الغساسنة الذين فر زعيمهم جبلة بن الأيهم[5] إلى بلاد الروم في عهد عمر بن الخطاب (ﷺ)[6]، وهذه محاولة جادة لفتح المدينة بإحداث إرباك من داخلها، مما يدلل على قدرة حربية تنم عن ذكاء حربي خارق في مثل هذه الفترة المبكرة من تاريخ الفتوحات الإسلامية .

---

(1) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 119/23

(2) العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 159؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 458/3-459؛ أبو زرعة الدمشقي عبد الرحمن، **تاريخه** 188/1؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 44/2؛ عبد العليم، أنور، **الملاحة وعلوم البحر عند المسلمين** 93؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 98؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 164

(3) الأصفهاني، علي، **الأغاني** 211/17؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 9/3؛ الشنتريني، ابن بسام، **الذخيرة بمحاسن أهل الجزيرة** 227/6

(4) الشيباني، أحمد، **الآحاد والمثاني** 440/3

(5) أسلم جبلة بن الأيهم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وقد خرج لأداء فريضة الحج، وبينما هو يطوف فإذا برجل من قبيلة فزارة يدوس على إزاره فلطمه جبلة، فشكاه الرجل لعمر، فأحضره وقال له: افتد نفسك، وإلا أمرت الرجل أن يلطمك، فقال أخرج من دينكم الذي يسوي بين الملوك والسوقة فقال له عمر: أقتلك، فقال جبلة: أمهلني الليلة أرى رأياً وتسلل تحت جنح الظلام ومعه خمسمائة رجل من أهله، وتوجهوا إلى ملك الروم، وقد تنصروا كلهم (ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 281/2؛ البلاذري أحمد، **فتوح البلدان**142؛ النويري، شهاب الدين أحمد، **نهاية الأرب** 311/15؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية**265/11؛ ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 228/1؛ القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 243؛ سيرهنك إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 169/1)

(6) القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 243 ؛ وقد مال عرب الغساسنة إلى تشجيع المسلمين، ، فقد شاهد يزيد أثناء الحصار قبتين يرتفع في إحداهما أصوات الدفوف والمزامير إذا أصاب المسلمون نجاحاً في هجومهم، على حين ترتفع أصوات من القبة الأخرى عندما ينجح البيزنطيون في صد هجمات المسلمين، فسأل يزيد عن ذلك، فعرف أن بالقبة المناصرة لجيشه ابنة جبلة بن الأيهم، وبالأخرى ابنة إمبراطور الروم، وكل واحده منهما تظهر السرور بما تفعله عشيرتها، مما كان له الأثر البالغ في نفس يزيد، فضاعف من مجهوداته، ليرضي شعور مناصريه من الغساسنة، وليفوز بابنة جبلة بن الأيهم (الأصفهاني، علي **الأغاني** 33/16؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 164 – 165)

هذا وأظهر المسلمون في حصار القسطنطينية من الأساليب القتالية الشيء الكثير، ومن ذلك أن تولى سفيان بن عوف مهاجمة ميناء الذهب بثلاثة آلاف رجل، مما أفزع سكان القسطنطينية[1]، ثم أغار على تراقية، عندها حاول المحاصرون في القسطنطينية اختراق الحصار، فتظاهر المسلمون بالانسحاب ثم انقضوا عليهم، وأعملوا فيهم القتل والأسر، حتى لاذوا بأسوار عاصمتهم، وقبعوا داخلها، الأمر الذي أثار حنق الإمبراطور الجديد " قسطنطين الرابع"[2]، وهذا يدل على مدى اضطراب أحوال الدفاع البيزنطي، فقد فتكت قوات المسلمين بالقوات البيزنطية، حتى كادت تسقط القسطنطينية في أيديهم، غير أن الظروف المناخية القاسية، ووسائل الدفاع المتوافرة للدفاع عنها أفشلت هذا الهجوم[3] مما حدا بالجيش الإسلامي الأول للقفول راجعاً إلى بلاد الإسلام، بعدما أظهر من ضروب البسالة والإقدام ما أظهر .

فك الحصار ومدته

ـ فك الحصار

على الرغم من الاستعدادات التي أعدت لهذه الحملة، إلا أن القسطنطينية صمدت أمام ضربات المسلمين وحصارهم، ولم يتحقق هدفهم، لكنها نجحت في صرف همة البيزنطيين عن محاربة المسلمين، والتركيز على الدفاع عن ما بحوزتهم من بلاد، وفاز هذا الجيش بفضيلة السبق لغزو هذه المدينة، حيث الوعد النبوي بالمغفرة لأول جيش من المسلمين يغزو القسطنطينية[4] .

أما أخبار الانسحاب عن مدينة القسطنطينية فلم تذكر بالتفصيل، بل إن ما ورد ذكره هو أن جيش المسلمين المحاصر للقسطنطينية في هذه الحملة عاد إلى بلاد الشام[5] بأقل الخسائر[6]، باستثناء ما ذكر حول تعرض الحامية العربية التي أقيمت في عمورية لمهاجمة أحد قادة الروم(أندرياس) في الشتاء ومهاجمة الأسطول البيزنطي ساحل الشام في أواخر عام 49هـ/669م[7]، وقد يكون ذلك رداً على حصار القوات الإسلامية للقسطنطينية، وقد حقق هذا الهجوم بعض النجاحات، إذ حاول معاوية علاج الأمر بإقامة مراكز لصناعة السفن في الشام، فذكر البلاذري[8] أنه حينما خرج الروم إلى السواحل

---

(1) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 350/21

(2) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 44/2

(3) عبد الله، وديع، **العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى** 72

(4) ابن تيمية، تقي الدين أحمد، **مجموع فتاوى** 413/3، 486/4؛ **منهاج السنة النبوية** 544/4

(5) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 315/3؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 12/3

(6) رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 99

(7) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 166

(8) نفسه 167

عـام 49هــ/668م وكانـت الـصناعة بمـصر فقـط، أمـر معاويـة بجمـع الـصناع، والتجـار ورتـبهم فـي السواحل، وكانت الصناعة في الأردن بعكا، وإلى هذه الفترة يعود نمو التنظيم البحري الإسلامي، حيث أنشئت دور الصناعة بالشام، وظهر الأسطول الإسلامي بإفريقيا إلى حيز الوجود[(1)] .

على أية حال رفع الحصار عن القسطنطينية بعد أن تبين للمسلمين أن خير سبيل لفتحها هو إعداد أسطول بحري يقف على قدم المساواة مع القوات البرية، كما أن هذه الحملة من وجهة نظر فن المعركة الحديثة تشكل استطلاعاً بالقوة لمعرفة كل ما يلزم عن العدو(أسلحة، تمركز، ميدان المعركة، طرق برية وبحرية، ممرات، توزيع القوات، مقررات القيادة ...) [(2)] .

ـ مدته

أمـا عـن مـدة الحـصار، فقـد اختلـف فيهـا وفـق مـا اختلـف فـي تحديـد تـاريخ انطـلاق الحملـة وتـاريخ وفـاة أبـي أيـوب الأنـصاري بـين عـامي 49 – 52هــ/668-671م[(3)]، غيـر أن خليفـة بـن خياط[(4)] أورد أن يزيد ابن معاوية غزا القسطنطينية عام 50هـ/669م، وقد استشهد أبو أيـوب فـي العـام نفسه، كمـا أورد أن يزيـد بـن معاويـة هـو الـذي حـج بالنـاس فـي ذلـك العـام، ووافقـه فـي ذلـك بعـض

---

(1) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 211/3؛ غير أن هذا موضع شك، إذ أميل إلى أن دور الصناعة بالشام كانت قبل هذا التاريخ، وذلك للأسباب التالية:

أولاً: لما ورد كتاب عثمان بن عفان (ﷺ) إلى معاوية يسمح له بركوب البحر، أمر معاوية بإصلاح وترميم ما كان في دور الصناعة من سفن، وتقريبها إلى عكا، فأصلحت المراكب وجمعت (ابن أعثم، أحمد، **الفتوح** 348 ؛ أبو الفرج، قدامة بن جعفر **الخراج** 306) فتشير هذه الرواية إلى وجود دور للصناعة في الشام، لكن ربما كانت هذه الدور بها سفن غير صالحة، وأمر معاوية بجمعها وترميمها، وقد استخدمت تلك السفن في غزو جزيرة قبرص (ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 211/3)
ثانياً: انطلقت القوات الإسلامية لمعركة ذات الصواري بعد أن تجمعت السفن المصرية والشامية في حصن ساحل عكا عام 34هـ/ 654م (الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 68/5؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 13/3؛ ابن أعثم، أحمد **الفتوح** 354) وهذا يشير أيضاً إلى وجود صناعة بالشام، وبهذا يمكن القول إن دور الصناعة في بلاد الشام وخاصة عكا لم تكن منتجة للسفن، ولكن كان بها سفن معطلة تم ترميمها واستخدامها في غزوات المسلمين المختلفة، وقد أخذت هذه الدار في التطور والنمو إلى أن صارت كدور صناعة مصر عام 49هـ/669م .

(2) بركات، وفيق، **فن الحرب البحرية** 57

(3) أورد الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 232/5 أن الحملة التي قادها يزيد انطلقت عام 49هـ/668م وهذا يوافق جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 50، في حين أورد كل من أبي داوود، سليمان، **سننه** 27/3؛ الترمذي، محمد **سننه** 212/5؛ اليافعي، عبد الله، **مرآة الجنان** 101/1 أن الحملة انطلقت عام 50هـ، واستشهد أبو أيوب الأنصاري في العام ذاته وأورد ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 252/11 أن وفاة أبي أيوب الأنصاري هو ما بين عامي 50هـ و52هـ غير أنه عاد 254/11 وقال:" إن أبا زرعة الدمشقي قال: إن وفاته في عام 55هـ، والأول أثبت، والله أعلم" .

(4) **تاريخه** 211

المؤرخين[1]، إضافة إلى ذلك فقد أورد أبو عمران التجيبي– أحد شهود العيان - أن حصار القسطنطينية كان في عام 50هـ/669م، وكان معهم أبو أيوب الأنصاري الذي استشهد فيها[2].

وبناءً على هذا يكون حصار القسطنطينية في عام 50هـ/669م، لأن الرواية السابقة هي رواية حية ومن شاهد عيان، وإذا عدنا إلى الرواية التي تقول إن يزيد حج بالناس في عام 50هـ/669م، فعلى أقل تقدير تكون الحملة قد عادت من القسطنطينية قبل ثلاثة أشهر من موسم الحج، أي في شهر شعبان من عام 50هـ/669م، لأن رجوع الحملة من القسطنطينية، وحتى بلوغ بلاد الحجاز يستغرق وقتاً طويلاً لا يقل عن ثلاثة أشهر نظراً لبعد المسافة.

وعلى هذا لو افترضنا أن خريف عام 49هـ هو نقطة انطلاق الحملة إلى القسطنطينية[3] ويوافق ذلك 668م[4]، والتي مكثت فترة من الزمن تنتظر المدد في خلقدونية[5]، وقد تكون الفترة الزمنية من لحظة انطلاق الحملة، وحتى قدوم المدد إليها قرابة ثلاثة شهور أيضاً، بهذا يكون وصولها إلى القسطنطينية أوائل عام 50هـ/669م أي ما بين شهر محرم وربيع الثاني من عام 50هـ/669م، وبذلك يكون حصار القسطنطينية من ربيع الثاني، وحتى شعبان من العام 50هـ/669م أي أن فترة الحصار استمرت ما بين ثلاثة وخمسة شهور، وما يرجح ذلك ما سطره بعض الكتاب من أن الحملة انطلقت في خريف عام 49هـ/668م[6]، وحاصرت القسطنطينية من ربيع عام 669م وحتى صيف العام نفسه[7] والفترة من الربيع وحتى الصيف هي ما بين ثلاثة إلى خمسة شهور.

على ما سبق يمكن القول إن الحملة انطلقت من نهاية عام 49هـ/668م، واستمرت إلى شهر شعبان من عام50هـ/669م، وكانت فترة الحصار ما بين ثلاثة شهور وخمسة .

---

(1) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 213/11، ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 38/16،36؛ ابن طولون محمد، **قيد الشريد في أخبار يزيد** 30؛ ؛ خنفر، خلقي، **الدولة الأموية** 125

(2) أبو داوود، سليمان، **سننه** 27/3؛ الترمذي، محمد، **سننه** 212/5؛ القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 372؛ خنفر خلقي، **الدولة الأموية** 125

(3) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 232/5

(4) الأحمد، ناصر، **حركة الجهاد والفتح الإسلامي في عهد الدولة الأموية** 99، رسالة دكتوراه، معهد الدعوة الجامعي للدراسات الإسلامية، لبنان – بيوت 2008م

(5) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 404/65

(6) رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 98

(7) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 44/2؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 23

فشل الحملة

تضافرت أسباب عدة حالت دون الاستمرار في حصار القسطنطينية، ومن ثم فك الحصار عنها وقد برزت تلك الأسباب في عوامل طبيعية وأخرى بشرية :

أولاً : العوامل الطبيعية : تتمثل في البرد الشديد الذي أنهك قوى المسلمين، ونخر في أجسادهم فكان نتيجة للبرد الشديد واختلاف الطبيعة المناخية على المسلمين في تلك البلاد، أن انتشرت فيهم العديد من الأمراض، خاصة مرض الجدري الذي فتك بكثير من الجند[1]، فنتج عنه موت وغلاء شديد[2] وجهد[3] .

كما أن طبيعة المنطقة الجغرافية، وصعوبة طرقها، زادت من معاناة المسلمين، لأن خبرتهم بتلك الطرق كانت متواضعة، بعكس البيزنطيين الذين خبروها جيداً، وتأقلموا معها، فكانوا أقدر من المسلمين في معرفتها وتحمل برودة الطقس فيها .

ثانياً : العوامل البشرية : فبالرغم مما أعده المسلمون لهذه الحملة، إلا أن إعدادهم كان متواضعاً يتوافق ومقدرات الدولة في ذلك الوقت، فخبرات وإمكانات المسلمين- في ذلك الوقت - كانت متواضعة إذا ما قورنت بإمكانات وقدرات البيزنطيين أصحاب الخبرة الطويلة في مجال حروب الحصار، وبما لديهم من تاريخ طويل في مجال الأساطيل البحرية، فقد كان للبيزنطيين أساطيل "إقليمية"، نظراً لاتساع رقعة الإمبراطورية، ولهذا فقد المسلمون العديد من جنودهم، وسفنهم، وعتادهم، الأمر الذي دفعهم لفك الحصار عنها[4] .

يضاف إلى ذلك مناعة القسطنطينية بموقعها الجغرافي، وأسوارها، وتحصيناتها، وكثرة جيوشها[5]، بعكس المسلمين الذين كانوا يقاتلون مكشوفي الظهر، والذين قطعوا مسافة طويلة حتى وصولهم إلى القسطنطينية، كما أن عدم إحكام حصار المدينة من جميع جهاتها، ساهم في فك الحصار عنها، فقد ظلت ناحيتها الشمالية والمتصلة بالبحر الأسود مفتوحة، لذا كانت تحصل على بعض إمداداتها من حقول القمح الواقعة على شواطئ البحر الأسود الشمالية[6]، هذا وأورد أحد الباحثين[7] بأن

(1) الأصفهاني، علي، **الأغاني** 211/17

(2) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 404/65

(3) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 180/11

(4) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 189/1؛ عنان، محمد، **مواقف حاسمة** 37

(5) نفسه 189/1؛ عنان، محمد، **مواقف حاسمة** 37

(6) Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P. 401,402,403.؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 164؛ عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 113/1

(7) العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 150-151

النار الإغريقية فتكت بالمسلمين في هذه الحملة، غير أنني ومن خلال ما اطلعت عليه من مصار ومراجع لم أجد أن النار الإغريقية كان لها دور في هذه الحملة، وبيدو أنه خلط بين هذه الحملة والحملة الثانية التي وجهها معاوية فيما بعد .

نتائج الحملة

استفادت بيزنطة من فشل استيلاء المسلمين على القسطنطينية، فعندما وصلت أخبار فشل المسلمين لملك الآفار أرسل الرسل والهدايا لبيزنطة، وسألوه إقامة علاقات سلمية وودية معهم[1]، غير أن المتمعن في هذه الحملة، وطريقها، وصعوبتها، ينتهي به النظر إلى أن انسحاب القوات الإسلامية عن أسوار القسطنطينية لا يعد هزيمة، فوصول المسلمين إليها، وضرب الحصار حولها- في هذه الفترة المبكرة - يعد نصراً بحد ذاته.

كما كان حظ المسلمين من ذلك الحصار تهديد العاصمة البيزنطية، وكسب مزيداً من الخبرة حول المدينة، والطرق المؤدية إليها، وإظهار دولة الإسلام وقوتها، وأن باستطاعتهم أن يغزوا البيزنطيين في عقر دارهم[2]، ويكفي المشاركين فخراً في هذه الحملة أن يكونوا ممن عناهم الحديث النبوي الشريف "أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم[3]"، فكانوا بحق أول جيش يغزونها[4] فاستحقوا بذلك المغفرة والرضوان، بإذن الله .

وكان من نتائج الحملة أسرى وقتلى من الطرفين، فقد استشهد العديد من المشاركين، وأسر بعض المسلمين، حيث عمل معاوية على فدائهم، وفك أسرهم[5].

ورغم فشل الحملة، إلا أن إرسال الصوائف والشواتي لم يتوقف[6]، وسرعان ما أعاد معاوية الإعداد لحملة ثانية لفتح القسطنطينية، فقد ظل المسلمون يحسون بهتاف أبي أيوب الأنصاري، ودعائه لهم بأن يعاودوا الكرة، حتى لا يظل جثمانه في أرض العدو[7] .

---

(1) ربيع، حسنين، **الإمبراطورية البيزنطية** 90

(2) الحميدي، عبد العزيز، **التاريخ الإسلامي مواقف وعبر** 13/1

(3) البخاري، محمد، **صحيح البخاري** 1069/3

(4) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 180/11؛ ؛ خنفر، خلقي، **الدولة الأموية** 125

(5) النويري، شهاب الدين أحمد، **نهاية الأرب** 185/6

(6) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 11/ 251

(7) Vasiliev, **History of the Byzantine Empire** I, P.221؛ ربيع، حسنين، **الإمبراطورية البيزنطية** 88

الحملة الثانية: في عهد معاوية بن أبي سفيان عام 54هـ/674م

الاستعدادات الإسلامية

بعد فشل الحملة الأولى التـي انطلقت أواخر عام 49هـ/668م، علم المسلمون أن أهم أمر فـي فتح القسطنطينية يتركز في حصارها من الجهات كافة، ولا يكون ذلك إلا بالدخول إلى مياه بحر مرمرة واجتياز القرن الذهبي، مما حدا بمعاوية إلى الإكثار من صناعة السفن بدور الصناعة في كل من مصر والشام، وما لبث أن أقام أسطول إسلامي آخر في بلاد المغرب[(1)] .

كما بدأ بشن حرب شعواء على الروم، مستغلاً صغر سن الإمبراطور الذي اعتلى عرش بيزنطة " قسطنطين الرابـع"، وقلـة تجاربـه[(2)] فأعـاد ترتيـب الـشواتي والـصوائف، كحـرب اسـتنزاف ضـد البيزنطيين، ولذلك نقل ميدان تجهيز الجند من الجابية إلى معسكر دابق القريب من الحدود الإسلامية البيزنطية، كما عمل على إعادة فتح جزر البحر المتوسط، ففي عام 51هـ/671م شتى فضالة بن عبيد بأرض الروم، وصاف بسر بن أبي أرطأة في أرضهم أيضاً[(3)]، وفي سنة 52هـ/672م قاد "جنادة بن أمية" حملة بحرية إلى جزيرة رودس[(4)]، وتمكن من فتحها، ووضع حامية فيها من المسلمين الأشداء والذين كانوا يقطعون طريق الروم في البحر، وقد أدر معاوية الأرزاق والأعطيات الجليلة لهم.

واستمروا على ذلك حتـى توفي معاويـة[(5)]، وتولى يزيد فأقفلهم من تلك الجزيرة [(6)]، وفي عام 53هـ/672م غزا بلاد الروم عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي، وافتتح مناطق قرب القسطنطينية[(7)].

---

(1) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 134/5؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 200/3؛ ماجد، عبد المنعم **التاريخ السياسي للدولة العربية** 58/2؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 24

(2) بورفيروجنيتوس، قسطنطين، **إدارة الإمبراطورية البيزنطية في عهد قسطنطين السابع** 81؛ الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 98؛ العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 64

(3) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 253/5؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 22/2؛ العصفري، خليفة بن خياط **تاريخه** 218؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 326/3 ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 300/48

(4) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 295/11، 296، 297؛ ربيع، حسنين، **الإمبراطورية البيزنطية** 89

(5) لما ثقل معاوية قيل إن يزيد كان غائباً، فكتب إليه معاوية بحاله يستقدمه، فخرج مسرعاً فوصل بعد أن توفي ودفن (ابن عبد ربه، أحمد، **العقد الفريد** 373/4؛ ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** 151/1- 133) غير أن ابن الأثير، عز الدين **الكامل في التاريخ** 261/3؛ وابن عبد البر، يوسف، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** 399/3 ذكرا أنه حضر قبل وفاة أبيه، وقد أوصاه بوصيته؛ للاستزادة حول وفاة معاوية ينظر: السلومي، عبد العزيز، **مرويات عمر بن شبه في تاريخ الطبري بين سنتي 59- 65هـ،** مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، مج1، ع8، 2000م، 256 - 257

(6) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 251/11؛ الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 288/5؛ ابن خلدون عبد الرحمن، **تاريخه** 22/2؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 341/3

(7) العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 219؛ ابن العديم، عمر، **زبدة الحلب** 25

وفي محاولـة لتطويق القسطنطينية، وجه معاوية حملـة إلـى الأقـاليم الواقعة بـالقرب منهـا، إذ فتح أزميـر[1]، وقـاليقلا[2] فـي آسيا الـصغرى[3]، كمـا تمكـن الأسـطول الإسـلامي بقيـادة عبـد الله بـن قـيس الفزاري أو جنادة بن أمية [4] من فتح جزيرة سزيكوس - علـى سـاحل بحـر مرمـرة، والتــي لا تبعد إلا قليلاً عن القسطنطينية- وذلك فـي سـنة 54هـ/674م واتخذها قاعدة للعمليات العسكرية[5]، لمـدة سـبع سنوات، لذا دعيت هذه الحملـة "بحـرب الـسنوات الـسبع"[6] بين عـامي (54-60هـ/ 673-679م) [7] وأخذ المسلمون يشنون منها غاراتهم على مواقع البيزنطيين في القسطنطينية، كمـا غـزا معـن بـن يزيـد السلمي[8] بلاد الروم فأوغل فيها، ووجهت حملة لفتح جزيرة كريت فيما بعد[9] .

لقد كـان الهـدف مـن تلـك الحمـلات فـرض الـسيادة العربيـة الإسـلامية علـى شـرق البحـر المتوسـط واتخاذها قواعد في البحر تمهيداً لتوجيه ضربة إلى القسطنطينية، بالإضافة إلى مراقبة حركة الأسطول البيزنطي، وقطع الطريق عليه لضرب السواحل الإسلامية، هذا ولا ننسى أن الاستقرار بهذه الجزر يشكل مولداً للخبـرة بأوضـاع البحر، ومراقبته عن قرب، والتعرف إلـى أنسب أوقـات الهجوم، وأفضل الوسائل المجدية في مواجهة حركته واضطرابه، تلاشياً لأخطاء الحملة السابقة .

---

(1) **أزمير**: مدينة في بر الأناضول على رأس خليج أزمير، ذات تجارة واسعة براً وبحراً (جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 45 – 46)

(2) **قاليقلا**: مدينة بأرمينيا العظمى من نواحي خلاط (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 299/4)

(3) Ostrogorsky, **History of The Byzantine State**, P. 111؛ عاقل، نبيه، **الإمبراطوريـة البيزنطيـة** 114-115 بركات، وفيق، **فن الحرب البحرية** 60؛ سالم، عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية** 32

(4) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 305/11؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 120/32

(5) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 293/5؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 23/2؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 344/3؛ البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 279؛ ربيع، حسنين، **الإمبراطوريـة البيزنطيـة** 89؛ بركـات وفيـق، **فن الحرب البحريـة** 57؛ سـالم، عبـد العزيـز وزميلـه، **تـاريخ البحريـة الإسـلامية** 24؛ مـصطفى، ناديـة وآخـرون، **الدولـة الأمويـة دولـة الفتوحات** 24؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 100؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 134

(6) ابـن الأثيـر، عـز الـدين، **الكامـل فـي التـاريخ** 344/3؛ حتـي، فيليـب، **تـاريخ العـرب** 252/3؛ نيكـول، دونالـد، **معجـم التـراجم البيزنطيـة** 132؛ عبـد العلـيم، أنـور، **الملاحـة وعلـوم البحـر عنـد المـسلمين** 92؛ سـالم، عبـد العزيـز وزميلـه، **تـاريخ البحريـة الإسـلامية** 24؛ مـصطفى، ناديـة وآخـرون، **الدولـة الأمويـة دولـة الفتوحـات** 36؛ رمـضان، عبـد العظـيم، **الـصراع بـين العـرب وأوروبا** 100؛ العدوي إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 64

(7) الطبري، محمد، **تـاريخ الرسل والملـوك** 293/5 – 322؛ ربيـع، حسنين، **الإمبراطوريـة البيزنطيـة** 89؛ سـالم، عبـد العزيـز وزميلـه، **تـاريخ البحريـة الإسـلامية** 24؛ خنفـر، خلقـي، **الدولـة الأمويـة** 184؛ مـصطفى، ناديـة وآخـرون، **الدولـة الأمويـة دولـة الفتوحات** 36؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 100؛ هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 123

(8) ابن كثير، عماد الـدين إسماعيل، **البدايـة والنهايـة** 306/11؛ الطبـري، محمد، **تـاريخ الرسـل والملـوك** 293/5؛ ابـن عسـاكر علي، **تاريخ دمشق** 443/59

(9) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 244؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 236/2

الاستعدادات البيزنطية

تتمتع القسطنطينية بحصانة كبيرة، وأسوار منيعة[1]، لكن رغم ذلك فقد كان للحملة الأولى التي وجهها معاوية للقسطنطينية أثر كبير في سياسة أباطرتها، فقد أدرك هؤلاء أن حملات المسلمين لن تتوقف عند ذلك، وأدركوا أن المسلمين على استعداد لاستئناف حملاتهم بشكل أعنف، لذلك اتجهت سياستهم إلى اتخاذ الإجراءات التي تحول دون وصول المسلمين لعاصمتهم، فعملوا على حشد الكثير من المؤن والعتاد فيها، وتقوية وسائل الدفاع عنها[2] .

فعمل الإمبراطور البيزنطي في ذلك الوقت "قسطنطين الرابع" على تقوية تحصينات المدينة وإحداث تغييرات جوهرية في النظم الإدارية والحربية للإمبراطورية، وخاصة في إقليم آسيا الصغرى والذي أصبح أهم موارد الإمبراطورية بعد ضياع الشام ومصر منها، إذ أصبح هو المصدر الأول الذي يمدها بالرجال والمحاربين، وكل ما يلزم للنهوض بالبلاد، كما ركز على هذا الإقليم باعتباره خط الدفاع الأول عن العاصمة، فمنح قائد الجيش هناك سلطات مدنية بجانب مهماته الحربية[3]، بالإضافة إلى نظام البنود التي تتولى حماية العاصمة، وغيرها من أطراف الإمبراطورية البيزنطية، خاصة تلك التي على الشاطئ الجنوبي لآسيا الصغرى[4]،والتي شكلت العمود الفقري لها[5]، وقد أقيمت تلك البنود استعداداً لحملات المسلمين على القسطنطينية[6]، حيث كان يحمي القسطنطينية حوالي أربعة عشر بنداً[7]،في آسيا الصغرى وحدها ثلاثة بنود وهي: البند الأناتولي[8]، وبند الإبسيق[9] ، وبند أرمينيا، والذي اهتم به الأباطرة البيزنطيون لمواجهة منافذ المسلمين في صوائفهم وشواتيهم، كما

---

(1) للتعرف إلى حصانة القسطنطينية ينظر التمهيد بداية هذه الدراسة

(2) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية 50/2**

(3) العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 168

(4) دياب، صابر، **المسلمون و جهادهم ضد الروم** 12

(5) العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 130؛ ربيع، حسنين، **الإمبراطورية البيزنطية** 77؛ الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 89

(6) ربيع، حسنين، **الإمبراطورية البيزنطية** 77

(7) Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P.301؛ ينظر: ابن خرداذبة، عبيد الله **المسالك والممالك** 105 -108؛ وقد بين المسعودي، علي، **التنبيه والإشراف** 150 أن تلك البنود تشبه نظام الأجناد الذي انقسمت إليه الشام .

(8) **الأناتولي**: تسمية تعود إلى ما قبل الإسلام، بمعنى الحاكم الشرقي، والتي تطلق على الحاكم العام للولايات الشرقية من الإمبراطورية (العدوي، إبراهيم، **الأمويين والبيزنطيين** 170)

(9) **الإبسيق**: الحرس الإمبراطوري، أي إقليم حرس الإمبراطور، وقد كان ينتقى له الجند ممن عرفوا بشدة البأس والمراس لارتباطه بحراسة الإمبراطور (العدوي، إبراهيم، **الأمويين والبيزنطيين** 169)

نظمت السلطات البيزنطية وسائل التعاون بين هذه البنود براً وبحراً وزودوها بالمؤن التي كانت تحصل عليها من شواطئ البحر الأسود الشمالية[1].

كما أن موقع القسطنطينية لم يكن مكشوفاً، بل تحميها التحصينات القوية والبحار العديدة[2]، وأيضاً أعد البيزنطيون سلاحاً جديداً وسرياً لم يكن معروفاً من قبل، ألا وهو النار الإغريقية، والتي هي مادة شديدة الاشتعال تحترق حتى على سطح الماء[3]، وعرف البيزنطيون هذه النار بـ"النار المصنعة المركبة سريعة الالتصاق"، أو النار السائلة، والنار البحرية[4]، خاصة أن تلك النار لا تطفئها المياه بل تزيد من فاعليتها[5] والتي كان لها دور فعال في إحراق كثير من سفن المسلمين في هذه الحملة[6].

سير الحملة

كانت الطلائع الأولى للحملة قد انطلقت عام 53هـ/673م، إذ انطلقت حملة بحرية توجهت صوب القسطنطينية، غير أن الشتاء الذي حل دفعها للرسو على شاطئ قاليقيا[7]، وذلك بقصد تحسن الجو، وقد يكون لها هدف آخر وهو مراقبة حركة واستعدادات البيزنطيين في المنطقة، وبمطلع الربيع عززت قوات هذه الحملة بوصول أسطول بحري بقيادة "جنادة بن أمية"، والذي استولى في طريقه إليها على جزيرة كزيكوس(أرواد)[8]، في مياه القسطنطينية الإقليمية، والتي اتخذت قاعدة أمامية لإمداد الجيش المحاصر للقسطنطينية، وقطع الطريق على السفن البيزنطية[9]، فكانت الأساطيل البحرية تحمل الجنود

---

(1) Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P. 402,403. ؛ ينظر: العدوي، إبراهيم **الأمويون والبيزنطيون** 169 - 172

(2) لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية في حوض المتوسط** 115

(3) حتي، فيليب، **تاريخ العرب** 253

(4) لمزيد من التفاصيل حول النار الإغريقية (ينظر: لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية في حوض المتوسط** 111؛ عواد، محمود **الجيش والأسطول الإسلامي في العصر الأموي** 522 رسالة دكتوراه ، الجامعة الأردنية - عمان 1992م ؛ فرج، وسام **بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والإداري** 144 – 151؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 122)

(5) سالم، عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية** 33

(6) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 50/2

(7) Ostrogorsky , **History of The Byzantine State**, P. 111 ؛ عاقل، نبيه، **الإمبراطورية البيزنطية** 114-115 Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P.310.؛ بركات، وفيق، **فن الحرب البحرية** 60 العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 172

(8) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 293/5؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 23/2؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 344/3؛ بركات، وفيق، **فن الحرب البحرية** 57؛ سالم، عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية** 32؛ رمضان عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 100؛ العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 64

(9) عنان، محمد، **مواقف حاسمة في التاريخ** 102/1

والمقاتلين من هذه الجزيرة، وتنقلهم إلى بر القسطنطينية[1] ليضربوا عليها حصاراً برياً، وفي الوقت نفسه كانت تعمل تلك الأساطيل على إكمال حلقة الحصار من البحر، وقد كانت تصل هذه الأساطيل إلى القسطنطينية دون مقاومة[2] نظراً لسيطرتها على الجزر القريبة منها، وبذلك استأنف المسلمون الهجمات على القسطنطينية وضرب الحصار عليها[3]، كما كانت القوات البرية تجتاز آسيا الصغرى بسهولة ويسر، نظراً لاضطراب أحوال بنودها بسبب الخلاف والنزاع بين قادتها[4] .

ويبدو أن المسلمين في الأعوام التالية لفتح جزيرتي رودس، وأرواد (كزيكوس)، كانوا يوجهون الصوائف والشواتي لفتح القسطنطينية من خلالهما، وكان في كل عام قائد لتلك الحملات، في البر والبحر، ولم يكن هناك قائد عام يتولى الخروج في كل عام، إذ تزودنا الحوليات التاريخية بذلك، غير أن ما يؤخذ على هذه الحوليات، أنها لم تورد تفاصيل تلك الحملات، ولم تذكر أحداث القتال، بل اكتفت بذكر القادة وسنوات خروجها فقط .

وإن صح هذا فإنه يؤكد حسن الإدارة والتخطيط للحملات الموجهة للقسطنطينية، فلكل قائد طريقته ونظرته الخاصة في الحرب، وإن كان به بعض الصعوبة على جيش المسلمين، من تعدد التوجيهات وتغير الأساليب، فإنه في الوقت نفسه يربك المرابطين أعلى أسوار المدينة بتعدد طرق المواجهة وأساليب القتال تبعاً لكل قائد .

على أية حال فقد شهدت الأعوام من 55 – 60هـ / 674- 679م كثيراً من الحملات التي كان لكل واحدة منها قائد في البر، وآخر في البحر، ففي عام 55هـ/674م اختلف فيمن شتى بأرض الروم[5]

---

(1) العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 172؛ سالم، عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية** 24؛ الأحمد ناصر، **حركة الجهاد والفتح الإسلامي في عهد الدولة الأموية** 100، رسالة دكتوراه، معهد الدعوة الجامعي للدراسات الإسلامية لبنان - بيوت 2008م

(2) يذكر العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 173 تولي "عبد الرحمن بن خالد بن الوليد" قيادة الحملة، ولكن ذلك وهم لأن عبد الرحمن كان قد توفي سنة 46هـ/666م (ينظر: ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 334/34؛ الذهبي، شمس الدين محمد **تاريخ الإسلام** 16)، وهذا يؤكد أنه لم يكن هناك قائد عام للحملة، وإنما اتخذت نظام الصوائف والشواتي التي كان لكل واحدة منها قائدها الخاص .

(3) الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 98؛ Ostrogorsky, **History of The Byzantine State**, P.112 سالم، عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية** 32

(4) العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 173

(5) فقيل سفيان بن عوف ، وقيل عمرو بن محرز، وقيل بل عبد الله بن قيس الفزاري، أو مالك بن عبد الله (الطبري، محمد **تاريخ الرسل والملوك** 299/5؛ العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 223؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 23/2؛ ابن الأثير عز الدين، **الكامل في التاريخ** 347/3)، وقد استشهد مالك في تلك الشاتية، (الذهبي، شمس الدين محمد، **دول الإسلام** 46/1؛ **سير أعلام النبلاء** 109/4؛ ابن الأثير، عز الدين، **أسد الغابة** 31/5) غير أنه يخيل إلي أن ذلك غير صحيح، بدليل ورود اسمه في غزوات وصوائف كثيرة بعد هذا التاريخ، كما أن ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 477/56 أورد أن مالكاً قاد الصوائف في زمن معاوية، ويزيد بن معاوية، وعبد الملك بن مروان، وأنه لما توفي في زمن عبد الملك بن مروان كسر على قبره أربعون لواءً، كما بين العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 223 بأنه قتل في هذا العام وقال إن هذا غير صحيح.

أما في عام 56هـ/ 676م فغزا يزيد بن شجرة الرهاوي البحر[1]، وعياض بن الحارث في البر[2]، وفي عام 57هـ/676م شتى بأرض الروم عبد الله بن قيس[3]، وغزا مالك بن عبد الله في البر، وعمرو بن يزيد في البحر[4]، كذلك في عام 58هـ/678م إذ غزا مالك بن عبد الله الخثعمي بلاد الروم[5]، وقيل عمرو بن يزيد الجهني، وفي البحر جنادة بن أمية[6]، أما في عام 59هـ/679م فشتى بأرض الروم عمرو بن مرة الجهني، وجنادة بن أمية في البحر[7]، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من قبل وهو أن لكل عام قائده الخاص في البحر والبر.

وبعد توجيه هذه الصوائف والشواتي، أحكم المسلمون الحصار حول القسطنطينية في البر والبحر واشتبكت القوات البحرية مع السفن البيزنطية مرات عدة، كما استمرت المعارك البرية بين الجيشين الإسلامي والبيزنطي، ومع حلول الشتاء في كل عام فك المسلمون الحصار عن القسطنطينية، نظراً لصعوبة القتال فيه والذي يصاحبه البرد الشديد[8]، لتعود القوات الإسلامية البرية والبحرية لقواعدها في جزر البحر المتوسط، انتظاراً لحلول الربيع ليستأنفوا عملياتهم الحربية، وتكررت العملية مدة سبع سنوات[9]، لذلك دعيت هذه الحملة بحرب السنوات السبع .

---

(1) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 65/223-225؛ 230

(2) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 5/301؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن، **المنتظم** 5/285؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 11/305؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 2/23؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ**3/349

(3) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 11/311؛ الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 5/308 العصفري، خليفة ابن خياط، **تاريخه** 225؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 3/357؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 32/120

(4) ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 2/23

(5) العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 225؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 56/472؛ الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 5/309؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن، **المنتظم** 5/290 ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 3/315؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 11/311

(6) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 3/358؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 46/348، 349؛ العصفري خليفة بن خياط، **تاريخه** 225

(7) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 11/344؛ الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 5/315 العصفري خليفة بن خياط، **تاريخه** 227؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 11/298، 46/349؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 3/363؛ وقيل إنه لم يكن فيها غزوة في البحر(الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 5/315؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل **البداية والنهاية** 11/311؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 46/349؛ العصفري، خليفة ابن خياط، **تاريخه** 226)

(8) عبد اللطيف، عبد الشافي، **العالم الإسلامي** 252

(9) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 3/344؛ حتي، فيليب، **تاريخ العرب** 3/252؛ ربيع، حسنين، **الإمبراطورية البيزنطية** 89؛ عبد العليم، أنور، **الملاحة وعلوم البحر عند المسلمين** 92؛ سالم، عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية** 32- 33؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 100

حصار القسطنطينية

أما عن عملية حصار القسطنطينية في هذه الحملة، فكانت تتم بوقوف بعض السفن الإسلامية بين رأس هبدومون Hebdomon - والتـي تبعد سبعة أميال عن أسوار القسطنطينية - ورأس كيكليبيوس Kyklobios الواقعة بالقرب من باب الذهب(1)، وكانت تلك السفن تشتبك مع القوات البيزنطية في عمليات حربية في مياه القسطنطينية، وتضرب عليها حصاراً، ويتخلل ذلك بعض المناوشات من الصباح حتـى المساء(2)، كما كانت القوات البرية تتراشق مع المقاتلين خلف أسوار المدينة بالقذائف والسهام(3) .

وهذا تكتيك جديد لم يستخدمه المسلمون من قبل، وهذا يدل على حسن التخطيط، ومحاولة تلاشي أخطاء المحاولة الأولى، بالرباط حول أسوار المدينة، بل اكتفى المسلمون هذه المرة بتوجيه الضربات لها، ومن ثم العودة للرباط بجوارها في مكان آمن من ضربات العدو وبرد الشتاء .

وبذلك تعرضت القسطنطينية للحصار رغم عدم إحكامه من جميع الجهات، إذ ظلت المنطقة المطلة على البحر الأسود مفتوحة، فكانت تحصل على كل الإمدادات والمؤن(4) ويعود ذلك إلى وجود السلسلة الحديدية التـي كانت تحول دون دخول القوات الإسلامية للقرن الذهبي، وقد شكلت تلك السلسلة الحديدية عائقاً أمام كل الحملات التـي وجهت للقسطنطينية(5)، وقد شمل الحصار كل المنطقة البحرية من رودس إلى القسطنطينية، وهو نوع من إغلاق تلك المنطقة، فقد أورد ابن عساكر(6) أن جنادة بن أمية قد أمره معاوية بالإغارة على جزر البحر وإغلاقه، فكان المسلمون يقتنصون السفن البيزنطية في عرض البحر ويدمرونها، وقد شعر البيزنطيون بهذا التهديد(7) .

وعلى هذا النحو تكرر حصار القسطنطينية على مدى سبع سنوات متواصلة، إذ كان الأسطول الإسلامي ينقل الجنود من جزيرة كزيكوس مطلع كل ربيع إلى أسوار القسطنطينية لفرض الحصار

---

(1) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 49/2

(2) عبد اللطيف، عبد الشافي، **العالم الإسلامي في العصر الأموي** 251 -253؛ الأحمد، ناصر، **حركة الجهاد والفتح الإسلامي في عهد الدولة الأموية** 101، رسالة دكتوراه، معهد الدعوة الجامعي للدراسات الإسلامية، لبنان – بيوت 2008م؛ رمضان عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 100

(3) Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P.310. ؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 173؛ خنفر، خلقي، **الدولة الأموية** 184

(4) Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P. 401,402,403. ؛ لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية في حوض المتوسط** 96؛ ربيع، حسنين، **الإمبراطورية البيزنطية** 89

(5) كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 81

(6) **تاريخ دمشق** 297/11

(7) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 49/2-50؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 100

عليها، في حين يكمل هو(الأسطول) الحصار في البحر، وعلى هذا النحو شل المسلمون فاعلية الإمبراطورية البيزنطية، وألهوها بالدفاع عن عاصمتهم، حتى لا تبادر بمهاجمتهم مدة سبع سنوات .

كما تمكن المسلمون من إعادة فتح جزيرة إقريطش(كريت) في عام 56هـ/676م وذلك بقيادة مالك ابن عبد الله، وقد كان هو وجمع من أصحابه قد توجهوا لفتح مدينة أصطذانة[1] بالمغرب قبل عام، ولما عادوا انضموا إلى الجيش المرابط على حصار القسطنطينية، فأعادوا فتح جزيرة كريت[2]، وقد شهد عام 58هـ/677م مواجهات عنيفة بين أسطول المسلمين وأسطول الروم في البحر، ويبدو أن نتيجة تلك المواجهات لم تكن في صالح المسلمين، إذ استشهد يزيد بن شجرة الرهاوي وجمع غفير من أصحابه[3] .

وفي محاولة لإرباك القوات البيزنطية المرابطة على تخوم الجزيرة الفراتية، وإشغالها، وعدم تمكينها من مساعدة إخوانهم المحاصرين في القسطنطينية، فتح المسلمون مدينة كمخ، بقيادة عمير بن الحباب السلمي، الذي قاتل حتى انكشف له الروم، وفتح حصن المدينة[4]، وكان ذلك في عام 59هـ/678م، مما ساعد على تأمين الطريق إلى أرمينية من أي هجمات بيزنطية متوقعة[5]، كما ساهم في إشغال وحدات من الجيش البيزنطي في هذه الناحية، وحال دون تمكينها من مساعدة إخوانهم المحاصَرين في القسطنطينية .

لقد أبلى المسلمون في تلك الحملات بلاءً حسناً، وتحملوا الصعاب والمشقات، فقد تعرض بحر إيجة لنيران القوات الإسلامية، كما كانت تقتحم بحر مرمرة[6]، لكن ذلك لم يؤد إلى نتائج حاسمة بسبب انقطاع تلك الحملات في فصول الشتاء، وعدم إحكام الحصار حول المدينة، كما فاجأ البيزنطيون المسلمين بسلاح لم يكن لهم به عهد، عُرف باسم النار الإغريقية[7]، والتي كانوا

---

(1) **أصطذانة**: هي ناحية بالمغرب فتحت عام 57هـ/677م (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 211/1 ؛ ابن عساكر، علي **تاريخ دمشق** 472/56)

(2) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 472/56

(3) نفسه 225/65، 233؛ العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 223

(4) العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 225؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 23/2؛ خنفر، خلقي، **الدولة الأموية** 126

(5) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 50/2؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 100

(6) لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية في حوض المتوسط** 96

(7) **النار الإغريقية**: هي مادة شديدة الاشتعال تحترق حتى على سطح الماء، اكتشفها مهندس سوري من دمشق، يدعى كالينيكوس (حتي، فيليب، **تاريخ العرب** 253) وعرف البيزنطيون هذه النار بـ"النار المصنعة المركبة سريعة الالتصاق"، أو النار السائلة، والنار البحرية، ولما استخدمها الصليبيون في القرن الحادي عشر أطلقوا عليها النار الإغريقية، وهي عبارة عن خليط من نفط، وقار، وكبريت، وجير حي، يغمس هذا الخليط في نسيج الكتان، ويوضع في أنبوبة تقذفه في الهواء بعد إشعالها (لمزيد من التفاصيل حول النار الإغريقية ينظر: لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية في حوض المتوسط** 111؛ العدوي، إبراهيم **الأمويون والبيزنطيون** 175 – 178 ؛ Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P.319. يوسف، جوزيف **تاريخ الدولة البيزنطية** 122)

يقذفون بها السفن الإسلامية، فتشتعل بها النيران[1]، غير أن هذا السلاح الجديد لم يفت من عضد المسلمين، إذ قدمت للأسطول الإسلامي الإمدادات بقيادة سفيان بن عوف، والذي شد في أزر القوات الإسلامية[2] لذلك ذاق البيزنطيون جراء هذا الحصار المرارة والألم، حتى تاقت نفوسهم لعقد هدنه بينهم وبين المسلمين لرفع الحصار عن مدينتهم، غير أنهم حاولوا ضرب الجبهة الإسلامية بالاستعانة بالجراجمة " المردة" الذين خرجوا إلى جبال لبنان[3]، عندها رأى معاوية ضرورة عودة هذه الجيوش ورفع الحصار عن القسطنطينية[4] فقد أحس بدنو أجله، وضرورة سحب القوات العسكرية لضمان حماية البيت الأموي من الفوضى والاضطراب[5] فعادت تلك الحملة بعد سبع سنوات من الحروب المضنية دون أن تحقق هدفها، ودخل الطرفان في مفاوضات تمهيداً لسحب قوات المسلمين المرابطة على القسطنطينية وإعادتها إلى بلاد الشام.

عقد الصلح بين المسلمين والروم

كانت الإمبراطورية البيزنطية تتلهف لإنهاء الحصار المضروب عليها منذ سبعة أعوام، مثلما كان المسلون يتمنون ذلك، وإنهاء حالة الحرب بين الطرفين، فأرسلت سفارة إلى دمشق مع رجل يدعى "يوحنا"[6] وحينما وصل دمشق اجتمع بمعاوية بحضور كبار البيت الأموي، وقد أظهر هذا الرجل من الإجلال للدولة الإسلامية ما أكسبه احترام معاوية وتقديره، ونجحت المفاوضات في عقد صلح بين الطرفين لمدة ثلاثين عاماً، على أن يدفع المسلمون ثلاثة آلاف قطعة ذهب سنوياً، وثمانية آلاف أسير وخمسين جواداً، وأبرم الاتفاق ودون على نسختين لكل فريق نسخة، وعاد يوحنا إلى بلاده يحمل الهدايا النفيسة[7] .

---

(1) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 50/2؛ ربيع، حسنين، **الإمبراطورية البيزنطية** 90؛ بركات، وفيق **فن الحرب البحرية** 60؛ عنان، محمد، **مواقف حاسمة** 102/1؛ سالم، عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية** 33 رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 100

(2) العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 148؛ بركات، وفيق، **فن الحرب البحرية** 61

(3) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 51/2؛ بورفيروجنيتوس، قسطنطين، **إدارة الإمبراطورية البيزنطية في عهد قسطنطين السابع** 79؛ العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 65

(4) بورفيروجنيتوس، قسطنطين، **إدارة الإمبراطورية البيزنطية في عهد قسطنطين السابع** 79

(5) الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 99؛ العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 65 Ostrogorsky, **History of The Byzantine State**, P. 111

(6) **يوحنا** : ويسمى "بتسيكود" أحد رجال الندوة في الحكومة البيزنطية، وقد اتصف بالخبرة، والحكمة، وحسن التعاطي مع العرب (عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية 51/2**؛ بورفيروجنيتوس، قسطنطين، **إدارة الإمبراطورية البيزنطية في عهد قسطنطين السابع** 79)

(7) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 304/4؛ اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 257/2؛ العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 152 Ostrogorsky , **History of The Byzantine State**, P. 111 ؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 52/2 Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P.312 ؛ الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 99؛ ربيع، حسنين، **الإمبراطورية البيزنطية** 90؛ سالم، عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية** 33 مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 24؛ عنان، محمد، **مواقف حاسمة في التاريخ** 37/1؛ رستم، أسد **الروم في سياستهم** 262؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 102؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 134؛ نيكول دونالد، **معجم التراجم البيزنطية** 133؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 96؛ خنفر، خلقي، **الدولة الأموية** 184

وبعد أن عقد هذا الاتفاق، صدرت الأوامر للجيش المحاصر للقسطنطينية بالقفول عنها، وهنا بدأت القوات تلم شملها لتعود إلى بلاد الإسلام، ثم أخليت بعد ذلك الكثير من جزر البحر المتوسط، خاصة جزيرة رودس والتـي هدمت مدينتها[1]، فقد أورد البسوي[2] أن رشيد بن كيسان الفهمي كان في عام 59هـ/678م بجزيرة رودس، وقد كتب إليه معاوية بالقفول عنها، وقد بقي المسلمون فيها ينتظرون يوماً لا ريح فيه لينطلقوا إلى الشام، وبعد أيام جاء مركب ينعى وفاة معاوية، والبيعة ليزيد، وهنا أعيد من بها من المسلمين إلى بلاد الشام، ولم يعد بعد ذلك محل لأي صراع بين المسلمين والروم[3] .

أما عن أسباب عقد هذا الصلح فيرجعها بعض المؤرخين الأوروبيين إلى ما قاساه الأسطول الإسلامي عند القسطنطينية، وتوالي هزائمه أمامهم، في حين يرى آخرون أن ذلك مرده إلى عدم جدوى تلك الحصارات، غير أن أهم الأمور التـي دفعت الدولة الإسلامية لعقد هذا الاتفاق هو الظروف الناجمة عن العهد ليزيد[4]، وقد جنى يزيد نتائج هذا الاتفاق يوم أن استقر الأمر له بعد وفاة أبيه، خاصة في مواجهة الاضطرابات التـي لحقت بالدولة نتيجة لذلك العهد[5]، فقد أدرك معاوية صعوبة الأمر على يزيد إن بقى الجيش على حصار القسطنطينية، فهذه أول عملية ولاية للعهد في الدولة الإسلامية، وعليه ستواجهه فكرة من هذا النوع الكثير من الصعوبات – وهذا ما حدث فعلاً - ولهذا قرر أن تعود تلك القوات لحماية البيت الأموي من الاضطرابات، مع ضمان عدم تعرض بلاد المسلمين لخطر الروم بدفع إتاوة سنوية لها .

فشل الحملة

أمام جلد المسلمين وتفانيهم في تحقيق هدفهم، وتحملهم مشاق الحصار، إلا أن المدينة صمدت أمامهم، ودفعت بهم للرجوع إلى بلادهم دون فتحها، ولعل فشل الحصار يعود إلى ما يلي:

أولاً: عقد هدنة بين المسلمين والبيزنطيين على وقف الحرب بين الطرفين لمدة ثلاثين عاماً، إذ صدرت الأوامر عن الخليفة معاوية بفك الحصار عن المدينة، وعودة الجيش المحاصر لها إلى بلاد

---

(1) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 322/5؛ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 391/11؛ ابن خلدون عبد الرحمن، **تاريخه** 23/2؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 368/3؛ البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان**160

(2) **المعرفة والتاريخ** 419/3؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 26/11

(3) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 220/6؛ أبو زرعة، عبد الرحمن، **تاريخه** 188/1؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل **البداية والنهاية** 145/8

(4) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 52/2؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 24

(5) يوليوس، فلهاوزن، **تاريخ الدولة العربية** 165

الشام[1]، وأثناء ذلك تعرض الأسطول الإسلامي إلى موجة عاتية من الرياح، مما ألحق به العديد من الخسائر، إذ لم ينج من تلك العاصفة إلا القليل من السفن[2].

ثانياً: مناعة أسوار القسطنطينية، وحشد الكثير من المؤن والعتاد فيها، وتقوية وسائل الدفاع عنها[3] وموقعها الاستراتيجي الذي تحميه البحار العديدة[4]، وطبيعة التيارات المائية التي تحيط بجهاتها الساحلية، مما كان له دور في اندحار قوات المسلمين عنها في كل الحملات التـي وجهت لها، فهي من الحصانة الشيء الكثير، فقد تعرضت للحصار تسعاً وعشرين مرة، ولم تسقط إلا في سبع مرات فقط[5].

ثالثاً: فتك النار الإغريقية، بالقوات الإسلامية[6]، خاصة أن تلك النار لا تطفئها المياه بل تزيد من فاعليتها، فلا تخمد إلا باستخدام الرمل والخل[7]، إذ تمكن البيزنطيون بسببها في إحراق كثير من سفن المسلمين[8]، كما لم تكن للمسلمين الخبرة الكافية للتعامل معها.

رابعاً: فقدت حملات المسلمين عنصر المفاجأة، فقد كانت بيزنطة تعلم بشكل دائم أخبار الحملات الموجهة إليها، خاصة وأن تلك الحملات أخذت طابع الصوائف والشواتي السنوية، فكانت تأخذ ترقبها وتستعد لمواجهتها، خاصة في أوقات انقطاع الحملات عليها في الشتاء .

---

(1) العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 175؛ نيكول، دونالد، **معجم التراجم البيزنطية** 132؛ عبد اللطيف، عبد الشافي **العالم الإسلامي في العصر الأموي** 253؛ الأحمد، ناصر، **حركة الجهاد والفتح الإسلامي في عهد الدولة الأموية** 101، رسالة دكتوراه، معهد الدعوة الجامعي للدراسات الإسلامية، لبنان – بيوت 2008م؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 24؛ عنان، محمد، **مواقف حاسمة في التاريخ** 37/1؛ رستم، أسد، **الروم في سياستهم** 262

(2) لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية في حوض المتوسط** 97؛ العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 150؛ الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 99؛ Ostrogorsky : **History of The Byzantine State**, P. 111 ؛ مصطفى، نادية وآخرون **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 24؛ عنان، محمد، **مواقف حاسمة في التاريخ** 37/1؛ رستم، أسد، **الروم في سياستهم** 262 خنفر، خلقي، **الدولة الأموية** 184

(3) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية 50/2**؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 100؛ يوسف جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 27

(4) لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية في حوض المتوسط** 108

(5) جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 10/1

(6) Bury, **The history of the later Roman**, vol II , P.311. ؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 134 Ostrogorsky, **History of The Byzantine State**, P. 111 ؛ العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 66؛ **الأمويون والبيزنطيون** 175 ؛ نيكول، دونالد، **معجم التراجم البيزنطية** 133؛ ربيع، حسنين، **الإمبراطورية البيزنطية** 89؛ خنفر، خلقي، **الدولة الأموية** 184

(7) سالم، عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية** 33

(8) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 50/2

خامساً: عدم القدرة على إحكام الحصار حول القسطنطينية من الجهات كافة، الأمر الذي يسر لها الحصول على التموين من جهاتها المطلة على البحر الأسود[(1)]، خاصة وأن السلسلة الحديدية في القرن الذهبي حالت دون دخولهم له، وحجب تلك المعونات عنها .

سادساً: قوة البيزنطيين واستبسالهم في الدفاع عن مدينتهم، لأن الموضوع أصبح - بالنسبة لهم - مسألة حياة أو موت، فقد وجدوا أنفسهم أمام عدو يعمل على نشر عقيدة تغاير عقيدتهم، وليس وراءهم من يستطيع أن يحمي العقيدة المسيحية آنذاك، الأمر الذي زاد من استبسالهم في الدفاع عنها.

سابعاً: الحملات الحربية المضادة التـي قام بها البيزنطيون خلال مهاجمة المردة للدولة الإسلامية بقصد فك الحصار عن القسطنطينيـة[(2)]، وقد أحسن البيزنطيون التعامل مع هؤلاء المردة في الضغط على الدولة الإسلامية .

ثامناً: مثلت العوامل الطبيعية عنصراً مهماً في تراجع القوات الإسلامية عن القسطنطينية، إذ هبت العديد العواصف التـي أفقدت الجيش الإسلامي الكثير من سفنه وأفراده، إضافة إلى التـيارات المائية المخالفة لسير القوات الإسلامية[(3)]، والمناخ البارد الذي تعايش معه البيزنطيون، وفي الوقت نفسه كان البيزنطيون يمتلكون كل ما يلزمهم لترميم سفنهم، بل وصناعة أخرى جديدة.

تاسعاً: شعور معاوية باقتراب أجله، وضرورة عودة القوات الإسلامية للحفاظ على الدولة من الانهيار نتيجة للعهد ليزيد، ويرى آرشيبالد لويس[(4)] أن فشل هذه الحملة أعاد لبيزنطة السيادة من جديد على البحر المتوسط، وكانت الجولة الجديدة في الصراع البحري بين القوتين لصالح البيزنطيين؛ وقد يكون محقاً في بعض ما قاله، غير أن ما كان من أحداث خلال الثلاثين عاماً القادمة برهن على غير ذلك، فقد تلقت كثير من أقاليم الإمبراطورية البيزنطية العديد من الضربات الإسلامية في البر والبحر إضافة إلى تهديد العاصمة القسطنطينية في أعظم وأطول عملية حصار في التاريخ، مما جعلها تتراجع إلى أدنى مستوياتها في الحرب البحرية والبرية أيضاً، فقلمت أظفارها وأخذت تتخلى عن مشاريعها بالعود إلى الشرق من جديد.

---

(1) Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P. 401,402,403؛ الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 98؛ خنفر، خلقي، **الدولة الأموية** 184

(2) الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 98 - 99

(3) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 50/2

(4) **القوى البحرية في حوض المتوسط** 97

نتائج الحملة

لقد أحدث تراجع المسلمين عن القسطنطينية مرة ثانية في غضون عشر سنوات صدى واسعاً في العالم الغربي المسيحي، وعد حدثاً عالمياً هاماً جعل قسطنطين الرابع بطلاً مشهوراً، لأنه تمكن من إنقاذ أوروبا بأسرها، وليس القسطنطينية فقط من الوقوع تحت النفوذ الإسلامي في ذلك الزمن المبكر مما دفع خاقان الآفار ورؤساء قبائل شبه جزيرة البلقان إرسال السفراء إلى القسطنطينية معلنين ولاءهم وإخلاصهم للإمبراطور البيزنطي، والتمسوا إقامة علاقات سلام ومودة معه[1] .

كما أدى تراجع الحملة وفشلها، وتَمَكُّن البيزنطيين من عقد هدنة مع المسلمين لصالحهم معنى أعمق من النتائج المادية، ذلك أن غاية الأمويين من فتح القسطنطينية لم يكن مجرد الاستيلاء على قطعة جديدة من الأرض، وإنما كان المأمول أن تضحي القسطنطينية البوابة التي تخترقها دعوة الإسلام في طريقها إلى الشعوب المسيحية في الغرب[2]، لكن ذلك لم يتحقق، فحرمت تلك الشعوب من بلوغ دعوة الإسلام ردحاً من الزمن .

هذا واغتنمت بعض القبائل البربرية على الحدود الشمالية للإمبراطورية البيزنطية فرصة انشغال البيزنطيين بحربهم مع المسلمين، لينقضوا على الولايات الأوروبية التي كانت قد انسحبت منها القوات البيزنطية لمقاومة المسلمين عند القسطنطينية، إضافة إلى هجوم البلغار[3] الذين لم يتمكن قسطنطين الرابع من قتالهم لانشغاله بحرب المسلمين على أسوار القسطنطينية[4]، فواجه صعوبات جديدة في البلقان نتيجة قيام دولة للبلغار هناك[5] حيث غدت شوكة في ظهر الإمبراطورية البيزنطية، خاصة أنها عملت على تطوير نظامها السياسي والعسكري،مما حدا ببيزنطة أن تسلمها جزءاً من إمبراطوريتها[6].

---

(1) Vasiliev, **History of the Byzantine Empire** I, P.215 ؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 53/2 أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 134؛ ربيع، حسنين، **الإمبراطورية البيزنطية** 90

(2) عنان، محمد، **مواقف حاسمة في التاريخ** 38/1؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 24؛ عثمان فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 53/2

(3) **البلغار**: بلاد عظيمة من أمم الترك، بينهم وبين القسطنطينية مسيرة شهرين وبين ملوكهم قتال، إذ يشنون الغارات على القسطنطينية (القزويني، زكريا، **آثار البلاد وأخبار العباد** 612)

(4) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 134-135؛ الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 100

(5) ربيع، حسنين، **تاريخ الدولة البيزنطية** 91-92؛ الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 99؛ العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 153؛ وللاستزادة حول أثر البلغار على الدولة البيزنطية (ينظر: ربيع، حسنين، **تاريخ الدولة البيزنطية** 92-93)

(6) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 143؛ Vasiliev, **History of the Byzantine Empire** I, P.219 الشيخ، محمد **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 99؛ Ostrogorsky, **History of The Byzantine State**, P. 125 - 126 فرج، وسام **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 169

أما على الجانب الإسلامي فقد ترتب على فشل هجوم المسلمين على القسطنطينية هذه المرة عقد صلح بين الطرفين لمدة ثلاثين عاماً، تكفل المسلمين فيه بدفع ثلاثة آلاف قطعة ذهب سنوياً، وثمانية آلاف أسير، وخمسين جواداً من الخيل[1]، وهذه خسارة اقتصادية واضحة، لكن ذلك لم يكن في صالح بيزنطة وحدها، بل استفاد المسلمون من ذلك في تثبيت أركان الدولة الأموية بعد وفاة معاوية، فالحفاظ على الدولة من الأخطار الداخلية أنفع وأجدى من مواجهة الأخطار الخارجية، وإن كان في كليهما خطر كبير، غير أن الدولة أمام خيارين أحلاهما مر، فمعاهدة تكسب الدولة فيها السلامة، خير من حرب تتسبب في نهايتها الندامة .

كما مثل الصراع الإسلامي البيزنطي عند أبواب القسطنطينية ذروة النشاط الإسلامي، فقد حاصر المسلمون القسطنطينية خلال عشر سنوات فترة طويلة من الزمن، لكنهم لم يتمكنوا من تحقيق نصر حاسم، واكتفوا برؤية بيزنطة تنزل من عليائها متلقية أشد الضربات، حتى سادت هيبة معاوية في كل مكان[2] .

غير أن فشل هذه الحملة أوقف المسلمون عن التطلع إلى مزيد من الفتوحات، والاحتفاظ بما تم فتحه من أقطار، والقيام بحملات الصوائف والشواتي كلما سمحت الظروف بذلك[3]، فتراجعنت سياسة التوسع الأموي تجاه القسطنطينية، وتوقف المد تجاهها قرابة ستة وثلاثين عاماً، وربما كان سبب ذلك الضربة التي تلقاها الأسطول الإسلامي عند عودته من القسطنطينية، بالإضافة إلى ما لحق الدولة الإسلامية من فتن عقب وفاة معاوية، إذ تراجعت السياسة الأموية الهجومية، ويلاحظ ذلك من خلال

---

(1) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 304/4 ؛ اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 257/2؛ العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 152 ؛ Ostrogorsky, **History of The Byzantine State**, P. 111 ؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 52/2 ؛ Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P.312 ؛ الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 99؛ ربيع، حسنين، **الإمبراطورية البيزنطية** 90؛ سالم، عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية** 33؛ مصطفى نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 24؛ عنان، محمد، **مواقف حاسمة في التاريخ** 37/1؛ رستم، أسد، **الروم في سياستهم** 262؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 102؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 134؛ نيكول دونالد، **معجم التراجم البيزنطية** 133؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 96

(2) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية 52/2**

(3) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 161/6، 164، 168، 175؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 212/3، 214، 218، 221، 2/4؛ البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 165؛ اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 214/2؛ رستم، أسد **الروم في سياستهم** 262/1؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 134؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 164

انسحاب القوات الإسلامية من بعض جزر المتوسط: كجزيرة قبرص التي سحبت حاميتها أواخر عهد معاوية[1] .

هذا وأدرك المسلمون أن قطع الإمدادات عن القسطنطينية وأقاليمها هو الهدف الذي يجب أن يصلوا إليه ليصيبوا من عاصمة الروم مقتلاً [2] .

وهكذا انتهى حصار القسطنطينية الثاني، وانسحب الأسطول الإسلامي من مياه البسفور، وإذا لم يدخل العرب القسطنطينية فاتحين، فإنهم شاهدوا بيزنطة تحت الحصار، واستعرضوا قوتهم أمامها وأجبروا أهلها على الاحتماء داخلها، والوقوف موقف المدافع، وإذا كانوا قد فشلوا هذه المرة، فإن هدف فتح القسطنطينية ظل حلماً يراودهم، ويقض مضاجعهم، وبهذا تركت القوات الإسلامية القسطنطينية متخلية عن مشروعها مؤقتاً، ليعاودوا المحاولة من جديد، في حملة على القسطنطينية في عهد سليمان بن عبد الملك، والتي هي محل البحث في الصفحات التالية .

---

(1) مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 36

(2) العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 172

الحملة الثالثة: في عهد سليمان بن عبد الملك[1]

إن فشل الحصار الأول للقسطنطينية عام 49هـ/668م، ثم فشل الحصار الثاني الذي عرف " بحرب السنوات السبع" 54- 60هـ/674-679م لم يصرف الأمويين عن التفكير والإعداد لمشروعهم الكبير بفتح القسطنطينية وترقب الفرص لذلك، والتي سنحت بعد أكثر من ثلاثين عاماً من الحصار الأخير ففي ذلك الحين كانت الدولة الأموية قد بلغت مجدها الحربي، وارتقى الخلافة الوليد بن عبد الملك بعد والده ليجني ثمار جهاد أبيه، وليبدأ فترة جديدة من الفتوحات الكبيرة، وعلى رأسها محاولة فتح القسطنطينية.

تمهيد : الجبهة البيزنطية في عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد

أولاً: في عهد عبد الملك

سار بنو أمية على هدي معاوية بن أبي سفيان في فتح القسطنطينية، ويرجع اهتمامهم بذلك لرغبتهم في أن يكونوا المقصودين بأحاديث النبي (ﷺ) في فتح القسطنطينية، لينالهم الأجر والثواب، يضاف إلى ذلك رغبتهم في وضع حد للهجمات البيزنطية على الشواطئ الإسلامية، والتي من شأنها بث حالة من عدم الاستقرار فيها، كما تمس بسيادة الدولة الإسلامية .

ولما استلم زمام الحكم عبد الملك بن مروان (65- 86 هـ/685-705م)، وجه جهوده نحو مملكة الروم التي راق لها انشغال المسلمين عن غزوها برهة من الزمن، بسبب الفتنة حول المُلك في أعقاب وفاة يزيد بن معاوية (60-64هـ/680-683م)، فقامت بشن غارات على منطقة الثغور الشامية مستغلة هذه الفرصة التي اضطر عبد الملك فيها إلى عقد هدنة معها - في أول حكمه- لتثبيت ملكه لقاء مبلغ من المال يدفعه لها[2]، غير أن هذه الهدنة لم تستمر سوى عام واحد، بسبب الدنانير

---

(1) **سليمان بن عبد الملك**، بن مروان، بن الحكم، بن أبي العاص، بن أمية، بويع بعد أخيه الوليد، وكان ديناً، فصيحاً، محباً للغزو، ويقال إنه نشأ في البادية، ونقش على خاتمه "أومن بالله مخلصاً"(الذهبي، شمس الدين محمد، **سير أعلام النبلاء** 111/5)

(2) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 150/6؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 92/4؛ اليافعي، عبد الله **مرآة الجنان** 117/1؛ ابن العبري، غريغوريوس، **تاريخ مختصر الدول** 194؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 313/8؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 88/3؛ المسعودي، علي، **مروج الذهب** 206/3؛ اليعقوبي، أحمد **تاريخه** 269/2؛ الذهبي، شمس الدين محمد، **العبر في خبر من عبر** 58/1؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 195/1؛ بورفيروجنيتوس، قسطنطين، **إدارة الإمبراطورية البيزنطية في عهد قسطنطين السابع**85؛ العدوي، إبراهيم **الأمويون والبيزنطيون** 208؛ Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P.302. ؛ ربيع حسنين، **تاريخ الدولة البيزنطية** 94؛ خنفر، خلقي، **الدولة الأموية** 126

الإسلامية التي ضربها عبد الملك بن مروان[1] والتي أرسلها كجزية بدلاً من العملة البيزنطية[2]، وقد حمل هذا التصرف معنى التحدي للإمبراطور البيزنطي، خاصة وقد نقشت على العملة عبارة "أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله[3]"، حيث عد ذلك إعلاناً للحرب الاقتصادية ضد الدولة البيزنطية[4]، والتي لم يجرؤ على مثل هذا العمل أحد قبله[5] .

وكانت السنوات التالية خير دليل على التوجه الجديد لدى عبد الملك، إذ هاجم آسيا الصغرى وافتتح قلعة[6] إرقيلية[7]، واقتصر رد بيزنطة على مهاجمة مرعش عام76هـ/695م[8]، مما مثل دليلاً على الضعف البيزنطي في التصدي للمسلمين[9] الذين توسعوا في جبهة آسيا الصغرى، وواصلوا تقدمهم فيها[10]، غير أن الدولة الأموية تعرضت في هذه الفترة لثورة عبد الرحمن بن الأشعث (81-84هـ 700-703م) والتي استمرت أربع سنوات، واستنفذت جهداً كبيراً من الخليفة للتعامل معها حتى تم القضاء عليها[11]، كما تعرضت بلاد الشام وأنحاء أخرى من الدولة الإسلامية لخطر الطاعون سنة 79هـ/698م، فاستغل الإمبراطور البيزنطي هذه الأزمات فهاجم أنطاكيا[12]، وعمل على إنجاز إصلاحات في بعض المدن الحدودية وتحسين الأسطول البحري[13]، وفي المقابل استغل المسلمون الصراع على العرش البيزنطي في ذلك الوقت، بمهاجمة بلاد الروم، فقد تعاقب على الحكم

---

(1) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 256/6؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 167/4؛ ابن خلدون عبد الرحمن، **تاريخه** 57/3؛ القضاعي، محمد، **تاريخه** 345؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 195/1 العدوي إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 208

(2) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 167/4؛ لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية في حوض المتوسط** 99

(3) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 243/12

(4) لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية والتجارية في حوض المتوسط** 135؛ لقد عدت القسطنطينية ذلك التصرف ضربة اقتصادية عنيفة موجهة لها، لأن استقلال دمشق الاقتصادي خسارة تضاف إلى خسائرها العسكرية العديدة في مواجهة الدولة الإسلامية، ولهذا أعلنت الحرب على المسلمين (العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 160)

(5) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 239/3

(6) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 280/12

(7) **إرقيلية**: لم أعثر لها على تعريف فيما تيسر لي من مصادر ومراجع

(8) ابن العديم، عمر بن أحمد، **زبدة الحلب** 26؛ الجنزوري، علية، **الثغور البرية الإسلامية على الحدود البيزنطية** 76

(9) الجنزوري، علية، **الثغور البرية الإسلامية على الحدود البيزنطية** 76

(10) Vasiliev, **History of the Byzantine Empire** I, P.215؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 362/1-363؛ العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 139 – 140؛ فرج، وسام، **العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية** 43؛ ربيع، حسنين، **تاريخ الدولة البيزنطية** 97

(11) المسعودي، علي، **التنبيه والإشراف** 315

(12) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 191/4؛ عبد الله، وديع، **العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى** 76 مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 28؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 144

(13) عبد الله، وديع، **العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى** 76

في الفترة التـي سبقت حكم اليون الأيسوري (ليو الثالث) والتـي تقدر بعشرين عاماً ستة أباطرة[1] فهاجم المسلمون[2] قاليقيا[3]، وافتتحت المصيصة، وحصنت وأسكنت بالمقاتلين[4]، كما غزيت أرمينية[5] والكثير من المناطق المختلفة في بلاد الروم، ولم يتوقف الأمويون عند ذلك، فقد سيطروا على العاصمة الرومانية بإفريقيا "قرطاجنة" وبذلك انتهى الحكم البيزنطي في إفريقيا[6]، كما قام الخليفة عبد الملك ببناء عسقلان، وحصنها، ورمم قيسارية، وجدد صور، وعكا لما لهذه المناطق من أهمية حربية[7] .

هذا وقد دعا عبد الملك الناس للجهاد في سبيل الله، فوردوا عليه من جميع الآفاق، وحثهم على الجهاد، وشاورهم في الإعداد لمواجهة الروم، مؤكداً بذلك على مبدأ الشورى في اتخاذ القرار العسكري إذ أن الأمويين كانوا يعملون بذلك المبدأ في إدارتهم للمعارك الحربية[8]، ثم وجههم بعد أن استكملوا استعداداتهم إلى بلاد الروم[9] وأمر عليهم ابنه مسلمة[10] .

والناظر فيما روي عن الحملة التي أعدها عبد الملك بن مروان، والمتتبع لسير حركتها، ينتهي به النظر إلى أن هدفها كان القسطنطينية[11]، لكن ذلك ليس ثابتاً ولا محرراً؛ فلم يرد في ما اطلعت عليه

---

(1) Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P.378.

(2) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 195/4؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 89/3

(3) **قليقية:** مدينة بأرمينيا العظمى من نواحي خلاط (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 299/4)

(4) ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 89/3

(5) الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 236/4؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 89/3

(6) لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية في حوض المتوسط** 100

(7) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 169 – 170؛ أبو الفرج، قدامة بن جعفر، **الخراج** 290، 302، 330؛ ابن العماد، عبد الحي **شذرات الذهب** 95/1

(8) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 258/6،213، 259، 272، 232، 327، 335؛ ابن قتيبة، محمد، **الإمامة والسياسة** 51/2؛ آل كمال، سليمان، **الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية** 283، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى – مكة المكرمة 1998م

(9) ابن أعثم، أحمد، **الفتوح** 167/7؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 167/9-168

(10) **مسلمة بن عبد الملك**: هو مسلمة، بن عبد الملك، بن مروان، بن الحكم الأموي، أبو سعيد، كان من أشجع أبناء عبد الملك له آثار كثيرة في حروب الروم والخزر، ونكاية في الروم خاصة، حيث لازم الغزو في بلادهم سنين طويلة، حالفه التوفيق في معظم تلك الغزوات، توفي سنة 121 هـ بالشام (ينظر: ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 27/58)

(11) حيث ذكر أن مسلمة استمر في غزواته تلك أربع عشرة سنة، ووصل خلالها إلى القسطنطينية، وحاصرها، وبنى بإزائها مدينة القهر، واستمر هناك قاهراً للروم إلى أن كتب إليه سليمان بن عبد الملك معزياً في أبيه عبد الملك وأخيه الوليد، في روايات متداخلة مضطربة بعضها أقرب إلى الأساطير منها إلى الحقائق (ينظر: ابن أعثم، أحمد، **الفتوح** 194/7-197 298/7-306؛ عبد الجواد، ليلى، **مملكة القسطنطينية في مسالك الأبصار وممالك الأمصار للعمري**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة،ع 15، 2007م، 299)

من المصادر[1]، ولا حتى في المراجع العربية الحديثة[2]، ما يدل على طَرْق الجيوش الإسلامية للقسطنطينية بعد وفاة معاوية وحتى عهد سليمان بن عبد الملك، و أما ما قد يفهم من رواية بن عساكر[3] من توجيه عبد الملك ابنه مسلمة في تلك الغزوة نحو القسطنطينية، فيؤخذ عليها ما ورد في الرواية نفسها من قوله:" أردت أن أغزيكم غزاة كريمة شريفة إلى صاحب الروم اليون" فلم يكن من أباطرة الروم المعاصرين لعبد الملك من يحمل هذا الاسم، مما يدل على أن هناك خلطاً في الرواية وتداخلاً، وقد ذكر خليفة بن خياط[4] أن مسلمة قاد في عهد أبيه حملة موفقة إلى بلاد الروم فتح فيها بعض الحصون، ويرجح أن هذا الإعداد المذكور كان لها .

وهذا لا ينفي أن عبد الملك كان مدركاً لأهمية القسطنطينية، بدليل توجيهه نظر أبنائه إليها، وتمهيده الطريق نحوها، والجدير بالذكر أن عبد الملك بن مروان لم يكن يحرك جيشاً إلا وسبقته العيون لرصد أخبار العدو، ومن ذلك أن مسلمة بن عبد الملك حينما وجهه أبوه إلى بلاد الروم عقد لعبد الله البطال على عشرة آلاف[5] من المسلمين، فجعلهم يسيرون فيما بين عسكر المسلمين وما يليهم من حصون الروم، ويأتون بخبر من يتخوفون اعتراضه في نشر أخبار المسلمين وعلاقاتهم[6]، كما استطاع عبد الملك بن مروان استمالة بعض أبناء البلاد المفتوحة ليكونوا عيوناً للمسلمين يقدمون لهم المعلومات عن تحركات العدو، ويظهر ذلك جلياً عندما زحف بنفسه (عبد الملك بن مروان) إلى إقليم قليقيا بأرض الروم، وواجه الإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني مع قواته عند مدينة سيواس[7]، وأنزل به هزيمة قاسية، مستفيداً من العناصر السلافية في جيش الإمبراطور الحاقدة عليه، والتي استمالها عبد الملك

---

(1) العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 267-293، الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 194/6-418، ابن عساكر، علي **تاريخ دمشق** 153/20؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 7/9-61

(2) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 2/ 72-78؛ عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 112/1-113 العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 210؛ سالم، عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية** 31

(3) **تاريخ دمشق** 168/9

(4) **تاريخه** 293

(5) الذهبي، شمس الدين محمد، **سير أعلام النبلاء** 269/5 ؛ عبد الجواد، ليلى، **مملكة القسطنطينية في مسالك الأبصار وممالك الأمصار للعمري**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة،ع 15، 2007م، 299؛ وعن البطال (ينظر: ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 401/33؛ حنفي، عبد اللطيف، **عبد الله البطال صفحة مشرقة للجهاد الإسلامي الأموي ضد البيزنطيين**، مجلة كلية الآداب، حلوان، ع9+10، 2001م، 332- 338)

(6) الشهابي، سكينة، **البطل الغازي العربي عبد الله البطال**، مجلة التراث العربي- دمشق،ع15 + 16، 1404هـ، 3

(7) **سيواس**: مدينة مشهورة من مدن الروم، كثيرة الخيرات والثمار، وعامرة بالأهل (القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 456؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 139

فانضمت إلى صفه، وقد أسكنهم عبد الملك في ثغور الشام، وقبرص، فنجحوا وأثروا، في حين غدا إخوانهم بآسيا الصغرى أداة تعين المسلمين في حملاتهم ضد الروم[1] .

وكانت أهم المعاقل والحصون التي افتتحت في عهد عبد الملك بن مروان حصن سنان[2]، والذي شحن بالجنود بقصد حماية الحدود[3]، وتزويد القيادة بمجريات الأحداث فيها، لأن سياسة عبد الملك كانت تقوم على ربط الثغور بالقيادة العليا، ليكون على علم بأحوالهم، وما يستجد بها من متغيرات[4] إضافة إلى ما سبق فقد فتحت[5]المصيصة[6] وتم تجديد القواعد البحرية الحربية بالساحل الشامي[7] .

كما تمكن المسلمون في عهد عبد الملك من العبور نحو أوروبا من الغرب، وبدءوا يهددون سيادة بيزنطة من الغرب والشرق على السواء[8]، لكن وبالرغم من ذلك فقد ساهمت الفتن والاضطرابات التي حدثت في عهد عبد الملك في تشجيع الروم على غزو بلاد المسلمين، ولم تترك له تلك الفتن من الجهد والوقت ما يستثمر فيه مواجهتهم ومواجهة الفتن في الداخل، غير أنه فضل أن يؤمن الجبهة الداخلية ويدعمها، فكان عمله هذا هو الذي هيأ حركة مد كبرى شهدتها الدولة في عهد الوليد بن عبد الملك، وسليمان من بعده[9]، لأن تلك الحملات التي سيرها كانت أشبه بالمناورات العسكرية التي أبقت الجند في حالة ترقب واستعداد دائم[10] .

---

(1) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 206/7، 5/8؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 192/4؛ البلاذري، أحمد **فتوح البلدان** 161، 212؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 89/3؛ رستم، أسد، **الروم في سياستهم وحضارتهم** 266/1 – 267؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 210؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 72/2 عبد اللطيف عبد الشافي، **العالم الإسلامي** 254؛ يوليوس، فلهاوزن، **تاريخ الدولة العربية** 209 – 210؛ ربيع، حسنين، **تاريخ الدولة البيزنطية** 97؛ Ostrogorsky, **History of The Byzantine State**, P. 131 ؛ العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 140 – 141

(2) **حصن سنان**: حصن من حصون بلاد الروم، فتحه عبد الله بن عبد الملك بن مروان (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 264/2، 260/3)

(3) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 195؛ أبو الفرج، قدامة بن جعفر، **الخراج** 307؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 264/2، 260/3

(4) ينظر: آل كمال، سليمان، **الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية** 480، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1998

(5) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 384/6 ؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 350/12؛ اليافعي عبد الله، **مرآة الجنان** 137/1

(6) **المصيصة**: مدينة كبيرة، ذات خيرات كثيرة، تقع في الثغر بين الشام وبلاد الروم (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 107/5 القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 488)

(7) أبو الفرج، قدامة بن جعفر، **الخراج** 290 ؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 143/4

(8) ابن عذارى، عبد الله، **البيان المغرب** 34/2؛ العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 148؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 100؛ Vasiliev, **History of the Byzantine Empire** I, P.215 - 216

(9) مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 29

(10) خنفر، خلقي، **الدولة الأموية** 128

ثانياً: في عهد الوليد بن عبد الملك

عندما توفي عبد الملك بن مروان ترك خلفه دولـة متماسكة الأركـان، ذات نفوذ سياسـي وحضاري كبيرين[1]، فتابع الوليد بن عبد الملك سياسة أبيه فـي التوجـه نحـو القسطنطينية، واتخـاذ آسـيا الـصغرى ميداناً لتدريب القوات الإسلامية، حيث خطب في أول يوم تولى فيه مذكراً الناس بالغزو والمرابطة فـي الثغور[2]، وأكد قوله بفعله في اهتمامه بأمر الحدود وتحصينها، وشحنها بالجنود، حيث وصلت الدولـة الإسـلامية إلـى أقصى اتساعها، حتــى عدت الفتوحـات فـي عهده مثـل التــي تمت فـي عهد عمـر بـن الخطـاب[3] فـأغزى أخـاه مـسلمة بـلاد الـروم[4] فـافتتح حـصني[5] بـوق[6] والأخـرم[7]، ومـن ثـم افتـتح حصن[8] الطوانـة[9] الـذي هو بمثابـة مفتـاح الطريـق بـين الـشام ومـضيق البـسفور[10] علـى الـرغم مـن استعصائه واستماتة الروم في الدفاع عنه، ووصول الإمـدادات الإمبراطوريـة لنجدتـه، إلا أن المسلمين هزموهم وفتحوا الحصن والمدينة سنة 88 هـ/706م[11]، ولم يكن اهتمام المسلمين بالغزو في البر فقط فقد ترافق مع ذلك حملات بحرية كبيرة، حتـى أنه فـي إحدى تلك الحمـلات وقـع أميـر البحـر الأمـوي "خالد بن كيسان" في أيدي الأسطول الرومي وذلك في عام90هـ/709م غير أن إمبراطـور الـروم آثـر إلا المهادنة، فأعاده إلى الوليد بن عبد الملك ليبرهن على تطلعه للوئام والسلام[12]، وهذا يدل على مدى تردي حالة الإمبراطورية البيزنطية، وإلا فما أعاده لولا الضعف الذي كان يعتريهم، ولـو كـان بهـم مـن

---

(1) جلال، آمنة، **دور مكة والمدينة في الثقافة الإسلامية،عصر الوليد بن عبد الملك** ، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ع15، 2007م، 95

(2) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 423/6

(3) ماجد، عبد المنعم، **التاريخ السياسي للدولة العربية** 193/2

(4) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 426/6،229؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 89/3؛ ابن العديم، عمر، **زبدة الحلب** 26

(5) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 376/12 ؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 89/3

(6) لم أجد له تعريفاً فيما اطلعت عليه من مصادر ومراجع

(7) **الأخرم**: جبل في طرف الدهناء (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 121/1)، غير أن المقصود بهذا الحصن هو منطقة في بلاد الروم وليس بالقرب من الدهناء، وربما هو موقع آخر .

(8) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 30/58؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون**212؛ خنفر،خلقي، **الدولة الأموية** 128

(9) **الطوانـة**: حـصن منيـع مـن الحـصون التـي بناهـا الـروم بثغـور المصيـصة، افتتحـه المـسلمون سـنة 88هـ/706م (الحموي ياقوت، **معجم البلدان** 45/4-46)

(10) القضاعي، محمد، **تاريخه** 352؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 30/58؛ مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 3 عبد اللطيف، عبد الشافي، **العالم الإسلامي** 254؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 103

(11) لمعرفة تفاصيل هذا الفتح، ينظر: الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 434/6؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 443/26-446؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 246/4

(12) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 68/8؛ بركات، وفيق، **فن الحرب البحرية** 62

القوة ما يرد قوات المسلمين، لما تطلعوا لذلك، فقد كانت أوضاع الإمبراطورية البيزنطية مترديـة إلـى حد كبير، وذلك أن الصراع على العرش بلغ مبلغه، فقد عزل من قياصرتها ستة في غضون عشرين عاماً، وتعاقب على عرشها ثلاثة من القياصرة المغتصبين في ستة أعوام، كما اقتحم البلغار والصقالبة نواحيها الشمالية، في الوقت الذي كانت آسيا الصغرى تتعرض لضربات المسلمين[1] .

ومن التحصينات الثغرية التي اتخذها الوليد على ساحل الشام، استحداثه لأربع نقاط حصينة هي حصن سلوقية[2]، وبغراس[3]، وعين السلور[4]، والإسكندرونة[5]، مما جعل هذا الخط الساحلي أكثر مناعة مما كان من قبل[6]، كما افتتحت مدائن وحصون كثيرة[7] كان من أهمها حصن سوسنة[8] الذي جلا أهله عنه إلى جوف بلاد الروم[9]، كذلك حصن الحديد، وماسة[10]، و بلغ المسلمون[11] خنجرة[12] واستولوا على برجمة[13]، وحصن الوضاح[14]، وحصن[15] عوف[16]، وحصن الستين[17]

---

(1) رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 107؛ عنان، محمد، **مواقف حاسمة في التاريخ** 38/1 – 39 ربيع حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 101؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 30

(2) **سلوقية**: حصن عند الساحل بأرض الروم (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 242/3)

(3) **بغراس**: مدينة بجانب جبل اللكام، تطل على طرسوس، وبينها وبين أنطاكيا أربعة فراسخ (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 476/1)، كما هي أحدى الثغور ببلاد الروم (شيخ الربوة، أبو عبد الله محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** 206)

(4) **عين السلور**: بفتح السين وتشديد اللام وفتحها، وهو السمك البحري بلغة أهل الشام، ولها بحيرة قرب أنطاكيا، وقد سمي بذلك لكثرة هذا النوع من السمك فيها (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 178/4)

(5) **الإسكندرونة**: مدينة في شرقي أنطاكيا على ساحل بحر الشام (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 182/1)، وهي إحدى الثغور ببلاد الروم (شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** 206)

(6) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 175؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 182/1

(7) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 434/6؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 31/58؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن **المنتظم** 299/6؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 278/4،272،264،263،258،253،249،246؛ الذهبي، شمس الدين محمد، **العبر في خبر من عبر** 105/1؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 89/3 ؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 196/1

(8) لم أجد له تعريفاً فيما تيسر لي من مصادر ومراجع

(9) ابن الجوزي، عبد الرحمن، **المنتظم** 303/6؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 272/4،264

(10) لم أجد لهما تعريفاً فيما تيسر لي من مصادر ومراجع

(11) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 58/ 31؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 278/4

(12) **خنجرة**: ناحية من بلاد الروم (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 392/2)، بها نهر يسمى المغلوب، لأنه يسير من الجنوب إلى الشمال على غرار نهر العاصي (القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 367)

(13) **برجمة**: حصن من حصون الروم (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 374/1)

(14) **حصن الوضاح**: حصن فتحه صاحب الوضاحية، وهي قرية منسوبة إلى بني وضاح مولى بني أمية، وكان بربرياً (الحموي، ياقوت **معجم البلدان** 378/5)

(15) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 522/6؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 90/3؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 58/ 32؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن، **المنتظم** 19/7

(16) **حصن عوف**: بفتح أوله وسكون ثانيه وآخره فاء، والعوف طائر في قولهم، وقيل غير ذلك (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**378/5)

(17) **حصن الستين**: بلفظ الستين من العدد، حصن في بلاد الروم من فتوح مسلمة بن عبد الملك (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 188/3)

مقابل ملطية، وغيرها من الحصون[1]، واستحدث مسلمة بن عبد الملك حصناً سمي باسمه "حصن مسلمة[2]" كما أعيد افتتاح جزيرة إقريطش[3]، ولم يكتف الوليد بفتح تلك الحصون والسيطرة عليها، بل اهتم بالطرق المؤدية إليها أيضاً، وذلك بتسهيلها، وتأمينها، كما بنى بها القناطر لعبور الجند عليها في حملاتهم[4]، إضافة إلى إنشاء مستودعات التموين في تلك الثغور، بقصد توفير ما يلزم الجيوش أثناء خروجها في حملات الصوائف والشواتي[5] .

وكان الهدف من وراء تلك الفتوحات صرف نظر البيزنطيين عن الهدف الرئيس الذي كان يخطط له، وهو غزو عاصمتهم، كما أن سكان هذه المناطق هم حلفاء للروم، وإخضاعهم يخدم المسلمين الذين يتطلعون لعاصمتهم[6] .

والجدير بالذكر أن الذي نهض لتنفيذ هذه الفتوحات هو مسلمة بن عبد الملك، بالإضافة إلى العديد من أبناء البيت الأموي، أو أولاد الخلفاء أنفسهم[7]، ولم يكن اختيار الأبناء لهذه المهمة الصعبة والخطيرة التي قد تودي بحياتهم تحيزاً لهم عن المسلمين، وإنما تضحية بهم في سبيل الله، وحتى يقتدي بهم المسلمون، ويفدوا دينهم بأبنائهم وأنفسهم[8] .

لقد كان غزو معاقل الروم، منذ أواخر عهد عبد الملك، وطوال عهد الوليد، هدفاً مدروساً لتدريب القوات الإسلامية على مواجهة الروم، والتعرف إلى المسالك والدروب في بلادهم، ولإزالة العقبات من

---

(1) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 429/6، 434، 436، 441، 454، 492؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 188/3 ابن كثير، إسماعيل، **البداية والنهاية** 406/12، 418، 422، 431، 436، 439، 460، 505، 560، 621، 101/13؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 89/3؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 32/58

(2) ابن خرداذبة، عبيد الله، **المسالك والممالك** 95؛ الإصطخري، إبراهيم، **مسالك الممالك** 78؛ الحموي ياقوت، **معجم البلدان** 265/2؛ ليسترنج، كي، **بلدان الخلافة الشرقية** 136

(3) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 244 - 245

(4) مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 4؛ ليسترنج، كي، **بلدان الخلافة الشرقية** 163

(5) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 196؛ أبو الفرج، قدامة بن جعفر، **الخراج** 207-208

(6) الأسطل، عبد القادر، **مسلمة بن عبد الملك حياته وجهاده** 84، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية- غزة 2007م

(7) لمعرفة المزيد عن هذه التحصينات التي أنشئت، والحصون التي فتحت، وأسماء قادة هذه الفتوح، ينظر: الزبيري، مصعب **نسب قريش** 146؛ اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 101/2- 192؛ الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 426/6، 429، 434، 436 441-442، 454، 468-469، 483، 492، 493، 495؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 64/4؛ الأبشيهي، شهاب الدين محمد **المستطرف** 224/1؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 89/3-90؛ ابن العماد، عبد الحي، **شذرات الذهب** 96/1-102؛ مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 3؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 214

(8) الأسطل، عبد القادر، **مسلمة بن عبد الملك حياته وجهاده** 75، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية- غزة 2007م

طريق الجيوش الإسلامية المتوجهة نحو القسطنطينية، لا مناورات مصطنعة، وبهذا فلم تخل سنة من سنوات حكم الوليد من خروج جيش لغزو بلاد الروم، وفتح للحصون والمعاقل فيها[1] .

الاستعدادات الإسلامية

في الوقت الذي كان يمضي فيه المسلمون قدماً في الإعداد لغزو القسطنطينية، توفي الخليفة الوليد ابن عبد الملك في منتصف شهر جمادى الآخرة من سنة 96هـ/715م[2] لكن المشروع الإسلامي لفتح القسطنطينية سار قدماً دون تغيير، إذ تبناه أخوه سليمان بن عبد الملك (96- 99هـ/715-717م)[3] الذي تابع الإعداد والتجهيز، وبدأت الاستعدادات الفعلية للحملة حينما بلغ سليمان أمر الروم الذين هاجموا السواحل الإسلامية، وسبوا امرأة وجماعة من المسلمين، كما أن الظروف التي مرت بها الإمبراطورية البيزنطية من تعاقب الأباطرة، وضعف بعضهم، والصراع حول العرش، والثورات والفتن الكثيرة[4] وطمع الأعداء بها[5]، وسوء أحوالها، وسريان الفساد في جميع مرافقها وإداراتها وانحطاط نظامها العسكري[6] فكانت تعيش ضعفاً تاماً[7]، كل ذلك جعل سليمان بن عبد الملك يقسم على الله بغزوهم غزوة يفتح بها القسطنطينية، أو يموت دون ذلك[8]، ومما زاد من تطلعه لذلك، أن جماعة من العلماء حدثوه أن الخليفة الذي يفتح القسطنطينية اسمه اسم نبي، ولم يكن في خلفاء بني أمية من اسمه اسم نبي غيره[9] لذلك عمل اتخاذ الإجراءات التالية :

---

(1) ينظر: الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 426/6، 429، 434، 439، 442، 454، 468، 469، 483، 492، 495 العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخة** 304، 305، 306، 309، 310؛ عبد اللطيف، عبد الشافي، **العالم الإسلامي في العصر الأموي** 255 – 256؛ الأسطل، عبد القادر، **مسلمة بن عبد الملك حياته وجهاده** 88، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة 2007م

(2) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 495/6؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 613/12

(3) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 303/4؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 613/12؛ ابن خلدون عبد الرحمن، **تاريخه** 90/3؛ ابن الوكيل، يوسف، **تحفة الأحباب**41؛ ابن الطقطقا، محمد، **الفخري في الآداب السلطانية** 128 مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 30؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 215

(4) مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 25-26؛ ينظر: أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 142 - 144

(5) ماجد، عبد المنعم، **التاريخ السياسي** 245/1؛ عاقل، نبيه، **تاريخ خلافة بني أمية** 246-247

(6) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 87/2؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 143

(7) ينظر: عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 112

(8) الكتبي، صلاح الدين محمد، **فوات الوفيات** 70/2؛ عباينة، علي، **خلافة سليمان بن عبد الملك** 177؛ أومان، تشارلز **الإمبراطورية البيزنطية** 143

(9) مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 24؛ ماجد، عبد المنعم، **التاريخ السياسي للدولة العربية** 201/2؛ رستم، أسد، **الروم في سياستهم** 237؛ العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 66

أولاً: الاستمرار في غزو أراضي الروم في مناطق الحدود، حيث غزا داود بن سليمان الصائفة سنة 97هـ/716م، فافتتح حصن المرأة[1]، وغزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم فافتتح بعض الحصون كما غزا عمر بن هبيرة أرض الروم عبر البحر، وشتى فيه[2]، وظلت الصوائف والشواتي تقلق الروم في كل عام، وتهدد سواحلهم وحدودهم البحرية[3]، وذلك بهدف إلهاء السلطات البيزنطية والتمويه على الهدف الرئيس[4].

ثانياً: تطوير الأسطول البحري، وصناعة سفن جديدة لتدعيمه[5]،فأصبح الأسطول في نمو مطرد وأكثروا من إنشاء السفن التي تفننوا في إتقانها، وجهزوها بالأدوات والمعدات القتالية، ورتبوا عليها الجند والقواد، وزودوها بالتموين اللازم والأرزاق[6]، وقد أشار بعض الباحثين[7] إلى أن الأمويين عملوا على إعداد أسطول ضخم للدخول في معركة فاصلة مع البيزنطيين، وكان نتيجة هذه الجهود أن أصبح هناك ثلاثة أساطيل بحرية وهي : أسطول الشام، وأسطول مصر، وأسطول الشمال الإفريقي بتونس[8]، وغالباً ما كان يتم تعاون بين الأسطول الشامي والمصري وفق المتطلبات العسكرية، في حين كان أسطول إفريقيا يتمتع بشيء من الاستقلال، وإذا ما أريد غزو، عسكرت هذه الأساطيل بمرافئها، وأصبح النظر في أمورها بيد أمير واحد كان يطلق عليه اسم " صاحب البحر" والذي كان يتلقى التوجيهات من الإدارة المركزية العليا[9]، وقد قدرت قطع الأسطول البحري بألف

---

(1) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 523/6؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 621/12؛ ابن الأثير عز الدين، **الكامل في التاريخ** 303/4، 310؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 90/3

(2) العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 314؛ الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 523/6؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 303/4

(3) ماهر، سعاد، **البحرية في مصر الإسلامية** 300؛ آل كمال سليمان، **الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية** 546، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1998؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 29

(4) طقوش، محمد، **تاريخ الدولة الأموية** 130

(5) العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 216؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 108

(6) ماهر، سعاد، **البحرية في مصر الإسلامية** 300؛ آل كمال، سليمان **الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية** 546، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1998

(7) لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية في حوض المتوسط** 103؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 200/1 ماهر، سعاد، **البحرية في مصر الإسلامية** 87؛ البيشي، سعدية، **الجهاد البحري العثماني من خلال معركة ليبانتو** 9، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1997م

(8) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 15/1

(9) ينظر: الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 442/6؛ أبو الفرج، قدامة بن جعفر، **الخراج** 188؛ كرد علي، محمد **خطط الشام** 40/5؛ زيدان، جرجي، **تاريخ التمدن الإسلامي** 270/1؛ لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية في حوض المتوسط** 115-116؛ العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 169؛ الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 108؛ ماهر، سعاد **البحرية في مصر الإسلامية** 87-88

مركب[1]، أو ألف وثمانمائة سفينة كبيرة، عدا سفن صغيرة أخرى[2]، وحمل فيهما كل ما يُحتاج له من مواد تساعد على إنجاح الفتح، من مؤن، وأخشاب لإقامة بيوت تُكِن المسلمين من الشتاء[3]، كما جُمعت أدوات الحرب من كل صنف للصيف والشتاء، وأدوات الحصار من مجانيق، و تزودوا بالنفط وغيره[4] .

ثالثاً: حشد جيش بري كبير من أهل الشام، والموصل، والجزيرة[5] من المتطوعين[6] وبعض فقهاء الشام والعراق[7]، كما ضم الكثير من وجوه الشام[8] حتى بلغت عدة الجيش مائة وعشرين ألفاً[9]، وحشد النفط والعدد، وكل ما يلزم لحصار طويل قد يستغرق الصيف والشتاء[10] وقد ساهمت معظم أقطار الخلافة الإسلامية فيما تحتاجه الحملة من عدة وعتاد[11] .

---

(1) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 338/50؛ الذهبي، شمس الدين محمد، **تاريخ الإسلام** 270؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 641/12

(2) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 16/1، 200؛ عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 113 ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 104؛ سالم، عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية** 35 لويس آرشيبالد، **القوى البحرية في حوض المتوسط** 104؛ Vasiliev, **History of the Byzantine Empire** I, P.236

(3) ينظر: طقوش، محمد، **تاريخ الدولة الأموية** 131

(4) مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 24 ؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 108

(5) الذهبي، شمس الدين محمد، **تاريخ الإسلام** 270؛ وابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 631/12؛ رمضان عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا**108

(6) **البداية والنهاية** 632/12

(7) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 92/64؛ مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 25؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 87/2

(8) ومنهم خالد بن معدان، وعبد الله بن زكريا الخزاعي، ومجاهد بن جبير (الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 530/6 النويري، شهاب الدين أحمد، **نهاية الأرب** 347/21)

(9) المسعودي، علي، **التنبيه والإشراف** 165؛ المقدسي، محمد، **البدء والتاريخ** 43/6؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 110/4؛ ابن العبري، غريغوريوس، **تاريخ مختصر الدول** 196؛ الذهبي، شمس الدين محمد، **تاريخ الإسلام** 270، وقال في **دول الإسلام** 67 " أزيد من مائة ألف"؛ وفي **سير أعلام النبلاء** 125/5 قال: "مائة ألف"؛ ووردت رواية عند ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 632/12 فيها مبالغة كبيرة، قال: "جهزَّ في البر مائة وعشرين ألفاً، وفي البحر مائة وعشرين ألفاً من المقاتلة " لكنه عاد فقال: "وهم في نحو من مائة وعشرين ألفاً "؛ وحتى هذا العدد يبدو أنه مبالغ فيه، إذ يصعب تحرك مثل هذا الجيش الضخم، وتموينه، وقطعه مسافات شاسعة، ومسالك وعرة في عمق بلاد عدو متجه إلى حربه، وأقل ما ذكر عن عدد هذا الجيش هو ثمانين ألفاً (ابن أعثم، أحمد، **الفتوح** 309/7؛ عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 113 أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 145)؛ ولكن يبدو أن هناك مبالغة في هذه الأرقام، وهي عادة بعض مؤرخي العصور الوسطى من المسلمين وغيرهم .

(10) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 88/2

(11) العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 160؛ عاقل، نبيه، **تاريخ خلافة بني أمية** 246

هذا وقد هم الخليفة سليمان بالإقامة في بيت المقدس لجمع الناس والأموال[1]، ولكنه عدل عنها إلى دابق[2] شمالاً، حيث عسكر هناك[3]، ليرفع من الروح المعنوية للجند، وليكون أقرب إلى ميدان الحرب و قد حلف أن لا يعود حتى تفتح القسطنطينية، أو يموت دون ذلك[4]، كما أخرج العطاء للجيش وأنفق أموالاً كثيرة من الخزائن، وبين للناس غزوتهم وطولها، وأمرهم بتقوى الله ومصابرة العدو والتناصح والتناصف[5].

الاستعدادات البيزنطية

لقد حالف المسلمين التوفيق في معظم غزواتهم، ودخلوا إلى الأعماق البيزنطية، مما أوقع الشك والريب في قلب الإمبراطور أنسطاس الثاني 713-716م[6]، بأن وراء هذا النشاط العسكري ما وراءه ولذلك أرسل سفارة في سنة 95هـ/714م بقيادة رجل يدعى (دانيال)[7] تسعى إلى طلب الصلح، وعقد هدنة بين الطرفين، كما كان لها هدف آخر وهو تلمُّس ما وراء ذلك النشاط العسكري من مقاصد والتحري في العاصمة الإسلامية عما يجري من إعداد لغزو العاصمة البيزنطية، ويذكر أن البعثة لم تظفر بما أعلن أنها جاءت من أجله، لكنها أدركت ما يخطط له المسلمون من غزو عاصمتهم، فعادت لتؤكد للحاكم البيزنطي صدق عزيمة المسلمين فيما ينوون من جهادهم، وتنصح بضرورة اتخاذ كافة التدابير والإجراءات اللازمة للدفاع عن العاصمة، وصد المسلمين عنها[8].

---

(1) الذهبي، شمس الدين محمد، **تاريخ الإسلام** 469، **سير أعلام النبلاء** 501/4

(2) **دابق**: قرية قرب حلب بينهما أربعة فراسخ عندها مرج معشب نزه (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 2/ 416 ابن العماد عبد الحي، **شذرات الذهب** 114/8)

(3) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 633/12؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 416/2-417؛ رمضان عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 108

(4) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 531/6؛ الذهبي، شمس الدين محمد، **تاريخ الإسلام** 469؛ **سير أعلام النبلاء** 501/4؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 90/3 ؛ خنفر، خلقي، **الدولة الأموية** 129

(5) الذهبي، شمس الدين محمد، **تاريخ الإسلام** 270؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 631/12 ؛ ابن دقماق إبراهيم، **الجوهر الثمين** 70

(6) المسعودي، علي، **التنبيه والإشراف** 165

(7) Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P.371.

(8) عن هذه السفارة ينظر العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 215؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 84/2 يوسف، جوزيف، **الدولة البيزنطية** 120؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 107 - 108، على أن هذه السفارة لم توردها المصادر التاريخية، بل ذكرها المؤرخون المحدثون فقط، و يبدو أن ذلك بالاعتماد على المصادر الأجنبية .

بادر الإمبراطور البيزنطي عندئذ بالاستعداد للمواجهة، فكان من الإجراءات والاحتياطات التي اتخذها[1]، أن أعلن في العاصمة عن نبأ حملة مرتقبة للمسلمين، يتطلب الإعداد لها والتكيف معها وعلى كل فرد يعيش داخل العاصمة أن يخزن لنفسه مؤونة تكفيه لمدة لا تقل عن سنتين[2]، ومن لم يقدر على ذلك فعليه مغادرة المدينة، كما عُبئت الخزائن الإمبراطورية بالقمح، وبما يحتاجه المدافعون من طعام، وعمل على تجديد أسوار المدينة المتداعية، ولاسيما المطلة منها على البحر، بالإضافة إلى تزويد الأسوار البرية بآلات الدفاع من منجنيقات[3]، وعمل على تقوية جبهة آسيا الصغرى لمواجهة الحملات الإسلامية، وقد عين على الإقليم الشرقي في الأناضول قائداً من كبار قواده العسكريين "ليو الأيسوري"[4] وأمر بإعداد حملة لمهاجمة سواحل الشام بقصد عرقلة استعدادات المسلمين، أو القضاء عليها[5]، حيث هاجم أسطول الروم ساحل حمص فسبيت امرأة وجماعة من المسلمين[6]، كما هاجم الأسطول الإسلامي المصري، والذي كان ينقل الأخشاب من الشام لدور الصناعة بمصر[7] .

زد على ذلك فقد عهد إمبراطور الروم إلى فرقة الحرس الإمبراطوري – من أشد فرق البيزنطيين بأساً – في بند الإبسيق بمهاجمة أسطول المسلمين، غير أن هذه الفرقة شقت عصا الطاعة، وانقلبت على الإمبراطور عندما وصلت إلى رودس، حيث عادت إلى القسطنطينية وعزلت الإمبراطور أرتيميوس أنسطاسيوس وعينت مكانه ثيودوسيوس الثالث(96 – 98هـ / 715 – 717م) [8].

---

(1) ينظر: الذهبي، شمس الدين محمد، **تاريخ الإسلام** 169؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 215؛ ماجد، عبد المنعم **التاريخ السياسي للدولة الأموية** 254/2 عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 84/2 ؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 30

(2) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 146

(3) Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P.371.؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 200/1

(4) نفسه 374؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 108؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 215

(5) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 197،177؛ اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 35/3-36؛ ابن العديم، عمر، **زبدة الحلب** 45-46؛ المسعودي، علي، **مروج الذهب** 204/1؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 216؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 84/2؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 143 – 145؛ خنفر، خلقي، **الدولة الأموية** 185؛ ماجد عبد المنعم، **التاريخ السياسي للدولة العربية** 193/2 – 195

(6) الكتبي، صلاح الدين محمد، **فوات الوفيات** 70/2؛ عبابنة، علي، **خلافة سليمان بن عبد الملك** 177

(7) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 118/8

(8) Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P.372-373.؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 108؛ رستم، أسد، **حرب الكنائس** 15

هذا وقد جعل الروم من شواطئ آسيا الصغرى والجزر القريبة منها إقليماً بحرياً ترسو في قواعده سفنهم الحربية لتبقى على أهبة الاستعداد، وأقاموا بالقرب من بحر مرمرة فرقاً بحرية تساند أسطول العاصمة، ومنح قادة هذا الأسطول سلطات تخولهم بتنظيم وسائل التعاون بين أسطول آسيا الصغرى وأسطول بحر مرمرة[1]، أضف إلى ذلك فقد تمتعت القسطنطينية بحصانة ومناعة فائقة، وذلك من خلال أسوارها وحصونها، وما يحيط بها من بحار ومسطحات مائية[2] .

قيادة الحملة

عين الخليفة سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة ليكون قائداً عاماً للجيوش كلها، البرية والبحرية[3] وقد جاء هذا الاختيار نتيجة لخبرته الحربية الطويلة في بلاد الروم، منذ زمن أبيه عبد الملك، فقد عركته التجربة في بلادهم، فصار من أعرف الناس بها، وقد كان مسلمة يصحب معه في غزواته الصالحين، والعلماء، والفقهاء، ويقول:" إن الله لينصر بهم على الأعداء[4]".

أما قائد الأسطول البحري فهو[5]عمر بن هبيرة الفزاري[6]، وإن كانت بعض المراجع الحديثة[7] تقول إن أمير البحر هو سليمان دون تعيين، اعتماداً على المصادر الغربية[8] لكن روايات شهود العيان

---

(1) بركات، وفيق، **فن الحرب البحرية** 62

(2) وللاستزادة حول تحصينات القسطنطينية يمكن الرجوع للتمهيد أول هذه الدراسة

(3) المسعودي، علي، **التنبيه والإشراف** 165، **مروج الذهب** 44/2؛ القضاعي، محمد، **تاريخه** 358؛ ابن الأثير، عز الدين **الكامل في التاريخ** 146/4؛ الذهبي، شمس الدين محمد، **تاريخ الإسلام** 270؛ **سير أعلام النبلاء** 501/4؛ اليافعي، عبد الله **مرآة الجنان** 161/1؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 12/،632 ابن الوكيل، يوسف، **تحفة الأحباب** 41 ابن العديم، عمر، **زبدة الحلب** 27؛ الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار** 483؛ بورفيروجنيتوس، قسطنطين **إدارة الإمبراطورية البيزنطية في عهد قسطنطين السابع** 83؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 145؛ سيرهنك إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 16/1، 200؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 104 عواد، محمود، **الجيش والأسطول الإسلامي في العصر الأموي** 273،رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان1992م؛ رمضان عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 108؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 120؛ خنفر، خلقي، **الدولة الأموية** 185؛ العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 66؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 105 باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 10؛ بحري، فائقة، **أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا** 22، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – مكة 1989م

(4) ابن الجوزي، عبد الرحمن، **المنتظم** 167/8

(5) العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 315 ؛ اليعقوبي، أحمد، **تاريخ اليعقوبي** 300/2؛ المسعودي، علي، **التنبيه والإشراف** 165؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 374/45؛ الذهبي، شمس الدين محمد، **تاريخ الإسلام** 270؛ **سير أعلا م النبلاء** 501/4؛ **العبر في خبر من غبر** 87/1؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 641/12

(6) **عمر بن هبيرة الفزاري**: أبو المثنى، كان أميراً من الدهاة الشجعان،عزله عمر بن عبد العزيز عن إمارة البحر بعد القفول من القسطنطينية، ثم ولاه الجزيرة فغزا الروم، وتولى العراق ليزيد بن عبد الملك، ثم عزله هشام (ينظر: ابن عساكر، علي **تاريخ دمشق** 373/45)

(7) العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 217؛ سالم، عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية** 35؛ عبد اللطيف عبد الشافي، **العالم الإسلامي** 257؛ طقوش، محمد، **تاريخ الدولة الأموية** 130

(8) Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P.401.؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 145

تؤيد القول الأول، كالليث بن تميم الفارسي[1] الذي قال :"كنت ممن غزا على اسمه وعطائه بفيء عمر بن هبيرة إذ ولاه سليمان غازية البحر[2]" وقال: إن عمر بن هبيرة لم يزل على غازية البحر حتى عزله عمر بن عبد العزيز(99-101هـ/717-720م) عند القفول من القسطنطينية[3] وصُرّح بإمارة ابن هبيرة على البحر في أحداث الحصار نفسها[4] .

وأثناء الإعداد للحملة كانت المشاورات تسير على قدم وساق بشأنها، فقد استشار الخليفة سليمان بن عبد الملك موسى بن نصير، وأخاه مسلمة في أيِّهما يبدأ به أولاً القسطنطينية، أم ما دونها من البلاد حتى يصل إليها فيفتحها؟ فكان رأي موسى بن نصير، أن يبدأ بما دونها حتى يصلها، سيراً على سَنن الفاتحين الأولين، أما مسلمة فقد رأى أن يبدأ بالقسطنطينية أولا، وقد أعجب سليمان هذا الرأي فأخذ به[5] .

ويبدو أنهم كانوا على عجلة من أمرهم، وإلا فإن رأي موسى كان أحكم، وأصوب وأثبتت الأيام نجاحه وصوابه، فرأي موسى بن نصير هو الرأي الذي سار عليه المسلمون في معظم فتوحاتهم وبذلك استطاعوا القضاء على دولة الفرس بإسقاط عاصمتها المدائن، وقد بدءوا طريقهم للقضاء على دولة الروم بفتح الشام وتحويله إلى بلاد إسلامية[6] .

سير الحملة

بعد أن تكامل إعداد الحملة وتجهيزها في سنة97هـ/715م[7]، وقيل سنة 98هـ/716م[8] واتُخذت الوسائل والتدابير – التي تساعد على تحقيق الهدف– كافة، استدعى مسلمة بن عبد الملك بشر الغنوي

---

(1) **الليث بن تميم الفارسي**: من مشيخة ساحل دمشق، ومن غزاة البحور، روى عنه الوليد بن مسلم روايات كثيرة عن مغازيه التي شارك فيها في القسطنطينية وغيرها (ينظر: ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 337/50)

(2) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 337/50

(3) نفسه 131/57

(4) نفسه 230/68-231

(5) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 632/12 ؛ الذهبي، شمس الدين محمد، **تاريخ الإسلام** 270، **سير أعلام النبلاء** 501/4؛ ابن قتيبة، محمد، **الإمامة والسياسة** 71/2؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 189/1

(6) الحميدي، عبد العزيز، **التاريخ الإسلامي مواقف وعبر** 48/1

(7) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 631/12؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن، **المنتظم** 24/7؛ ابن خلدون عبد الرحمن، **تاريخه** 90/3

(8) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 530/6؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 304/4؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 631/12؛ اليافعي، عبد الله، **مرآة الجنان** 161/1

الذي روى عن أبيه حديث رسول الله (ﷺ): "لتفتحن القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش"- فحدثه فغزاها[1]، عندها صدرت الأوامر من الخليفة سليمان بن عبد الملك لمسلمة بالتحرك صوب القسطنطينية، وأمره أن يقيم عليها حتى يفتحها، أو يأتيه بنفسه[2].

وقد كانت الخطة الأموية لحصار القسطنطينية تتلخص في أن تسبق القوات البرية الأسطول البحري في الزحف عبر آسيا الصغرى، وهناك تنتظر قدوم الأسطول البحري الذي سينقل القوات البرية للعدوة الأوروبية، ومن ثم ضرب الحصار بالبر والبحر.

تحركت الجيوش البرية من مرج دابق نحو القسطنطينية سالكة طريق مرعش[3]، من ناحية الشام[4] ثم قطعت الدرب مجتازة مناطق الثغور الحدودية، وأفضت إلى ضواحي الروم[5]، ثم واصلت زحفها حتى وصلت إلى إقليم الأناضول، وهي تفتح في طريقها المدن والمواقع الحصينة، ثم توغلت حتى وصلت إلى مدينة عمورية، فضربت عليها الحصار[6] ، غير أن الحصار فك عنها نتيجة صلح عقد بين مسلمة وحاكم المدينة، وبعدها اجتازت الجيوش الإسلامية إقليم الأناضول دون مقاومة، وصار الطريق مفتوحاً أمامها، وقد استغرق عبور الجيش وقتاً طويلاً قبل الوصول إلى القسطنطينية، وذلك بسبب هجوم الشتاء، فشتى المسلمون بضواحي الروم[7]، وكانت الدوريات بقيادة أبي يحيى البطال تقوم بتأمين الجيش، وحمايته من مباغتة العدو[8] .

---

(1) البخاري، محمد بن إسماعيل، **التاريخ الكبير** 81/2؛ ابن عبد البر، يوسف، **الاستيعاب** 170/8؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 34/58-35؛ الحاكم، محمد، **المستدرك** 468/4؛ ابن حنبل، أحمد، **مسنده** 335/4؛ الذهبي، شمس الدين محمد، **تاريخ الإسلام** 469؛ ابن حجر العسقلاني، أحمد، **الإصابة في تمييز الصحابة** 308/1

(2) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 531/6؛ اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 299/2؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 101/13، 102/13؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 304/4؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 104

(3) **مرعش**: مدينة في الثغور بين بلاد الشام وبلاد الروم إلى جانب ثغر الحدث (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 107/5)

(4) مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 25؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 108

(5) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 21/58 ؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 10

(6) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 89/2؛ رمضان، عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأوروبا** 108

(7) العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 315؛ اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 300/2؛ مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 25

(8) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 402/33،وهذه رواية انفرد بها ابن عساكر عن الوليد بن مسلم ذكر فيها أن مجموع هذه القوة عشرة آلاف .

وبعد تحسن الظروف الجوية تحرك الجيش ليقترب من بحر القسطنطينية، وفتح في طريقه مدناً عدة قرب شواطئ بحر إيجة[1] وتقدم إلى الساحل حيث عسكر هناك، وبعد ستة عشر يوماً[2] وصلت مراكب المسلمين، وأسطولهم البحري، ومسلمة مقيم عليها عند عين ماء، عرفت فيما بعد بعين مسلمة[3] عند مدينة أبيدوس - المقابلة لمضيق الدردنيل - والتي تقابل الأسطول مع الجيش البري عندها[4] .

هذا هو خط سير القوات البرية، أما خط سير الأسطول البحري، فيروي شاهد عيان كان ضمن أفراده وهو الليث الفارسي، أنهم انطلقوا حتى مروا بمصر فتبعوهم، فمضوا جميعاً حتى طرابلس أفريقية، وعلوا أرض الروم حتى إذا حاذوا القسطنطينية ساروا في بحر الشام حتى دخلوا إلى خليج القسطنطينية[5]، ومعنى هذا أن أسطول الشام توجه جنوباً لينضم إليه أسطول مصر، وأسطول إفريقيا ثم اجتمعت الأساطيل كلها لتأخذ طريقاً موحداً نحو القسطنطينية .

وبوساطة الأسطول عبر المسلون إلى الشاطئ الأوربي[6]، وكان عرض الخليج من ذلك الموضع "غلوة سهم"[7]، وقد حاول البيزنطيون قطع الطريق على المسلمين قبل وصولهم إلى القسطنطينية حيث دمروا جسر السفن على المضائق، ليصير المسلمون محصورين في تراقية[8] إلا أن ذلك لم يثن عزائم المسلمين من المسير، وبدءوا في التوجه نحو العدوة الأوروبية، وقد اعترض جيش الروم طريق مراكب المسلمين، واختطف بعضها، لكن أحد القادة البحريين المسلمين تصدى لهم وأوقع بهم[9]، وبهذا انتقلت القوات الإسلامية إلى العدوة الأوروبية، وأخذوا يقتربون من المدينة من الناحية الجنوبية .

---

(1) طقوش، محمد، **تاريخ الدولة الأموية**131؛ Vasiliev, **History of the Byzantine Empire**, I, P. 236 ؛ أومان تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 145؛ العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 187

(2) العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون**163

(3) المسعودي، علي، **مروج الذهب** 44/2

(4) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 145

(5) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 337/50-338؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 105

(6) نفسه 339/50؛ مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 26؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 120

(7) ينظر: المسعودي، **مروج الذهب** 44/2؛ وقد قدر صاحب **العيون والحدائق** 25 المسافة بنحو ميل أو ميل ونصف .

(8) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 91/2

(9) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 338/50-339

مراسلات اليون (ليو الثالث) مسلمة

بعد أن ضرب المسلمون الحصار على عمورية، راسل - حاكمها في ذلك الوقت - " اليون الأيسوري[(1)]"(ليو الثالث) مسلمة بن عبد الملك، وكتب إليه يخبره بما تحت يده من ولايات، وأنه إن أعطاه ما يسأله، قدم عليه فناصحه وقواه على فتح القسطنطينية، فقرأ مسلمة هذا الكتاب على كافة الأمراء الذين معه في الجيش وأهل المشورة، فاجتمع رأيهم على إجابته، ما خلا مسلمة بن حبيب الفهري الذي رفض ذلك، بحجة أن الروم أهل مكر وخديعة، وقال: هذه إحدى مكرهم، فلا تعطه إلا السيف، لكن المجتمعين خالفوه وضحكوا من رأيه وقالوا: كبر الشيخ، وهوّنوا من شأن اليون، وأنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً إزاء جموعهم الغفيرة، فكتب مسلمة إلى اليون (ليو الثالث) يؤمِّنه على ما سأل، فقدم ومعه اثنا عشر ألفاً من أساورته فكاتبه على مناصحته ومظاهرته على الروم، ودلالته على ما فيه سبب فتح القسطنطينية وبطرقته وتمليكه على جماعة الروم[(2)] .

---

(1) يرجح أكثر المؤرخين أن اليون الأيسوري نصراني من أهل مرعش (المسعودي، علي، **مروج الذهب** 54/2؛ **التنبيه والإشراف** 165؛ مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 25؛ المقدسي، محمد، **البدء والتاريخ** 6/43-44؛ الذهبي، شمس الدين محمد **سير أعلام النبلاء** 502/4؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 632/12؛ حتي، فيليب، **تاريخ العرب** 254/3 ماجد، عبد المنعم، **التاريخ السياسي** 246/2؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 158؛ بينما يذكر الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 530/6 أنه من أرمينية؛ وابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 304/4 أنه من أذربيجان؛ ورواية المسعودي ومن وافقه أقرب إلى الروايات البيزنطية عن اليون، ينظر: Vasiliev, **History of the Byzantine Empire**, I, p.234 وسماه المسعودي، علي، **التنبيه والإشراف** 165 اليون بن قسطنطين المرعشي، و بعد أن قضى فترة طفولته في مرعش تمكن من معرفة اللسان العربي (مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 25) كما عاش في إقليم أيسورة في المنطقة الجبلية الواقعة شرق آسيا الصغرى فنسب إليها، فعرف باليون الأيسوري "ليو الثالث"(جيبون، إدوارد، **اضمحلال الإمبراطورية الرومانية** 552/2 عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 114؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 144)، ويذكر أنه انتقل مع عائلته إلى منطقة تراقيا في عهد جستنيان الثاني، وهناك تولى عدداً من المناصب العسكرية، حتى صار أحد القادة المشهورين، ثم اختاره الإمبراطور انسطاس الثاني ليكون حاكماً لإقليم الأناضول (ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 337/50؛ مؤلف مجهول **العيون والحدائق** 25؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 158-159)؛ لمزيد من التفاصيل ينظر: العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 186؛ هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 192؛ فرج، وسام، **العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية** 77 عبد الله، وديع، **العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى** 87؛ وذكر سيرهنك، إسماعيل **حقائق الأخبار عن دول البحار** 141/1 أنه كان قبل انخراطه في الجيش تاجر حيوانات، وكان أبوه صانع نعال، وقد التف عليه بعض الناس وأفهموه إمكاناته التي تؤهله لقيادة الدولة، فانخرط في الجيش، وترقى في المناصب العسكرية، حتى اختير إمبراطوراً للقسطنطينية بعد عزل ثيودوسيوس الثالث .

(2) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 21/58 ؛ المسعودي، علي، **التنبيه والإشراف** 156؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 144

وهذه الرواية تخالف المصادر البيزنطية التي لم تثبت وجود مناظرات مباشرة بين اليون (ليو الثالث) ومسلمة[1] كما تبين أن بدء اتصال اليون (ليو الثالث) بالمسلمين كان بعد أن اجتازت الحملة إلى بلاد الروم متجهة نحو القسطنطينية، خلافاً لما رواه الطبري ومن وافقه[2] من أن اليون (ليو الثالث) جاء إلى الخليفة الأموي سليمان ابن عبد الملك، لما هلك إمبراطور الروم فأخبره بذلك، وضمن أن يدفع إليه أرض الروم، فوجه معه مسلمة حتى نزل بالقسطنطينية .

وينسجم مع هذه الرواية الكثير من المصادر التاريخية[3]، خاصة عن وقت اتصال اليون (ليو الثالث) بالمسلمين ويستفاد أيضاً أن موافقة مسلمة بن عبد الملك ومن معه على قدوم اليون (ليو الثالث) واستنصاحه، كان لرغبتهم العاجلة في الفتح، من غير نظر في عواقب موالاة الكفار ومناصحتهم والتي تنبه إليها مسلمة بن حبيب كما يلفت النظر العدد الكبير الذي قدم به اليون (ليو الثالث) (اثني عشر ألفاً) لماذا؟ هل هو لنصرة المسلمين؟ أليس الهدف من استصحابه الدلالة على الطريق والعورات والدلالة على ما فيه سبب الفتح؟[4] .

ويفصح النص بصراحة ووضوح عن الهدف الذي شارطهم عليه مقابل ما سيؤديه من خدمات وهو "بطرقته وتمليكه على جماعة الروم" ولا أدري كيف يُقبل من رجل سيدل على عورات قوم يسعى إلى ولايتهم، وسيكون مسؤولاً عن مصالحهم والدفاع عنهم؟ كما أن هدف الحملة هو فتح القسطنطينية وليس تتويج اليون (ليو الثالث) ملكاً عليها، ولهذا يتضح أن قبول مثل هذا الجسم الغريب لينضم إلى الجيش الإسلامي بداية للفشل والعجز عن تحقيق الهدف .

وقد كان اليون (ليو الثالث) من الذكاء حتى أنه كان يعلم بنوايا المسلمين، ومن ثم فقد استفاد من ذلك بإظهار التعاون، وفي الوقت نفسه كان يقوي من صمود عمورية، حيث نجحت سياسته في فك الحصار عنها وحمايتها من السقوط في أيدي المسلمين[5]، وقد كسب اليون (ليو الثالث) من وراء ذلك

---

(1) Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P.379- 381؛ ينظر: فرج، وسام، **العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية** 154، حيث يذكر أن المصادر البيزنطية لم تثبت وجود مناظرات مباشرة بين اليون ومسلمة، وإن أشارت إلى رسائل متبادلة بينهما، لكنهما لم يتقابلا شخصياً؛ كما أن العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 217 بين أن اللقاءات والمناظرات كانت بين اليون وسليمان أمير البحر، وليس مسلمة، ويبدو أن ذلك غير دقيق كون قائد البحر لم يصل إلى المنطقة إلا بعد فترة طويلة من سير القوات البرية .

(2) **تاريخ الرسل والملوك** 531/6؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 304/4

(3) المسعودي، علي، **التنبيه والإشراف** 165؛ مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 26؛ المقدسي، محمد، **البدء والتاريخ** 44/6 ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 631/12

(4) المقدسي، محمد، **البدء والتاريخ** 44/6

(5) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 306/4؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 144؛ رستم، أسد، **حرب في الكنائس**21

ولاء أهل عمورية الذين حفظوا له تجنيبهم الويلات، فنادوا به إمبراطوراً على الدولة البيزنطية[1] غير أن أعداءه اتهموه بالتفريط، وموالاة المسلمين، وقد كان ذلك مما زاد المسلمين ثقة به[2] .

على أي حال فُكَّ الحصار عن مدينة عمورية تنفيذاً للاتفاق، وواصل الجيش الإسلامي مسيره نحو القسطنطينية، ثم عبر الدردنيل عند مدينة أبيدس، ليعسكر بعدها عند أسوار القسطنطينية[3].

اليون إمبراطور الروم (717 – 741م leo III the Isaurian)

وصل اليون (ليو الثالث) إلى ما كان يصبو له باعتلاء عرش بيزنطة، ولكن السؤال المهم ، كيف وصل إلى ذلك؟ وهل رافق المسلمين حتى وصلوا القسطنطينية؟ أم أنه فارقهم بعد اتفاقية عمورية؟

تختلف الروايات التاريخية حول اليون، فغالبيتها تتحدث عن أنه صاحَبَ الجيش الإسلامي حتى وصل إلى القسطنطينية، وظل مع مسلمة يظهر موالاته، ويتحين الفرصة المناسبة للانحياز إلى صف الروم، ليصل إلى عرش الإمبراطورية، والمكر بالمسلمين، وهذا ما تم له، فإنه لما ألحَّ المسلمون في حصار المدينة، وضاق الحال بأهلها طلب الروم من مسلمة أن يبعث إليهم اليون، فلما صار إليهم أخبرهم بأنه مستعد للتصدي لمسلمة مقابل تمليكه عليهم فبايعوه[4]، وقد ذكرت هذه الرواية معظم المصادر التاريخية[5]، في حين رأى المسعودي[6] أنه هو الذي استأذن مسلمة في التوسط بينه وبينهم فلما سار إليهم دعاهم إلى بيعته فأجابوه .

والروايتان كما يظهر متفقتان، وإن بدا اختلاف يسير في مَنْ هو الذي طلب من مسلمة التوسط، هل هو اليون (ليو الثالث) نفسه، أم الروم؟ ويمكن أن يقال: إن الروم هم الذين بدءوا بالطلب، ثم استأذن اليون (ليو الثالث) من مسلمة تبعاً لذلك، ليغتنم الفرصة التي كان ينتظرها على أحر من الجمر.

---

(1) ينظر: Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P.381 – 387؛ ابن الأثير، عز الدين **الكامل في التاريخ** 307/4

(2) العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 218

(3) Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P.411؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 219؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 145

(4) المقدسي، محمد، **البدء والتاريخ** 44/6؛ .Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P. 393 يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 119

(5) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 531/6؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 21/58؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 304/4؛ ابن العبري، غريغوريوس، **تاريخ مختصر الدول** 196؛ الذهبي، شمس الدين محمد، **تاريخ الإسلام** 271 **سير أعلام النبلاء** 502/4؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 632/12

(6) **التنبيه والإشراف** 165-166

كما ذهبت بعض الروايات إلى أن اليون (ليو الثالث) ظل في عمورية حتى استدعاه مسلمة لما أشرف على فتح القسطنطينية، وأنه هو الذي أرسله إلى أهلها، وطلب منهم أن يملكوه عليهم حتى يرحل ويدعهم، "وما زال مسلمة يلح عليهم، حتى ملكوا اليون (ليو الثالث) بعد أن وعدهم هذا بالغدر بمسلمة"[(1)].

يظهر من هذه الرواية أن مسلمة ما جاء لفتح القسطنطينية، وإنما جاء منقذاً لعرش بيزنطة من التردي في هوة الخلافات والضعف، وتنصيب اليون (ليو الثالث) حاكماً عليها، لكن ثمة رواية أخرى تفيد بأن اليون (ليو الثالث) وقت عبور القوات الإسلامية إلى البر الأوربي كان جالساً على برج باب القسطنطينية ينظم قواته ويصف رجاله فيما بين الحائط والبحر[(2)]، ومعنى هذا أن اليون (ليو الثالث) وصل إلى القسطنطينية قبل وصول القوات الإسلامية بوقت كبير، تمكن فيه من الوصول إلى العرش البيزنطي، و إعادة تنظيم قواته واستعداداته لمواجهة القوات الإسلامية الزاحفة براً وبحراً، والتي كان على دراية بمدى قوتها وضخامتها.

وهذه الرواية تتفق مع الروايات البيزنطية[(3)] التي تذكر أن اليون (ليو الثالث) بعد أن نجح في فك الحصار عن عمورية، اتجه غرباً عبر " ثيم[(4)] الأبسيق" وهزم بعض القوى البيزنطية التي اعترضت طريقه وذلك قبل وصول مسلمة بستة أشهر، وترتب على هذا نتائج هامة بالنسبة لاليون (ليو الثالث) وللإمبراطورية البيزنطية، إذ قوى ذلك من مكانة اليون (ليو الثالث) في الجيش البيزنطي، وداخل العاصمة، ولدى كبار رجال الدولة، وبينما كانت أخبار الحملة الإسلامية تتوالى أدركوا خطورة الأوضاع التي تتعرض لها الإمبراطورية، في ظل إمبراطور ضعيف، فاختاروا اليون (ليو الثالث)

---

(1) مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 28

(2) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 338/50

(3) Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P.303؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 144، 145

(4) الثيم (thimes) : نظام عسكري أوجد البيزنطيون في القرن السابع الميلادي للتصدي للمسلمين في آسيا الصغرى، وبدأ النظام بأن أنزلت ألوية من الجند بشكل دائم في أقاليم محددة، تم تحول الاسم فأصبحت أقاليم الإمبراطورية البيزنطية تعرف بمجموعة من الثيمات، أي الألوية، بمعنى المناطق العسكرية، وصارت كل منها تحمل اسم فرقتها الخاصة النازلة بها، (لمزيد من التفاصيل ينظر: رانسيمان، ستيفن، **الحضارة البيزنطية** 97؛ دياب، صابر، **المسلمون وجهادهم ضد الروم** 13؛سليمان، أحمد **المسلمون والبيزنطيون** 35/1 – 36)

إمبراطوراً لهم[1] وقد كان لرجال الجيش الدور المهم في تحقيق هذا الانقلاب، وتسهيل وصول قائدهم اليون إلى عرش الإمبراطورية[2] تحت اسم ليو الثالث[3] .

هذا ولم يرد في المصادر العربية ما يدل على وقت انفصال اليون (ليو الثالث) عن مسلمة، ولا كيف سمح له بالتقدم نحو القسطنطينية، لكن يحتمل أن اليون (ليو الثالث) كسب ثقة مسلمة بسبب ما أعطى من العهود، خاصة وأن بعض أعداء اليون(ليو الثالث) اتهموه بالتفريط وتسهيل مهمة المسلمين مما زاد في ثقة المسلمين به، فسمح له بذلك ليمهد لهم الطريق لفتحها، ويرجح بعض الباحثين[4] احتمالاً آخر وهو أن اليون (ليو الثالث) اتجه غرباً إلى القسطنطينية بغير علم مسلمة، وعلى هذا أصبح اليون (ليو الثالث) إمبراطوراً على الروم .

حصار القسطنطينية

على أية حال، صار أليون (ليو الثالث) إمبراطوراً للروم، وبعد انتقال القوات الإسلامية إلى العدوة الأوربية توجهت جيوشهم نحو القسطنطينية، وتكاملت أمام أسوارها بعد ستة عشر يوماً[5] من وصولها، كما دخلت سفن المسلمين البسفور وأرسيت على الساحل مما يلي العسكر، فصار الاتصال بين مسلمة - القائد العام - وبين ابن هبيرة - قائد الأسطول- ميسوراً[6]، وذلك بقصد إتمام حلقة الحصار على القسطنطينية، وسار المسلمون وفق السياسة الأموية العسكرية التي تقوم على الصفوف في المعارك الحربية[7]، فصف المسلمون قواتهم صفاً طويلاً جداً، أو صفين مع الكراديس[8] الكثيرة وأظهروا السلاح في ألف مركب بين محرقات[9]، وقوادس[10] فيها الخزائن، بالإضافة إلى المعينات[11] التي فيها المقاتلة[12] وذلك لاستعراض القوى أمام العدو، وبث الرعب والخوف في

(1) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 144؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية**101؛ الشيخ محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 113؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 218

(2) صبره، عفاف، **الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية في زمن شارلمان** 132

(3) Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P.379- 381

(4) فرج، وسام، **العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية** 142

(5) العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون 220**

(6) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 339/50؛ Ostrogorsky, **History of The Byzantine State**, P. 138

(7) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 617/5،197؛ 250/6، 253، 274؛ 73/7، 80، 116؛ ابن أعثم، أحمد **الفتوح** 123/1، 160/4

(8) **الكراديس:** كتائب الخيل، واحدها كردوس (ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل، **لسان العرب**، مادة كردس)

(9) **المحرقات**: الحراقات سفن فيها مرامي نيران، وقيل هي المرامي نفسها (ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل، **لسان العرب** مادة حرق)

(10) **القوادس**: هي السفن الكبار (ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل، **لسان العرب** مادة قدس)

(11) **المعينات**: التي تحمل الجنود والمقاتلة (ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 338/50)

(12) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 338/50، 374/45

النفوس، وقد فعلوا مثل ذلك في الحصار الأول – كما أسلفنا – وبدأت فرقة التحريض لحض المقاتلين على القتال حتى تقوى نفوسهم ويزداد عزمهم نحو الظفر[1] لما لذلك من دور فعال في رفع معنويات العسكر، وبث روح الحماس لديهم، إذ لم تكن هناك معركة إلا وبها من يحرض الجند على القتال[2] وقد تولت القوات البرية إحكام الحصار على المدينة من ناحية البر، وفي حين عمدت القوات البحرية على محاولة تطويق المدينة من البحر، بسد كل المنافذ التي يمكن أن تحصل منها القسطنطينية على الإمدادات والمؤن، إذ أن خطة المسلمين في إحكام الحصار حول القسطنطينية كانت تقوم على قطع المواصلات البحرية بينها وبين البحر الأسود شمالاً، وبينها وبين بحر مرمرة وإيجة جنوباً[3] .

ولم يجد إمبراطور الروم بداً من مسايرة المسلمين، وإظهار التحدي، فصف رجاله فيما بين الحائط والبحر صفاً طويلاً بحذاء صف المسلمين، وأظهروا السلاح[4]، إذ أن اليون (ليو الثالث) أصبح إمبراطوراً جديداً للروم[5] وصار المسؤول الأول عن الدفاع عن القسطنطينية، فالواجب على أي حاكم أن يوفر لشعبه أسباب السلامة والأمن، وعلى هذا كان عليه أن يواجه هجوماً أكثر خطراً من الهجوم الذي صده قسطنطين الرابع منذ ثلاثين عاماً [6] .

هذا وقد عزم المسلمون على تجويع المدينة بضرب الحصار عليها، والبقاء أمام أسوارها، فأمر مسلمة كل فارس أن يحمل معه مدين[7] من طعام على عجز فرسه، ليوفر لجنده الطعام والتموين والعلف للدواب[8]، وقد نُقل ذلك من الضواحي، ومن رساتيق[9] الروم، وألقي به في ناحية من نواحي القسطنطينية فصار كالجبل، وأمرهم أن يدخروه لوقت الحاجة، كما أمر الناس بزراعة الأرض

---

(1) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 195/5؛ القلقشندي، أحمد، **صبح الأعشى** 232/10؛ آل كمال، سليمان، **الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامي** 240، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1998

(2) للاطلاع على تحريض قادة بني أمية الجند على القتال ينظر: الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 195/5، 197 208 618؛ 244/6-246، 269، 323، 366، 424، 431، 443، 608؛ 58/7، 78؛ القلقشندي، أحمد، **صبح الأعشى** 232/10

(3) ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 104

(4) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 338/50

(5) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 531/6؛ النويري، شهاب الدين أحمد، **نهاية الأرب** 348/21

(6) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 145

(7) **المد**: مقدار ملء اليدين المتوسطتين، من غير قبضهما، وهو يقرب من الثمانمائة جرام (جمعة، محمد، **المكاييل والموازين الشرعية** 36)

(8) إذ أن الأمويين حرصوا على توفير كل ما يحتاجه الجيش من تموين بشتى أنواعه، إذ أن ذلك كان من الأعمال التي كانت تتولاها الدولة، وتوفره لعساكرها (الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 194/5؛ 231/6، 250، 255، 328، 432؛ 80/7 أبو الفرج، قدامة بن جعفر، **الخراج** 308؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 111/4؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل **البداية والنهاية** 631/12؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 146)

(9) **الرساتيق**: واحدها رستاق، ويقال رسداق ورزداق، فارسي معرب، كل موضع فيه مزدرع وقرى، ولا يقال ذلك للمدن فهو بمنزلة السواد عند أهل بغداد(الزبيدي، مرتضى، **تاج العروس**، مادة رزتق)

والإغارة على النواحي، فصاروا يأكلون مما يصيبون من الغارات[1]، وكانت تلك الإجراءات تسير وفق التخطيط العسكري الأموي الذي كانوا يسيرون عليه في حروبهم[2] بقصد إظهار أن المدينة واقعة تحت الجوع والحصار، بالإضافة إلى توفير أكبر كم من الغذاء لحصار قد يطول.

كما عمل مسلمة على تنظيم قواته لإحكام الحصار على المدينة، فنصب المجانيق[3] وبنى إلى الشرق من القسطنطينية برجاً عالياً[4] يبدو أنه للمراقبة، وأمر ببناء بيوت من الخشب، وحفر أسراب[5] وخنادق، منها خندق عميق حول المعسكر[6]، وآخر بين بحر مرمرة والقرن الذهبي، لمنع الإمدادات من جهة تراقيا[7]، وهذه الإجراءات توحي بأن الحصار سوف يطول، كمن لا يريد العودة والرجوع . ولإحكام الحصار بحراً، تحرك جزء من الأسطول الإسلامي، وفرض الحصار على المدينة من ناحية بحر مرمرة، وقد غطت سفنهم وجه البحر[8]، فاحتل مدن البسفور، وحاولت قطع أخرى عبور المضيق لمحاصرة المدينة من جهة الشمال، بعد أن أحكمت السيطرة على مدخله الجنوبي، مستغلة هبوب رياح جنوبية ساعدت على تحركها، رغم مواجهتها للتيارات المائية القادمة من الشمال، وكادت أن تعبر لولا تغير الرياح الذي أربك حركتها، وأجبرها على التراجع، فاستغل الروم ذلك وأمطروا السفن بنيرانهم الحربية[9] المعروفة "بالنار الإغريقية"[10]، فعطبت كثير من تلك السفن، وأصيب عدد

---

(1) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 530/6؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 304/4؛ ابن قتيبة، محمد **الإمامة والسياسة** 72/2؛ المسعودي، علي، **التنبيه والإشراف** 141؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 90/3؛ ابن دقماق إبراهيم، **الجوهر الثمين** 70؛ مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 24-25؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 631/12؛ ابن العبري، غريغوريوس، **تاريخ مختصر الدول** 197

(2) آل كمال، سليمان، **الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية** 257 رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1998

(3) مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 27

(4) شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** 227

(5) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 304/4؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 90/3؛ مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 32؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 200/1؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 106

(6) سالم، عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية** 35؛ عبد العليم، أنور، **الملاحة وعلوم البحر عند المسلمين** 94 يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 121

(7) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 146؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 90/2؛ يوسف، جوزيف **تاريخ الدولة البيزنطية** 131

(8) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 91/2؛ بركات، وفيق، **فن الحرب البحرية** 65؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 220

(9) Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P. 402. ؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 121

(10) **النار الإغريقية**: هي مادة شديدة الاشتعال تحترق حتى على سطح الماء، اكتشفها مهندس سوري من دمشق، يدعى كالينيكوس (حتي، فيليب، **تاريخ العرب** 253/3) وعرف البيزنطيون هذه النار بـ"النار المصنعة المركبة سريعة الالتصاق"، أو النار السائلة، والنار البحرية، ولما استخدمها الصليبيون في القرن الحادي عشر أطلقوا عليها النار الإغريقية، وهي عبارة عن خليط من نفط، وقار، وكبريت، وجير حي، ويغمس هذا الخليط في نسيج الكتان ويوضع في أنبوبة تقذفه في الهواء بعد إشعالها (لويس آرشيبالد، **القوى البحرية في حوض المتوسط** 111)

من المسلمين، وأغلق الروم مدخل القرن الذهبي بسلسلة ضخمة من الحديد[1]، وهكذا حالت الظروف الجوية دون تنفيذ خطة إغلاق مدخل البسفور الشمالي، ويرى بعض الكتاب[2] أن النار الإغريقية التي علق عليها الكتاب البيزنطيون والأوروبيون أهمية كبرى في إنقاذ القسطنطينية، ليست إلا عاملاً ثانوياً أضيف إلى أعباء المسلمين في الحملة، وإنها ليست العامل المهم في دحر قواتهم، فلم يجرؤ الروم على توجيه سفنهم المحملة بالنار الإغريقية إلا بعد أن لعبت الطبيعة دوراً مهماً في الحيلولة دون عبور المضيق .

ـ موقف البحارة الأقباط من الحصار

وعلى إثر تعرض السفن الإسلامية للنار الإغريقية، وإغلاق مدخل القرن الذهبي بسلسلة من الحديد قيل إن بعض البحارة الأقباط الذين كانوا على ظهر السفن الإسلامية، تمردوا وألحقوا به خسائر فادحة[3].

وهنا يتبادر للذهن تساؤل: هل شارك بعض البحارة الأقباط (المسيحيين) في هذه الحملة، وساروا في أسطول المسلمين؟ وهل شارك هؤلاء بإلحاق خسائر فادحة بالأسطول الإسلامي؟

يخيل إليَّ أن ذلك غير دقيق، صحيح أن الأقباط كانوا ذوي خبرة في صناعة السفن، غير أن المنطق يفرض على المسلمين أن لا يحملوا معهم بعض النصارى(الأقباط) للمساهمة في قتال إخوانهم (النصارى) في القسطنطينية، إضافة إلى ذلك فقد كان غير المسلمين من أهل الكتاب يدفعون الجزية للمسلمين، مقابل الكف عنهم والحماية لهم، ليكونوا بالكف آمنين، وبالحماية محروسين[4]، وقد أعفي هؤلاء من الخدمة العسكرية[5] وبهذا يكون حملهم على المشاركة في فتح القسطنطينية مخالفاً لهذه القاعدة الشرعية، وحاشى الخليفة سليمان بن عبد الملك أن يكون كذلك، فسليمان هو الذي عزل ولاة

---

(1) حتي، فيليب، **تاريخ العرب** 254/3؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 146؛ طقوش، محمد، **تاريخ الدولة الأموية** 132؛ لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية في حوض المتوسط** 104؛ عبد العليم، أنور، **الملاحة وعلوم البحر عند المسلمين** 94؛ ربيع حسنين، **الإمبراطورية البيزنطية** 104؛ العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 67 توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 106؛ ويقال إن تيارات الماء بين البحر الأسود وخليج القسطنطينية تسير من البحر الأسود وإلى خليج القسطنطينية (شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**145) الأمر الذي يزيد صعوبة المرور.

(2) العدوي، إبراهيم، **الأساطيل العربية في حوض البحر المتوسط** 63 ؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 104؛ بركات، وفيق، **فن الحرب البحرية** 66؛ لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية في حوض المتوسط** 104

(3) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 91/2؛ ؛ لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية في حوض المتوسط** 104

(4) الماوردي، علي، **الأحكام السلطانية** 223

(5) نريمان، أحمد، **معاملة غير المسلمين في الدول الإسلامية** 41؛ كامل، محمد، **النصارى والنشاط الاقتصادي في مصر الفاطمية في ضوء أوراق البردي العربية**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ع15، 2007، 141

الحجاج "الظالمين" ورفع الظلم عن الناس، وأحسن إليهم، حتى سمي مفتاح الخير، واستخلف عمر ابن عبد العزيز، فكان يقال فتح بخير، وختم بخير[1]، فكيف به يحمل النصارى على قتال إخوانهم؟

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن تلك المعركة لم يذكرها أي من المؤرخين المسلمين، ولم أجد فيما اطلعت عليه من مصادر أي حديث حول مشاركة الأقباط في هذه الحملة، وهذا تعزز أن ما قيل من مشاركة الأقباط لم يكن دقيقاً، في حين أورد أولئك المؤرخون تفصيلات دقيقة لكثير من مجريات الحصار، بالاعتماد على شهادات حية كانت ممن حضروا ذلك الحصار، فكيف بهم لا يذكرون أمراً مهماً كهذا، وعد من أسباب فشل الحملة ؟

هذا وكشفت بعض النصوص عن وجود عناصر عربية نصرانية كانت تعيش في بلاد الروم وكانت تقاتل جنباً إلى جنب في صفوفهم، بل كان بعضهم شديداً على المسلمين، كما في قصة خالد بن عمير السلمي، في مبارزته وصراعه مع الرجل الإيادي أثناء فترة الحصار، والتي انتهت بأسره[2] وهنا ربما خلط من قالوا إن أقباطاً قد شاركوا في الحملة بين هؤلاء وبين النصارى العرب الذين قاتلوا مع الروم .

غير أن ذلك يبقى اجتهاداً يحتمل الصواب والخطأ، وإن صح أن الأقباط شاركوا في الحملة فلا يكون ذلك إلا من الذين يحصلون على العطاء، ولا أعتقد أن هؤلاء يستطيعون إلحاق الأذى بالقوات البحرية الإسلامية، لأن أي إخفاق من جانبهم يعرضهم لما لا يستطيعون حمله .

- استكمال إجراءات الحصار

على أية حال، لم يتمكن المسلمون من عبور القرن الذهبي الذي أغلق في وجههم، وبهذا ظلت الجهة الشمالية للمدينة مفتوحة، ولم يستطع المسلمون الوصول إليها، أو تطويقها، مما أحدث ثغرة في الحصار مكنت البيزنطيين من الاتصال بالمناطق التي يستمدون منها بعض حاجاتهم، ومؤونتهم[3] ومع هذا فإن المسلمين حاصروا عاصمة الروم من الجهات الأخرى، وضغطوا عليها، ومنعوا أهلها من كل مرفق براً وبحراً[4] وقهروهم[5]، وأحدثوا الرعب في نفوسهم بما رأوا من بأس المسلمين وشدتهم وتحملهم للصعاب، كما منعوا الأقوات من التسرب إلى داخلها من ناحيتهم، وشددوا الضغط

---

(1) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 311/4؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 200/1

(2) الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 43/3-44؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 179/16

(3) ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 104؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 121

(4) مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 27

(5) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 530/6؛ مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 32

عليها فاستخدموا النفط، واستعملوا نوعاً أشبه بالمدفعية[1] في دك أسوار المدينة، وأظهروا من ضروب الشجاعة، وحب الاستشهاد، والروح المعنوية العالية في سبيل إعلاء كلمة الإسلام[2]، مما أغاظ عدوهم وفتَّ في عضده، وأنزل الرعب في قلبه.

وقد قيل إن مسلمة كان يقاتل أهل القسطنطينية في معارك برية مكشوفة خارج أسوار المدينة، ثم يدخلها أهلها والمسلمون يَقتلون ويسلبون[3]، ولكن لم أجد فيما اطلعت عليه من مصادر ما يؤكد ذلك فأهل القسطنطينية لم يكونوا ليجرءوا على مثل هذا الأمر، فيعرضون أنفسهم ومدينتهم للخطر لمعرفتهم الدقيقة بالمسلمين وجرأتهم، بل كانوا يقاتلون من خلف الأسوار.

استنجاد اليون (ليو الثالث – الأيسوري –) بملك البرجان[4]

وأثناء وقوف المسلمين على حصار القسطنطينية، استنجد إمبراطورهم اليون (ليو الثالث) بملك البرجان وخَوَّفَهُ من المسلمين، فتحرك وأوقع بالمسلمين وقعة عظيمة، حيث أغار على مسلمة وهو في عدد قليل من المسلمين، فطلب المدد من أخيه سليمان فأمده[5] .

لكن التفصيل الشافي لتلك الأحداث، ما رواه شاهدا عيان من المشاركين في الحملة هما: الليث الفارسي، وأبو سعيد المعيطي[6]، وملخص هذه الرواية: أن اليون (ليو الثالث) كتب إلى صاحب برجان بعد أن اشتد عليه الحصار وخاف ظهور المسلمين، يخبره بنزولهم على بلده، ويستصرخه لنجدته، وقال مخوفاً له: إنهم إنما يقاتلون الأقرب فالأقرب، والأدنى فالأدنى[7].

وقد استجاب ملك برجان لهذا النداء سريعاً، فكتب إلى مسلمة بكتاب أظهر فيه فرحه بغزو المسلمين لبلاد الروم، وعرض عليه المساعدة، فكتب مسلمة إليه بحاجته إلى البضاعة والسوق فقط

---

(1) سالم، عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية** 35؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 221

(2) مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 24

(3) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 298/7-299

(4) **البرجان**: بلد من نواحي الخزر (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 373/1) وأهلها أمة كبيرة من شعوب الترك ضمن مملكة أرمينية (اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 178/1؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 277/2؛ القلقشندي، شهاب الدين أحمد، **صبح الأعشى** 379/5؛ لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية في حوض المتوسط** 104)، وهم كالإفرنج في أكثر أمورهم، ولهم حذق بصناعة المراكب (القزويني، زكريا، **آثار البلاد وأخبار العباد** 612)

(5) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 532/6؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 305/4؛ ابن خلدون عبد الرحمن، **تاريخه** 90/3؛ خنفر، خاقي، **الدولة الأموية** 77

(6) ينظر: ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 62/16، 337/50، 267/66؛ وأبو سعيد هو مولى لمحمد بن عمر المعيطي الأموي، شارك في غزو القسطنطينية وحصارها الأول والثاني (ينظر: ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 267/66-268)

(7) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 442/22

فانتهز الملك هذه الفرصة، وكتب إلى مسلمة يخبره بإعداد سوق عظيمة للمسلمين في مكان اختاره تحيط به الجبال، عندها ولى مسلمة على جمع من المسلمين رجلاً، وساروا إلى وجهتهم، فلما نزل المسلمون بذلك المكان يريدون التسوق على غير حذر، أحاطت بهم كتائب برجان فقتلوا من قتلوا وأسروا من أسروا، ثم عادوا إلى بلادهم، وجاء الخبر إلى مسلمة ومن معه من المسلمين فأغمهم ذلك وأزعجهم [(1)] وإن صحت هذه الرواية ففيها ما يلفت النظر في أمور عدة، أهمها:

أولاً: تعاضد قوى الكفر لحرب الإسلام ومناهضة المسلمين، فلم يصرفهم عن هذا اختلاف الدين أو الجنس، أو وجود العداوة بينهم، بل كانت المبادرة سريعة من قبل برجان لإنزال ضربة بالمسلمين .

ثانياً: تخلي مسلمة عن الحذر في مثل هذا الموقف الخطر، الذي ينبغي فيه الاحتياط وأخذ الأهبة للعدو، وعدم الركون إلى ما يظهر من اللين، أو الموادعة، لاسيما أنهم في حالة حرب وأنهم ما زالوا يتجرعون غصص غدر اليون (ليو الثالث) بهم .

ثالثاً: لم تبين الرواية حجم الإصابة التي لحقت بالمسلمين، فلم تظهر عدد القتلى، ولا عدد المأسورين، ولا الفارين، لكن يفهم منها أن مصيبة المسلمين كانت فادحة، لمباغتة العدو لهم على غير استعداد، والتعبير بقوله: فقتلوا ما شاءوا، وأسروا ما شاءوا، إلا من أعجزهم[(2)] يوحي بذلك، وقريب منه قول ابن كثير[(3)]: فقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين، وأسروا آخرين، وما رجع إلى مسلمة إلا القليل.

رابعاً: يتضح من هذه الرواية عدم دقة المقولة التي تفيد أن برجان أغار على مسلمة وهو في قلة من الناس، فالأمر ليس كذلك، لأن إغارتهم كانت على المسلمين الذين رغبوا في التسوق، وكان القائد عليهم رجلاً آخر من قبل مسلمة لا مسلمة نفسه، ويستفاد من روايات شهود العيان هذه أنها حفظت لنا ألفاظ المخاطبات التي جرت بين كل من: اليون، وملك برجان، ومسلمة [(4)] .

---

(1) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 656/12

(2) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 443/22

(3) **البداية والنهاية** 656/12

(4) ونصها أن اليون كتب إلى صاحب برجان، "أما بعد: فقد بلغك نزول العرب بنا، وحصارهم إيانا، وليسوا يريدوننا خاصة دون غيرنا من جماعة من يخالف دينهم، وإنما يقاتلون الأقرب فالأقرب، والأدنى فالأدنى، فما كنت صانعاً يوم تأتيهم الجزية أو يدخلوا علينا عنوة، ثم يفضون إليك وإلى غيرك، فاصنعه يوم يأتيك كتابي هذا "، فكتب صاحب برجان إلى مسلمة: " أما بعد فقد بلغنا نزولك بمدينة الروم، وبيننا وبينهم من العداوة ما قد علمتم، وكلما وصل إليهم فهو لنا سار، فمهما احتجت إليه من مدد أو عدة، أو مرفق، فأعلمناه يأتيك منا ما أحببت"، فكتب إليه مسلمة:" أنه لا حاجة لنا بمدد، ولا عدة، ولكنا نحتاج إلى الميرة والسوق، فابعث إلينا ما استطعت"، فكتب إليه صاحب برجان:" إني قد وجهت إليك سوقاً عظيماً، فيه من كل ما أحببت من باعة يضعفون عن النفوذ إليكم به ممن يمرون به من حصون الروم، فابعث من يجوزها إليك" (ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 422/22-423؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 655/12-656)

موقف المؤرخين من الإمدادات

أوردت بعض الروايات أن المسلمين وصلتهم الإمدادات البحرية والبرية، إلا أن هذه الإمدادات كان مصيرها الدمار، والهلاك، على أيدي (القوات البيزنطية المظفرة)، وذلك اعتماداً على المراجع الغربية التـي بالغت في هذا الجانب، وصورت الإمبراطور اليون (ليو الثالث) بصورة بطولـة خارقـة[1]، ولـم يلاحظ فـي المصـادر العربيـة القديمـة، أو المصـادر التــي تنقل عن شـهود العيـان صـدى واضـحاً لتلك الانتصارات أو الهزائم، فهي إذاً تنقل وجهة نظر طرف واحد، وهو منهج غير دقيق.

وبعد أن تطورت الأحداث وصارت الأمور في غيـر صـالح المسلمين، تشير بعض الروايـات إلـى قدوم إمدادات للمسلمين، ومن مطالعة الروايات في المصادر المختلفة نجد أن هناك اختلافاً من مصدر لآخر، في قضية إرسال المدد، بل حتـى في المصدر الواحد نلاحظ تناقضاً فـي الروايـات، فبينمـا تثبت روايات كل من اليعقوبي[2] وابن كثيـر[3] إرسال مدد للمسلمين، نجـد روايـات لـدى كل مـن الطبــري[4] وابن عساكر[5]، وابن الأثير[6] تنفي ذلك، في الوقت الذي تجد فيه روايات أخرى لديهم تثبته[7] .

وبعد فحص وتدقيق في هذه الروايات، يمكن إثبات إرسال سليمان بن عبد الملك الإمداد إلـى أخيـه مسلمة في أعقاب وقعة برجان، ومصاب المسلمين، خاصة عندما بعث إليه بخبرها، بدليل وجود رواية مصدرها شـاهدا عيـان همـا الليـث الفارسـي، وأبـو سـعيد المعيطـي، جـاءت روايتهمـا صـريحة فـي هذا الصدد[8] .

كما أوردت بعض المصادر[9] أن سليمان كان مرابطاً في دابق شمالي الشام، لمتابعة أخبـار الحملـة عن قرب، وللإمداد وقت الحاجة، لكن يبدو أنـه لـم يستطع فـي آخر المدة بعد أن اشتدت الأزمـة علـى المسلمين أن يمـدهم، لحلـول فصل الشتاء، ومداهمـة أجلـه، وإلا فقد عقد العزم علـى أن لا يرجـع إلـى

---

(1) ينظـر: فـرج، وسـام، **العلاقـات بـين الإمبراطوريـة البيزنطيـة والدولـة الأمويـة** 149-159، 161-162؛ عمـران، محمـود **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 98

(2) **تاريخه** 300/2؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 90/3

(3) **البداية والنهـاية** 656/12، 102/13؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 90/3

(4) **تاريخ الرسل والملوك** 531/6

(5) **تاريخ دمشق** 443/22

(6) **الكامل في التاريخ** 305/4

(7) الطبـري، محمـد، **تـاريخ الرسـل والملـوك** 532/6؛ ابـن عسـاكر، علـي، **تـاريخ دمـشق** 154/38؛ ابـن الأثيـر، عـز الـدين **الكامل في التاريخ** 305/4

(8) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 443/22؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 656/12

(9) مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 33

دمشق حتى تفتح القسطنطينية، أو يموت، فمات هنالك[1]، وقد وصلت لهم العديد من الإمدادات ومنها خيل عتاق، وطعام كثير، وحث الناس على معونتهم[2] .

وأورد ابن أعثم[3] أنه لما كانت آخر أيام سليمان، كتب إلى مسلمة يتشوفه، ويعلمه أنه متوجه إليه لتجديد العهد به، وإمداده بما يزيد من قوته على حرب الروم، ويأمره بالتوجه نحوه، فلما تهيأ مسلمة وسار نحو دابق، بلغه موت سليمان، فخاف أن ينقض ما أبرمه من حرب الروم، فعاد مسرعاً يؤم القسطنطينية لينجز مهمته المأمولة .

وأشار بعض الكتاب[4] إلى أن سليمان بن عبد الملك أمد أخاه مسلمة بحملتين: الأولى بقيادة ابنه داود، والذي ظل حتى نهاية الحملة، والثانية عبارة عن جيشين للعمل في آسيا الصغرى، أحدهما بقيادة الوليد بن هشام المعيطي، والآخر بقيادة قيس الكندي .

قتال البرجان

وحينما وصلت الإمدادات إلى جيش المسلمين، وجه مسلمة إلى البرجان جيشاً بقيادة عبيدة بن قيس وابنه شراحيل بن عبيدة، ومضى هذا الجيش حتى دخل أرض برجان، فدارت معركة كان النصر فيها حليفاً للمسلمين فقتلوا، وسبوا، وأسروا، وخلّصوا أسرى المسلمين، كما تجلت المعركة عن قتل صاحب برجان، واستشهاد شراحيل بن عبيدة، عندها أراد عبيدة أن يوغل في أرضهم، لكن منعه من ذلك رسول مسلمة الذي استعجله بالقدوم بعد أن فتح الله عليه[5] وتشير الروايات إلى أسماء بعض المجاهدين الذين خرجوا ابتغاء الشهادة فرزقوا إياها، ورأوا بشائر صدقهم، وإخلاصهم في نزلهم

(1) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 649/12؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 200/1

(2) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 553/6؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 105

(3) **الفتوح** 226/4

(4) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 92/2؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 146؛ العدوي، إبراهيم **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 67؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 121؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 32؛ وأشار العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 221 إلى وصول ثلاث نجدات: اثنتين منهما بحرية: الأولى من مصر بقيادة أمير بحري يدعى سفيان، والآخرى من إفريقيا بقيادة أمير بحري آخر يدعى يزيد، والثالثة كانت إمدادات برية بقيادة رجل يدعى مرداس.

(5) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 154/38-155، 443/22-444؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 656/12

بالجنة وهم ما زالوا على قيد الحياة[1]، كما تؤكد أغلب المصادر الإسلامية[2] على فتح المسلمين لمدينة الصقالبة[3] .

تدل هذه الروايات على أن نصر المسلمين كان حاسماً في معاركهم مع برجان، والتـي يحتمل أنها كانت مدداً[4]، وهي روايات موثقة بأسانيد، ليست على غرار الروايات الغربية التـي لا تعرف هذا النمط من التوثيق، وهذا ما يؤكد سلامة هذا المدد، وعدم تحطمه على يد "القوات البيزنطية المظفرة" .

والجدير بالذكر أن الجيوش الإسلامية تمكنت من فرض الحصار على القسطنطينية، وإغلاق الممرات المائية المؤدية إليها، والمسلمون بذلك يريدون فتحها عنوة[5] فأكدوا أنهم أولو بأس شديد وعزم صادق، وأنهم حريصون على رفع راية الإسلام في كل مكان .

سفارة مسلمة إلى اليون (ليو الثالث – الأيسوري –)

هذا وأثناء الحصار بعث مسلمة بسفارة إلى اليون (ليو الثالث) وهو بداخلها، لتناقشه في نقض ما أبرم معهم من اتفاق، وتناشده وفاء العهد " أين ما كنت عاهدت الله عليه من النصيحة لنا، وإدخالنا إياها؟" غير أنه قال بعد أن أذن لهم، وعرف أفراد الوفد[6]: "لئن ظن مسلمة أني أبيع ملك الروم بالوفاء له، لبئس ما ظن" وعرض عليهم أن يصنع للجيش طعاماً، فيدخلون ويصيبون من الطعام ثم ينصرفون، فرفض أعضاء الوفد، وأوضحوا أنهم لن يفكوا الحصار عن المدينة إلا بدفع الجزية، أو يدخلوا المدينة عنوة عندها قال اليون: "إن دون ذلك لصغاراً وقتالاً شديداً"، ثم دعا بغداء فغداهم من الألوان و الطرائف ليظهر لهم عدم تأثرهم بالحصار، وأوعز للوفد بأن يطلبوا ما يشاءون ويتشهّون "فادعوا ما شئتم وتشهوا علينا" فقال البطال: كفاً من تراب من خلف الخندق، فغضب وأمرهم بالخروج فخرجوا من عنده، وأتوا مسلمة بما كان بينهم[7]، ويستشف من الرواية السابقة ما هو آت :

---

(1) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 159/67

(2) العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 315؛ الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 532/6؛ القضاعي، محمد **تاريخه** 359؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 27/58؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 305/4 310؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 634/12 656/12

(3) **الصقالبة** : بلد بين بلغار وقسطنطينية، وقيل قوم يتاخمون بلاد الخزر في أعالي جبال الروم (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 416/3)

(4) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 443/22؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 634/12، 656/12

(5) الأسطل، عبد القادر، **مسلمة بن عبد الملك حياته وجهاده** 94، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية- غزة 2007م

(6) هم أبو عبد الله البطال، وأبو زرعة اللخمي، وثالث لم يصرح باسمه، قد يكون سليمان بن معاذ الأنطاكي (ينظر: مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 28؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 246/66

(7) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 246/66-247؛ ينظر: الذهبي، شمس الدين محمد، **تاريخ الإسلام** 271

أولاً: وقوع المسلمين في الخدعة نتيجة الغفلة عن المنهج الرباني في التعامل الصحيح مع أهل الشرك قال تعالى:" كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ[1]"، وقال أيضاً " كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاً وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ [2]"، فهذه الآية تحريض للمؤمنين على معاداة الكفار، والبراءة منهم، وأنهم لا يستحقون عهداً، ولا أماناً لشركهم بالله، وكفرهم بالرسول(ﷺ) ولأنهم لو ظهروا على المسلمين لم يبقوا ولم يذروا[3] .

ثانياً: تؤكد هذه الرواية ما رجح من قبل، في أن الاتفاق المبرم كان بين مسلمة واليون (ليو الثالث) عندما تكاتبوا وأشهدوا على ذلك أثناء حصار مدينة عمورية[4]، وليس بين اليون (ليو الثالث) وسليمان بن عبد الملك، وما معرفة اليون (ليو الثالث) لأفراد الوفد إلا دليلاً على لقاء سابق بهم، كما أثبتت غدر اليون (ليو الثالث) بالمسلمين .

ثالثاً: تؤكد هذه الرواية ارتفاع روح المسلمين المعنوية، عندما أعلنوا أمام الملك أنهم لن يبرحوا إلا بدفع الجزية، أو فتح المدينة عنوة، كما أظهرت نباهة اليون (ليو الثالث) وحزمه، عندما رفض أن يعطيهم شيئاً من تراب المدينة، كما أنها تشير إلى مدى إحكام المسلمين لحصار القسطنطينية، وما رفض اليون (ليو الثالث) لطلب المسلمين في إحضار وقر من التراب من خارج السور إلا دليلاً على أنه لم يكن بوسع الروم الخروج منها .

غير أن بعض الروايات أوردت مجيء رسول ملك الروم إلى عمر بن هبيرة القائد البحري لأسطول المسلمين المحاصر للقسطنطينية، مستجدياً إياه في التوسط لدى القائد العام مسلمة بن عبد الملك، لقبول عرض فداء تقدم به الملك، فرفضه مسلمة، وهو أن يدفع " فدية صلح على كل إنسان بالقسطنطينية من رجل وامرأة وصبي[5] ديناراً ديناراً، على أن يرحل المسلمون عن القسطنطينية، إلا أن مسلمة أصر على أن يؤدوا الجزية عن صغار، أو يدخل البلد عنوة، قال رسول الملك في استجدائه

---

(1) التوبة 7

(2) التوبة 8

(3) ينظر: ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **تفسير ابن كثير** 338/2- 339

(4) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 21/58

(5) وعند صاحب، **العيون والحدائق** 31 عن كل رجل بالغ فقط، ولم يذكر المرأة والصبي، لكن ابن هبيرة في رواية ابن عساكر علي، **تاريخ دمشق** 230/68-231 شاهد عيان، وطرف في المفاوضات، وأورد كل من ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 304/4؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 90/3؛ ابن العبري، غريغوريوس، **تاريخ مختصر الدول** 196؛ المسعودي علي، **التنبيه والإشراف** 156/3 ،أنهم فاوضوا مسلمة على أن يرسلوا عن كل رأس ديناراً .

لابن هبيرة : "الصغارُ ما لا تطيب به أنفسنا أبداً"، وطلب منه أن يتوسط لدى القائد مسلمة لقبول العرض، فرد عليه ابن هبيرة بصواب رأي مسلمة، وأنه غير مخالف له، وهو عونه على ما يريد فغضب الرجل وصلب على وجهه وانصرف إلى أصحابه[1].

وإن صحت هذه الرواية في تقدم الروم بهذا العرض على مسلمة، ثم على ابن هبيرة، دليل على شدة الضراء التي كانوا بها جراء الحصار المضروب على مدينتهم، حتى وإن لم يكن محكماً من ناحية الشمال، فقد نفد صبرهم، وتطلعوا إلى إنهائه، باذلين في ذلك أموالهم، كما في هذا النص ما ينبئ عن تلاحم القيادة الإسلامية، واتحاد كلمتها أمام عدوها .

خديعة اليون (ليو الثالث – الأيسوري –) بين النفي والإثبات

تكاد تتفق معظم المصادر التاريخية[2] على ذكر خديعة اليون (ليو الثالث) مرة أخرى للمسلمين حيث سرق طعامهم الذي جمعوه وادخروه لوقت الحاجة، فأدخله القسطنطينية، وبيان ذلك: أن اليون (ليو الثالث) لما اتفق مع أهل القسطنطينية على تمليكه، بعد أن أذن له مسلمة في الدخول إليهم بقصد التفاوض معهم لما ضاقت بهم الحيلة، خرج إلى مسلمة، وقال: قد أجابوني لفتح المدينة، إلا أنهم اشترطوا أن تتنحى عنهم، وتبتعد قليلاً في بعض الوجوه، أو الرساتيق حتى يطمئنوا، ويصدقوا بأن أمري وأمرك واحد، وأنهم في أمان من السباء، والخروج من بلادهم، فقال مسلمة: أخشى أن هذا غدر منك، فحلف له اليون (ليو الثالث) أن يدفع كل ما في القسطنطينية من ذهب، وفضة، وديباج، ومال وآنية، وسبي، وجوهر، وسلاح، ووشي، وما يدخره الملوك، فارتحل مسلمة وتنحى، فأمر اليون (ليو الثالث) الرجال المستعدين بسفنهم، فنقلوا طعام المسلمين وعلوفاتهم فأدخلوها المدينة، وشحنوا بها الخزائن الإمبراطورية، وأخذوا ما أمكنهم من أمتعة الجيش وبلغ الخبر مسلمة، فتحقق غدر اليون فأقبل راجعاً، وأدرك شيئاً من الطعام، ثم أصبح اليون (ليو الثالث) محارباً.

وكذلك الرواية التي مفادها أن اليون (ليو الثالث) أشار على مسلمة بحرق ما معه من الطعام حتى يتحقق أهل القسطنطينية العزم منه على حربهم، ومناجزتهم، فيعطوا بأيديهم، فأحرقه[3]، هذه الخدعة التي حيكت ونقلتها المصادر التاريخية، يمكن أن تكون روايات غير دقيقة، وذلك للأسباب التالية :

---

(1) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 231-230/68

(2) المسعودي، علي، **التنبيه والإشراف** 166؛ المقدسي، محمد، **البدء والتاريخ** 44/6؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 21/58؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 304/4؛ ابن العبري، غريغوريوس، **تاريخ مختصر الدول** 196 الذهبي، شمس الدين محمد، **تاريخ الإسلام** 271؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 631/12؛ ابن خلدون عبد الرحمن، **تاريخه** 90/3

(3) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 531/6؛ مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 29؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل **البداية والنهاية** 631/12؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 304/4؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 90/3 ابن العبري، غريغوريوس، **تاريخ مختصر الدول** 197

أولاً: هذه الروايات مبنية على احتمال أن اليون (ليو الثالث) كان مصاحباً لمسلمة حتى وصل القسطنطينية، ثم دخل المدينة، واتفقوا على تنصيبه إمبراطوراً، وحتى يثبت ولاءه لهم، قام بهذه الخدعة، وهي سرقة طعام المسلمين وعلوفاتهم، وقد سبق ترجيح الرواية التي تقول إن اليون (ليو الثالث) كان ينظم قواته داخل أسوار القسطنطينية وقت وصول المسلمين إليها، وتبين لمسلمة ومن معه حينئذ موقف اليون (ليو الثالث) الغادر فأصابتهم كآبة وهم عظيم[1] لما رأوا من مخادعته وخيانته، فهل يا ترى يستقيم هذا الأمر ويخرج إليهم ويقابل مسلمة ويخدعه مرة أخرى .

ثانياً: على افتراض أن ما ذكرته تلك المصادر كان صحيحاً، وهو أن اليون (ليو الثالث) ما دخل القسطنطينية إلا بعد وصول مسلمة، فهل ما ذكر من تبرير من أجل أن يتنحى المسلمون في بعض الرساتيق حتى يطمئن أهل القسطنطينية يعد تبريراً معقولاً، ويمكن أن يصدقه مسلمة ورجاله؟ أم هو كلام لا يمكن أن يقبل به أقل الناس عقلاً .

ثالثاً: إن المصادر البيزنطية لم تشر إلى حادثة سرقة الطعام، أو إحراقه من قريب أو بعيد ولم تذكر ذلك مطلقاً[2] ولو أن شيئاً من هذا القبيل حدث لهللت له، وأبرزته، وأضافته إلى مواهب اليون (ليو الثالث) التي وقفت عندها كثيراً .

وبهذا يمكن القول إن تلك الروايات هي روايات متهافتة يراد بها الحط من قدر مسلمة، ويتضح ذلك من خلال وصفه بأنه قد خدع خديعة لو كان امرأة لعيب بها[3]، فهل يصدق أن يعمد قائد جيش بنفسه إلى التخلي عن طعامه وطعام جنده، أو يحرقهما، وهو في مواجهة عدوه؟ هذا ما لا يمكن أن يصدقه عاقل، وهي فرية مكشوفة تذكر بقصة طارق بن زياد وإحراق السفن المنسوبة إليه زوراً وبهتاناً[4] .

ومثل هذه الرواية في البطلان رواية ساقها الطبري[5] والتي ذكر فيها أن اليون (ليو الثالث) كتب إلى مسلمة يسأله أن يدخل من الطعام ما يعيش به القوم، ويصدقونه بأن أمره وأمر مسلمة واحد، والسؤال الذي يبرز نفسه، ما قيمة الحصار المضروب على المدينة إذا كان يتصور أن مسلمة سيعطيهم من الطعام ما يعيشون به؟

---

(1) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 338/50

(2) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 146؛ فرج، وسام، **العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية** 155

(3) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 531/6

(4) للتعرف إلى قضية إحراق طارق بن زياد للسفن وتفنيدها ينظر: عويس، عبد الحليم، **إحراق طارق بن زياد للسفن أسطورة لا تاريخ** 5

(5) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 531/6؛ مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 32

إن تلك الروايات يفهم منها أمر واحد، وهو تحميل مسلمة بن عبد الملك مسؤولية عدم نجاح هذه الحملة، وما أصاب المسلمين أثناء الحصار من بعض المحن حتى قيل إنه عاجز، ولا رأي له في الحرب، ولا في أصحابه من له رأي يرجع إليه[1]، وقال صاحب العيون والحدائق في موضع آخر كلاماً نابياً عنه[2]، وقد يكون هذا القول عن مسلمة غير دقيق، وفيه شيء من التحامل عليه، فهو وإن كان لا يعفى من المسؤولية، إلا أنه لا يتحمل نتيجة كل ما حدث، فهو قدر نافذ بمسلمة أو بدونه، حيث لم يحن بعد زمن الفتح .

كما أن مسلمة لم يكن متفرداً بالرأي دون غيره، فقد رأينا مثالاً على مشاورته لأصحابه، لكنه كان يفضل رأي الأغلبية، وما إصراره على عدم قبول الفداء من أهل القسطنطينية لمّا عرضوه عليه، إلا تنفيذاً لأمر أخيه سليمان، الذي وصاه بأن يقيم عليها حتى يفتحها، أو يأتيه أمره، ومن قرأ عن مآثره الحربية، وانتصاراته المتوالية على جيوش الروم في أراضيهم، استيقن أنه لم يكن وراءها إنسان سهل القياد، عاجز الرأي، فلم يكن في أولاد عبد الملك أسد منه رأياً، ولا أذكى عقلاً، ولا أسمح نفساً، ولا أسخى كفاً[3]، ولم يكن في ولد عبد الملك مثله[4].

وكيف يكون عاجزاً في الحرب ولا رأي له فيها وقد قرنه بعض المؤرخين[5] بخالد بن الوليد في فتوحاته، وحنكته في إدارة دفة المعارك؟! ووصف بأن له آثاراً كثيرة في الحرب ونكاية في العدو[6] حتى أن بعض المستشرقين[7] أوضح أن مسلمة أثبت كفاءته في معارك آسيا الصغرى.

وهل يعقل أن يستمر مسلمة ولمدة حكم أربعة من الخلفاء، وهو يجاهد ضد الروم وغيرهم، ولم يكتشف أحد من هؤلاء الخلفاء عجزه وضعف رأيه[8]؟!، وقد أوصى أبوه عبد الملك بن مروان أبناءه يوماً فقال:"يا بني، أخوكم مسلمة نابكم الذي تفترون عنه، ومجنكم الذي تستجنون به، أصدروا عن رأيه[9]" فهل مَنْ هذه صفاته يخدع بسهولة مرات عديدة، ويكون الإخفاق بسببه وحده؟ ومع ذلك كله فهو بشر يصيب ويخطئ .

---

(1) مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 27-28

(2) وهو أن ليون كان يناظره ويعامله بالمكر والخديعة حتى قال: لو كان مسلمة امرأة ثم شئت أن أفعل بها لفعلت، وما كان يمتنع علي قط في شيء أردت منه، مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 27

(3) ابن عبد ربه، أحمد، **العقد الفريد** 131/6

(4) الجاحظ، عمر، **البيان والتبيين** 189/3

(5) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 103/13

(6) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 28/58

(7) بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 151

(8) الأسطل، عبد القادر، **مسلمة بن عبد الملك حياته وجهاده** 98، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية- غزة 2007م

(9) المسعودي، علي، **مروج الذهب** 124/2

في حين نسب بعض المؤرخين[1] فشل الحملة إلى الخليفة سليمان بن عبد الملك، واتهمه بعدم الكفاءة لمنصب الخلافة، لأنه لم يرسل نجدات لمسلمة لتعزيز موقفه، ومساعدته في إخضاع القسطنطينية، ولكن كل من ترجموا لسليمان بن عبد الملك ذكروا أنه كان فصيحاً، مفوهاً، مؤثراً للعدل محباً للغزو[2]، وكان الناس يتبركون به، ويسمونه مفتاح الخير، واستخلف عمر بن عبد العزيز، فكان يقال فتح بخير وختم بخير[3]، كما هو الذي جهز حملة مسلمة لفتح القسطنطينية، وأقسم أن يفتحها أو يموت دون ذلك[4]، ومن أجل ذلك بقى بدابق مرابطاً، إلى أن مات، فمات مرابطاً يجري أجره إلى يوم القيامة[5]، ورأينا كيف تمكنت قوات المسلمين التي يحتمل أنها كانت مدداً[6] من هزيمة البرجان بعد خدعتهم ومباغتتهم للمسلمين على حين غرة، كما روي أن سليمان أمد مسلمة بمسعدة أو عمر بن قيس في جمع، فمكرت بهم الصقالبة ثم هزمهم الله[7]، فهل من هذه صفاته، وأفعاله يمكن أن يتهم بعدم الكفاءة لمنصب الخلافة؟!

فك الحصار ومدته

ـ فك الحصار

حينما تولى عمر بن عبد العزيز(99هـ - 101هـ/717م – 720م)[8] أمْرَ المسلمين بعد وفاة سليمان ابن عبد الملك، انتهج سياسة تقوم على الاكتفاء بما تم من الفتوح، وتنظيم أمور الدولة الإسلامية وتأمين رقعتها[9]، وكان جل اهتمامه متجهاً إلى السياسة الداخلية[10] فرأى أن من مصلحة الجيش المحاصر للقسطنطينية رفع الحصار عنها، والعودة إلى ديار الإسلام، خوفاً عليهم من غائلة الروم وبلادهم، وبما

---

(1) أمير علي، سيد، **مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي** 108

(2) ابن قتيبة، عبد الله، **المعارف** 203

(3) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 311/4؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 200/1

(4) الكتبي، صلاح الدين محمد، **فوات الوفيات** 70/2؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 6/12

(5) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 631/12 ؛ ابن العديم، عمر، **زبدة الحلب في تاريخ حلب** 23، 26

(6) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 443/22

(7) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 553/6؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 304/4؛ ابن خلدون عبد الرحمن، **تاريخه** 90/3؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 634/12

(8) المسعودي، **مروج الذهب** 132/2؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 311/4

(9) باربارو، نيقولو **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 11؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 96/2؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 55

(10) العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 191؛ غنيم، إسمت، **الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية** 46

أصابهم من الضراء وضيق العيش[1] ولهذا فقد أرسل في مستهل خلافته بعثاً بقيادة عمرو بن قيس السكوني[2] إلى مسلمة بن عبد الملك في أربعة آلاف رجل[3] ومعهم الطعام، والشراب والكسوة والدواب[4]، والخيل العتاق[5]، وزيت الزيتون لعلاج الجرب[6] وإغاثة الناس، وإمدادهم بما يحتاجون وكان قد استحث الناس على معونتهم[7]، كما أرسل رسولاً بكتاب إلى مسلمة يأمره بالعودة[8].

ولما قرأ مسلمة كتاب عمر بن عبد العزيز الذي يأمره فيه بالعودة، لم يستجب على الفور، وإنما أعاد الرسول بكتاب إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز، يخبره فيه بما بلغ من جهد المحاصَرين، وما أشرف على المسلمين من الفرج، بقرب موسم حصاد ما زرعوا حول المدينة، ويشير عليه بتركهم حتى يحكم الله تعالى بينهم[9]، كما دافع مسلمة رسول عمر وقال: أقم علي أياماً، فإني قد أشرفت على فتحها[10] فرأى مسلمة بعد مراجعة مع الخليفة أنه لا بد من فك خناق المدينة، ورفع الحصار عنها فقفل بعد كره شديد[11].

---

(1) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 631/12؛ اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 302/2؛ المسعودي، علي، **التنبيه والإشراف** 141؛ مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 63

(2) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 320/46

(3) نفسه 332/68

(4) مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 33

(5) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 553/6؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 315/4؛ ابن الجوزي عبد الرحمن، **المنتظم** 45/7؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 90/3؛ خنفر، خلقي، **الدولة الأموية** 129

(6) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 61/50؛ خنفر، خلقي، **الدولة الأموية** 129

(7) العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 320؛ الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 553/6؛ ابن خلدون، عبد الرحمن **تاريخه** 90/3؛ وذكر سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 200/1 أن عمر بن عبد العزيز أرسل لهم الخيل والقماش، والطعام الكثير، في عمارتين جديدتين، واحدة منهما أربعمائة سفينة مشحونة قمحاً من الإسكندرية، والثانية ثلاثمائة وستين سفينة من إفريقيا .

(8) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 315/4؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 332/68، عبوشي، فاطمة، **صورة عمر ابن عبد العزيز عند المؤرخين المسلمين** 162، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية – نابلس 2009م؛ بحري، فائقة، **أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا** 23، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – مكة 1989م، وذكر صاحب **العيون والحدائق** 33 أن عمر بن عبد العزيز أمر الرسول أن ينادي هو بالقفول إن تلكأ مسلمة في ذلك، ففعل، لكن رواية ابن عساكر عن شاهد عيان، وهي بذلك ترجح .

(9) **تاريخ دمشق** 332-331/68

(10) مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 33

(11) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 316/5؛ العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 316؛ المسعودي، علي، **التنبيه والإسراف** 166؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 43/5؛ العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 68

بدأ مسلمة بتنفيذ قرار الخليفة عمر بن عبد العزيز، حيث دعا البطال وأمره أن ينادي في الناس بالرحيل، عندها بدأ الناس بركوب السفن، وقد أقام مسلمة على شاطئ البحر ستة أيام حتى رحل الجميع وساروا في البحر، ثم انتقل إلى العدوة الآسيوية بواسطة ما بقي من الأسطول، فواصل عودته إلى الشام، فنزل في مدينة المسيحية في أرض الروم، ثم سار إلى عمورية، واستمر يقطع البلاد حتى وصل إلى طرسوس، ثم دخل إلى بلاد الشام، وسار إلى دمشق[1] .

وبعد أن تم رجوع الجيش الإسلامي، أرسل عمر بن عبد العزيز إلى أسرى المسلمين برسالة أوضح لهم فيها اهتمامه بأمرهم، والعمل على إطلاق سراحهم[2]، وأرسل عبد الأعلى بن أبي عمرة لفداء أسرى المسلمين في القسطنطينية، ففاداهم الرجل من المسلمين برجلين من الروم[3] وتحدث ابن كثير[4] عن مفاداة الأسرى بين المسلمين والروم وكيف كان يتم فداؤهم، فقال :" كانت المفاداة تتم عند نهر قرب طرسوس، ينصب عليه جسران، واحد يؤدي إلى المسلمين، والآخر إلى الروم، فإذا أرسل الروم مسلماً، أو مسلمة في جسرهم وانتهى إلى المسلمين، كبر وكبر المسلمون، ثم يرسل المسلمون أسيراً من الروم على جسرهم، فإذا انتهى إليهم تكلم بكلام يشبه التكبير، وقد تستمر عملية التبادل أربعة أيام".

وكان مسلمة قد شرط على ملك الروم أن يبني داراً بجانب قصره لأسرى المسلمين، حتى يكونوا تحت إشرافه مباشرة، وقد تم ذلك فبنيت دار البلاط[5] وهذا يؤكد على مدى اهتمام المسلمين بالأسرى والعمل على إطلاق سراحهم، مهما كان الثمن، فقضية الأسرى كانت قضية الدولة بأكملها، فهي المسئولة عن فدائهم، وتبقى رسالة عمر للأسرى بالقسطنطينية تمثل النموذج الذي يحتذى به لكل جماعة مجاهدة، حتى تبقى راية الجهاد مصانة، وأسرى المسلمين غير مهانة.

---

(1) ينظر: ابن أعثم، أحمد، **الفتوح** 227 – 230 ؛ Ostrogorsky, **History of the Byzantine start** p139؛ أومان تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 147؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 121

(2) الأصفهاني، علي، **الأغاني** 304/9؛ فرج، وسام، **العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية** 195؛ مصطفى نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 55 – 56؛ ماجد، عبد المنعم، **التاريخ السياسي للدولة العربية** 267/2

(3) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 419/33

(4) **البداية والنهاية** 307/10؛ فازيلف، **العرب والروم** 178،132

(5) المقدسي، محمد، **أحسن التقاسيم** 138/1؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 477/1

ـ مدته

هذا وقد اختلفت روايات المؤرخين في تحديد مدة الحصار ما بين سنة[1]، وعشرين شهراً[2] وثلاثين شهراً[3]، و ذكرت بعض الروايات أنهم أقاموا عليها سنين[4] إلا أن بعض المؤرخين المحدثين[5] ذكروا أن مسلمة بن عبد الملك وصل إلى القسطنطينية وعسكر عند أسوارها في 15 أغسطس سنة 717م وهو يوافق الثاني من شهر محرم سنة 99هـ تقريباً[6] وهذا التاريخ موضع شك لأن وفاة سليمان بن عبد الملك كانت لعشر ليال خلت من شهر صفر سنة 99هـ717م[7] فيكون بين وصول مسلمة ووفاة سليمان شهر واحد وأيام، بينما استغرقت مدة الحصار على أقل تقدير سنة كاملة كان أكثرها في زمن سليمان .

كما ذكر أن القوات الإسلامية رفعت الحصار عن المدينة في 15 أغسطس من سنة 718م[8] ويوافق في التاريخ الهجري 13 محرم سنة 100هـ تقريباً[9]، ومعنى هذا أن عمر بن عبد العزيز لم يأمر الجيش بالقفول، إلا بعد مضي حوالي سنة من بدء حكمه، لأنه تولى في اليوم الذي توفي فيه سليمان، وهو العاشر من صفر سنة 99هـ/717م[10]، وهذا يخالف ما نصت عليه معظم المصادر[11] من أنه أمر بالعودة سنة 99هـ، ويخالف ما عرف عن عمر من حرص على حياة المسلمين وأرواحهم فلا يمكن أن يبقيهم هذا الوقت كله بعد ولايته مع علمه بسوء حالهم .

---

(1) الذهبي، شمس الدين محمد، **سير أعلام النبلاء** 501/4؛ ينظر: العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 166؛ عاشور سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 113

(2) الذهبي، شمس الدين محمد، **تذكرة الحفاظ** 70/1

(3) المقدسي، محمد، **البدء والتاريخ** 44/6؛ ابن العبري، غريغوريوس، **تاريخ مختصر الدول** 197؛ الذهبي، شمس الدين محمد، **تاريخ الإسلام**271؛ **سير أعلام النبلاء** 502/4

(4) ابن تيمية، تقي الدين، **مجموع الفتاوى** 352/18؛ وقد يكون تحديد مدة الحصار بسنين في هذه الرواية غير دقيق، وربما هي تصحيف لكلمة لثلاث سنين، أو لسنتين

(5) العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 163؛ فرج، وسام، **العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية** 143

(6) مختار باشا، محمد، **التوفيقات الإلهامية** 131/1

(7) العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 316؛ الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 546/6؛ اليافعي، عبد الله، **مرآة الجنان** 164/1؛ ابن الطقطقا، محمد، **الفخري في الآداب السلطانية** 128؛ خنفر، خلقي، **الدولة الأموية** 77

(8) العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 166؛ العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 89، وتوافق هذه التواريخ المراجع الغربية Bury, **Later Roman Empire**, II, P.404 ؛Ostrogorsky: **History of The Byzantine State**, P. 138

(9) مختار باشا، محمد، **التوفيقات الإلهامية** 132/1

(10) العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 316

(11) نفسه 320؛ الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 553/6؛ مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 33 وينص على أن عمر ابن عبد العزيز أمر بذلك ساعة ولي (ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 320/46)

ولتحرير مدة الحصار يمكن افتراض انطلاق الحملة من الشام إلى بلاد الروم كان في سنة 97هـ/715م[1] حيث قضت أغلب شتاء ذلك العام في الضواحي، ثم كان الوصول إلى القسطنطينية وضرب الحصار عليها في أواخر تلك السنة[2]، ودخلت سنة 98هـ/716م والحصار قائم، وبذلك توحي إشارات بعض المؤرخين[3]، وهجم شتاء تلك السنة، وكان ذا برد شديد[4]، ثم ابتدأت أزمة المسلمين الغذائية بعد أن نفد ما لديهم من أقوات، ولم يستطع سليمان أن يمدهم بشيء من المؤن لكثرة البرد والثلوج، إلى أن توفي فخلفه عمر بن عبد العزيز في العاشر من صفر سنة 99هـ/717م الذي أمر بعودة الجيوش فورَ توليه[5]، لكن قد يكون تنفيذ هذا الأمر استغرق وقتاً بسبب مراجعة مسلمة له في استمرار الحصار، فيما بين ذهاب الرسول إلى القسطنطينية، ثم رجوعه منها إلى الشام، ثم عودته إليها مرة أخرى[6]، ويؤكد هذا قول بعض المؤرخين[7]:" فقفل (أي مسلمة) بعد كره شديد وخطب طويل" . وكانت تعوز ابن العبري[8] الدقة عندما أرخ انطلاق الحملة في سنة 98هـ/716م، ثم أرخ رجوعها بتولي عمر بن عبد العزيز أي في سنة 99هـ،717م، ثم ذكر أن مدة الحصار كانت ثلاثين شهراً . وبذلك فإنه يمكن ترجيح أن مدة الحصار كانت أكثر من سنة، حيث كان بدؤه في أواخر سنة 97هـ/715م، واستمر إلى أن مضت عدة أشهر من سنة 99هـ/717م، وقد تصل هذه المدة إلى حدود عشرين شهراً، لكنها لاتصل بحال من الأحوال إلى ثلاثين شهراً، لأنه لو افترضنا أن فك الحصار كان بعد تولي عمر بثلاثة أشهر على أكثر تقدير، فسيكون بدؤه قبيل منتصف سنة 96هـ/715م، وهذا قبل

---

(1) المسعودي، علي، **التنبيه والإشراف** 165؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 374/45 وروايته هنا عن شاهد عيان، وهذا يخالف ما ردده أكثر المؤرخين من أن انطلاق الحملة كان في سنة 98هـ/716م، (ينظر: العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 315 الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 530/6؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 304/4؛ ابن العبري، غريغوريوس **تاريخ مختصر الدول** 196؛ الذهبي، شمس الدين محمد، **العبر في خبر من عبر** 87/1؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 621/12)

(2) قارن بأشهر السنة الميلادية المقابلة في كتاب مختار باشا، محمد، **التوفيقات الإلهامية** 129/1

(3) ينظر ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 34/58؛ حيث يروى عن الوليد بن مسلم أن سليمان بن عبد الملك سنة 98هـ نزل بدابق، وكان مسلمة على حصار القسطنطينية؛ الذهبي، شمس الدين محمد، **تاريخ الإسلام** 269

(4) مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 32 ؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 146

(5) نفسه 33

(6) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 332/68

(7) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 316/5؛ العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 316؛ المسعودي، علي، **التنبيه والإشراف** 166؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 43/5

(8) ابن العبري، غريغوريوس، **تاريخ مختصر الدول** 196-197

وفاة الوليد، وهو مخالف لما عليه المؤرخون من أن انطلاق الحملة وحصار القسطنطينية كان في زمن سليمان بن عبد الملك .

ويعزز هذا الترجيح عبارة وردت لدى ياقوت الحموي وغيره[1] ذكر فيها:" أن سليمان شتى بدابق شتاءً بعد شتاء"، فهي تفيد أنه مرّ شتاءان بعد خروج الحملة شتاء سنة 97هـ والشتاء الذي يليه، ويعزز ذلك أيضاً ما روي من أن مسلمة أقام على حصار الروم شتاءً وصيفاً وزرع بأرضهم، وهجم عليه الشتاء الآخر وكان ذا برد شديد[2].

دخول مسلمة القسطنطينية قبيل الانسحاب

لقد أوردت بعض المصادر [3] أن المسلمين قبل انسحابهم عن القسطنطينية، صالحوا أهلها على دخولها، وبناء مسجد فيها، وأورد بعض المؤرخين[4]، قصة دخول مسلمة المدينة مفصلة، فذكروا أن اليون (ليو الثالث) طلب من مسلمة المصالحة على أن يؤدي إليه في كل سنة ألف ألف درهم، وألف ألف أوقية من ذهب، وخمسة آلاف من البقر والغنم، وألف رمكة[5]، بفحولها، سوى ما يتبع ذلك، وأن مسلمة رفض هذا العرض، وحلف يميناً مغلظة أن لا يرحل عن المدينة إلا بعد أن يدخلها، أو يقيم عليها، فوافق اليون (ليو الثالث) على ذلك، شريطة أن يكون وحده لا ثاني معه، وله الأمان حتى يخرج، على أن يقف قائده البطال بالجموع على باب المدينة الذي يظل مفتوحاً، فإن كان ثم غدر، اقتحم المدينة، فقتل المقاتلة، وسبى النساء والذرية، وأخذ الأموال، وتمضي الرواية في ذكر تنفيذ الاتفاق ودخول مسلمة المدينة بتكبير وشموخ، وأنه دخل كنيستهم راكباً، واقتلع صليبهم الأعظم المصنوع من الذهب والجوهر، فاحتمله معه واليون (ليو الثالث) يتشفع إليه في تركه فيأبى، حتى إذا توسط المدينة رفعه منكساً على رمحه، وهم ينظرون إليه بتحسر وألم، حتى خرج من المدينة وقت العصر، ثم بعث إليه اليون (ليو الثالث) ما صالحه عليه، وآذن مسلمة جيشه بالرحيل بعد أن خطبهم وذكر لهم وفاة أبيه

---

(1) **معجم البلدان** 416/2؛ الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 522/6؛ اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 295/2؛ ابن خلدون عبد الرحمن، **تاريخه** 90/3

(2) مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 32

(3) القضاعي، محمد، **تاريخه** 358؛ ابن تيمية، أحمد، **مجموع الفتاوى** 352/18؛ الذهبي، شمس الدين محمد، **دول الإسلام** 69 **سير أعلام النبلاء** 112/5؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 632/12، 639/12؛ شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** 227؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 200/1 ولكنه ذكر على دفع دينار عن كل رأس .

(4) ينظر: ابن أعثم، أحمد، **الفتوح** 299/7-304؛ القرماني، أحمد، **أخبار الدول** 376-377

(5) **الرمكة**: الفرس والبرذونة تتخذ للنسل (الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **كتاب العين** مادة رمك، 370/5)

وأخيه الوليد، واستدعاء أخيه سليمان إياه، فبكى الناس وعرضوا عليه البيعة فرفض؛ وعند التمعن في محتوى هذه الرواية يتبين ما يلي:

أولاً: يمكن القول إن هذه الرواية غير صحيحة، بدليل أن مسلمة لو وجد فرصة لاقتحام المدينة لسارع في فتحها، وكيف يدخل المدينة ويترك رجاله على بابها في انتظاره؟ أليست هذه فرصة كان يجب أن يغتنمها ويهجم هو وجنوده لفتح المدينة؟ وعلى أقل تقدير يدخل هو – كما اشترط الإمبراطور- ويوعز لرجاله أن يقتحموها من ورائه، لا سيما وبابها مفتوح أمامهم وهم عليه، وهذا يسهل عملية الفتح وقد استعصت عليه كما استعصت على من سبقه إليها من المسلمين .

ثانياً: لم تشر الرواية مع تفصيلها في مسألة الدخول إلى بناء المسجد داخل المدينة إطلاقاً، وإنما ذكرت وجود مسجد خارجها، فيما أسمته بمدينة القهر التي بناها مسلمة بإزاء مدينة القسطنطينية، وأن مسلمة لما أزمع على الرحيل، هدد اليون (ليو الثالث) إن تعرض لهذا المسجد[1].

ثالثاً: تدور علامات التساؤل والشك حول كثير مما ورد في هذه الرواية، ومن ذلك تحديد مقدار المصالحة بألف ألف درهم، والدرهم عملة فارس، وليس عملة بيزنطة، وما ورد في مقدار المصالحة يخالف ما هو ثابت في رواية ابن عساكر[2] - والتي هي عن شاهد عيان - والتي تقول إنهم لما رغبوا فيها، قبلوا أن يدفعوا عن كل إنسان في القسطنطينية ديناراً ديناراً، وعندما رفض البيزنطيون الجزية التي عرضها عليهم مسلمة، رفضوها أنفة وكبرياء قالوا:"والصغار والجزية ما لا تطيب به أنفسنا أبداً[3]"، وهذه الرواية تخالف ذلك تماماً، ثم إن مسلمة لم يكن في موقف المنتصر على أهل القسطنطينية حتى يفرض شروطه عليهم ويذلهم بتلك الطريقة .

لذلك فإن مسألة دخول مسلمة إلى المدينة مستبعدة، لأنه من الصعب قبول البيزنطيين شروط مسلمة، ومن الصعب أن يملي الطرف الخاسر شروطه[4]، وإن كان هناك مسجد مبني فهو خارج أسوارها حيث كان يقيم مسلمة وجنده، عندما بنوا بيوت الخشب أول قدومهم، وظلوا فيها أثناء الحصار

---

(1) ينظر: **الفتوح** 305/7

(2) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 230/68؛ مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 31؛ ومن الغرائب التي وردت في هذه الرواية: أن مسلمة عندما أراد فك الحصار، أخبر الناس بوفاة أبيه عبد الملك، وأخيه الوليد، وكأن الناس لم يعلموا بذلك، ولا مضى على وفاتهما زمن طويل، مع أن معظم المصادر تكاد تجمع على أن خروج جيش مسلمة - الذي نحن بصدده - كان في عهد سليمان، وورد عنده ابن أعثم، أحمد، **الفتوح** 298/7 أن سليمان بن عبد الملك هو الذي استدعى أخاه مسلمة، وكتب إليه يأمره بالانصراف إلى ما قبله، ليوجهه إلى خراسان حيث يزيد بن المهلب، والروايات الصحيحة تثبت غير ذلك، لأن سليمان توفي والحصار ما زال قائماً، والذي أمر الجيش بالقفول هو عمر بن عبد العزيز، كما أن ثورة يزيد بن المهلب على الأمويين لم يكن في عهد سليمان وإنما كان في عهد يزيد بن عبد الملك، وفي العراق وليس في خراسان .

(3) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 231/68

(4) فرج، وسام، **العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية** 173

ومن المتوقع بل المفترض أن يكون لهم مسجد جامع يؤدون فيه الجمع، والجماعات، والأعياد، وما يؤكد ذلك ما أورده ابن الوكيل[1] من أن مسلمة بن عبد الملك أقام جامعاً أثناء حصاره للقسطنطينية بجوارها يؤدي فيه المسلمون الصلوات والجمع، ومن المحتمل أيضاً بقاء هذا البناء بعد رحيل المسلمين، ولا سيما أن بعض العلماء صرحوا بأنه باق إلى زمانهم[2]، ليظل بعد ذلك منارة لنشر الإسلام وحضارته التي تكفل السعادة للبشرية جمعاء، وقد امتدح ابن بسام الشنتريني[3] هذا المسجد بقوله:" الراية المعلمة والآية المحكمة، مسجد مسلمة" .

أما بخصوص بناء مسجد في القسطنطينية، فقد أوردت بعض المصادر التاريخية[4] أن عمر بن عبد العزيز لما طلب من مسلمة العودة إلى الشام، وفك الحصار عن القسطنطينية بعد الفشل في فتحها ودخولها، رفض مسلمة العودة إلا بعد قيام البيزنطيين ببناء مسجد داخل القسطنطينية، وقد أكد ذلك مصدر بيزنطي[5]، بالإضافة إلى الكثير من المصادر العربية[6]، وربما هذا يؤكد بناء هذا المسجد في القسطنطينية، وربما وافق اليون (ليو الثالث) على بناء هذا المسجد بعد أن أنهكته الحروب مع المسلمين، وليضمن بذلك حماية مدينته مدة أطول من الزمن[7]، وبذلك يمكن اعتبار ذلك المسجد ودار البلاط التي كان ينزل فيها الأسرى المسلمون في القسطنطينية نواة الحي الإسلامي فيها، والذي استقر به التجار المسلمون في القرن العاشر الميلادي[8] .

---

(1) **تحفة الأحباب بمن ملك مصر من النواب** 80

(2) ابن تيمية، أحمد، **مجموع الفتاوى** 352/18؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 632/12، 102/13

(3) **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** 227/6

(4) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 632/12، 102/13؛ وقد وصف هذا المسجد بقوله بأنه :" شديد البناء محكماً رحب الفناء، شاهقاً في السماء"

(5) بورفيروجنيتوس، قسطنطين، **إدارة الإمبراطورية البيزنطية في عهد قسطنطين السابع** 83؛ شاخت، جوزيف وزميله **تراث الإسلام** 94/1 والذي ذكر أن مسجد أقيم بإحدى ضواحي القسطنطينية، يقال إنه بني كذكرى للحصار الفاشل الذي قام به مسلمة بن عبد الملك .

(6) القضاعي، محمد، **تاريخه** 358؛ البغدادي، أحمد، **تاريخ بغداد** 338/9؛ ابن تيمية، أحمد، **مجموع الفتاوى** 352/18 الذهبي، شمس الدين محمد، **دول الإسلام** 69، **سير أعلام النبلاء** 112/5؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 632/12، 639؛ شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** 227

(7) الطحاوي، حاتم، **بيزنطة والمدن الإيطالية** 36

(8) عبد الجواد، ليلى، **مملكة القسطنطينية في مسالك الأبصار وممالك الأمصار للعمري**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، مج 15،ع15، 2007م، 311؛ الطحاوي، حاتم، **بيزنطة والمدن الإيطالية** 36 – 37؛ باربارو، نيقولو **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 10 -11، كما وتشير بعض المصادر أنه بعد تهديد طغرل بك للأراضي البيزنطية سعى الإمبراطور البيزنطي قسطنطين مونوماخوس إلى موادعته بإطلاق صراح ملك الأبخاز، وقام بإعادة بناء هذا المسجد، والذي أقيمت فيه الجمع والصلوات (ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 632/12؛ المقريزي، تقي الدين، **السلوك لمعرفة دول الملوك** 32/2؛ ابن العبري، غريغوريوس، **تاريخ مختصر الدول** 94 – 97) واستمر هذا المسجد يؤدي رسالته وفق الظروف السياسية بين المسلمين والروم، فقد قبل إسحق انجيليوس من صلاح الدين خطيباً لهذا المسجد وعدد من القراء والمؤذنين (ابن شداد، بهاء الدين، **النوادر السلطانية** 132؛ المقدسي، شهاب الدين، **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين** 151/2) وقد أوضح الطحاوي، حاتم، **بيزنطة والمدن الإيطالية** 36 – 37 أن قضية المساجد في القسطنطينية بحاجة لإفراد دراسة خاصة بها تتناول أسباب وزمن وجودها، وتأثيرها على العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين .

فشل الحملة

لم يدخر المسلمون وسعاً في الإعداد لهذا الفتح، والتخطيط لـه، حيث ضربوا على أهل المدينة حصاراً أضناهم، وأبدوا من ضروب البسالة، والفداء، والتحمل، والصبر، ما أذهل العدو وأرهقه وجعله يتوسل إليهم طالباً المصالحة، وقبول الفداء عن كل رأس من أهل القسطنطينية حتى يرحلوا عنهم[1] .

ولما لم يكن هدف المسلمين من جهادهم جمع الأموال واكتنازها، فإنهم رفضوا ذلك وخيروا أهل القسطنطينية بالإسلام، أو دفع الجزية مع الصغار، أو القتال، وحينما لم يقبلوا بالخيارين الأولين، كان لابد من الثالث، لكن المسلمين لم يتمكنوا من مناجزتهم، بسبب احتمائهم خلف أسوار المدينة، ولذا ظلوا مرابطين عندها رجاء فتحها، حتى تجمعت أسباب كثيرة اضطرتهم إلى إنهاء الحصار في ذلك الحين وحتى تحين فرصة أخرى يتحقق فيها ما لم يتحقق هذه المرة، وتكمن تلك الأسباب في الأمور التالية :

أولا: خديعة اليون (ليو الثالث) لمسلمة في إعانته على الاستيلاء على القسطنطينية، والذي كان طامعاً في العرش البيزنطي، فانتهى الأمر له بذلك بعد أن كان قد تعرف على قوة المسلمين، وحجم الاستعدادات للفتح، ولما وصل القسطنطينية قبل القوات الإسلامية كان قد أخذ يعد العدة لهم، ولا بد أنه استطاع معرفة بعض خططهم، فراح يعد لها مما ساهم في صدهم عن أسوارها[2] .

ثانياً: حلول الشتاء القارس الذي رافقه برد شديد، وأمطار، وثلوج عام98هـ/716م، ومع أن المسلمين استعدوا لهذا الشتاء ببناء بيوت من خشب فشتوا فيها، إلا أن قسوة البرد، وكثرة الثلوج والأمطار قد أضرت بهم كثيراً، قال صاحب العيون والحدائق[3]:" وسليمان بن عبد الملك مقيم بدابق لا يقدر أن يمدهم بشيء من الأزواد لكثرة البرد والثلوج" والذي غطى وجه الأرض نحو مائة يوم، فاشتد الضيق على المسلمين[4]، وذكر أحد المؤرخين الغربيين[5]، أن المسلمين لقوا شدة في ذلك العام، ولم يستطع المسلمون الذين يرتدون الملابس الخفيفة أن يقاوموا البرد، عندما كان نزول الجليد لا ينقطع لمدة اثني عشر أسبوعاً، ولا شك أن ذلك أثر على المسلمين تأثيراً شديداً، فتوقف نشاطهم، وانكمشوا

---

(1) ابن أعثم، أحمد، **الفتوح** 223/4؛ القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 194/3

(2) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 141/1؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 31 حسن، حسن، **تاريخ الإسلام** 323/1

(3) مؤلف مجهول 32؛ خنفر، خلقي، **الدولة الأموية** 185

(4) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 10، عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 91؛ يوسف، جوزيف **تاريخ الدولة البيزنطية** 121

(5) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 146

في انتظار حلول الربيع لأنهم لم يتعودوا عليه، بينما كان ذلك مألوفاً لدى البيزنطيين، فاستفادوا منه بإعادة تنظيم دفاعات مدينتهم، ونقلوا المؤن إلى الداخل، وأرسلوا سفارتهم إلى البلغار[1]، وقد مات بسبب ذلك خلق كثير من المسلمين[2]، ونفقت كثير من خيولهم، وبغالهم، وجمالهم[3].

ثالثاً: حدوث أزمة نفاد أقوات عند المسلمين، ومع أن المسلمين قد جمعوا أول ما وصلوا إلى القسطنطينية ما استطاعوا جمعه من الطعام، والعلف، وادخروه لوقت الحاجة، إلا أن ذلك نفد ولم يف بحاجتهم طوال فصل الشتاء الذي صاحبته الأمطار، والثلوج، والبرد الشديد، ولاسيما أن عدد الجيش كان كبيراً، ومعهم دوابهم التي تحتاج إلى أعلاف ومؤونة في أرض كساها الجليد، لذلك انتشرت المجاعة والأمراض بين المسلمين، وبلغ بهم الحصار كل مبلغ، ونزل بهم من الأزْل والمرض مثلما بالروم أو أشد[4]،وجاعوا جوعاً عظيماً[5]، ومات أناس كثيرون[6]، وروى أحد الجنود المحاصرين قال:" وبلغ منّا الجوع نحواً مما سمعتم[7]"، حتى أنهم أخذوا يتقوتون الخزيرة[8]، والتي لم يكن يأكلها منهم إلا أهل القوة، وبقيتهم فيما لا يصفه واصف من أكل ما يوافق الدواب وأشباه ذلك، حتى ذكر أن قوماً أكلوا ميتاً لهم[9]، وهم أحدهم بنزع جلدة الفسطاط التي تكون في أعلى عمود الخيمة ليطبخها ويلوكها، ويتقوى بها، لكنه سمع تكبير الناس فرحاً بالقفول، فذهب عنه الجوع[10]، وعظم عليهم البلاء لنفاذ أقواتهم[11] حتى أكلوا الميتة والعذرة [12] والدواب، والجلود، وأصول الشجر وعروقها

---

(1) فرج، وسام، **العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية** 166

(2) المقدسي، محمد، **البدء والتاريخ** 44؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 90/3؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 104؛ Vasiliev, **History of the Byzantine** p.236 ؛ خنفر، خلقي، **الدولة الأموية** 185

(3) فتحي عثمان، **الحدود الإسلامية** 91

(4) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 230/68؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 146

(5) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 632/12، 102/13

(6) الذهبي، شمس الدين محمد، **دول الإسلام** 67؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 146؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 121

(7) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 332/68

(8) **الخزيرة**: شبه عصيدة، وهو اللحم الغابّ يقطع غاراً في القدر، ثم يطبخ بالماء الكثير والملح، فإذا أميت طبخاً ذُرَّ عليه الدقيق فعصد به، ولا تكون الخزيرة إلا بلحم (الزبيدي، مرتضى، **تاج العروس**، مادة خزر)

(9) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 267/66-268

(10) نفسه 527/19

(11) المسعودي، علي، **التنبيه والإشراف** 166

(12) الذهبي، شمس الدين محمد، **سير أعلام النبلاء** 502/4

وأوراقها[1]، وكل شيء غير التراب[2]، ولا شك أن تلك المجاعة كانت مما زاد من سوء أحوالهم وتعرضهم للإصابة ببعض الأمراض[3]، وكانت سبباً في هلاك بعضهم، وهلاك دوابهم[4] وأخيراً كانت من الأسباب التي أدت إلى رحيلهم عن القسطنطينية[5]، ومن الأخطاء التي وردت عند بعض المؤرخين قولهم عند الحديث عن هذه المجاعة التي أصابت المسلمين، أنهم أكلوا الميتة والعذرة من الجوع، في الوقت الذي كان في وسط المعسكر كومة من حنطة مثل الجبل العالي يغيظون بها الروم[6]، ولاشك أن هذا غير صحيح، لأنهم لا يمكن أن يغيظوا الروم بقتل أنفسهم .

رابعاً : بعد خطوط اتصال الجيش الإسلامي بقيادته، للحصول على ما يُحتاج إليه من التموين، مما ضاعف من أزمة نفاد أقوات المسلمين، وحلول المجاعة بهم، ومع أن المسلمين هداهم تفكيرهم إلى زراعة الأرض، فأكلوا مما زرعوا، ومما وقع في أيديهم من غنائم من العدو[7] إلا أن ذلك لم يكن كافياً لسد حاجاتهم، في حين كانت القسطنطينية تتمتع بوفرة الأخشاب، والمعادن، والأدوات القتالية، وكل ما يلزم للحروب من أدوات، كما أن آسيا الصغرى لم تكن مطهرة بالكامل من القوات البيزنطية، ومليئة بالجيوش التي تنصب الكمائن للقوات الإسلامية .

خامساً: أحدثت النار الإغريقية التي استخدمها البيزنطيون، و الرياح الشديدة، والعواصف والتيارات المائية العاتية، أضراراً بسفن الأسطول الإسلامي، ودمرت عدداً من قطعه[8]، وكانت النار الإغريقية سبباً فاعلاً من الأسباب الرئيسة التي حدت من فاعلية الأسطول الإسلامي وقدرته[9]، كما

---

(1) يذكر أن أحد المشاركين في الحملة قد وصف لعمر بن عبد العزيز حالة وما صار إليه جراء الحصار، وعندها حث عمر الناس ممن حوله على مساعدته وعونه (ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 186/68)

(2) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 531/6؛ مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 33؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 305/4؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 90/3؛ المسعودي، علي، **التنبيه والإشراف** 165؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 632/12؛ ابن العبري، غريغوريوس، **تاريخ مختصر الدول** 197؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 200/1؛ خنفر، خلقي، **الدولة الأموية** 185

(3) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 21/58؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 10

(4) مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 30

(5) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 230/68 - 232

(6) الذهبي، شمس الدين محمد، **تذكرة الحفاظ** 70/1؛ **سير أعلام النبلاء** 502/4

(7) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 530/6؛ Ostrogorsky, **History of The Byzantine State**, P. 139

(8) اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 37/2؛ ماجد، عبد المنعم، **التاريخ السياسي للدولة العربية**249/2؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 147؛ Vasiliev, **History of the Byzantine** p.236؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 121؛ خنفر، خلقي، **الدولة الأموية** 185

(9) عمران، محمود، **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 97؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 31 عنان، محمد، **مواقف حاسمة في التاريخ** 42/1

ساهمت العوامل الطبيعية كالرياح الشديدة، والعواصف العاتية من سرعة انتشارها وزيادة فاعليتها[1] ولولا تلك العوامل الطبيعية لم يكن لها تأثير فاعل وقوي .

سادساً : مناعة القسطنطينية بموقعها الجغرافي المتميز، وأسوارها العالية، وتحصيناتها القوية مما جعل إحكام حصار عليها من جميع جهاتها بالغ الصعوبة، فقد ظلت ناحيتها الشمالية المطلة على القرن الذهبي مفتوحة، ولذا كانت تحصل على بعض إمداداتها من شواطئ البحر الأسود الشمالية[2] خاصة وأن السلسلة الحديدية في القرن الذهبي حالت دون دخولهم له، وبهذا فقد تمتعت القسطنطينية بموقع صالح لحماية السفن والمنشآت البحرية، فكان لها نطاق بحري يقيها من هجمات العدو[3]، في الوقت نفسه كانت جيوش المسلمين تقاتل مكشوفة الظهر .

سابعاً : مهاجمة برجان للمسلمين من الجانب الأوربي، وعلى الرغم من الهزيمة القاسية التي ألحقها المسلمون بهم آخر الأمر، إلا أنه لم ينقطع نشاطهم العدائي، كما أنهم كانوا يغيرون على المسلمين في السفن[4] ومعنى هذا أنه وصلت قوات فرنجية مساندة للقسطنطينية وقت حصارها وحاربت المسلمين بحراً، وكان الروم يحاربون المسلمين من داخل أسوار المدينة بالمنجنيقات وأدوات الدفاع المتيسرة لديهم[5]، وبهذا فلم يكن البلغار عدواً يتوقع المسلمون هجومه عليهم .

ثامناً: طول أمد الحصار أعطى إمبراطور الروم فرصة للتحالف مع بعض القوى المعادية للمسلمين كما فعل مع خان الخزر[6]، ليزيد به قوة جيشه[7].

تاسعاً : وفاة سليمان بن عبد الملك المفاجئة، وتولي عمر بن عبد العزيز الذي كان يميل إلى السلم والاكتفاء بما تم فتحه من بلاد، حيث أرسل رسولاً إلى مسلمة يأمره بالعودة[8]، إلا أن مسلمة في بادئ

---

(1) فرج، وسام، **العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية** 166

(2) Bury, **The history of the later Roman Empire**, vol II , P. 401,402؛ العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 164؛ عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 113؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 31؛ عنان، محمد، **مواقف حاسمة في التاريخ** 42/1؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 122

(3) شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** 139؛ لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية والتجارية في حوض المتوسط** 108

(4) ابن العبري، غريغوريوس، **تاريخ مختصر الدول** 197؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 304/4؛ أومان، تشارلز **الإمبراطورية البيزنطية** 147؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 10

(5) ابن العبري، غريغوريوس، **تاريخ مختصر الدول** 197

(6) **الخزر**: بلاد الترك خلف باب الأبواب المعروف "بالدربند" قريب من سد ذي القرنين (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 367/2)

(7) عمران، محمود، **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 96

(8) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 315/4؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 332/68، خنفر، خلقي، **الدولة الأموية** 129؛ عبوشي، فاطمة، **صورة عمر بن عبد العزيز عند المؤرخين المسلمين** 162، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس 2009م؛ ويذكر صاحب **العيون والحدائق** 33 أن عمر بن عبد العزيز أمر الرسول أن ينادي هو بالقفول إن تلكأ مسلمة في ذلك، ففعل، لكن رواية ابن عساكر ومن وافقه عن شاهد عيان، وهي بذلك ترجح

الأمر أوضح أنه أشرف على الفتح[1] وأشار بتركهم حتـى يحكم الله بينهم[2]، وبعد مراجعة رأى أنـه لا بد من فك خناق المدينة، ورفع الحصار عنها، فقفل بعد كره شديد[3]، وهذا يؤكد أنـه من الأسباب التـي ساهمت في فك الحصار عنها .

عاشراً : طول خطوط جيوش مسلمة بن عبد الملك، والتـي كانت عاملاً من عوامل فشله، فقد تحركت الجيوش الإسلامية بغرض الاستيلاء على القسطنطينية، وعبرت آسيا الصغرى التي كانت غير مطهرة تماماً من القوات البيزنطية، وتمتلئ بالجيوش البيزنطية العسكرية التـي تنصب للمسلمين الكمائن[4]، وقد شكلت تلك القوات شوكة في ظهر القوات الإسلامية، إضافة إلى صعوبة أمداد القوات الإسلامية، صحيح أنه تم وصول الإمدادات لمسلمة، لكن لو كانت المسافة قريبة بين معسكر المسلمين في دابق والقوات المحاصرة للقسطنطينية قريبة، لكان إرسال الإمدادات يتم بشكل أسرع .

أحد عشر: حسن تنظيم القوات البيزنطية واستبسالها في الدفاع عن القسطنطينية، في الوقت الذي كان المسلمون يعانون من ضبط القوات الكثيـرة، وهم فـي أرض عدوهم،حيث فاجأ البيزنطيون المسلمين مرات عدة، خاصة في مجال النار الإغريقية التي حطمت الكثير من سفن المسلمين [5] .

نتائج الحملة

عادت هذه الحملة أدراجها، ولم تحقق الهدف الذي كانت تطمح لـه، بعد أن كانت الدولـة الأموية قد أخفقت في محاولتين سابقتين، لكن ذلك لم يفت في عضد المسلمين، تجاه الإمبراطورية البيزنطية فاستمر الضغط على أطرافها طوال العهود التالية، بإرسال الصوائف والشواتي، والتـي اضطلعت

---

(1) مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 33

(2) ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 331/68-332

(3) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 316/5؛ العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 316؛ المسعودي، علي، **التنبيه والإشراف** 166؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 43/5؛ العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 68

(4) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 146؛ وذكر بورفيروجنيتوس، قسطنطين، **إدارة الإمبراطورية البيزنطية في عهد قسطنطين السابع** 83 أن عناية الله هي التي دفعت مسلمة للانسحاب من القسطنطينية مكللاً (بالعار)، بعد أن هزم هزيمة منكرة أمام أسطول وجيوش الروم، لأن مدينة القسطنطينية ترعاها وتحميها السيدة العذراء مريم، والتي حين رأى (سليمان) صورتها انتابه الخوف، والجزع، فسقط عن حصانه، وأنا أميل إلى أن مثل هذا الكلام لا معنى له، لأنه كلام عاطفي بعيد عن الحقيقة التاريخية التي يمكن إنكارها، ويستشف ذلك من خلال قوله إن سليمان هو الذي رعب عندما رأى صورة العذراء، ولكن أين؟ في القسطنطينية؟ أم بفلسطين؟ أم أين؟ تلك مغالطة كبيرة وكلام عاطفي لا يقومه سند تاريخي .

(5) أومان، تشارلز،**الإمبراطورية البيزنطية** 146؛ هذا ويذكر أن قوات المسلمين أثناء عودتهم أصابتهم عاصفة دمرت ما بقي من سفنهم، حتى أنه لم يعد من تلك أصل ألف وثمانمائة سفينة إلا ثمانين سفينة (لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية والتجارية في حوض المتوسط** 104؛ خنفر، خلقي، **الدولة الأموية** 186)

بالقيام بهذه المهمة بنجاح[1]، وظل هاجس الفتح حياً في نفوس المسلمين، وبذلك يمكن إجمال نتائج هذه الحملة في النقاط الآتية :

1.أثبت المسلمون كفاءتهم الحربية، وقدراتهم القتالية، أمام هذا العدو البعيد الدار، من خلال المناوشات التي حدثت أثناء الحصار، وبرهنوا على مقدرتهم على تحمل الصعاب، والظروف القاسية الأمر الذي أوجد العديد من القتلى والأسرى من الطرفين[2] .

2.كان انسحاب مسلمة عن أسوار القسطنطينية عن قوة واقتدار، ولم يكن ذلك هزيمة، إذ أن الجيش المنهزم يكون محطم المعنويات، ويفرض المنتصر شروطه، ولم نسمع عن شروط فرضت على جيش المسلمين، كما أبدى المسلمون من علو الهمة ما شهد لهم به، فظهر من الجند عبد الله البطال الذي لقب بزعيم الأبطال، والسيد الغازي[3] .

3.تكمن أهمية هذه الحملة في حدوثها، ومغزى هذا الحدث يظهر في الجرأة التي كانت تهاجم بها الدولة الأموية أوروبا في عقر دارها، بل وعاصمتها المنيعة، بعد أن كان العرب قبل الإسلام مجرد بدو يعيشون على التبعية لبيزنطة أو فارس .

4.استطاعت هذه الحملة أن تشل القوات البيزنطية، وتقلم أظفارها، مما مكن لبني أمية تحقيق مشاريعهم في بسط رقعة دولتهم شرقاً وغرباً[4]، وجعلوا من شمال إفريقيا ركناً هاماً من أركانها[5] وتخلى أباطرة الروم عن فكرة استعادتها[6] .

5.ضرورة عدم الركون إلى أعداء الله، والتخلي عن الحذر في التعامل معهم، وأن قوى الكفر تجتمع على حرب الإسلام وأهله، جرياً مع السنن الربانية التي تشير إلى الصراع الأزلي بين الحق والباطل.

6.حرم صمود القسطنطينية الشعوب القاطنة شرقي أوروبا من التعرف إلى نور الإسلام وحضارته ويمكن لنا أن نتصور مدى التغيير الذي سيعتري الشطر الشرقي لأوروبا لو تم ذلك الفتح[7]، فلحلت المساجد والأهلة مكان الكنائس والصلبان، ولانتشر الإسلام بين شعوب الآفار والصقالبة والبلغار[8] .

---

(1) ينظر البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 167، 172- 176؛ ابن عساكر، علي، **تاريخ دمشق** 432/11، 217/21-318 358/23-359، 396/26، 302/33، 90/37،299، 445/46- 446، 86/48، 48/53، 347/56-348، 445/59، 140/66

(2) الذهبي، شمس الدين محمد، **تاريخ الإسلام** 271؛ **سير أعلام النبلاء** 502/4؛ بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 148؛ ماجد، عبد المنعم، **التاريخ السياسي** 247/2

(3) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 332/9- 333

(4) الأسطل، عبد القادر، **مسلمة بن عبد الملك حياته وجهاده** 103- 104 رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية- غزة 2007م مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 32 - 33

(5) عاقل، نبيه، **خلافة بني أمية** 250

(6) العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 123

(7) عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا العصور الوسطى** 113؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 32؛ عنان محمد، **مواقف حاسمة في التاريخ** 38/1 - 39

(8) Vasiliev, **History of the Byzantine** p.236؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 104

7.حققت الحملة بعض النجاحات، كبناء المسلمين لمدينة بجوار أسوار القسطنطينية "مدينة القهر" والتي أقام بها جيش المسلمين مرابطاً ومحاصراً للقسطنطينية، وقد غرست فيها الأشجار وأقام المسلمون بها إقامة قوم لا يفكرون بالعودة مطلقاً[(1)]، بالإضافة إلى ما ذكر عن دار البلاط للأسرى المسلمين، والمسجد الذي بني في القسطنطينية .

8.كتب للإمبراطورية البيزنطية البقاء بخروجها ظافرة من محنة هذا الحصار، مما أكسبها هيبة أمام دول الغرب الأوروبي فترة من الزمن[(2)]، لأن صمودها لم يحافظ على الإمبراطورية البيزنطية فحسب، بل على أوروبا كلها[(3)] .

9.تغير موازين القوى في الصراع بين المسلمين والبيزنطيين، فتحول المسلمون من أسلوب الهجوم إلى أسلوب الاشتباكات والمناوشات، والتي لم تعد تهدد كيان الإمبراطورية كما كانت من قبل[(4)].

10. كان لفشل الحملة أثر اقتصادي نتيجة ما أنفق في الإعداد لها دون أن يعوض ذلك بنصر حاسم كما أن فقدان المسلمين لكثير من قطع الأسطول البحري كان ضياعاً لأحد أعمدة بنائهم العسكري .

11. تجددت آمال البيزنطيين في القدرة على المواجهة والتحرش بالمسلمين؛ ومن ذلك تجرؤهم في الإغارة على ثغر[(5)] اللاذقية في سواحل الشام سنة 100هـ/718م[(6)]، وركزوا على أن تكون عاصمتهم

---

(1) ابن أعثم، أحمد، **الفتوح** 222/4؛ القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 194/3؛ وأشار المسعودي، علي، **التنبيه والإشراف** 306 -307 إلى أن مسلمة بنى مدينة بجوار سور القسطنطينية سماها مدينة " القاهر بعون الله " وأوضح أن أخبار هذه المدينة لم تذكرها كتب السير من جملة حملة مسلمة، ولا دونوها في كتب التاريخ، غير أن المصادر التاريخية تؤكد خلاف ذلك (ابن أعثم، أحمد، **الفتوح** 222/4؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 194/9-198) ولعل هذا من الأخطاء التاريخية التي وقع بها المسعودي (أبو شبيكة، إبراهيم، **خلافة بني أمية عند المسعودي** 152، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة 2007م)

(2) سالم، عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية** 36

(3) Vasiliev, **History of the Byzantine** p.236؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 104 شاخت، جوزيف وزميله، **تراث الإسلام** 208/1

(4) طقوش، محمد، **تاريخ الدولة الأموية** 132؛ أومان، تشارلز،**الإمبراطورية البيزنطية** 147؛ أبو ريدة، جمال، **الخداع العسكرية للمسلمين في صدر الإسلام** 200-201، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة 2009م؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 121

(5) **الثغر**: كل موضع قريب من أرض العدو، كأنه مأخوذ من الثغرة، وهي الفرجة في الحائط (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 16/3)، وسميت بذلك لأن المتطوعين كانوا يرابطون فيها لغزو الروم (شيخ الربوة، محمد، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** 214) وللاستزادة والتعرف إلى معظم الثغور، ينظر: عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية**213/1-257؛ دياب، صابر **المسلمون وجهادهم ضد الروم** 20 – 25)

(6) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 139؛ خنفر، خلقي، **الدولة الأموية** 129

بعيدة المنال عن أيدي المسلمين[(1)]، كما رافق ذلك انتعاش في الإمبراطورية البيزنطية التي خرجت ظافرة من هذا الحصار بقيادة اليون (ليو الثالث) الذي بدأ يعيد تنظيم دولته، إضافة إلى الانتعاش في الجانب الغربي من أوروبا بظهور شارل مارتل الذي نفث الروح والحيوية في مملكة الفرنجة، إذ حقق نصراً على المسلمين في الأندلس بعد معركة بلاط الشهداء 114هـ/732م[(2)] .

12. نودي باليون الأيسوري (ليو الثالث) مخلصاً لأوروبا النصرانية من المسلمين والعرب[(3)] أكثر من معاصره شارل مارتل ملك الفرنجة الذي رد جيشاً من جيوش إحدى ولايات الخلافة[(4)]، في حين صد اليون (ليو الثالث) جيش المسلمين الذي كان يقوده أخو خليفتهم[(5)]، وبهذا أصبحت القسطنطينية ساحة أوروبا المسيحية كلها، وعد عام 718م تاريخاً عالمياً، واليون (ليو الثالث) من أصحاب الوقائع الفاصلة في التاريخ واستطاع أن يفخر بنفسه مثل القيصر "نيقولا" بأن ديسمبر ويناير، وفبراير، كانوا من أعظم قواده لأن تلك الشهور أهلكت المسلمين بشكل مخيف[(6)]، وإذا كان قسطنطين الرابع قد أوقف العرب أمام أسوار القسطنطينية فإن اليون (ليو الثالث) قد صدهم نهائياً .

13. أدرك البيزنطيون أن أفضل طريقة لمنع المسلمين من معاودة حصار القسطنطينية، هو شغلهم بأعداء آخرين، ولذلك نجدهم يوطدون علاقاتهم بحكام أرمينية والخزر، ويحرضونهم على حرب المسلمين، مما مكنهم من أن يؤدوا دوراً هاماً في الصراع مع المسلمين[(7)]، فأصبح العداء شديداً بين المسلمين وبينهم من جراء هذه السياسة[(8)]، فقد أرسل يزيد بن عبد الملك في مطلع سنة 104هـ/772م حملة ضد الخزر[(9)]، والذين وجد المسلمون فيهم عدواً لا يقل عن البيزنطيين، كذلك فإن الإمبراطورية

---

(1) العدوي، إبراهيم، **الأمويون والبيزنطيون** 167؛عاقل، نبيه، **تاريخ خلافة بني أمية** 250

(2) مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 33؛ فرج، وسام، **العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية** 174 - 175

(3) حتي، فيليب، **تاريخ العرب** 225/3 ؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 122؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 106

(4) وكان ذلك بهزيمة المسلمين في معركة بلاط الشهداء عام 114هـ/732م، والتي قادها عبد الرحمن الغافقي (سيرهنك إسماعيل **حقائق الأخبار عن دول البحار** 203/1)

(5) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 147 – 148؛ فرج، وسام، **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 171؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 107

(6) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 91/2؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 146

(7) Ostrogorsky, **History the Byzantine state** , P. 138؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 11

(8) العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 190

(9) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 418/4

البيزنطية فتحت جبهة أخرى أمام المسلمين في أرمينية، والتـي استقطبت عدداً من الغارات والحملات الإسلامية فيما بعد[1] .

14. حال فشل هذه الحملة بين المسلمين وبين إعادة الحملات على القسطنطينية فترة من الزمن، إذ لم تقم محاولات جدية لفتح القسطنطينية حتى العصر العثماني، ومع ذلك فإن الروم لم يتخلصوا من هجمات المسلمين نهائياً، بل ظلت غارات المسلمين تقلق بال أباطرتهم، والتي تركزت على منطقة الحدود في أرمينيا، وأواسط آسيا الصغرى[2]، فظلت مسرحاً للإغارات الإسلامية عليها[3] حتى تم فتح القسطنطينية عام857هـ/1453م .

15. جعلت هذه الحملة كلاً من الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم تنظر إحداهما للأخرى بمنظار الجوار الذي لا غنى عنه للتعاون في قضاء مصالحهما العامة[4].

16. شكل فشل هذه الحملة لزاماً على الدولة الأموية أن تعيد النظر في سياسة الفتوحات، فقد فقدت الكثير من سفن الأسطول البحري، أحد أهم أركانها الحربية، والعديد من القادة العسكريين[5] وعلى هذا قيض الله لها الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي كان لا يميل إلى سياسة الفتوحات كسبيل لنشر الإسلام، والذي استهل خلافته باستدعاء الجيش المحاصر للقسطنطينية .

17. اتخذت الحروب بين المسلمين والروم صفة الحرب المقدسة، فالروم كانوا يحاولون استعادة ما فقدوه من بلاد، خاصة مدينة القدس، ولم يفلحوا في ذلك، في المقابل لم يفلح المسلمون في تحقيق بغيتهم بالسيطرة على القسطنطينية، ولم يعد هجومهم يهددها مثلما كان من قبل .

18. مكنت فترة الهدوء التي تلت فشل الحملة اليون (ليو الثالث) من القضاء على الثورات التي قامت ضده وبناء قوة الإمبراطورية، وتنظيم شؤونها بعد فترة طويلة من الاضطرابات[6]، فركز اهتمامه على نظام الثيمات(البنود)، مستفيداً من خبرته فيها كونه رئيساً سابقاً لأحدها في آسيا الصغرى، فعمل على إعادة تقسيم الكبيرة منها[7]، كما أتاحت له تلك المرحلة من إنعاش اقتصاد الإمبراطورية البيزنطية بإدخاله العديد من الإصلاحات الإدارية والمالية في مختلف مناحي الحياة

---

(1) هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 130

(2) فرج، وسام، **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 164

(3) نفسه 171

(4) العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 68

(5) مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 37؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 147

(6) عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 129

(7) هسي، ج.م ، **العالم البيزنطي** 129

حتى ليقال إنه ترك خزانة لخلفائه أعانتهم في تسيير دفة الحكم، ومواصلة النشاط العسكري والسياسي في الإمبراطورية[1] .

أخيراً، لئن ذهبت مساعي المسلمين لفتح القسطنطينية أدراج الرياح في حملتهم هذه المرة وخسروا الكثير من الرجال والمقاتلين، وفقدوا العديد من أدوات الحرب وسفن الأسطول، إلا أن جيوشهم كانت لا تزال منصورة في شمال الأندلس، فقد كان قادة الفتح هناك يحققون الانتصارات، ولا ينفكون عن الإغارة على جنوب فرنسا وما حولها من بلاد[2] .

سياسة الأمويين بعد الحملة

بعد وفاة الخليفة سليمان بن عبد الملك، وتولي عمر بن عبد العزيز أمْر المسلمين، بدأ التغيير في ميزان القوى وفي العلاقات بين الدولتين الإسلامية والبيزنطية، فالدولة البيزنطية خرجت ظافرة، وبدأ المد الإسلامي ينحسر، وإن كان هناك استمرار لبعض الحملات الإسلامية، إلا أنها افتقدت لخطورتها وتأثيرها السابق.

كانت سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز العسكرية تختلف عن أسلافه، إذ لم يكن يميل إلى الحرب، وتبنى سياسة حذرة أقل هجوماً، وجعل التحركات التي تجرى على الحدود مجرد مناوشات فهو يريد أن تكون تحصيناته على الحدود أقل تعرضاً لضربات الأعداء مع كونها قوية ومنيعة وترافق مع هذه السياسة حالة الإرهاق التي عانت منها الخلافة الإسلامية في أعقاب الحصار وفشله[3] وحجم القتلى والخسائر المادية والعسكرية، إضافة إلى ذلك فقد كان الخليفة عمر بن عبد العزيز يرغب في كسب الحلفاء، وإقامة علاقات مع بيزنطة على أساس من المبادئ الإنسانية، حتى يقال إنه دعا الإمبراطور اليون(ليو الثالث) إلى الإسلام[4] .

هذا لا يعني أن عمر بن عبد العزيز لم يكن مهتماً بأمر الحملات على الأعداء، فقد وجه بعض الصوائف، مثل صائفة عبد العزيز الباهلي، والتي أوقعت بالترك، وأسرت خمسين منهم، غير أنه لم

---

(1) رستم، أسد، **الروم في سياستهم** 299

(2) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 201/1

(3) ينظر: البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 540؛ الذهبي، شمس الدين محمد، **سير أعلام النبلاء** 115 – 116؛ عثمان فتحي **الحدود الإسلامية البيزنطية** 98/2؛ الأسطل، عبد القادر، **مسلمة بن عبد الملك حياته وجهاده** 105، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة 2007م

(4) المسعودي، علي، **مروج الذهب** 195/3؛ فرج، وسام، **العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية** 189 مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 56

يكن لهذه الصوائف أثر كبير[1]، بل كان الهدف منها هو التحصين والبناء، وليس الغزو والفتح[2]، ومنذ نهاية عهد عمر بن عبد العزيز وحتى نهاية الدولة الأموية يلاحظ نشاط ونزعه توسعية لدى الروم في البر والبحر[3]، وبهذا فقاعدة الهجوم خير وسيلة للدفاع، لم تكن هي القاعدة التي ارتكز عليها عمر بن عبد العزيز في سياسته الخارجية، ولكنه آمن بأن الدعوة ربما تكون أمضى من السيف في التمكين للإسلام [4]، لكن رغم حسن نية الخليفة عمر بن عبد العزيز تجاه الروم، إلا أنهم لم يفهموا النية الصادقة الكامنة وراء هذا التوجه، فقدروا أن تسامحه هذا إنما هو خضوع ناجم عن انتصارهم وردهم للجيش المحاصر للقسطنطينية، استغلوا ذلك في إعادة ترتيب صفوفهم وتنظيمها بعد فشل الحملة التي هزت كيان دولتهم[5] .

وبعد وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز، وتولي يزيد بن عبد الملك سنة 101هـ/ 719م[6] استؤنف القتال بين المسلمين والبيزنطيين، رغم العديد من الفتن[7] التي استنفذت الكثير من الطاقات، واستدعي لها الكثير من القادة على الجبهة البيزنطية[8]، إلا أن بلاد الروم شهدت غزواً مستمراً في البر والبحر وتعرضت حصون الروم للجيوش الإسلامية دون انقطاع[9] .

وقد كان عهد يزيد بن عبد الملك خالياً من الحملات الكبرى ضد البيزنطيين، ومعاودة فتح القسطنطينية، وإن كانت الشواتي التي وجهت إلى آسيا الصغرى قد حفلت بكثير من الانتصارات والتي كانت تمتد إلى الثغور الشامية، وعندما تتسع المعركة كانت تخرج إلى قلب آسيا الصغرى[10]

---

(1) اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 291/2

(2) فرج، وسام، **العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية** 193؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 57

(3) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 98/2

(4) مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 57

(5) فرج، وسام، **العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية** 189؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 58 - 59

(6) العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 322/1

(7) كخروج بهلول بن بشر عام 119هـ/737م، وخروج سعيد بن بهلول في عام 127هـ/744م، وفتنة الضحاك بن قيس الشيباني عام 129هـ/746م (وللتعرف إلى تلك الفتن وما ألحقت بالدولة الأموية، ينظر: خنفر، خلقي، **الدولة الأموية** 173-174)

(8) المسعودي، علي بن الحسين، **التنبيه والإشراف** 315؛ ماجد، عبد المنعم، **التاريخ السياسي للدولة العربية** 278/2-279 مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات**60

(9) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 221؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 166/3

(10) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 383/4؛ اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 45/3؛ ابن العديم، عمر، **زبدة الحلب** 46 فلهاوزن، يوليوس، **تاريخ الدولة العربية** 160؛ ماجد، عبد المنعم، **التاريخ السياسي للدولة العربية** 267/2

والتـي نقل البيزنطيون جبهة القتال إليها، حيث شغل المسلمون بعدو جديد، وجبهة جديدة هـي أرمينيـة والخزر، وبهذا انتقل القتال من قلب آسيا الصغرى إلى الجبهتين الجديدتين .

ورغم ذلك فقد استمر الأمويون في نشاطهم العسكري على الجبهات الثلاث، ففـي سنة 111هـ/729م غزا معاوية بن هشام الصائفة فافتتح خرشنة[1]، وفي سنة 114هـ /732م خرجت حملة عسكرية اتجهت في اتجاهين، استطاع خلالها جيشان إسلاميان إعادة فتح بعض المواقع المهمـة في آسيا الصغرى[2]، ولعل أهم المعارك الأموية مع البيزنطيين هي تلك المعركـة التـي جرت في البحر حينما وجه ابن الحبـاب جيشاً إلـى صقلية، فاعترضـه أسطول الـروم فكانت معركـة شديدة هزم فيها الـروم[3] كمـا توالـت الـصوائف والـشواتي[4]، إضـافة إلـى معركـة "أكروينـون"(رَبَـض أقْـرَن) 122هـ/739م[5] والتـي هزم فيها المسلمون هزيمة دفعتهم للتراجع شرقاً[6]، وأوقفت المد الإسلامي في الشرق كمعركة بلاط الشهداء114هـ/732م التـي أوقفت المد الإسلامي في الغرب، فبهزيمـة المسلمين في تلك المعركتين حتم على المسلمين أن يتخلوا عن سياسة الفتح والتوسع كهدف أساسي للدولـة، وأن يقنعوا بمحاولة ردع البيزنطيين والفرنجة، ووقف تهديداتهم للدولة الإسلامية[7].

وقد شهدت الفترة ما بين عامي 123- 129هـ/ 741 – 746م هجمات متتالية من الروم على بـلاد المسلمين، وكانت أكثر حملاتهم قوة، حملة عام 123هـ/ 741م حيث ضمت مئة وعشرين ألف مقاتل

---

(1) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 402/4؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 166/3

(2) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 130/8 – 131؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 407/4؛ ابن العديم عمر، **زبدة الحلب** 46؛ اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 45/3؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 98/2؛ يوليوس، فلهاوزن **تاريخ الدولة العربية** 160؛ ماجد، عبد المنعم، **التاريخ السياسي للدولة العربية** 268/2

(3) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 411/4-412

(4) نفسه 4/ 409، 418،420، 433، 442، 443، 450، 464، 52/5؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 166/3

(5) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 8/ 132؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 456/4؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 384/9؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 283/3؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 11؛ العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 167؛ رستم، أسد، **الروم في سياستهم** 293/1؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية** 107 توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 107

(6) فرج، وسام، **العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية** 246؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية** 106؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 61؛ عبد الجواد، ليلى، **مملكة القسطنطينية في مسالك الأبصار وممالك الأمصار للعمري**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة،ع 15، 2007م، 316 ؛ حنفي عبد اللطيف، **عبد الله البطال صفحة مشرقة للجهاد الإسلامي الأموي ضد البيزنطيين**، مجلة كلية الآداب حلوان، ع9+10،2001م 364- 369

(7) مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 62

فنزلوا على ملطية، وهاجموا الحدود الإسلامية، مستغلين الظروف التـي أمست عليها الدولة الأمويـة[1] وانتشار مرض الطاعون في بلاد الشام[2]، ومن بعده في العراق[3].

علـى أن أهم ملامح هذه الفترة هو الانتصار الذي حققه البيزنطيون فـي البحر المتوسط حيث أستطاع أسطول بحري بيزنطي سنة 130هـ/747م حسم النزاع البحري لصالح البيزنطيين حين حاصر الأسطول الإسلامي بالقرب من جزيرة كريت، وقضى عليه، وبهذا الانتصار استطاعت بيزنطة استعادة جانباً من سيطرتها على البحر المتوسط[4]، ويحدد آرشيبالد لويس[5] أسباب هذه الهزيمة الأموية والانتصار البيزنطي في استرداد البحر المتوسط في أربع نقاط هي:

1. الموقع الجغرافي البيزنطي، فقد تمتعت القسطنطينية بموقع صالح لحماية السفن والمنشآت البحرية فكان لها نطاق يقيها هجمات العدو، كذلك كان لها من بحر مرمرة حاجز مائي منيع، ثم يأتي البحر الأسود، وهو نقطة خلفية ليست في متناول تهديد المسلمين.

2. ابتكار البيزنطيين النار الإغريقية، والتـي لم يستطع الأسطول الإسلامي مقاومتها .

3. توفر المواد الخام اللازمة لصناعة السفن البيزنطية، والحيلولة دون حصول الأمويين على الكثير من احتياجاتهم .

4. تغير الأنظمة العسكرية البيزنطية التـي أتاحت لهم وسائل سهلة وفعالة للدفاع .

الحملات الأموية من وجهة نظر الفن الحربي

إن دراسة الحملات الإسلامية على القسطنطينية في العصر الأموي من وجهة نظر الفن الحربـي يقود إلى النتائج التالية[6] :

1. شكلت حملة مسلمة أكبـر عملية حصار فـي التاريخ بقوتين برية وبحرية، كما لم يعرف في المعارك الحربية أكبر من الحشد الذي حشد لهذه الحملة في تاريخ العصور الوسطى.

2. استخدم المسلمون مبدأ القواعد المتقدمة والاستطلاع في القتال بإرسال الحملات البرية والبحرية كمقدمة للحملة، وأظهروا قدرة فائقة في تخطيط الأعمال القتالية المشتركة بين القوات البرية والبحرية وطبقوا مبدأ المناوبة القتالية بينها، لتكون جاهزة للتدخل في الوقت والزمن المناسب.

---

(1) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 104/3

(2) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 409/4

(3) نفسه 410/4

(4) فرج، وسام، **العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية** 246؛ مصطفى، نادية وآخرون، **الدولة الأموية دولة الفتوحات** 62

(5) ينظر: **القوى البحرية والتجارية في حوض المتوسط** 108 - 115

(6) ينظر: بركات، وفيق، **فن الحرب البحرية** 67-71

3. مثلت الحملات الأولى لفتح القسطنطينية حملات استطلاعية استفاد منها المسلمون في تنبيههم لضرورة تدعيم الحملات بأسطول بحري قادر على تولي المهمة .

4. دلت الحملات على قدرة العرب على الجلد واكتساب الخبرة القتالية بشكل فائق، واستغلال الظروف الجوية، بسحب القوات شتاءً، وعودتها ربيعاً وصيفاً، كما في حرب السنوات السبع بين عامي 54 – 60هـ/675-679م .

5. بينت هذه الحملات القدرة العالية على الإمداد لتلك القوات الكبيرة، وعبور تلك المسافات الطويلة على قدرة عالية في توفير الدعم المادي والفني عند الحاجة، والقدرة الإدارية الفائقة التي تمتع بها قادة الحملات من خلال حسن تنظيمها وتوجيهها، رغم عددها الكبير، والمسافة الشاسعة التي قطعتها .

6. أجرت القيادة الإسلامية الاستعدادات اللازمة للحملات من خلال توفير أكبر كم من الموارد البشرية والمادية، وبرهنت الحملات للبيزنطيين على أن المسلمين غدوا قوة حربية كبيرة، الأمر الذي نقل الصراع بين تلك القوتين إلى الغرب من البحر المتوسط، كما لجأ الروم إلى إنهاك القوات الإسلامية باستخدام عامل الزمن والظروف الطبيعية، في وقت تحصنوا في مدينتهم وأخذوا الاحتياطات اللازمة .

أخيراً إن أهم ما يميز العصور الوسطى، تلك اللقاءات بين الحضارتين الإسلامية والبيزنطية، لكن تلك العلاقات لم تسر على وتيرة واحدة، فهي تارة تتخذ شكل الصراع العسكري، وتارة تتخذ شكل الاتصال الحضاري[1]، وقد غلب على المواجهات العسكرية النزعة الدينية، فالمؤمن الذي يقتل في هذه الحروب يدخل الجنة، وعلى هدى تلك الروح كان القساوسة ينزلون الجنود الذين قتلوا في الحروب بمنزلة الشهداء عند المسلمين، لذلك استحكم الصراع بين القوتين، مما أدى إلى رسم صورة سلبية حول الإسلام، قلما نجح الغرب من أن يراه إلا من خلالها، في حين كانت اللقاءات الحضارية تؤذن ببناء صفحة مشرقة من التعاون، والتأثير، والتأثر الإيجابي في النواحي الحضارية، والتجارية، والثقافية والعلمية، والاجتماعية .

ومجمل القول إن الأمويين تحدوا سيادة البيزنطيين، ولم يقتصر ذاك التحدي على حروب ومعارك بل تعدى ذلك لطرق أبواب العاصمة البيزنطية نفسها مرات ثلاث، وفرض حصار عليها فترة من الزمن، ولما سقطت الخلافة الأموية سنة 132هـ/750م انتقلت مقاليد الحكم إلى العباسيين الذين ورثوا تركة الصراع العسكري مع البيزنطيين، غير أن تلك الصراعات أخذت طابع المناوشات والغارات، وهذا هو مناط بحثنا في الفصل التالي من هذه الدراسة ـ إن شاء الله ـ

(1) غنيم، إسمت، **الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية** 7

الفصل الثالث

تطلعات العباسيين لفتح القسطنطينية

في عهد المنصور[1]

بسقوط الخلافة الأموية وقيام الخلافة العباسية عام132هـ/749م، بدأ عصر جديد في الدولة الإسلامية يختلف في كثير من خصائصه عن العصر الأموي، فيممت الدولة العباسية شطرها إلى آسيا والشرق ولم تعد وجهتها البحر المتوسط، فنحيت الشام، وفتح القسطنطينية لم يعد سوى حلم من أحلام المجد، ولم تعد أساطيل البحر المتوسط تعني كثيراً لحكام بغداد[2]، ويبدو أنهم تعلموا من فشل الأمويين في حصار القسطنطينية، إذ لم يفكر الخلفاء العباسيون بذلك قدر تفكيرهم بانتزاع الأراضي البيزنطية الواقعة جنوب آسيا الصغرى[3]، غير أنهم لم يغفلوا مع ذلك تحصين حدودهم وثغورهم، وشحنها بالمقاتلين[4]، فقد كانت الحدود بين الطرفين ميداناً لنشاط حربي محدود، ولكنه لم يكن متصلاً مثلما كان أيام الأمويين، فكان ذلك على شكل غارات بغرض إرهاب العدو، والرد على ما يقوم به من نشاط مماثل، فلما انتهز الإمبراطور قسطنطين الخامس[5] فرصة انشغال العباسيين بإقامة دولتهم والتمكن لأنفسهم، وأغار على منطقة الثغور وحاصر ملطية[6] التي استسلم أهلها[7]، عمل أبو جعفر

---

(1) **أبو جعفر المنصور:** هو عبد الله، بن محمد، بن علي، بن عبد الله، بن عباس، ثاني خلفاء بني العباس، أول من عني بالعلوم من ملوك العرب، كان عارفاً بالفقه، والأدب، محباً للعلماء، ولد بالحميمة في الأردن سنة 95هـ/713م وبنى مدينة بغداد، ومن آثاره مدينة المصيصة، والرافقة بالرقة، وزيادة في المسجد الحرام، توفي ببئر ميمون من أرض مكة، وهو محرم بالحج سنة 158هـ/775م (ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 124/10؛ ابن العماد، عبد الحي، **شذرات الذهب**244/1 الزركلي، خير الدين، **الأعلام** 117/4)

(2) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 126/2، 347، 291/1؛ سالم، عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية** 37 العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 69

(3) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 497/7؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 12

(4) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 207/1

(5) **قسطنطين الخامس:** تولى حكم الدولة البيزنطية بعد موت والده ليو الثالث (99 - 124هـ/717 – 741م) تقدم على رأس حملة لقتال المسلمين سنة (125هـ/742م) وتعرض جيشه أثناء اجتياز ثغر الأبسيق لمهاجمة ارتاباسدوس (زوج أخته) فحلت بقسطنطين الهزيمة، ولجأ إلى عمورية، واشتبك جيشه مع البلغار سنة 146هـ/763م فهزمهم، واستمر في انتصاراته حتى مات سنة 159هـ/775م، (نيكول، دونالد، **معجم التراجم البيزنطية** 133- 134؛ العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 186-220)

(6) **ملطية**: مدينة من بناء الإسكندر، وهي من بلاد الروم وتتاخم بلاد الشام، كما هي من أجلّ الثغور الإسلامية أمام الروم (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 192/5؛ لسترنج، كي، **بلدان الخلافة الشرقية** 152)

(7) الذهبي، شمس الدين محمد، **دول الإسلام** 91/1؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 126/2

المنصور على إعادة بنائها في نحو ستة شهور[1] وتحصينها من جديد[2]، بحشد المقاتلين فيها وتزويدهم بالسلاح، وإقطاعهم المزارع، وإقامة الرباطات، حيث بنى للمرابطين فيها الدور والاصطبلات، وإقامة الحصون[3]، كما جعل منطقة الجزيرة كياناً إدارياً مستقلاً، واستمر بإرسال الحملات إلى بلاد الروم وجعل عليها الفضل بن صالح العباسي[4]، حتى اضطر الإمبراطور قسطنطين الخامس أن يطلب الصلح على أن يؤدي جزية سنوية له[5]، كما أمر ببناء وتحصين مرعش التي خربها الروم أثناء الخلاف بين الأمويين والعباسيين، فعمرت وأسكنت بالناس على زيادة في العطاء[6] وجعل في كل ثغر من الثغور مرابطين عليهم قائد من قبله لحفظه وضبطه[7] .

في عهد المهدي[8]

وبعد وفاة المنصور تابع المهدي السير على درب أبيه، إذ كان أوصاه بالحفاظ على الثغور وسدها[9] فتصدى للإمبراطور البيزنطي ليو الرابع، وأرسل حملة بقيادة الحسن بن قحطبة إلى بلاد

---

(1) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 191 ؛ أبو الفرج، قدامة بن جعفر، **الخراج** 319

(2) نفسه 191؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 117/5

(3) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 11/9؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 206/5؛ البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 223

(4) ينظر: ابن عبد الحكم، عبد الرحمن، **فتوح مصر** 241؛ اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 283/2؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 108/3؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 255/3؛ ابن العماد، عبد الحي، **شذرات الذهب** 210/1؛ مؤلف مجهول **العيون والحدائق** 225

(5) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 206/5؛ أبو الفرج، قدامة بن جعفر، **الخراج** 318؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 392/4، 192/5؛ الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار** 245؛ القلقشندي، شهاب الدين أحمد، **صبح الأعشى** 131/4؛ لسترنج، كي، **بلدان الخلافة الشرقية** 152؛ آل كمال، سليمان، **الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية** 503 رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1998م

(6) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 225 ؛ أبو الفرج، قدامة بن جعفر، **الخراج** 321؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 130/3 الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار** 285؛ لسترنج، كي، **بلدان الخلافة الشرقية** 153؛ آل كمال، سليمان، **الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية** 504، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1998م

(7) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 495/8؛ آل كمال، سليمان، **الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية** 504 رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1998م

(8) المهدي: هو محمد، بن عبد الله المنصور، بن محمد، بن علي، بن عباس، أبو عبد الله المهدي، من خلفاء الدولة العباسية تولى الخلافة سنة 158هـ/774م، بنى جامع الرصافة، ووجّه رسلاً إلى الملوك يدعوهم إلى الطاعة، فدخل في طاعته ملك كابل شاه، وملك طبرستان، وملك السغد وغيرهم، توفي سنة 169هـ/ 785م (اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 392/2 – 397؛ الكتبي، صلاح الدين محمد، **فوات الوفيات** 400/3-401؛ ابن العماد، عبد الحي، **شذرات الذهب** 266/1؛ الزركلي، خير الدين، **الأعلام** 221/6)

(9) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 104/8؛ اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 394/2

الروم، وقد ثقلت وطأته على أهلها حتى صوروه في كنائسهم[1]، كما عزز هذا الهجوم بحملة إلى أرمينيا، فتح خلالها ثلاثة حصون[2]، و قرر أن يغزوهم بنفسه، بقصد رفع الروح المعنوية للجيش[3] وعندما وصل إلى حلب جعل القيادة لابنه هارون، فواصل بدوره الطريق مخترقاً آسيا الصغرى حتى بلغ مدينة صمالو[4]، وحاصر قلعتها، ونصب المجانيق عليها ثماني وثلاثين ليلة حتى فتحها[5]، ثم صالحهم على ألا يقتلوا، ولا يرحلوا، ولا يفرق بينهم[6] .

كما بعث المهدي عبد الكبير بن عبد الحميد[7] على رأس الصوائف سنة 164هـ/780م، غير أنه تراجع لأن الروم استعدوا لهم في تسعين ألفاً يتقدمهم بطارقتهم[8]، ولابد أنهم جاءوا لرد الاعتبار بعد هزيمتهم في قلعة صمالو، إلا أن المهدي أغاظه ذلك وعده انهزاماً[9]، فبعث ابنه الرشيد في العام التالي على رأس حملة ألقت الدولة بثقلها فيها[10]، وتقدم هارون الرشيد حتى توغل في بلاد الروم فافتتح حصن ماجدة[11]، ثم اتجه إلى نيقوميديا[12]، واستمر بالسير حتى بلغ خليج

---

(1) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 194؛ الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 136/8؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 228/2؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 267/3؛ ابن العماد، عبد الحي، **شذرات الذهب** 255/1 الحميري، محمد **الروض المعطار في خبر الأقطار** 541؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 153/2

(2) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 9/ 334،362؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 15/6؛ اليعقوبي، أحمد **تاريخه** 135/3؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 153/2

(3) آل كمال، سليمان، **الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية** 40، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1998م

(4) صمالو: مدينة بالثغر الشامي قرب المصيصة وطرسوس (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 423/3)

(5) اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 402/2؛ الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 148/8؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 153/2

(6) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 144/8؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 150/10

(7) غزا الروم سنة 164هـ/780م فلم يحالفه الحظ، وعاد مع المسلمين (الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 150/8 ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 246/5)

(8) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 246/5

(9) ابن الجوزي، عبد الرحمن، **المنتظم** 270/8

(10) وهذا واضح في قول بعض المؤرخين" إن الجيش الذي قاده هارون الرشيد بلغ خمسة وتسعين ألفاً وسبعمائة وثلاثة وتسعين رجلاً، وكان معه من النفقة مائة ألف دينار، وأربعة وتسعون ألف دينار، وأربعمائة وخمسون ديناراً، ومن الفضة واحد وعشرون ألفاً، وأربعمائة ألف، وأربعة عشر ألفاً وثمانمائة درهم (الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 152/8؛ ابن الجوزي عبد الرحمن، **المنتظم** 277/8؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 150/10؛ عبد الجواد، ليلى، **مملكة القسطنطينية في مسالك الأبصار وممالك الأمصار**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة،ع15، 2007م، 298)

(11) حصن ماجدة: أحد حصون الروم مما يلي الثغور الشامية، على نحو عشرين ميلاً من قلعة لؤلؤة (المسعودي، علي **التنبيه والإشراف** 187)

(12) نيقوميديا: سماها الترك أزنكميد، وهو ما تعرف به اليوم (ليسترنج، كي، **بلدان الخلافة الشرقية** 190)

القسطنطينية[1]، ومضيق البسفور[2]، فكانت حملته هذه خاتمة الحملات العربية على البسفور، فقد كانت جملة الحملات العربية على القسطنطينية أربعاً: ثلاثاً في العصر الأموي، وواحدة لهارون الرشيد في العصر العباسي، غير أن بعض الكتاب[3] أفاد أن الروايات التركية تجعل الحصارات التي تعرضت لها القسطنطينية تسعة، اثنان منها لهارون الرشيد، وقد أظهر فيها من الحنكة والبطولة ما أهلّه لحمل لقب الرشيد قبل توليه الخلافة[4] .

وقد أحدث هذا النصر أثره، إذ بادرت إيريني[5] إلى طلب المصالحة مع المسلمين لمدة ثلاث سنوات، تعهدت خلالها بدفع جزية سنوية قدرها تسعون ألف دينار، ومد جيش المسلمين بالأدلاء والأسواق، وتيسر المؤن لهم في الطريق عند كل منزلة[6]، عندها عاد الرشيد مثقلاً بالغنائم والأسرى[7] وقد أظهرت هذه الهدنة البيزنطيين بمظهر الذليل، خاصة في إمداد الجيوش بالأدلاء وتسيير المؤن، حتى قيل "إنها مخزية للغاية في حق الإمبراطورية البيزنطية[8]"، ويذكر أنه كان من الممكن أن تحقق إيريني النصر على العرب لولا تضافر أمرين: أولهما خيانة أحد قواد الجيوش

---

(1) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 248/5؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 213/3؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 211/1؛ عمران، محمود، **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية**114؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 153/2؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية** 126؛ عبد الجواد، ليلى، **مملكة القسطنطينية في مسالك الأبصار وممالك الأمصار للعمري**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة،ع15، 2007م، 298

(2) الجنزوري، علية، **الإمبراطورة إيرين** 33؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية** 126

(3) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 154/2

(4) كان لانتصارات الرشيد على الإمبراطورية البيزنطية أثره في تشجيع البلغار على توجيه حملاتهم ضدها، وتمكنوا من إحراز عدة انتصارات عليها، دون أن تستطيع القيام بعمل ضدّهم، فقد كانت إيريني - إلى جانب مواجهة المسلمين لها - تعاني من الاضطرابات الداخلية، فقد بدأ ابنها - قسطنطين السادس - بعد أن بلغ سنّ الرشد يطالب بالعرش، ودخل معها في صراع ساندته فيه بعض العناصر الكارهة لأمه، كما كان عليها أيضاً أن تواجه أطماع شارلمان في الغرب (عمران، محمود، **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 114 – 115)

(5) حكمت الإمبراطورية البيزنطية كوصية على ابنها قسطنطين السادس سنة 164هـ/780م حتى 181هـ/797م، واختلف معها هذا الابن حين بلغ سنّ الرشد، وجاءت نهايتها على يد نقفور الأول وزير خزانتها (ينظر: عمران، محمود، **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 12- 17)

(6) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 152/8 - 153؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 5 /248؛ سيرهنك إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 211/1؛ عبد الجواد، ليلى، **مملكة القسطنطينية في مسالك الأبصار وممالك الأمصار للعمري**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة،ع15، 2007م، 298؛ الجنزوري، علية، **الإمبراطورة إيرين** 34 جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 53

(7) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 8/ 152- 153؛ عبد الجواد، ليلى، **مملكة القسطنطينية في مسالك الأبصار وممالك الأمصار للعمري**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة،ع15، 2007م، 298؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 154/2

(8) Vasiliev, **History of the Byzantine** p.317

البيزنطية " تالزاتس" بسبب حسده وحقده على أحد المقربين من الإمبراطورة، وانضمامه للعرب وثانيهما: هو قلة دراية المبعوثين البيزنطيين، والذين دخلوا المعركة دون تبادل للأسرى، مما اضطرهم لدفع الفدية[1] .

وقبل انتهاء مدة الهدنة بأربعة أشهر[2] امتنع البيزنطيون عن دفع الجزية[3]، وعليه سير المهدي عام168هـ/784م سرية وصلت إلى بلاد الروم، وهدمت بعض القلاع[4]، حتى بلغوا مدينة أشنة[5] وأصابوا غنائم وفيرة، وأسروا الكثير من الروم[6].

في عهد الرشيد

يبدو أن فتح القسطنطينية كان من أهم الأهداف التي اتخذها هارون الرشيد في خلافته، ويظهر ذلك من خلال القيام بأمرين كانا غاية في الأهمية، وهما:

أولاً: تحصين الثغور: لما تولى الرشيد الخلافة عمل على إنشاء التحصينات لحماية دار الإسلام فاتجه إلى تحصين وتعمير الثغور، والتي تخرب الكثير منها في فترات ضعف المسلمين، وكان دافعه في ذلك واجب الإمام في تحصين الثغور، حتى لا يظهر الأعداء فينتهكون محرماً، أو يسفكون دماً[7]، وليتخذها المسلمون قواعد يشنون منها الحملات على بلاد الروم[8]، والناظر إلى ما أعده الرشيد من حملات وتحصينات ينتهي به النظر إلى أن هدفها فتح القسطنطينية، فقد اهتم بشؤون البحرية اهتماماً بالغاً، فأقام من دور الصناعة ما لم يقم به أحد من قبله، وقسم الأموال في الثغور

---

(1) الجنزوري، علية، **الإمبراطورة إيرين** 34–34

(2) ابن الجوزي، عبد الرحمن، **المنتظم** 293/8؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 154/10

(3) ويظهر أن سوء الأحوال الاقتصادية كان سبباً مباشراً في ذلك ، فقد رأت إيريني أن معالجة هذه الأوضاع لا يكون من الداخل، حتى لا تفقد محبة الناس لها، وتستبعد عن الحكم، وبناء على ذلك، تجاوزت عن كثير من الضرائب المقررة على السكان وأمعنت في منح امتيازات للأديرة، لما للرهبان من أهمية في تأييدها ومساعدتها (العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 228) فرأت في الامتناع عن دفع الجزية، ظناً منها أن المسلمين بعيدون عن أراضيها، وليس لهم في تلك الأموال أي حق، وأنهم لم يتمكنوا من عمل أي شيء في هذا الصدد .

(4) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 167/8؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 257/5

(5) أشنة: بالضم، ثم السكون، وضم النون، بلدة في أطراف أذربيجان، بالقرب من أربيل، ذات بساتين (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 201/1)

(6) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 8 /203،204؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 269/5؛ اليعقوبي، أحمد **تاريخه** 129/3؛ حتي، فيليب، **تاريخ العرب** 370/2؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 154/2

(7) الماوردي، علي، **الأحكام السلطانية** 13

(8) فرج، وسام، **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 164؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 134/2 حتي، فيليب، **تاريخ العرب العام** 370/2

والسواحل، وأشجى الروم وقمعهم[1]، كما أقام منطقة العواصم بالقرب من أنطاكيا[2] لأن الروم اعتادوا مهاجمة المسلمين منها[3]، وكان هذا الإقليم جزءاً من أرض قنسرين[4] والجزيرة، ففصله وجعل عاصمته منبج[5] ورتب فيها جيشاً دائماً يرابط على حدودها، كما اهتم بطرسوس[6] فبنى فيها المساكن والحصون، وأسكنها الناس، وزاد لهم في العطاء[7]، وأمر ببناء مدينة عين زربة[8]، والهارونية[9] وحصنهما وجعل بهما الجند المرابطين بالسلاح[10]، حيث بلغت جهود المسلمين في حماية الحدود الشمالية ذروتها في ذلك الوقت[11] .

ثانياً: توجيه الصوائف والشواتي: عمل الرشيد على توجيه الصوائف والشواتي، والتي تحركت أولاها مع بدء خلافته بقيادة سليمان بن عبد الله البكائي[12]، حيث غزا بلاداً كثيرة في أرض الروم وتقدمت صائفة سنة 171هـ/787م، وتوغلت في أرض الروم، واصطدمت بهم وأحرزت النصر وغنمت الكثير ثم عادت سالمة[13] وفي سنة 172هـ/788م نزل الرشيد بالجيش في

---

(1) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 193؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 213/1؛ سالم، عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية** 38

(2) **منطقة العواصم**: تتكون من : منبج، ودلوك، ورعبان، وقورس، وأنطاكية، وتيزين، وما بين ذلك من الحصون ، وهي جزء من أرض قنسرين والجزيرة، ففصلها الرشيد وجعل عاصمتها منبج (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 165/4؛ البكري، عبد الله **معجم ما استعجم** 979/3)

(3) العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 88

(4) **قنسرين**: مدينة على بعد مرحلة من حلب (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 404/4)

(5) **منبج**: بفتح أوله، وسكون النون، وكسر الباء، مدينة واسعة ذات خيرات كثيرة، قيل إن أول من بناها هو كسرى عندما غلب على الشام، وسماها "من به" أي أنا موجود، فعربت فقيل منبج، وتبعد عن نهر الفرات ثلاثة فراسخ، وعن حلب عشرة فراسخ (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 505/5-506)

(6) **طرسوس**: مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، بينها وبين أذنة ستة فراسخ، يشقها نهر البردان، وهي من أجلّ الثغور (ابن خرداذبة، عبيد الله، **المسالك والممالك** 253؛ ليسترنج، كي، **بلدان الخلافة الشرقية** 164)

(7) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 174

(8) **عين زربة**: بفتح الزاي، وسكون الراء، بلد بالثغور من نواحي المصيصة (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 177/4)

(9) **الهارونية**: مدينة قرب مرعش بثغور الشام (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 388/5)

(10) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 324/8؛ المسعودي، علي، **مروج الذهب** 515/2؛ أبو الفرج، قدامة بن جعفر **الخراج** 310؛ الإصطخري، إبراهيم، **مسالك الممالك** 63؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 388/5 القلقشندي، شهاب الدين أحمد، **صبح الأعشى** 136/4؛ ليسترنج، كي، **بلدان الخلافة الشرقية** 161

(11) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 245/2؛ آل كمال، سليمان، **الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية** 514 رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1998م

(12) **سليمان بن عبد الله البكائي**: نسبة إلى البكاء وهو بطن من بني عامر بن صعصعة، ولم تذكر كتب التراجم ولا غيرها شيئاً عنه سوى قيادته لهذه الصائفة (السيوطي، جلال الدين، **لب اللباب في تحرير الأنساب** 139/1)

(13) العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 448

مرج القلعة[1] وبعث على الصائفة إسحق بن سليمان بن علي[2]، كما غزا زفر بن عاصم الهلالي[3] الذي أرسل ابنه عبد العزيز على قيادة الجيش، فمضى حتى أتى جيحان[4]، وعاد بسبب البرد الشديد[5].

ويبدو أن جيش صائفة 172هـ/788م غزا أرض الروم ، ودار بينه وبين البيزنطيين معركة هزم فيها البيزنطيون وقتل قائدهم[6]، وقاد صائفة سنة 173هـ / 789م عبد الملك بن صالح بن علي[7] ولابد أنها وصلت إلى أرض الروم ولم تتوغل فيها كثيراً[8]، ثم عاد عبد الملك ليقود الصائفة سنة 174هـ/790م وقدم ابنه عبد الرحمن على رأس الجيش حتى بلغ عقبة السير[9]، واصطدم بالروم وانتصر عليهم، كما قاد الشاتية سنة 175هـ/791م والتي لم يستطع الروم مقاومتها، فوصل إلى اقريطية[10] وفتحها[11]، كما قاد عبد الرحمن بن عبد الملك الصائفة سنة 176هـ / 792م أيضاً، وفتح أحد حصون الروم[12] بالإضافة إلى مدينة دبسة[13].

---

(1) **مرج القلعة**: مكان بينه وبين حلوان منزل، وهو من حلوان إلى جهة همدان، وهو كثير الخيرات، ولذلك سمي بمرج القلعة (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 101/5)

(2) اسحق، بن سليمان، بن عبد الله، بن عباس الهاشمي العباسي، من أمراء الدولة العباسية، ولي إمرة المدينة سنة 170هـ/786م للرشيد، ثم ولي السند ومكران سنة 174هـ/790م، وولي الإمارة بمصر سنة 177هـ/793م وتوفي بعد سنة 178هـ/794م (ابن تغري بردي، جمال الدين، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** 113/2؛ الزركلي، خير الدين، **الأعلام** 295/1)

(3) **زفر بن عاصم**: أحد القادة الشجعان، تولى حلب سنة 137هـ/754م، وكان على رأس الصائفة سنة 156هـ/772م، وسنة 157هـ/773م، ولي المدينة سنة 160هـ/776م، وعلى الجزيرة سنة 163هـ/779م، (الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 475/7، 51/8، 53، 132، 147)

(4) **جيحان**: نهر بالمصيصة بالثغر الشامي، مخرجه من بلاد الروم، ويمر إلى مدينة قرب المصيصة (كفر بيّا)، ويصب في بحر الشام، ويقارب نهر الفرات في الكبر (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 196/2؛ ليسترنج، كي، **بلدان الخلافة** 164)

(5) العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 448

(6) العدوي، إبراهيم، **الإمبراطورية البيزنطية** 148 – 149؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 3/ 275 - 276

(7) عبد الملك، بن صالح، بن علي، بن عبد الله، بن عباس، أمير من بني العباس، ولاه الهادي إمرة الموصل سنة 169هـ/785م وعزله الرشيد سنة 171هـ/787م ، ثم ولاه المدينة والصوائف، وولاه مصر مدة قصيرة .. تولى إمارة الرقة حتى توفي فيها سنة 196هـ/811م (الكتبي، صلاح الدين محمد، **فوات الوفيات** 398/2؛ ابن تغري بردي، جمال الدين، **النجوم الزاهرة** 118/2)

(8) العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 449

(9) **عقبة السير**: توجد بالثغور قرب الحدث، وهي عقبة ضيقة طويلة (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 4/ 134) وردت عقبة الركاب خطأ عند العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 449)؛ لأنها قرب نهاوند، والصحيح عقبة السير لأنها بالثغور قرب الحدث.

(10) لم أجد لها ذكراً فيما اطلعت عليه من مصادر، ويبدو أنها مدينة على طريق الثغور الشامية .

(11) العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 449؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 288/5

(12) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 254/8؛ ابن الجوزي، **المنتظم** 20/9، ولم توضح المصادر اسم هذا الحصن مما يدل على أنه ليس من الحصون العظيمة .

(13) السيوطي، جلال الدين، **تاريخ الخلفاء** 267، ولم أعثر فيما تيسر لي من مصادر ومراجع على اسم هذه المدينة، مما يفيد أنها كانت صغيرة .

وفي سنة 177هـ/793م سير الرشيد ثلاث صوائف وشاتية، قاد الأولى عبد الرزاق بن عبد الحميد التغلبي، والثانية[1] قادها عبد الله بن صالح بن علي[2]، وكانت الصائفة الثالثة تحت قيادة يسار بن صقلاب[3] الذي تقدم بأهل المصيصة ودخل أرض الروم وهزمهم[4].

كما وصلت شاتية عام177هـ/793م، إلى ملطية[5] وتمكنت من هزيمة البيزنطيين، ثم عادت بعد أن مات بعض المسلمين من شدة البرد[6]، وفي سنتي 180 و181هـ/796 و697م قاد الرشيد الصائفة بنفسه[7]، وأقام الجيش في الرقة[8]، ووصل أرض الروم وفتح مدينة معصوف[9]، وأسر وغنم ثم عاد مرة أخرى إلى الرقة، وأقام بها بقية عامه[10] والتي كان قد اتخذها وطناً[11] .

على أية حال دفعت هذه الانتصارات الرشيد إلى إرسال صائفة سنة 181هـ/797م إلى شمال أرض الروم[12]، فافتتحت أنقرة، ومطمورة[13]، وعزز المسلمون هذا النصر بنصر آخر حين أرسل الرشيد صائفة توغلت في أرض الروم ودار بينها وبين البيزنطيين معركة انتصر فيها المسلمون وغنموا، وزحفوا إلى أفسوس[14]، ثم

---

(1) العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 450

(2) **عبد الله، بن صالح، بن علي**: أحد الأمراء القادة ، تولى إمارة الجزيرة بعد زفر بن عاصم سنة 163هـ/779م، وولاه الرشيد قيادة الصائفة سنة 177هـ/793م (ابن الجوزي، عبد الرحمن، **المنتظم** 149/8)

(3) **يسار بن صقلاب**: ويذكر سقلاب، أحد الجنود الأكفاء الذين بعثهم الرشيد إلى البيزنطيين، وفتح على يديه عدة مدن كالمصيصة، والصفصاف، وطوانة سنة 177هـ/793م (العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 450)

(4) العصفري، خليفة ابن خياط، **تاريخه** 450

(5) **ملطية**: بلدة من بلاد الروم مشهورة، تتاخم الشام، بناها عبد الوهاب، بن إبراهيم الإمام، بن محمد، بن علي، بأمر من أبي جعفر المنصور، ثم أسكنها الناس (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 192/5-193)

(6) العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 450

(7) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 266/8؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن، **المنتظم** 48/9؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية** 127

(8) **الرقة**: مدينة بالعراق مما يلي الجزيرة، فتحت على يد القائد عياض بن غنم سنة 18هـ/639م، وعرفت بالرقة السوداء تمييزاً لها عن غيرها (الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار** 270؛ ليسترنج، كي، **بلدان الخلافة الشرقية** 132)

(9) لم أجد لها ذكراً فيما اطلعت علية من مصادر ومراجع، ويبدو أنها في وسط بلاد الروم .

(10) الدينوري، احمد، **الأخبار الطوال** 390

(11) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 50/10؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 40/6، 55؛ البلاذري، أحمد **فتوح البلدان** 173؛ اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 153/3

(12) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 183/10

(13) **مطمورة**: بلد في ثغور بلاد الروم ، بناحية طرسوس (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 151/5)

(14) **أفسوس**: بلد بثغر طرسوس، يقال هو بلد أصحاب الكهف (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 231/1)؛ وموقعها إلى الجنوب من نهر قيسطرة على مسافة ستين كيلومتراً من أزمير (سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 214/1) وقيل خمس وعشرون ميلاً من أزمير (جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 50)

عادوا[1] بعد أن أسروا سبعة آلاف بيزنطي[2]، وبدا كأن المسلمين قد قاربوا على فتح القسطنطينية[3] ويظهر أن هذه الصائفة أفزعت الإمبراطورة إيريني وجعلتها تدفع جزية مقدارها تسعون ألف دينار لخوفها على عرشها من السقوط[4]، لأنها كانت تشعر بخسارتها في أي مواجهة مع العرب، لذلك فضلت أن تدفع جزية باهظة الثمن بدل الدخول في جولة خاسرة مع المسلمين[5]، فما زال طيف حصار القسطنطينية الأخير حاضراً في ذاكرتهم، وقد قبل منها الرشيد ذلك، وعاد الجيش الإسلامي إلى الشام بعد أن أبلى بلاءً حسناً في قتاله للروم، الأمر الذي جعل هارون الرشيد "سيد الإمبراطورية البيزنطية[6]" كما يقال .

والحقيقة أن مقاومة البيزنطيين للصوائف والشواتي كانت ضعيفة، لأن الإمبراطورية البيزنطية كانت تعاني من اضطرابات داخلية[7] وهذا لا يعني ضعف استعدادات الروم، وتساهلهم في قتال المسلمين، بدليل القتال المستمر بين الطرفين والانتصارات والهزائم، ولكن يبدو أنه لم يكن هناك جدية

(1) ابن الجوزي، عبد الرحمن، **المنتظم** 67/9؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 317/5؛ ابن خلدون، عبد الرحمن **تاريخه** 225/3)

(2) عبد الله، وديع، **العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي** 273

(3) ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية** 126

(4) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 154/8؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 12؛ عمران، محمود **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 114؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية** 126

(5) الجنزوري، علية، **الإمبراطورة إيرين** 57 – 58؛ العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 95

(6) بينز، نورمان، **الإمبراطورية البيزنطية** 316، 362؛ سليمان، أحمد، **المسلمون والبيزنطيون** 37/1

(7) وأهمها الخلاف الذي دار بين إيريني وبين ابنها قسطنطين حول مطالبتها ببقاء الوضع على ما كان عليه – الوصاية على ابنها – ليصبح تحت سلطانها، ووقف الجيش إلى جانب إيريني، وساندت العناصر من رجال الدين البارزين قسطنطين السادس حتى تولى الحكم، ولم يعد لأمّه من صفة غير والدة الإمبراطور، ولكن أعاد إليها ابنها لقب إمبراطورة لرغبة أمه وتوسلاتها الكثيرة، فبدأت الأم من هذا المنطلق في الإطاحة بابنها، فأثارت رجال الدين ضده، وعملت على الحط من قيمته من الناحية الخُلقية حتى تقلل من شأنه إلى أقصى درجة ممكنة، فيخلو لها كرسي العرش، فشجعت قسطنطين السادس على ترك زوجته الشرعية والزواج من إحدى وصيفات القصر (ثيودوت) بعد أن دفعته أمه إلى علاقة غرامية معها، فأثار ذلك رجال الدين ضده، وعدوا الزواج الآخر علاقة غير شرعية (عمران، محمود، **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 116؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 155 – 156؛ الشيخ، محمد، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 144؛ اليوسف، عبد القادر، **الإمبراطورية البيزنطية** 109 – 110؛ الجنزوري، علية، **الإمبراطورة إيرين** 46) كما أمرت بإلقاء القبض عليه ثم سمل عينيه (الطبري، محمد **تاريخ الرسل والملوك** 269/8؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 186/10؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 161/6؛ Ostrogorsky, **History of the Byzantine start** p.181) ليبقى بقية عمره على هامش الحياة (عمران، محمود، **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 116؛ العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 225-227: غنيم، إسمت، **الحملة الصليبية الرابعة** 59؛ للاستزادة حول ما تعرضت له الإمبراطورية البيزنطية من اضطرابات (ينظر: سليمان، أحمد، **المسلمون والبيزنطيون** 38/1؛ الجنزوري، علية، **الإمبراطورة إيرين** 46- 50)

في القتال من جانب الروم لا براً ولا بحراً، إذ يذكــر أحد الكتـاب[1] أنـه في سنة 182هـ/798م حدث لقاء بين الأسطولين الإسلامي والبيزنطي الذي هزم هزيمة ساحقة، وأسر قائدهم البيزنطي .

غير أن الصلح لم يدم طويلاً لأن القادة العسكريين وكبار الموظفين في البلاط البيزنطي اتهموا إيريني بتدمير الموارد المالية للدولة البيزنطية[2]، مما أدى إلى نشوب ثورة بالقصر، انتهت باختيار نقفور الأول الذي امتنع عن دفع الجزية للمسلمين[3]، عندها أرسل الرشيد ابنه القاسم على رأس الصائفة سنة 182هـ/798م وفرض الحصار على حصن قرة[4]، كما حاصر العباس بن جعفر[5] حصن سنان[6]، لذلك رأى نقفور عدم الاصطدام بالمسلمين، لأنه يعلم توجههم بفتح القسطنطينية فسارع إلى إخراج أسرى المسلمين من السجون البيزنطية، وسلمهم إلى القاسم بن الرشيد مقابل أن يرحلوا عنهم[7] وهذا يدل على حرص المسلمين لاستعادة أسراهم الذين وقعوا في قبضة العدو البيزنطي أثناء غزواتهم المتكررة في أرض الروم[8]، وشدة حصار المسلمين للروم، وتخوفهم من التقدم نحو القسطنطينية، مما دفعهم إلى طلب النجدة من نقفور، وهذا يفهم من قول ابن الأثير[9] " فحصر العباس بن جعفر حصن سنان حتى جهد أهلها، فبعث إليه الروم ثلاثمائة وعشرين أسيراً من المسلمين على أن يرحل عنهم فأجابهم ورحل عنهم صلحاً" .

بعد ذلك وجه نقفور كتاباً إلى الرشيد، نقض فيه ما أبرم بينه وبين إيرينــي من العهد على دفع الجزية، وطالب برد الأموال السابقة، وإلا فسيملأ الأرض رجالاً وخيلاً[10]، عندها اشتد غضب

---

(1) عمران، محمود، **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 114

(2) العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 228؛ الجنزوري، علية، **الإمبراطورة إيرين** 55

(3) نفسه 236-239؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية** 77؛ عبد الله، وديع، **العلاقات السياسية** 282

(4) **حصن قرة**: شرقي قونية، وتعرف بمدينة قرة حصار، وتسمى اليوم بأفيون (ليسترنج، كي، **بلدان الخلافة الشرقية** 181- 185)

(5) العباس بن جعفر، بن محمد، بن الأشعث الكندي، أحد القادة الأفذاذ، ولاه الرشيد خراسان سنة 173هـ/789م، وعزله عنها سنة 175هـ/791م (الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 307/8،241،238؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 333/5،288،286)

(6) **حصن سنان**: من حصون بلاد الروم، فتحه عبد الله بن عبد الملك، بن مروان في خلافة والده، ولابد أنه قريب من حصن قرة الموجود في شرقي قونية (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 264/2)

(7) العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 458 ؛ اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 423/2؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن، **المنتظم** 137/9 ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 333/5؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 225/3

(8) فرج، وسام، **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 166

(9) **الكامل في التاريخ** 333/5

(10) للاطلاع على رسالة نقفور إلى الرشيد ورد الأخير عليه (ينظر: الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 307/8 – 308 السيوطي، جلال الدين، **تاريخ الخلفاء** 492؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 333/5؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن **المنتظم** 138/9؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 201/10؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 142/1، 215)

الرشيد[1]، ودعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب :" بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة ، والجواب ما تراه دون أن تسمعه، والسلام[2]" وفي أول رمضان سنة 187هـ/802م[3] سار الرشيد على رأس حملة من مائة وعشرين ألفاً واتجه إلى هرقلة[4]، وحاصرها عدة أيام حتى فتحها[5]، ولم يجد نقفور بداً من مصالحة الرشيد على جزية تسعين ألف دينار كل سنة، ليبعد المسلمين عن بلاده، وعن عاصمته التي بدت في خطر كبير، نظراً لانشغال عدد كبير من جيشه بالقضاء على الثورة الداخلية التي نشبت ضده[6] .

وبإجراء مقارنة بين ما قامت به إيريني من قبل وما قام به نقفور، يتضح ضيق أفق نقفور الذي خاض حرباً كانت نتيجتها بالنسبة له خاسرة، ومن ثم دفع الجزية، بعكس إيريني التي فضلت دفع الجزية على الدخول في حرب خاسره، فاستفادت بذلك من قوة جيوشها في قمع الثورات الداخلية .

وبعدما تأكد نقفور أن الرشيد قد وصل إلى الرقة، نقض الصلح[7]، ولعله قام بهذا العمل من قبيل محاولة الإعلان عن قوة بيزنطة، منتهزاً فرصة انشغال هارون الرشيد ببعض الفتن داخل الخلافة العباسية[8]، عندها تحرك الرشيد ورجع إلى بلاد الروم في أشد زمان وأعظم كلفة[9]، وبرغم البرد

---

(1) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 308/8؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن، **المنتظم** 138/9؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 333/5

(2) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 201/10؛ السيوطي، جلال الدين، **تاريخ الخلفاء** 268؛ سيرهنك إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 142/1

(3) الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 398/5

(4) **هرقلة**: مدينة ببلاد الروم، سميت بهرقلة بنت الروم، بن اليفز، بن سام، بن نوح (عليه السلام) وهي أراكلية الحديثة (الحموي ياقوت، **معجم البلدان** 398/5 ؛ ليسترنج، كي، **بلدان الخلافة الشرقية** 166)؛ وقد أسست قبل تأسيس القسطنطينية وتسمى اليوم إيريكلي (سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 142/1)

(5) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 215/1،142؛ كانت قد فتحت للمرة الأولى سنة 77هـ/696م على يد عبد الملك بن مروان (الذهبي، شمس الدين محمد، **العبر في خبر من غبر** 65/1)

(6) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 142/1؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية** 140؛ غنيم إسمت، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 61 - 62؛ العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 96؛ بحري، فائقة **أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا** 23، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – مكة 1989م

(7) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 308/8؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 5 /334؛ ابن الجوزي عبد الرحمن، **المنتظم** 138/9؛ ابن كثير، عماد الدين اسماعيل، **البداية والنهاية** 201/10؛ السيوطي، جلال الدين **تاريخ الخلفاء** 268

(8) ومنها خروج رافع، بن ليث، بن نصر، بن سيار، بسمرقند، ومخالفته لهارون الرشيد وخلعه إياه (العصفري، خليفة ابن خياط، **تاريخه** 459؛ الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 319/8

(9) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 334/5

والثلج [1]، حاصر هرقلة[2] ورماها بالنفط والنار حتى سلم أهلها[3]،وأعيدت الأمور إلى نصابها .

وكعادته نقض نقفور الصلح سنة 188هـ/803م ، وامتنع عن دفع الجزية، فسير إليه الرشيد جيش الصائفة بقيادة إبراهيم بن جبريل[4]، ودخل أرض الروم من ناحية الصفصاف، وتقابل الفريقان في حرب شديدة، كان النصر فيها حليف المسلمين، وهزم الروم، وفر نقفور من الميدان بعدما جرح، وقتل الكثير من جنده[5]، وترتب على ذلك اعتراف نقفور بقوة المسلمين، وإرساله الجزية، وفداء الكثير من أسرى الطرفين[6] إذ لم يبق بأرض الروم أسير مسلم إلا فودي[7] .

وفي محاولة من نقفور رد اعتبار الروم، امتنع عن دفع الجزية للرشيد مرة أخرى، وتقدم في سنة 190هـ/805م[8] بقوة من الروم وأغار على عين زربة[9] وعلى الكنيسة السوداء[10] وقاتل المسلمين المرابطين فيها، وأسر عدداً منهم[11]، إلا أنه لم يتمكن من المحافظة على هذا النصر، حيث استطاع أهل المصيصة أن يلحقوا بالروم ويستنقذوا ما في أيديهم من الأسرى المسلمين[12]، عندها غضب الرشيد لهذه التطورات وسار في بداية شعبان سنة 190هـ /805م بجيش كبير[13] بعد أن أكمل

---

(1) الذهبي، شمس الدين محمد، **دول الإسلام** 119/1

(2) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 310/8

(3) الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 398/5

(4) **إبراهيم بن حبريل**: من القادة الأفذاذ، خرج مع الفضل بن يحيى البرمكي إلى خراسان سنة 178هـ/794م، وهو كاره للخروج ولي أمر سجستان سنة 178هـ/794م، وفتح كابل، وغنم غنائم كثيرة، وفي السنة نفسها ولاّه الرشيد أمر الصائفة سنة188هـ/803م ونصره الله على الروم (الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 313/8،259،258؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن، **المنتظم** 154/9)

(5) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك**313/8؛ وقيل إن عدد القتلى أربعين ألفاً(ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 207/10؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 226/3)

(6) عبد الله، وديع، **العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي** 274 - 275

(7) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 339/5؛ السيوطي، جلال الدين، **تاريخ الخلفاء** 268؛ ابن العماد، عبد الحي **شذرات الذهب** 321/1؛ الذهبي، شمس الدين محمد، **العبر في خبر من غبر** 233/1

(8) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 320/8 ؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 211/10

(9) **عين زربة**: بلد بالثغر من نواحي المصيصة (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 177/4؛ ليسترنج، كي، **بلدان الخلافة الشرقية** 160 - 161)

(10) **الكنيسة السوداء**: بلد بالثغر من نواحي المصيصة، سميت بذلك لأن فيها حصناً منيعاً مبني بالحجارة السوداء (ليسترنج كي، **بلدان الخلافة الشرقية** 162)

(11) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 161/2-162

(12) العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 458؛ الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 320/8؛ ابن الجوزي عبد الرحمن، **المنتظم** 180/9

(13) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 320/8 ؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 226/3

الاستعدادات للقاء الروم، اتخذ دراعة[1] مكتوباً عليها "غاز حاج"، ولما وصل الرشيد أطراف بلاد الروم وزع قواده فيها[2]، لئلا يؤخذ المسلمون على حين غرة، فأرسل عبد الله بن مالك ناحية ذي الكلاع[3]، فحاصرها وفتح حصنها، ووجه داود بن عيسى بن موسى في سبعين ألفاً إلى أرض الروم ففتح بلاداً كثيرة، وهدم بعض الحصون والقلاع، وبعث شراحيل بن معن بن زائدة ناحية حصن الصقالبة[4] ودبسة فافتتحهما، وأسر منهم عدداً[5]، وأرسل يزيد بن مخلد إلى الصفصاف وملقونية[6] ففتحهما، ووجه حميد بن معيوف الهمداني إلى ساحل البحر المتوسط فبلغ قبرص، وهدم بعض قلاعها وسبى من أهلها ستة عشر ألفاً[7]، كما غزا جزيرة إقريطش وفتح بعضها[8]، وجعل للحجاج بن خيثمة أمر الصواري والبارجات[9]، والواضح أن الرشيد تحرك مع المسلمين صوب هرقلة لتأديب نقفور وربما لتوجيه ضربة للقسطنطينية وفتحها، بدليل الحملات البحرية والبرية المترافقة، إلا أنه لما وصل أطراف بلاد الروم غير استراتيجيته لإثارة نقفور سكان المدن الرومية على المسلمين، ففرق القادة في أماكن متعددة من بلادهم، وما يؤكد ذلك غزو قبرص سنة 190هـ/805م والذي يدل على أن العباسيين أخذوا يسعون إلى استعادة السيادة البحرية الإسلامية في البحر المتوسط[10]، وربما توجيه ضربة للقسطنطينية .

---

(1) **الدراعة**: وهي ضرب من الثياب التي تلبس، وهي جبة مشقوقة المقدمة (ابن منظور: **لسان العرب** مادة درع)

(2) العصفري، خليفة بن خياط، **تاريخه** 459؛ العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 96

(3) **ذو الكلاع**: وهو حصن ذي القلاع، لأنه على ثلاث قلاع فحرف اسمه، من نواحي الثغور الرومية قرب المصيصة (البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 174)

(4) **الصقالبة** : جماعة من الناس، حمر الألوان، صهب الشعور، يتاخمون بلاد الخزر في أعالي جبال الروم (الحموي ياقوت، **معجم البلدان** 416/3)

(5) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 320/8

(6) **ملقونية**: بلد من بلاد الروم قرب قونية، على نحو خمسين ميلاً شرق آقسرا (ليسترنج، كي، **بلدان الخلافة الشرقية** 182)

(7) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 320/8؛ البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 279؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 341/5-342؛ وذكر أن عدد السبي سبعة عشر ألفاً؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخه** 226/3؛ السيوطي، جلال الدين **تاريخ الخلفاء** 460؛ ابن العماد، عبد الحي، **شذرات الذهب** 325/1؛ اليعقوبي، أحمد، **تاريخه**431/2؛ مؤلف مجهول، **العيون والحدائق** 312؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 215/1؛ العدوي، إبراهيم، **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم** 103

(8) البلاذري، أحمد، **فتوح البلدان** 279؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 236/1

(9) آل كمال، سليمان، **الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية** 560، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1998م

(10) سالم، عبد العزيز وزميله، **تاريخ البحرية الإسلامية** 38؛ عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 162/2؛ وللتعرف إلى مدى الاستعدادات البحرية في العصر العباسي، ينظر: آل كمال، سليمان، **الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية** 552 - 563 رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1998م

وبعد فتح المسلمين للمدن والقلاع السابقة اتجهوا صوب هرقلة، التي تحصن أهلها فيها، فأقام المسلمون على حصارها شهراً، استخدموا فيه السهام، والمجانيق، والعرادات[1]، وأمر الرشيد قادته بتحطيم أسوار القلعة بضربها بالمجانيق، وكتل النار المشتعلة، ولما رأى الروم تهافت جنبات السور لجئوا إلى فتح أبواب القلعة، وأعلنوا الولاء والطاعة للمسلمين، ووافقوا على دفع الجزية مقابل أن يعطوا الأمان على أنفسهم، ولا يفرق بينهم[2] .

كان لفتح هرقلة أثره على نقفور الذي بادر إلى دفع الخراج عن أرضه، والجزية عن رأسه وولي عهده وبطارقته، وسائر أهل بلده، خمسين ألف دينار، منها عن رأسه أربعة دنانير، وعن رأس ولده ديناران[3] وكعادته نقض نقفور عهده، وامتنع عن دفع الجزية، غير أن كثرة غزوات المسلمين في الفترة الأخيرة سنة 191 – 192هـ/806 – 807م كان لها أثرها في إلقاء الرعب في قلوب الروم، مما دفعهم إلى التفكير في مصالحة المسلمين[4]، وفداء الأسرى، حيث فودي من المسلمين في سبعة أيام نحو ألفين وخمسمائة رجل وامرأة[5] .

ولما توفي الرشيد سنة 193هـ/808م[6] توقفت حملات الصوائف والشواتي على الإمبراطورية البيزنطية، لانشغال المسلمين بفتنة الأمين والمأمون[7]، إلا أن المأمون استطاع بعدها إعادة وحدة الدولة العباسية، وتفرغ لمواجهة البيزنطيين[8]، خاصة عندما تعاون مع الأمير توماس في ثورته[9] حتى يقال أنه أراد بذلك فتح القسطنطينية[10]، لكن هزيمة توماس، واضطراب أحوال الخلافة، منع المأمون من إتمام نواياه، ولم يظهر بعد ذلك من جانب البيزنطيين عداء للمسلمين، لانشغالهم بحرب البلغار والصراع على العرش البيزنطي، إذ تولى في الفترة مابين 194-197هـ/809- 811م أربعة أباطرة[11]، وقد استغل المأمون ذلك بإرسال الحملات إلى أرض الروم، وكان أبرزها الحملة التي

---

(1) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 320/8؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن، **المنتظم** 9 /180- 181

(2) ابن الجوزي، عبد الرحمن، **المنتظم** 181/9-182؛ الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار** 593 - 594

(3) الطبري ، **تاريخ الرسل والملوك** 321/8؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 342/5؛ ابن خلدون، عبد الرحمن **تاريخه** 226/3 ؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 215/1

(4) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، **البداية والنهاية** 214/10

(5) المسعودي، علي، **التنبيه والإشراف** 161؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 351/5؛ ابن خلدون عبد الرحمن، **تاريخه** 226/3

(6) العصفري، خليفة ابن خياط، **تاريخه** 460؛ الدينوري، أحمد، **الأخبار الطوال** 392

(7) في اختلاف الأمين والمأمون ينظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن، **المنتظم** 3/10؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل **البداية والنهاية** 232/10

(8) سالم، عبد العزيز، **دراسات في تاريخ العرب العصر العباسي الأول** 227

(9) للاستزادة والتعرف إلى ثورة توماس ينظر (بورفيروجنيتوس، قسطنطين، **إدارة الإمبراطورية البيزنطية في عهد قسطنطين السابع** 87)

(10) اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 573/2؛ فازيلف، **العرب والروم** 36،109

(11) سالم، عبد العزيز، **دراسات في تاريخ العرب** 227

قادها بنفسه، وفتح بها حصوناً وخرب أخرى، وقد عرض عليه إمبراطور الروم الصلح فرفض إلا السيف[1]، ثم إن حملات الرشيد تركت أثراً كبيراً في الدولة البيزنطية التي لم تفق منها بسهولة، ومما يدل على ذلك أنها لم تحاول أن تستغل التصدع في داخل الدولة العباسية إبان الفتنة بين الأمين والمأمون، إذ كانت فرصة مواتية لأي هجوم مضاد يستعيد فيه الروم ما فقدوه في عهد الرشيد[2].

في عهد المعتصم

قام المعتصم بن هارون الرشيد بمحاولة لفتح القسطنطينية، وعقد العزم على التقدم نحوها، وتحقيق حلم المسلمين القديم[3]، ففي عام 223هـ/837م قاد جيشاً كبيراً[4] ودخل به إلى بلاد الروم، وأخذ يقتحم البلاد ويهزم الجيوش الرومية التي تقف في طريقه، وتحول دون فتح البلاد ونشر الإسلام، ولم تستطع وقف زحف الجيوش الإسلامية، والذي قتل معظم جيوشهم فيها، وأسر منهم الكثير .

ولما وصلت الجيوش الإسلامية إلى عمورية، مكثت بها أربعة أيام بعد أن تم فتحها[5]، وكان الهدف من ذلك هو استكشاف الطرق المؤدية إلى القسطنطينية، وجمع المعلومات عن طرق حصار القسطنطينية براً وبحراً، وصار الطريق أمام المسلمين مفتوحاً لمواصلة الزحف إلى القسطنطينية[6] إلا أن الإمبراطور البيزنطي خرج لمواجهة جيش المسلمين في آسيا الصغرى، فمني بهزيمة فادحة وعاد إلى القسطنطينية، حيث كان لأحداث عمورية أثر شنيع عليه أدت إلى مرضه الذي كان سبباً في وفاته[7]، وتقدمت الجيوش الإسلامية لتحقق هذا الغرض، فرابطت عند خليجها، غير أن أخبار الحملة وصلت للروم عن طريق بابك الخرمي الذي راسل ملك الروم، وأخبره بقدوم المعتصم إليه[8]، فاندفع إمبراطور الروم إلى الاستنجاد بملوك الفرنجة والغرب، طالباً منهم المدد والهجوم على القوات العربية في إفريقيا، ليشغلوا المعتصم عن هدفه، وتفرقة جموعه[9]، إلا أن الخليفة اضطر إلى العودة مسرعاً

---

(1) ينظر: المسعودي، علي، **مروج الذهب** 94/7- 96؛ اليعقوبي، أحمد، **تاريخه** 571/2؛ الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 375/8؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 297/6؛ فازيلف، **العرب والروم** 36

(2) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 142/1

(3) ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية** 144

(4) المسعودي، علي، **مروج الذهب** 60/4؛ فازيلف، **العرب والروم** 131

(5) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 55/9؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 340/6؛ المسعودي، علي **مروج الذهب** 60/4؛ عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 402؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 143/1، 218؛ ويركز فازيلف، **العرب والروم** 129، 144 على مدينة عمورية، لأنها الموطن الأصلي للأسرة الحاكمة في القسطنطينية، ويقال إن المعتصم استفاد من بعض العناصر البيزنطية في الاستدلال على أضعف المناطق لفتح قلعة عمورية (نفسه 167)

(6) عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 210/2؛ فازيلف، **العرب والروم** 155

(7) فازيلف، **العرب والروم** 157

(8) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 144/1

(9) فازيلف، **العرب والروم** 163

حين أتاه خبر مؤامرة دبرها بعض الجند لصالح العباس بن المأمون، فعاد وقبض على العباس وشيعته[1]، وقد استفادت الإمبراطورية البيزنطية من هذا الانسحاب، فاستردت بعض أراضيها حتى جبال طوروس[2] .

وبهذا شكلت الفتن الداخلية التي نالت من جهود المسلمين في البر والبحر، حائلاً أمامهم من غزو القسطنطينية، ولا سيما الفتن التي أعقبت وفاة الرشيد وطوال عهدي الأمين والمأمون[3] لينتقل عبء النشاط البحري إلى بلاد المغرب والأندلس، إذ كانت هناك جماعات مجاهدة تغزو شواطئ البلاد النصرانية بدافع ديني، وبدافع الحصول على الغنائم، إضافة إلى الأساطيل المحلية كأسطول طرسوس الذي أصبح من قوات الحدود العباسية[4]، ولم يكف العرب عن مهاجمة جزر المتوسط، كما يحيط الغموض الرواية التي تقول إن المسلمين بعد أن هزموا الروم في عمورية عام 224هـ/838م، اتجهوا لبناء أسطول بحري لغزو القسطنطينية، والذي ظلوا عاكفين عليه سنين، حيث قاد أبو دينار أسطولاً إلى القسطنطينية، ولقي فشلاً ذريعاً، نتيجة عاصفة دمرت الأسطول جنوب أنطاكيا، وذلك في عهد الواثق العباسي[5]، وبعد هذه الحملة بدأ الميل من الجانبين الإسلامي والبيزنطي لإقامة علاقات سلمية عن طريق فداء الأسرى[6] .

وهكذا عني العباسيون بحماية حدودهم، والحفاظ عليها بإقامة الوسائل الدفاعية، وإسكانها بالمرابطين على نية الجهاد من المتطوعين[7]، إضافة إلى حملات الصوائف والشواتي، خاصة في عهد هارون الرشيد، والتي تذكر باستعدادات معاوية بن أبي سفيان، والوليد بن عبد الملك لفتح القسطنطينية مما يجعل الميل إلى أن فتح القسطنطينية في العصر العباسي كان أحد أهدافها، إلا أن ما حل بالخلافة العباسية من ضعف، وانحلال، ومصائب، وفتن، دفعت البيزنطيين للإغارة عليها[8]، وتعطيل هذا

---

(1) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 334/9؛ المسعودي، علي، **مروج الذهب** 343/2؛ عثمان فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 187/2، 213

(2) عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 402؛ سليمان، أحمد، **المسلمون والبيزنطيون** 39/1

(3) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 10/9،334؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 20/6؛ البلاذري، أحمد **فتوح البلدان** 161-164

(4) لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية في حوض المتوسط** 160؛ سليمان، أحمد، **المسلمون والبيزنطيون** 30/1

(5) ينظر: عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 184/2- 187، 217؛ فازيلف، **العرب والروم** 156، والغريب أن هذه الرواية لم تذكرها المصادر العربية، أما المصادر الأجنبية فقد ذكرتها بشي من التفصيل مثلما يقول فازيلف، **العرب والروم** 170

(6) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 338/9؛ الإصطخري، إبراهيم، **مسالك الممالك** 288؛ الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 45/5؛ فازيلف، **العرب والروم** 175،156، 177؛ وعن الفداءات التي تمت بين المسلمين الروم فيما بعد المعتصم ينظر: فازيلف، **العرب والروم** 196

(7) ينظر: عثمان، فتحي، **الحدود الإسلامية البيزنطية** 218/2

(8) للتعرف إلى مظاهر ضعف المسلمين في العصر العباسي، ومدى التوسع البيزنطي على حسابهم ، ينظر: فرج، وسام **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 254 – 264، 297 - 303

الهدف، ففي سنة224هـ/838م أغار البيزنطيون على سواحل مصر واستولوا على دمياط[1] وتنيس[2] وعاثوا فيهما، كما أغاروا على مدينة عين زربة، وأسروا الآلاف، وأرغموهم على اعتناق المسيحية[3] وكذلك أغاروا على شمال العراق حتى بلغوا آمد[4] وأسروا نحو عشرة آلاف من المسلمين، فثار المتوكل لينتقم من البيزنطيين، فاستولى على بعض المناطق جنوب آسيا الصغرى[5] كما حاصر الروم[6] قلمية[7]، وأغاروا على مرعش ونواحيها[8]، وأوقعوا بجند المسلمين في طرسوس وعاثوا فساداً بمرعش[9].

ورغم صمود المسلمين أمام هجمات البيزنطيين، إلا أن النصر في أغلب الأحيان كان من نصيب العدو، الذي عمل على تطوير نظامه العسكري[10]، وقد وقف البيزنطيون على مبلغ الضعف الذي حل بالدولة العباسية[11]، ولذلك نراهم يفرضون أداء الخراج على المسلمين المرابطين بالثغور، ويؤكد الإمبراطور البيزنطي على ضعف المسلمين عند فرضه هذا الخراج بقوله[12]: "إن فعلتم ذلك طائعين وإلا قصدتكم، فقد صح عندي ضعفكم".

ورغم ذلك فقد كانت الجيوش الإسلامية تنطلق نحو بلاد الروم المرة تلو الأخرى بقصد فتح القسطنطينية، وفي كل مرة كانت تقف الكثير من العوامل الخارجة عن إرادتها دون تحقيق الحلم، مع أن الخلفاء كانوا يخططون، ويدرسون، ويعالجون نقاط الضعف، ويعدون العدة اللازمة، غير أن الفتح كان سابقاً لأوانه، وشاء الله أن تفتح هذه المدينة على يد العثمانيين .

---

(1) **دمياط**: ثغر من ثغور الإسلام، وهي مدينة قديمة بين تنيس ومصر، على زاوية بين بحر الروم والنيل (الحموي ياقوت، **معجم البلدان** 472/2)

(2) **تنيس**: جزيرة في بحر مصر قريبة من البرّ بين الفرما ودمياط، والفرما في شرقيها (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 51/2)

(3) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 317/5

(4) **آمد**: أعظم مدن ديار بكر وأجلُّها قدراً، وأشهرها ذكراً، بلد قديم حصين ركين، مبنيّ بالحجارة السُود، مطلّة على دجلة (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 56/1)

(5) الطبري، محمد، **تاريخ الرسل والملوك** 321/5؛ كما قام المتوكل بالعديد من الإصلاحات في الخلافة العباسية، والتي تعد من أهم الإصلاحات في ذلك العصر، للتعرف إلى هذه الإصلاحات ونتائجها (ينظر:سيف الدين، عبد الحكيم، **عهد المتوكل العباسي بين الحقيقة التاريخية وظلم المؤرخين**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ع15، 2007م، 125 – 136)

(6) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 406/7

(7) **قلمية**: كورة واسعة من بلاد الروم قرب طرسوس (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 392/4)

(8) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 537/7

(9) نفسه 95/8 - 96

(10) وللتعرف إلى التطورات التي أدخلت على الجيش والأسطول البيزنطي في العصر العباسي الثاني ينظر: فرج، وسام **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 269 - 285

(11) فرج، وسام، **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 259؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 146

(12) ابن مسكويه، أحمد، **تجارب الأمم** 1/ 146

الفصل الرابع

القسطنطينية بين الحملات الإسلامية والحملة الصليبية الرابعة

كان الحديث في الصفحات السابقة حول الحملات الأموية، وتطلعات العباسيين لفتح القسطنطينية غير أن طبيعة البحث تقتضي دراسة هذه الحملات، ومقارنتها بغيرها من الحملات غير الإسلامية خاصة الحملة الصليبية الرابعة، والتي تغير مسارها لتتوجه نحو القسطنطينية، واستطاعت اقتحامها فما الدافع لذلك؟ وما الأسباب التي أدت إلى نجاحها؟ وما وجه الشبه بينها وبين حملات المسلمين؟ هذا ما ستحاول الإجابة عنه الصفحات التالية .

مظاهر العداء البيزنطي الصليبي (اللاتيني)

تميزت العلاقة بين الإمبراطورية البيزنطية والصليبيين بالتباغض والتناحر، وبدا ذلك بارزاً من خلال إقامة القسطنطينية نفسها عام 330م، على إثر انقسام الإمبراطورية الرومانية، حيث افتقد الجانبان إلى الاعتراف المتبادل، فظل البيزنطيون ينظرون إلى الغرب نظرة ازدراء وسخرية، ورأوا أنفسهم خلفاء الرومان، ولم تكن بيزنطة تعترف بإمبراطور آخر غير إمبراطورها .

هذا وقد لعب الخلاف العقدي بينهما دوراً بارزاً في نثر بذور الشقاق، ووصل هذا الاختلاف والاحتكاك إلى تعرض القسطنطينية لحملة صليبية عرفت بالحملة الصليبية الرابعة عام1202م[1] وقد ظهر هذا الخلاف بشكل واضح في القرن السادس الميلادي، عندما اتخذ بطريرك القسطنطينية لقب المسكوني (الصفة عالمية) والذي طالما ارتبط بكنيسة روما التي أسسها القديس بطرس، حيث اعترض البابا جريجوري الكبير(950 – 604م) على هذا الأمر، وهذا يعكس مدى الخلاف بين الكنيستين حول تزعم العالم المسيحي[2]، فقد عمل بابا روما بكل الوسائل للسيطرة على كنيسة القسطنطينية وإخضاعها لكرسيه، ولما فشل بالطرق السلمية، امتضى الحسام لشن حملة عليها بدعوى حماية الدين المسيحي، وتقديم العون للأرثوذكس ضد السلاجقة[3]، حاثاً الكاثوليك بقوله لهم:" قاتلوا

---

(1) نيكول، دونالد، **معجم التراجم البيزنطية** 7

(2) ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 208؛ زيتون، عادل، **العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى** 326؛ عوض، محمد، **الحروب الصليبية** 254؛ عبده، قاسم، **ماهية الحروب الصليبية** 94؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 113؛ محمد، عمر، **التوسع السلجوقي في آسيا الصغرى**، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الآداب والعلوم الإنسانية،مج 14، 2006م/1427هـ، 54 – 55؛ وللاستزادة حول الخلافات الدينية بين روما والقسطنطينية، (ينظر: توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 57 – 68)

(3) عبده، قاسم، **ماهية الحروب الصليبية** 45

بجرأة، لكي تنالوا من السماء مجداً يتجاوز كل توقعاتنا، وتسنح لكم الفرصة لاكتساب الغبطة الأبدية بعمل طفيف"[1].

كما مثل القرن الثامن الميلادي زيادة الفجوة بين الإمبراطورية البيزنطية والغرب اللاتيني على إثر الحرب التي شنها اليون الأيسوري (ليو الثالث) (99 – 121هـ/717 – 741م)، ومن بعده قسطنطين الخامس (124 – 159هـ /741 – 775م) من خلال تحطيم الأيقونات(محاربة الصور)[2]، والتي أثارت غضب بابا روما جريجوري الثاني (97- 113هـ/715 – 731م) الذي عدها تأثراً بالمسلمين واليهود وأصدر قرار الحرمان ضد جميع محاربي الصور[3]، زد على ذلك ما أقدم عليه البابا ليو الثالث (151 – 198هـ/795- 816م) من تتويج شارلمان إمبراطوراً عام 184هـ /800م في كنيسة القديس بطرس في روما، وبهذا التتويج انقطع الخيط الأخير في العلاقات بين الإمبراطوريتين، فقد كان هذا العمل "طعنة نجلاء صوبتها البابوية إلى الإمبراطورية البيزنطية[4] " .

كما قامت في روما موجة عدائية للإمبراطورية البيزنطية على إثر قضية فوشيوس[5] الذي تم لعنه ولعن كنيسة القسطنطينية التي ظهرت على أنها (مهرطقة ومارقة) [6]، وبهذا ازدادت الفرصة لحدوث منازعات بين الكنيستين، مما أدى لحدوث صراع طال أمده بينهما[7] .

وكان الانشقاق الأعظم عام 446هـ /1054م عندما ناشد البابا ليو التاسع (441 – 446هـ/1049 – 1054م) الإمبراطور البيزنطي قسطنطين التاسع مونوماخوس (441- 447هـ/1049 – 1055م) لمواجهة النورمان الذين أغاروا على ممتلكات البابوية، وتوسعوا في الإمبراطورية البيزنطية، فرفض

---

(1) زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 30 - 31

(2) عمران، محمود، **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 102؛ فرج، وسام، **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 172؛ عوض، محمد، **الحروب الصليبية** 254؛ محمد، عمر، **التوسع السلجوقي في آسيا الصغرى**، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، مج14، 2006م/1427هـ، 37؛ وللاستزادة حول محاربة الصور في الإمبراطورية البيزنطية، (ينظر: ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية** 113 -123؛ فرج، وسام، **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 171 – 190؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 123 – 138)

(3) عوض، محمد، **الحروب الصليبية** 255؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية** 114

(4) ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية** 129؛ زيتون، عادل، **العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى** 328؛ فرج، وسام، **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 214

(5) كتب الأسقف فوشيوس مقالاً هاجم فيه ما أسماه بانحراف قانون الإيمان عند اللاتين بسبب إضافة كلمة الروح القدس المنبثقة من الابن، واعتقد أن تلك الإضافة تؤدي إلى الخلط بين طبيعتي كل من الأب والابن (عوض، محمد، **الحروب الصليبية** 257)

(6) عبده، قاسم، **ماهية الحروب الصليبية** 95؛ زيتون، عادل، **العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى** 333

(7) نيكول، دونالد، **معجم التراجم البيزنطية** 8؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 113

الأخير ذلك على اعتبار أن ذلك سيفتح الباب على مصراعيه للتدخل في شؤون الإمبراطورية البيزنطية[1].

ولما ظهرت قوة السلاجقة المسلمين في آسيا الصغرى، قبضوا على زمام الأمور في الدولة العباسية الثانية، وبدأوا في التوسع على حساب البيزنطيين، والدفاع عن بلاد الشام، وكانت أكبر إنجازاتهم في هذا المجال هزيمة الإمبراطورية البيزنطية في معركة مانزكرت 473هـ /1071م وسيطرت على أنطاكيا[2]، التي أقامت بها القوات النورمانية إمارة لها على إثر الحملة الصليبية الأولى، دعا الإمبراطور الكسيوس كومنينوس (474 – 512هـ/ 1081 – 1118م) إلى عقد اتفاقية القسطنطينية التي طلب بموجبها تسليم أنطاكيا له،على اعتبار أنها جزء من إمبراطوريته، إلا أن النورمان رفضوا ذلك، وقد حاولت بيزنطة استعادتها بشتى الطرق، غير أن الفشل كان مآلها، وعلى إثر ذلك صار البيزنطيون ينظرون لأي حملة صليبية عبر أراضيهم نظرة عداء، وفي المقابل نظر الغرب اللاتيني إلى بيزنطة على أنها ساهمت في إخفاق الحملتين الصليبيتين الثانية والثالثة، من سلوكها المعادي (لجند المسيح)[3] .

وعلى إثر ذلك عملت بيزنطة على المحافظة على توازن القوى في بلاد الشام بين المسلمين والصليبيين، فلم تكن لتقبل زيادة قوة طرف على حساب الآخر، فمن مصلحتها الاستعانة بالغرب ضد المسلمين، مع المحافظة على عدم ازدياد قوتهم بما لا يهدد كيانها من خلال نصر ساحق على المسلمين، وعلى هذا فقد عقدت تحالفاً مع صلاح الدين الأيوبي في الحملة الصليبية الثالثة[4]، والتي أظهر قادتها العداء لها من خلال تفكير فريدرك بربروسا في غزو القسطنطينية ذاتها[5]، وفي سيطرة

---

(1) عوض، محمد، **الحروب الصليبية** 258

(2) ابن القلانسي، حمزة، **ذيل تاريخ دمشق** 99؛ ابن العبري، غريغوريوس، **تاريخ مختصر الدول** 110؛ ينظر: أوزتونا يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 67/1؛ زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 33؛ فرج، وسام، **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 326؛ الحويري، محمود، **تاريخ الدولة العثمانية** 23-24؛ محمد، عمر، **التوسع السلجوقي في آسيا الصغرى** ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، مـج14، 2006م/1427هـ، 51 ؛ توفيق، عمر **تاريخ الدولة البيزنطية** 174؛ بحري، فائقة، **أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا** 23، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – مكة 1989م

(3) باركر، ارنست، **الحروب الصليبية** 98؛ عبده، قاسم، **ماهية الحروب الصليبية** 132؛ عوض، محمد، **الحروب الصليبية** 260

(4) ابن شداد، بهاء الدين، **النوادر السلطانية** 132-133

(5) عمران، محمود، **تاريخ الحروب الصليبية** 214؛ باركر، ارنست، **الحروب الصليبية** 98؛ عوض، محمد **الحروب الصليبية** 228

ريتشارد قلب الأسد على قبرص[1] في مؤشر واضح بطمع الغرب في أملاكها، وقد بدأت تلك الأطماع في أطرافها البعيدة ثم اقتربت أكثر فأكثر حتى وصلت قلبها القسطنطينية.

وبالجملة فلا شك أن ميراث العداء والكراهية بين البيزنطيين واللاتين، والاختلافات العقدية والفجوة الحضارية، والضعف الذي دب في أوصال الإمبراطورية البيزنطية، والأطماع الاقتصادية[2] كان الممهد لتوجيه الحملة الصليبية الرابعة نحو عاصمة الإمبراطورية البيزنطية " القسطنطينية" بدل توجيهها نحو الشرق الإسلامي، وقد ساعد على ذلك وجود عوامل لدى الصليبيين، كالتفوق العسكري والعتاد الحربي، والأطماع السياسية، ولعل أقوى هذه العوامل هو الخلاف المذهبي الذي أثار العداء بين الصليبيين وبيزنطة، والصراع الديني، مما أدى إلى سقوط القسطنطينية في يد الصليبيين في حملتهم الرابعة عام 1202م .

إعداد الحملة الصليبية الرابعة

على إثر انتصار المسلمين في حطين 583هـ /1187م[3]، وطرد الصليبيين من بلاد الشام، دعا البابا أنوسنت الثالث (1198 – 1216م) إلى حرب صليبية جديدة[4]، وذلك لاسترداد بيت المقدس من أيدي المسلمين، وتوجيه ضربة إلى مصر واحتلالها[5]، تمهيداً لاحتلال القدس، ولكي يمهد لنجاح هذه الحملة أصدر مرسوماً يحرم فيه على التجار الأوروبيين التعامل مع المسلمين، وحرم عليهم تزويد المسلمين بكل المواد التي تعينهم على القتال[6].

---

(1) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 215 – 216؛ عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 630؛ عمران محمود، **تاريخ الحروب الصليبية** 214؛ مرقص، عاطف، **قبرص والحروب الصليبية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر** 97 رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة 1991م

(2) يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 262

(3) عن معركة حطين ينظر: ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 176/9 – 179؛ ابن شداد، بهاء الدين، **النوادر السلطانية** 60 – 73

(4) ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 249؛ عبده، قاسم، **ماهية الحروب الصليبية** 151؛ يوسف جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 263؛ وهبة، مصطفى، **موجز تاريخ الحروب الصليبية** 42؛ ويشير زابور، ميخائيل **الصليبيون في الشرق** 217 إلى أن بابا روما كان يهدف من وراء هذه الحملة للقسطنطينية بما بلغت فيه البابوية من الجبروت واستغلال ضعف أعدائه البيزنطيين، والتنبؤ بالأحداث لتوجيهها لصالحه، واستمالة كاردينالات أوروبا إلى جانبه .

(5) ينظر: كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 12؛ باركر، ارنست، **الحروب الصليبية** 96؛ زابور، ميخائيل **الصليبيون في الشرق** 220، 226؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 250؛ عمران، محمود، **تاريخ الحروب الصليبية** 215

(6) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 217؛ هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 207؛ غنيم، إسمت، **الحملة الصليبية الرابعة** 56

غيـر أن ذلك لم يكن إلا قناعاً كما يقول ميخائيل زابور[1]، فالهدف المعلن كـان يحمل فـي طياتـه أمراً أكبـر، ألا وهو توجيه ضربة للقسطنطينية وإسقاطها، والمتتبع لمجريات هذه الحملة، يميل إلـى أن مقـصدها كـان القـسطنطينية، ولـيس بـلاد المـسلمين، بـدليل أن البابـا أخـذ يمهـد لهـذه الحملـة بـإجراء مفاوضات مع الإمبراطور البيزنطـي الكسيوس الثالـث لتوحيد الكنيستين الـشرقية والغربيـة[2]، وإقامـة زعامـة رومانيـة تـشمل العـالم الإقطـاعي الغربـي والـشرقي[3] وبـدعوى حمايـة الـدين المـسيحي مـن (الأنجـاس)، كمـا أعطـى تعليماتـه بحث أهل الريف إلـى الانخـراط فـي الحملـة، فانـضم إليـه عـدد مـن بارونات إنجلتـرا، وفرنسا، وصقلية، وغيـرهم من أمراء أوروبا[4]، والذين دأبوا على تسوية حساباتهم مع الإمبراطورية البيزنطية[5].

وقد تولى قيادة هذه الحملة "ثيبوت" كونـت شـامبني[6]، كمـا تكفل دوق البندقيـة هنـري دانـدلو بنقل المقاتلين على سفنه مقابل خمسة وثمانين ألـف مـارك، وأن يمـضي معهـم نـصف أهل البندقيـة القـادرين على حمل السلاح، مقابل الحصول على نصف الغنـائم[7]، بعد ذلـك شـرع الـصليبيون فـي المجـيء إلـى البندقية لكي تنقلهم السفن إلى (المشرق)[8]، وقد اتفقوا على أن تـسير وجهـتهم نحـو مـصر[9]، وهـذا هـو الهدف المعلن أمام الناس، أما ما هو خفي فالأحداث التالية كفيلة بكشف النقاب عنه .

---

(1) **الصليبيون في الشرق** 30 – 31

(2) زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 219، 223، 233 فـي إشـارة إلـى المعاهدة التـي وقعت بين البندقيـة والملك العـادل الأيوبي في مصر .

(3) ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 249؛ غنيم، إسمت، **الحملة الصليبية الرابعة** 56، 31

(4) ينظـر: كـلاري، روبـرت، **فـتح القـسطنطينية علـى يـد الـصليبيين** 12، 34 – 37 بـاركر، ارنـست، **الحـروب الـصليبية** 96 زابـور، ميخائيـل، **الـصليبيون فـي الـشرق** 220، 226؛ ربيـع، حـسنين، **دراسـات فـي تـاريخ الإمبراطوريـة البيزنطيـة** 250 عمران، محمود، **تاريخ الحروب الصليبية** 215

(5) باركر، ارنست، **الحروب الصليبية** 95 ؛ فمثلاً هنري الثالث الذي اشترك في الحروب الصليبية كان قد أرسل إلـى إمبراطـور القسطنطينية يطلـب تعويـضاً لمـا حـدث لحملـة بربروسـا مـن الخـسائر، وإعداد أسـطول حربـي للمـشاركة فـي الحـروب الـصليبية (نفسه95)

(6) كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 12، 37؛ غنيم، إسمت، **الحملة الصليبية الرابعة** 59 - 60

(7) نفسه 13، 41؛ زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 228، 234؛ باركر، ارنست، **الحروب الصليبية** 98؛ ربيـع، حسنين **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 251؛ عمران، محمود، **تاريخ الحروب الصليبية** 215؛ غنيم، إسم، **الحملـة الـصليبية الرابعـة** 66؛ عبـده، قاسم، **ماهيـة الحـروب الـصليبية** 152؛ يوسـف، جوزيـف **تـاريخ الدولـة البيزنطيـة** 264؛ وهبـة، مـصطفى **موجز تاريخ الحروب الصليبية** 42؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 114-115

(8) عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 630

(9) غنيم، إسمت، **الحملة الصليبية الرابعة** 61

وقبل انطلاق الحملة توفي ثيبوت كونت شامبني، فاختير بونيفيس أوف منتفرات قائداً جديداً للحملة[1] تلا ذلك انطلاق الحملة، وقد استغل دوق البندقية هذه الحملة لتوجيهها ضد مدينة زارا[2] لتخليصها من يد ملك المجر، والتي استمرت الحروب من أجلها عشرات السنين[3]، فأبحر الأسطول من البندقية في نوفمبر 1202م ووصل زارا بعد يومين، وهاجمها بعنف، فاستسلمت بعد خمسة أيام واستباحها العساكر، وقرروا البقاء فيها حتى ينتهي فصل الشتاء الذي حل وهم بها، ويعد سقوط هذه المدينة فاتحة عهد جديد في تاريخ الحروب الصليبية التي اتجه فيها القتال للمسيحيين بدل المسلمين[4].

وخلال هذا الوقت اتفق زعماء الحملة على توجيهها إلى القسطنطينية[5]، فأطماع البنادقة كانت قائمة فيها كون الإمبراطور البيزنطي الكسيوس الثالث (592 – 600هـ /1195- 1203م) حرمهم من العديد من الامتيازات التجارية، في مقابل تقديم المزيد لتجار مدينة بيزا المنافسين لهم[6]، والثأر من إحراق الحي التجاري البندقي عام 578هـ /1181م [7]، وقد استغلوا في ذلك الصراع على العرش البيزنطي[8] بما قدمه دوق سوابيا حينما أرسل إلى قائد الحملة عرضاً من صهره الكسيوس الصغير

---

(1) كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 12، 37- 38؛ زابور، ميخائيل، **الصليبون في الشرق** 240 باركر، ارنست، **الحروب الصليبية** 100؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 250؛ عمران، محمود **تاريخ الحروب الصليبية** 215 -216؛ عوض، محمد، **الحروب الصليبية** 263

(2) **زارا**: مدينة على الساحل الشرقي للبحر الأدرياتيكي في دلماسيا (يوغسلافيا حالياً) (زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 249) وقد ادعى البنادقة أن المجر سلبوها منهم (باركر، ارنست، **الحروب الصليبية** 100 – 101)

(3) كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 14 – 15، 48؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 217 زابور ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 249؛ باركر، ارنست، **الحروب الصليبية** 98؛ هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 207 عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 630؛ عمران، محمود، **تاريخ الحروب الصليبية** 216؛ ربيع، حسنين **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 251؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 265؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 115

(4) زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 252؛ عمران، محمود، **تاريخ الحروب الصليبية** 216

(5) الطحاوي، حاتم، **بيزنطة والمدن الإيطالية** 7

(6) زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 230؛ ؛ باركر، ارنست، **الحروب الصليبية** 99؛ هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 208؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 250

(7) عن إحراق الحي البندقي في القسطنطينية ينظر: زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 229 – 230؛ الطحاوي، حاتم **بيزنطة والمدن الإيطالية** 106

(8) كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 15

يطلب منه أن تتوجه الحملة إلى القسطنطينية وتثبيته على عرش الإمبراطورية[1]، وفي مقابل ذلك يقوم الكسيوس بسداد ديون الحملة، ومدها بالمال والمؤن لفتح مصر[2]، وقد ساند البابا هذا الرأي بقصد ضم كنيسة القسطنطينية، وتوحيد العالم المسيحي تحت سلطانه[3]، بعد أن حضر الكسيوس الصغير في حضرته ووعده بذلك[4] .

وهكذا انحرفت هذه الحملة مرة أخرى إلى مدينة مسيحية جديدة، وقد وافق البابا أن تسير هذه الحملة إلى القسطنطينية على أن لا يهاجم البيزنطيين إلا إذا لم يوافقوا على إمداد الحملة بالمؤن والزاد وبمنحهم العفو عن هذا العمل[5] .

سير الحملة وسقوط القسطنطينية

غادر الأسطول البيزنطي - بسفن الشحن المحملة بالمئونة، والخيول، وأدوات القتال المختلفة[6]- مدينة زارا باتجاه كورفو[7]، ثم سارت حتى وصلت أيبروس[8]، بعد ذلك توجهت إلى خلقدونية للتزود بالمؤن، وبعد ثلاثة أيام سارت إلى البسفور لتضرب الحصار على القسطنطينية[9]، والتي وصلت إليها

---

(1) كان الكسيوس الثالث قد استولى على عرش بيزنطة بعد قيامه بثورة على أخيه إسحق الثاني، وزج به وبابنه الكسيوس الرابع في السجن، غير أن الكسيوس فر من السجن، واتجه إلى الصليبيين يطلب منهم إعادته إلى عرشه السليب (ينظر: كلاري، روبرت **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 15، 65؛ باركر، ارنست، **الحروب الصليبية** 100؛ هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 207 جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية**8-9؛ عمران، محمود، **تاريخ الحروب الصليبية** 216 – 217؛ عوض محمد، **الحروب الصليبية** 266؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 246؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 198 عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 115)

(2) كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 68؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 218؛ زابور ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 238

(3) عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 631؛ عمران، محمود، **تاريخ الحروب الصليبية** 217؛ غنيم، إسمت **الحملة الصليبية الرابعة** 77 – 80

(4) زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 244

(5) نفسه 236، 253

(6) عن التجهيزات العسكرية لهذه الحملة ينظر: زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 255

(7) **كورفو**: جزيرة في البحر الأيوني (الطحاوي، حاتم، **بيزنطة والمدن الإيطالية** هامش 1، 121)

(8) **أيبروس**: هي المنطقة اليونانية الكائنة في جنوب غرب مقدونيا، أو هي الجزء الغربي من اليونان الوقع تحت ألبانيا (المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 161)

(9) كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 77؛ غنيم، إسمت، **الحملة الصليبية الرابعة** 82؛ عبده، قاسم **ماهية الحروب الصليبية** 122؛ وهبة، مصطفى، **موجز تاريخ الحروب الصليبية** 42؛ وصور كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 78 -79 انبهار الصليبيين بمظهر القسطنطينية الذي سلب عقولهم، كما صور كيف انتاب سكانها الشك والريبة من هول ما رأوا، وكيف كان تسلحهم البسيط للرد على هذا الهجوم .

دون أن "تضرب ضربة واحدة[1]"، ولما وصلت أخبار الحملة إلى سكان القسطنطينية، قاموا بمهاجمة الأحياء التجارية الإيطالية وإحراقها، وسجن العديد من سكانها[2].

وكان الكسيوس الصغير قد رافق الحملة إلى القسطنطينية، وهناك أظهر الصليبيون الكسيوس الصغير - والذي اعتقد أن بيزنطة سوف تهب للترحيب به - إلا أن جميع أبواب القسطنطينية أغلقت في وجوههم، عندها لم يجد الصليبيون بداً من مهاجمة القسطنطينية، فقسموا جيوشهم إلى سبع فرق[3] وبعد قتال عنيف تمكنت الحملة من قطع السلسلة الحديدية القائمة على مدخل القرن الذهبي، وأبادت السفن البيزنطية (العفنة والمنخورة)، ودخلت أهم مركز استراتيجي يحمي القسطنطينية "القرن الذهبي"[4]، وفتح ثغرة بالأسوار، مما اضطر إمبراطور القسطنطينية الكسيوس الثالث للفرار إلى تراقيا[5]، ولم يستطع حماة القسطنطينية من الصمود أمام ضغط الفرسان اللاتين[6]، عندها قررت حاشية القصر إخراج الإمبراطور السابق إسحق من السجن، وإعادته إلى عرشه، وتم الاتفاق على تنصيب الكسيوس الصغير قسيماً لأبيه في حكم الإمبراطورية، وتسمى الكسيوس الرابع سنة1203م[7]. وبعد تولي الكسيوس الرابع عرش القسطنطينية، بدأ في تنفيذ وعوده السابقة، فأغدق الهدايا على الصليبيين، غير أنه لم يتمكن من دفع كل الديون، فاضطر إلى فرض ضرائب جديدة على الشعب فأثار بذلك غضب البيزنطيين، وحقد عليه رجال الكنيسة، وتحرك الشعب في الثورة، مما أدى إلى وقوع ثورة في القصر الإمبراطوري أودعته السجن، وتولى العرش مورتسوفلوس، وتسمى الكسيوس الخامس[8].

---

(1) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 219

(2) الطحاوي، حاتم، **بيزنطة والمدن الإيطالية** 125 - 126

(3) زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 265

(4) كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 80 – 81؛ زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 265

(5) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 220

(6) زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 265

(7) كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 91؛ زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 266؛ أومان، تشارلز **الإمبراطورية البيزنطية** 220؛ باركر، ارنست، **الحروب الصليبية**102؛ جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 8 عمران، محمود، **تاريخ الحروب الصليبية** 218؛ غنيم، إسمت، **الحملة الصليبية الرابعة** 90 – 93؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 266؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 20

(8) كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 101 - 102؛ زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 268؛ أومان تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 220 -221؛ جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 9؛ سيرهنك، إسماعيل **حقائق الأخبار عن دول البحار** 149/1؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 254؛ عوض، محمد **الحروب الصليبية** 266؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 199

وقف الكسيوس الخامس موقفاً مضاداً من الصليبيين، وأيد الاتجاه الشعبي الكاره لهم، وأمام ذلك التطور، اتجه الصليبيون إلى مهاجمة القسطنطينية في عام 602هـ/1204م، وقد حل بالمدينة القتل والسلب، والنهب، والتدمير[1]، كما تم قتل العديد من البيزنطيين، واغتصبت الراهبات في الأديرة واستمر ذلك مدة ثلاثة أيام[2]، فكانت هذه الحملة مزيجاً من المأساة والملهاة[3] وقد تمنى أحد البيزنطيين أن تسقط مدينته في أيدي المسلمين، لأنهم ما كانوا ليفعلوا بها ما فعله اللاتين[4]، وكان من جملة ما نهب وأحرق في القسطنطينية مسجد، حتى قضى الحريق على ما يقرب من نصف المدينة[5].

عندها اتفق الصليبيون وبعد مداولات عديدة على تعيين "بلدوين" كونت فلاندرز[6] إمبراطوراً لاتينياً وسط حفل مهيب في كنيسة آيا صوفيا[7]، وقسمت الأراضي البيزنطية بين الصليبيين[8]، وسلب زعماء الحملة العديد من التحف والنفائس التي بيعت في أسواق دمشق، والقاهرة، وحلب، والأسواق

---

(1) أومان، تشارلز،**الإمبراطورية البيزنطية** 222- 224؛ هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 209؛ عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 631؛ وهبه، مصطفى، **موجز تاريخ الحروب الصليبية** 42؛ توفيق عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 199 الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 54

(2) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 263/9 – 264؛ عبده، قاسم، **ماهية الحروب الصليبية** 122؛ ربيع، حسنين **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 255؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 267؛ الرشيدي، سالم **محمد الفاتح** 54

(3) عبده، قاسم، **ماهية الحروب الصليبية** 122

(4) ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية** 256؛ عوض، محمد، **الحروب الصليبية** 267؛ غنيم، إسمت، **الحملة الصليبية الرابعة** 100؛ وللتعرف إلى مدى العمليات الإرهابية، وعمليات السلب، والنهب بعد سقوط القسطنطينية في يد الصليبيين (ينظر: زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 273 – 278)

(5) زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 267

(6) **فلاندرز**: إحدى مقاطعات فرنسا القديمة (سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 150/1؛ جاويش، سليمان **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 9)

(7) كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 18، 136 - 137؛ زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 266 أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 226؛ باركر، ارنست، **الحروب الصليبية** 103؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 149/1؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية** 257 – 258؛ غنيم، إسمت، **الحملة الصليبية الرابعة** 102؛عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 116؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 20

(8) كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 18، 122- 123؛ هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 209؛ سيرهنك إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 149/1؛ عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 631؛ عمران، محمود **تاريخ الحروب الصليبية** 218؛ وللتعرف إلى هذه التقسيمات ينظر: زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 269 - 272؛ أومان تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 226؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 149/1؛ غنيم، إسمت، **الحملة الصليبية الرابعة** 105 – 107؛ وهبة، مصطفى، **موجز تاريخ الحروب الصليبية** 42؛ عوض، محمد، **الحروب الصليبية** 270 -271؛ يوسف جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 267 – 268؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 199

الأوروبية، فالجياد البرونزية التي كانت تزين ميدان السباق في العاصمة البيزنطية، نقلت إلى البندقية وهي التي تزين واجهة كاتدرائية القديس مارك في فينيسيا حتى يومنا هذا[1].

وهكذا أثبت الصليبيون أنهم أهل قتل، وتدمير، وسلب، ونهب، وها هي مدينة القسطنطينية تتعرض للمصير الذي تعرضت له مدينة بيت المقدس منذ ما يزيد على القرن من الزمان، غير أن الفارق الجوهري هو أن بيت المقدس كانت مدينة إسلامية، أما القسطنطينية فهي مدينة مسيحية، وعاصمة الإمبراطورية البيزنطية الأرثوذكسية، وبهذا فلم يفرق الصليبيون بين مدينة إسلامية أو مسيحية، وهذا يدل على أن الحركة الصليبية ليست ضد المسلمين فقط، بل ضد كل من يعادي البابوية، وكل من يرفض الخضوع لسلطان كنيسة روما، على نحو يؤكد أن الحملات الصليبية هي السياسة الخارجية للبابوية، ولا عجب أن يعد عام 602هـ/1204م عاماً فارقاً في تاريخ الحملات الصليبية[2].

نتائج الحملة

على أية حال سقطت المدينة في أيدي الصليبيين، ونتج عن سقوط مدينة القسطنطينية في أيدي الصليبيين ما هو آت:

أولاً: كان للحملة الصليبية الرابعة تأثير بالغ على مسار المشروع الصليبي بأكمله، ويكفي أنه نتج عنه سقوط القسطنطينية لأول مرة في تاريخها منذ أن شيدها قسطنطين، وبالتالي فقد أدت الحملة إلى تغيير خريطة التوزيعات السياسية لشرق أوروبا، وأزالت السيادة البيزنطية، وقسمتها إلى عدة مناطق وأعادت ترتيب المنطقة على أساس المصالح الاقتصادية، والسياسية الجديدة، بإقامة إمبراطورية لاتينية محلها[3]، كما جعلت الكثير من الصليبيين في بلاد الشام يقدمون إلى الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية بحثاً عن غنائم لهم، على نحو أضعف الكيان الصليبي في بلاد الشام[4].

ثانياً: شكل (ظاهرياً) سقوط القسطنطينية في يد الصليبيين موحداً لجهود البابا في السيطرة على الكنيستين الشرقية والغربية[5]، غير أن حقيقة الأمر كانت خلافاً لذلك، فقد ازدادت الهوة بين الكنيستين

---

(1) ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية** 257؛ عوض، محمد، **الحروب الصليبية** 268

(2) عوض، محمد، **الحروب الصليبية** 269

(3) زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 214 – 215؛ عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 630 عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 116

(4) عوض، محمد، **الحروب الصليبية** 273

(5) عبده، قاسم، **ماهية الحروب الصليبية** 122

مثلما ازدادت بين سكان الإمبراطوريتين، فسلوك الصليبيين وأعمالهم المروعة في القسطنطينية زاد من حدة العداء، وازدياد الفجوة بينهم[1] .

ثالثاً: دل سقوط القسطنطينية على زوال الروح الصليبية من خلال تغليب المصالح الاقتصادية والشخصية، والسياسية عند الصليبيين[2]، حيث ظهر العامل الاقتصادي ليمثل عنصراً مؤثراً في تلك المرحلة، حيث تستر زعماؤها بإخفاء وجهتها "إلى ما وراء البحر" والذي ثبت أنه بيزنطة وليس بلاد الشام[3]، ولا ريب في أن الدور البندقي الفعال، والتنافس مع الإمبراطورية البيزنطية، حسم لصالح البندقية[4]، والذين استغلوا الحماسة الدينية عند العامة بدفعهم لتحقيق حلمهم الاقتصادي الذي غلف بتحرير القبر المقدس[5]، أولئك الذين حصلوا من وراء ذلك على أرباح طائلة، ومغانم كبيرة[6]، وما تقديم الدعم لهذه الحملة منهم إلا لمشروع استثماري بحت، في وقت كانت الاعتبارات الدينية بخسة الثمن لدى تجار البنادقة[7]، وهكذا اتجه الغزو اللاتيني إلى ترويج النشاط الاقتصادي على حد تعبير هسي[8]، ولا شك أن أطماع الأمراء المادية، ورغبة تجار البندقية في الاستيلاء على كل الموانئ الشرقية، كانت السبب الأساسي لتحول خط سير هذه الحملة .

رابعاً: تحول اتجاه الحملة الصليبية الرابعة نحو القسطنطينية نتيجة الحقد والضغينة الذي كان يكنه الصليبيون لها، خاصة فيما اتخذته من إجراءات تقضي باعتبار الشرق كله ملكاً لها، ولا بد من استرداد ما فقد لها وحدها، إضافة إلى الضغينة التجارية التي كان يكنها البنادقة للقسطنطينية[9] والخلافات المذهبية بين الكنيستين الكاثوليكية الغربية، والأرثوذكسية الشرقية، في زعامة العالم المسيحي، ويتجلى ذلك في وقت ظهور اليكسوس الصغير عند حصار زارا، والذي يؤكد أن وجهتها كانت بخطة مرسومة إلى القسطنطينية[10] .

خامساً: أدى سقوط القسطنطينية إلى التمهيد لحدوث الانهيار النهائي لها على أيدي الأتراك العثمانيين عام 857هـ /1453م في عهد قسطنطين الحادي عشر (853 -857ه /1449م – 1453م)

---

(1) عاشور، سعيد، **أوروبا في العصور الوسطى** 633

(2) عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 115

(3) كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 19

(4) عوض، محمد، **الحروب الصليبية** 273؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 114

(5) كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 19

(6) عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 626

(7) زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 233

(8) **العالم البيزنطي** 211

(9) باركر، ارنست، **الحروب الصليبية** 98؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 246

(10) كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 20

بقيادة السلطان محمد الفاتح[1]، حيث شكلت المرحلة التالية لذلك السقوط مرحلة احتضار طويل الأمد لها[2] ولم تستطع أن ترفع رأسها من بعدها[3] .

سادساً: لم يكتب للإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية البقاء أكثر من نصف قرن، حيث شكلت النزاعات بين الإمارات التي تشكلت عقب سقوط القسطنطينية[4] العامل الأهم في سقوطها، حيث وجدت نفسها أمام منافسين خطرين من البلغار، والبيزنطيين، واللاتين[5]، وقد تمكن البيزنطيون من استعادة عاصمتهم في عام 660هـ /1261م على يدي ميخائيل الثامن باليولوغوس (1259 – 1282م) حيث استمرت المملكة اللاتينية هناك من602 - 660هـ/1204- 1261م غير أن الإمبراطورية البيزنطية الجديدة لم تكن تلك الإمبراطورية نفسها، والتي استمرت حتى الفتح العثماني للمدينة عام 1453م[6] .

مقارنة بين الحملة الصليبية الرابعة والحملات الإسلامية

والآن ما الذي أدى إلى سقوط القسطنطينية في أيدي الصليبيين بهذه السهولة؟ ألم تستعص على المسلمين منذ قرون؟! ولماذا لم يوجه المسلمون إليها في تلك الظروف حملة للاستيلاء عليها؟

لا شك أن الحملة أعد لها بما فيه الكفاية، غير أن بيزنطة سقطت من الداخل قبل سقوطها من الخارج، فالصراع على المنصب الإمبراطوري الذي سمح بالتدخل الأجنبي، مثل فرصة ذهبية أمام

---

(1) ينظر: لويس، برنالد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 15 -26؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 116 محمد، عمر، **التوسع السلجوقي في آسيا الصغرى**، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، مج14، 2006م/1427هـ ، 40

(2) عوض، محمد، **الحروب الصليبية** 274

(3) عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 631

(4) حيث ظهرت مملكتان يونانيتان هما: مملكة أبيروس في الشمال الغربي من بلاد اليونان، ويعتلي عرشها ثيودور انجلوس ومملكة نيقية (كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 121؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 116) في الشمال الغربي من آسيا الصغرى، وتخضع لثيودور لاسكاريس، وهذه الممالك تعكس حقيقة الاتجاهات الانفصالية التي كانت سائدة بين العائلات البيزنطية (هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 211؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 149/1) وعن هاتين المملكتين، ينظر: توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 201 - 203

(5) ينظر: زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 281؛ عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 633 – 634 عوض، محمد، **الحروب الصليبية** 274؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 247؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 116

(6) جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 7؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 147/1 151؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 289 – 290؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 247 هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 212 – 213؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية**209 – 212؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 21؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 55

الغرب الأوروبي الذي أحسن استغلالها، ثم إن الضعف العام لتلك الإمبراطورية شجع أعداءها على الانقضاض عليها بغير هوادة[1]، فقد ولى زمن الأباطرة (الكبار) مثل هرقل، و اليون، وقسطنطين الخامس، والذين واجهوا الحملات الإسلامية، فلم يكن في جعبة بيزنطة في عصر هوانها إلا أباطرة صغار يجرونها إلى مثواها الأخير، ودل ذلك على المسؤولية البيزنطية عن (الكارثة)[2]، ولذلك كان الإجهاز على بيزنطة يمثل تلك الصورة[3]، فلم تكن تأمل في صد هؤلاء الغزاة إلا من خلال تحصيناتها[4]، فقد انهارت قواها الاقتصادية، والإدارية، ودب الفساد في جهازها الحكومي[5]، كما أن هذه الحملة كانت بدافع إعادة الكسيوس الصغير إلى عرشه[6]، ولربما ساعد ذلك على تقبل سكان القسطنطينية لذلك الأمر، مما ساعد على نجاحها، صحيح أنهم في بادئ الأمر لم يستقبلوه، غير أنهم قاموا بإعادة أبيه إلى عرش القسطنطينية بعد أن أخرجوه من السجن، وهذا يؤكد تسهيلاتهم لهذه الحملة.

فضلاً عن ذلك فقد كانت الإمبراطورية البيزنطية تعاني من ترهل كبير، وتمر بفترة عصيبة من تاريخها، وقد نجم ذلك عن "سيل المغامرين" في الحملات الصليبية، وازدياد قوتهم ونفوذهم، في فترة انحلال بيزنطة المتمثل في المنازعات والمؤامرات الأسرية، وتدهور التجارة الناجم عن الامتيازات التي منحتها بيزنطة لتجار المدن الإيطالية[7]، خاصة وأن الفترة التي أعقبت باسيل الثاني 1025م خلفت أباطرة ضعافاً ونساءً، وكانت سلسلة من الهزائم المتتالية[8]، وكانت الظاهرة الأكثر بروزاً على الساحة البيزنطية هو الصراع على السلطة بين الأرستقراطية العسكرية، والأرستقراطية المدنية[9] وبدأ الطرفان الصراع على السلطة، حتى غدا ذلك طابعاً رئيسياً بين الفريقين[10]، ولهذا فقد تعاقب على عرش الإمبراطورية البيزنطية - في ظل الحملات الصليبية - ثلاثة عشر إمبراطوراً[11]، كان

---

(1) هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 208؛ عوض، محمد، **الحروب الصليبية** 272

(2) عوض، محمد، **الحروب الصليبية** 272؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 114

(3) نفسه 273

(4) زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 264

(5) عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 114

(6) غنيم، إسمت، **الحملة الصليبية الرابعة** 156

(7) كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 8

(8) عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 59

(9) ينظر: الطحاوي، حاتم، **بيزنطة والمدن الإيطالية** 63؛ وللاستزادة حول الضعف الذي دب في أوصال الإمبراطورية البيزنطية بعد باسيل الثاني ، ينظر: ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 162 – 165؛ فرج، وسام **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية** 327 – 328؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 59 - 60

(10) Vryonis, **Byzantium,The Social Basis of Decline in the 11th Century**.Vol. II.Pp.163 –165

(11) عوض، محمد، **الحروب الصليبية** 40

آخرهم إسحق الذي وصلت في زمنه بيزنطة إلى الحضيض، بانهيار نظامها الاقتصادي، والإداري[1] حيث مثل القرن الحادي عشر الميلادي أكثر مظاهر التآكل البطيء، والضعف الناجم عن ذلك الصراع[2] ولو أن هذه الحملة حدثت في عهد اليون الأيسوري (ليو الثالث) لما كان هناك شك في أنها ستصمد ولكنها حدثت في أيام شخصيتين (تافهتين) لا كفاءة لهما كما يقول أومان [3] .

كما أن هؤلاء الأباطرة المتأخرين لم يولوا الجيوش الاهتمام الكافي، بل توجه اهتمامهم إلى التغلب على الأزمات المالية التي حلت بإمبراطوريتهم، كما عملوا على ترك قيادة الجيوش وتوكيلها لبعض المرتزقة لدعم موقفها عسكرياً، حيث ركنوا إلى الترف والدعة[4]، فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار.

هذا وكان عدد القوات البيزنطية البرية قليلاً[5]، ولم يكن الأسطول أحسن حظاً، فلم يحظ بما حظي به من قبل، لخوف الأباطرة المتأخرين من القوة المفرطة له، ومن قياداته، يضاف إلى ذلك عدم تعرض الإمبراطورية لأخطار بحرية كبيرة من قبل المنافسين، مما جعل الإبقاء على الأسطول الكبير يبدو إسرافاً لا مبرر له[6]، وبهذا أصبح الأسطول لا يقوى على المواجهة لإحراز نصر بحري، فحين تعرضت الإمبراطورية لخطر النورمان في عهد الكسيوس كومنينوس (1081 – 1118م) لجأ إلى الاستعانة بأسطول البندقية لدفع هذا الخطر[7]، وقد استمر ذلك حتى تاريخ هذه الحملة، والتي كانت بأسطول البنادقة أنفسهم .

ومن مظاهر ضعف الأسطول البيزنطي أن قائد البحرية البيزنطية في تلك الفترة باع ذخيرته كلها وحينما وصلت أخبار الحملة إلى إمبراطور القسطنطينية أصدر الأوامر بإصلاح عشرين سفينة (عفنة نخرها الدود) على حد تعبير زابور[8]، مما جعل هذا الأسطول غير قادر على المواجهة، على عكس

---

(1) كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 11؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 114

(2) عبده، قاسم، **ماهية الحروب الصليبية** 56

(3) **الإمبراطورية البيزنطية** 213

(4) غنيم، إسمت، **الحملة الصليبية الرابعة ومسؤولية انحرافها ضد القسطنطينية** 28؛ عبده، قاسم، **ماهية الحروب الصليبية** 91 – 92؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 115؛ محمد، عمر، **التوسع السلجوقي في آسيا الصغرى** مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، مج14، 2006م/1427هـ، 39؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 50

(5) زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 264

(6) لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية في حوض المتوسط** 242 – 245؛ بينز، نورمان، **الإمبراطورية البيزنطية** 194 – 195 الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 51

(7) زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 264؛ الطحاوي، حاتم، **بيزنطة والمدن الإيطالية** 66؛ عبده، قاسم، **ماهية الحروب الصليبية** 92؛ غنيم، إسمت، **الحملة الصليبية الرابعة ومسؤولية انحرافها ضد القسطنطينية** 34

(8) **الصليبيون في الشرق** 264

ما كان عليه أيام الحملات الإسلامية، إذ تولى الدفاع عن القسطنطينية ثلاثة أساطيل بحرية، كما وجد إلى جانب هذه الأساطيل قوات بحرية في بعض الثغور، ولقي السلاح البحري البيزنطي العناية الفائقة من قبل الأباطرة .

وبهذا يمكن الوصول إلى نتيجة أن القوات العسكرية البيزنطية في ذلك الوقت: البرية والبحرية منها كانت غير مؤهلة للدفاع عن العاصمة، الأمر الذي سهل هذه المهمة أمام غزاتها الجدد، وكان الحاسم في سقوطها بأيديهم .

ومن الناحية الاقتصادية فقد كانت أوضاع بيزنطة متردية، فقد حل بالسكان الخراب جراء الضرائب المتصاعدة، وتعسف الجباة، حتى تناقصت ثرواتها[1]، هذا وقد كانت الصلات التجارية قد توثقت بين المدن الإيطالية والقسطنطينية، مما أدى إلى منافسة تجارية بين تلك المدن، وهذا بدوره أدى لظهور بذور الخلاف مع الإمبراطورية البيزنطية، والذي أودى في نهاية المطاف بالقسطنطينية لتسقط في يد البنادقة[2] الذين استخدموا كل الطرق، والوسائل، والأساليب، حتى الخيانة والغدر[3] للسيطرة عليها .

هذا ولا ننسى أن الصراع بين الكنيستين الغربية والشرقية شكل محفزاً لبابا روما للسيطرة على كنيسة القسطنطينية، والذي كان له الأثر الكبير في توجه الحملة نحوها[4]، إضافة إلى تراجع قوة الأباطرة المتأخرين الذين أهملوا إدارة الدولة، نظراً لعدم كفاءتهم[5]، ويكفي لبيان ذلك إجراء مقارنة بين أباطرة الأسرة الأيسورية وأباطرة أسرة أنجيليوس.

وهكذا كانت الإمبراطورية البيزنطية في تلك الفترة تعاني من انحلال في جهازها الإداري والعسكري، على أن أهم الأخطاء التي ارتكبها البيزنطيون - والتي أدت لتغيير مسار الحملة - هو الصراع الإمبراطوري على العرش - كما ذكر سابقاً -

وإذا ما قورنت الحملات الأموية - والتي فشلت في اقتحام القسطنطينية - بالحملة الصليبية الرابعة -التي استطاعت أن تقتحمها - يمكن رد ذلك إلى حسن تنظيم الجيوش الصليبية[6]، والتي رتبت ترتيباً

---

(1) زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 263 - 264

(2) ينظر: الطحاوي، حاتم، **بيزنطة والمدن الإيطالية** 67 – 88؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 253؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 114؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 50

(3) الطحاوي، حاتم، **بيزنطة والمدن الإيطالية** 121

(4) عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 626

(5) زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 264

(6) عن هذا الترتيب ينظر: كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 82 - 88

متتالياً[1]، وقسمت إلى سبع فرق[2]، حيث استطاعت إقامة الجسور، ونصبت الأوتاد على طول امتداد الجبال، كما كان للعتاد الكبير دور في نجاحها، فقد حملت السلالم والأبراج، والجلود المدبوغة لحماية الجسور من الاحتراق بالنار الإغريقية، والمنجنيقات الكبيرة، التي نصبت في موقع مكنها من ضرب القصر الإمبراطوري في القسطنطينية[3]، وبهذا فقد شكل حسن اختيار المواقع الحربية، والأدوات القتالية، دوراً فعالاً في دخولهم لها، فلم يستطع حماة القسطنطينية من الصمود أمام ضغط الصليبيين[4]،مما مكنهم من إحداث ثغرة بالأسوار[5] الأمر الذي سهل الاستيلاء عليها، وكل هذا لم يوفق المسلمون فيه من قبل .

كما أن وجود أكثر من قائد للحملة على اختلاف أطيافها القادمة من أوروبا أسهم في هذا النجاح بالرغم من أن ذلك يؤدي إلى سوء إدارة للحملة، إلا أنه كان في صالحها في كثير من الأحيان، حيث تولى كل قائد الهجوم على منطقة معينة[6]، وهذا كان في نهاية المطاف عاملاً مساعداً في نجاح مهمتها، أما في الحملات الإسلامية فقد كانت غالبية تلك الحملات تحت قيادة مركزية واحدة، الأمر الذي أدى إلى صعوبة إدارية في توجيه الجيوش الكبيرة، والقوات العديدة .

زد على ذلك فتحديد موعد للهجوم من البر والبحر في وقت واحد[7]، سرع في سقوط القسطنطينية حيث تولى الفرنسيون القتال البري، بينما تولى البنادقة القتال البحري- أولئك الذين تمرسوا على ركوبه- والذين استطاعوا تسلق أسوار المدينة بسلالمهم، وقصفها بمنجنيقاتهم، وأشعال النار فيها[8] بعد اقتحامهم للسلسلة الحديدية على مدخل القرن الذهبي، والذي مكنهم من مهاجمة المدينة عن قرب وقطع صلتها بعالمها الخارجي، وبهذا دخلت الحملة أهم مركز استراتيجي يحمي القسطنطينية[9] .

ومن ناحية أخرى كان للعمليات الإرهابية الصليبية دور في إدخال الفزع في قلوب سكان القسطنطينية، كعمليات الإحراق، وأشكال المقاتلين،الذين كان منظرهم من أقبح المناظر، وأبغضها إلى

---

(1) كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 86

(2) زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 265

(3) ينظر: كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 82

(4) زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 265

(5) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 220

(6) عن توزيع قادة الحملة في اقتحام القسطنطينية، ينظر: كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 84 - 88

(7) كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 82

(8) نفسه 84 – 85؛ زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 82

(9) زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 265

العين، حتى أن مشاة الإمبراطور الواقفين أمام الأسوار خافوا منهم، واستولى عليهم الفزع حين أبصروهم[1]، بالإضافة إلى عمليات القتل، والتنكيل[2]،والسلب، والنهب، والتدمير[3]، على خلاف ما كانت تمثله الحروب الأخلاقية التي خاضها المسلمون عبر تاريخهم الطويل .

كما أن اقتحام المدينة بشكل سريع ومفاجئ، أربك البيزنطيين، فلم يتمكنوا من تجميع قواهم فاختلطت القوات بعضها، وصارت المعركة وجهاً لوجه[4]، حتى أن رماة البيزنطيين كانوا يرمون من وسط القوات الصليبية، وكذلك القوات الصليبية[5]، وهذا ما لم يحدث في الحملات الإسلامية التي كانت تقاتل من أمام أسوار القسطنطينية، ويقاتل البيزنطيون من أعاليها .

ومما زاد الطين بلة، اختلال أوضاع الإمبراطورية البيزنطية الإدارية، والعسكرية، والمالية، فلم تكن الإمبراطورية قد تعافت من هجمات المسلمين (السلاجقة)، والذين اقتحموا أراضيها، واشتركوا في حروب ضدها[6] دون أن تقدر على وقف تيارهم[7]، مما حرمها من أهم مواردها من الجند والعتاد[8] واعتماد بيزنطة على المرتزقة من الجنود الأجانب، مما سبب لها الخراب والدمار[9]، كما أن أباطرتها أهملوا النواحي الإدارية، فإسحق كومنينوس وضع الحجر الأخير في بناء المساوئ الإدارية فيها[10] ولهذا لم يواجه سكان المدينة القوات الصليبية حينما طلب منهم إمبراطورها قبيل الحملة[11] وهذا ما لم يحدث في الحملات الإسلامية على القسطنطينية .

بالإضافة إلى عدم وجود أسطول بحري قوي يتصدى لتلك القوات الصليبية، فقد أورد أومان[12] أن إمبراطور القسطنطينية عند وصول الحملة إليها، لم يكن لديه أسطول يقاوم به تلك الجموع، أما في

---

(1) كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 84

(2) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية 220**

(3) وهبة، مصطفى، **موجز تاريخ الحروب الصليبية** 42؛ عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**631

(4) كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 89

(5) نفسه 88

(6) زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 29

(7) عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 423

(8) محمد، عمر، **التوسع السلجوقي في آسيا الصغرى** ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، مج14؛ 2006م/1427هـ، 53

(9) زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 30؛ سليمان، أحمد، **المسلمون والبيزنطيون** 225/1؛ العريني، الباز، **الدولة البيزنطية** 215؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 199؛ محمد، عمر، **التوسع السلجوقي في آسيا الصغرى** ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، مج14، 2006م/1427هـ، 40

(10) ينظر: أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 213 - 215

(11) زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 272

(12) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 219

مواجهة المسلمين فقد كانت الأساطيل على قدر كاف من التجهيزات، والمعدات، والقدرة الحربية، وقد أشار ميخائيل زابور[1] أن القوات الصليبية بعد أن اقتحمت القرن الذهبي أبادت السفن البيزنطية (العفنة والمنخورة)، وفي إشارة إلى مدى تردي تلك السفن، وعدم قدرتها على المواجهة .

ومما زاد الأمو تعقيداً، حدوث العديد من الثورات التي قامت ضد بيزنطة من داخل كيانها وخارجه[2]، نتيجة تعدد الأجناس مع العنصر اليوناني[3]، فكان هناك البلغار الذين استمروا في ثوراتهم ضد بيزنطة، كما ثار السلاف القاطنون على حدود نهر الدانوب في بلغاريا[4]، بالإضافة إلى هجمات السلاجقة المسلمين الذين توغلوا في الأراضي البيزنطية، وهزموا البيزنطيين في معركة مانزكرت 473هـ /1071م [5]، فغدت آسيا الصغرى مسرحاً لحروب لا تنقطع[6] وكان لانشغال البيزنطيين في مواجهة السلاجقة، والبلغار، الأثر الكبير في ضعف نفوذهم، وحرمانهم من أهم مواردهم من الجنود للجيش البيزنطي وهو جنود آسيا الصغرى الأشداء[7]، كما قامت ثورة في قبرص وأنشأت فيها إمبراطورية باسم إمبراطورية قبرص، والتي تعد ظاهرة جديدة على الإمبراطورية البيزنطية[8] . هذا وكان دافع هذه الحملة هو إعادة الكسيوس ابن الإمبراطور اسحق إلى عرشه بعد أن سجن الإمبراطور الكسيوس الثالث والده وأودعه السجن[9]، ولهذا كان هناك تسهيل لدخول الحملة الصليبية الرابعة للقسطنطينية، خاصة حينما انتقدت سيدات ونساء القسطنطينية، وجماهيرها، إمبراطورهم الذي

---

(1) زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 265

(2) زيادة، محمود، **دراسات في التاريخ الإسلامي** 596

(3) مما أدى إلى مشكلة اجتماعية بسبب اختلاف العادات، والتقاليد، واللغات، والتطلعات، فلم تكن هناك آمال مشتركة، ولا مصير مشترك، ويمكننا أن ندرك خطورة ذلك الوضع في الإمبراطورية البيزنطية إذا تصورنا عدد الأجناس التي ضمتهم بيزنطة في أوروبا من يونانيين، وسلاف، وألبان، و ولاش، ومثل هذا العدد من جنسيات أخرى في القسم الآسيوي من لاتين، ويهود وسريان،ممن يقيم في العاصمة والأناضول

(Vryonis, **Byzantium, The Social Basis of Decline in the Eleventh Century** .Vol .II .P 167)

(4) زابور، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 36

(5) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 20/10 – 21؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 147/1 زابورو، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 29؛ باربارو، نيقولو **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 13؛ الطحاوي، حاتم، **بيزنطة والمدن الإيطالية** 64؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 202؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 31

(6) زابورو، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 33

(7) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 13

(8) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 215 – 216؛ عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 630؛ مرقص عاطف، **قبرص والحروب الصليبية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر** 97، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس القاهرة 1991م؛ عمران، محمود، **تاريخ الحروب الصليبية** 214

(9) يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 248

لم يستطع المواجهة، هددوه بتسهيل وصول الكسيوس الصغير إلى العرش إن لم يواجه الصليبيين[1] وهذا ما حدث فعلاً، ولا ننسى أن الطرفين المتقاتلين في هذه الحملة كانا من دين واحد، وهم بذلك أقدر على معرفة مداخلهم للقسطنطينية باسم الدين، وإعادة الإمبراطور إلى ملكه، في حين كان هدف الحملات الإسلامية هو فتح المدينة، ونشر الإسلام بها، مما دفع سكانها إلى الاستبسال في الدفاع عنها على أنها مسألة حياة أو موت .

هذا ومثلت مساعدة بعض الارستقراطيين البيزنطيين في القسطنطينية تسهيلاً لمهمة الحملة، خاصة وأنه كانت تربطهم علاقات تجارية مع المدن الإيطالية، فحاولوا بذلك الحفاظ على مصالحهم[2].

كما كان لطريق الحملة الصليبية الرابعة أثر في تحديد مناطق الهجوم على القسطنطينية، خلافاً للحملات الإسلامية التي قدمت من طريق واحد عرفة البيزنطيون معرفة تامة، ووضعوا فيه العوائق والحواجز التي تحول دون الوصول إليها .

ولكن رغم ذلك الضعف الذي اعترى بيزنطة، فلماذا لم يوجه المسلمون حملة لها في تلك الفترة والتي تمثل تربة خصبة لإسقاطها والسيطرة عليها وفتحها؟ وللإجابة عن هذا السؤال لا بد من بحث أحوال العالم الإسلامي في ذلك الزمن، ليتسنى فهم ظروف البلاد الإسلامية في تلك الحقبة .

أحوال العالم الإسلامي في ظل الحروب الصليبية

بنظرة موجزة لأحوال العالم الإسلامي في ذلك العصر، يُرى أن أوضاعه لم تكن أوفر حظاً من بيزنطة، بل هي في تراجع في النواحي كافة؛ فمن الناحية الدينية، ساد الجهل والبعد عن أحكام الدين وانتشار البدع والخرافات[3]، والفرق التي كونت إمارات ودولاً مستقلة، يقول ابن جبير[4] عن أهل المشرق: "وما سوى ذلك مما بهذه الجهات الشرقية: فأهواء وبدع، وفرق ضالة وشيع، إلا من عصمه الله (ﷻ) من أهلها" فكان من بينها فرقة الإسماعيلية التي أقامت لها دولة في قلعة الموت[5] جنوب بحر قزوين[6]، والدروز[7] في حوران[8] وأفامية[9]، وغيرها من المناطق، وقد كان لمثل هذه الفرق الدور

---

(1) ينظر: كلاري، روبرت، **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين** 90 - 91

(2) زابورو، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق** 272

(3) حول هذه الخرافات والشعوذات، ينظر: ابن الفوطي، عبد الرزاق، **الحوادث الجامعة** 112 - 138

(4) **الرحلة** 55

(5) **قلعة الموت**: قلعة في أذربيجان، مبنية على شعب ضيقة على قمة في جبال البرز، لها مدخل بممر حلزوني ضيق (القزويني زكريا، **آثار البلاد وأخبار العباد** 301)

(6) عوض، محمد، **الحروب الصليبية** 48؛ الشهري، عبد الله، **دور العلماء المسلين في حركة الجهاد الإسلامي ضد المغول** 30 رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1416هـ

(7) عن الدروز ينظر: ابن تغري بردي، جمال الدين، **النجوم الزاهرة** 184/4

(8) ابن شاهين، غرس الدين خليل، **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك** 46- 47

(9) ابن العديم، عمر، **بغية الطلب في تاريخ حلب** 128

البارز في إضعاف بلاد المسلمين أمام أعدائهم من خلال عدائهم للمسلمين السنة[1] وتشتيت الجهود وزعزعة العقيدة، وتفريق شمل الأمة[2] .

أما من الناحية السياسية فكان هناك خلافتان: عباسية سنية في بغداد[3]، وفاطمية شيعية في مصر وكانت بينهما حروب استعان الفاطميون فيها بالصليبيين على العباسيين[4]، فعانى العالم الإسلامي من التشرذم والضعف السياسي[5]، كما ظهر التشيع والاعتزال[6] الذي أوقع العديد من الفتن بين السنة والرافضة[7]، ولم يتخذ الخلفاء التدابير اللازمة لمواجهة الأخطار المحدقة بالعالم الإسلامي، بل نجد ازدياد انغماسهم باللهو والترف[8]، وركونهم في تسيير أمور البلاد إلى وزراء من الروافض[9] والذين كان لهم أسوأ الأثر في توجيه سياسة الخلافة العباسية، واستتار الخليفة من الظهور للناس[10] .

أما من الناحية العسكرية، فإن أوضاع الخلافتين العباسية والفاطمية وما رافقهما من تدهور سياسي انعكس على القوات العسكرية، خاصة البحرية منها، إذ تراجعت تلك القوة لضعف الدولة، ونسيان فوائده على حد تعبير إسماعيل سيرهنك[11] .

أما من الناحية الاقتصادية فقد عم الغلاء، واحتكار الأقوات، وترف الأغنياء، وشيوع الفقر، وكثرة الضرائب[12] حتى "بيعت البيضة بدينار" [13]، يقول المؤرخ أبو شامة[14] عن أحوال الناس في ذلك

---

(1) عوض، محمد، **الحروب الصليبية** 51

(2) الشهري، عبد الله، **دور العلماء المسلين في حركة الجهاد الإسلامي ضد المغول** 33، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1416هـ

(3) وقد كانت هذه الخلافة واقعة تحت النفوذ البويهي، ثم السلجوقي من بعده، حيث كان الخليفة مجرداً من سلطانه، ولا يملك من أمر الخلافة شيئاً، وللاستزادة حول أوضاع الخلافة العباسية في ذلك الوقت، ينظر: الشهري، عبد الله، **دور العلماء المسلين في حركة الجهاد الإسلامي ضد المغول** 25، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1416هـ

(4) يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 218

(5) عبده، قاسم، **ماهية الحروب الصليبية** 56

(6) وللاستزادة حول التشيع والاعتزال في ذلك الوقت، ينظر: الشهري، عبد الله، **دور العلماء المسلين في حركة الجهاد الإسلامي ضد المغول** 30، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1416هـ

(7) الذهبي، شمس الدين محمد، **دول الإسلام** 92/2

(8) ابن الفوطي، عبد الرزاق، **الحوادث الجامعة** 127

(9) أمثال مؤيد الدين بن القمي، وابن الناقد، وابن العلقمي (ينظر: ابن الطقطقى، محمد، **الفخري في الآداب السلطانية** 326- 339)

(10) ابن الفوطي، عبد الرزاق، **الحوادث الجامعة** 127

(11) **حقائق الأخبار عن دول البحار** 17/1

(12) ابن القلانسي، حمزة، **ذيل تاريخ دمشق** 108 - 109

(13) ابن تغري بردي، جمال الدين، **النجوم الزاهرة** 213/5

(14) **كتاب الروضتين** 7

الزمان:" كانوا كالجاهلية، هَمُّ أحدهم بطنه وفرجه، ولا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً"، وأوضح سبط ابن الجوزي[1] أن الناس تعاموا عن الحق، وتمادوا في الباطل، فأضاعوا الصلوات، واقترفوا العديد من المحظورات والمحرمات .

وبعد هذا الاستعراض لحال المسلمين[2]؛ هل سيكون بإمكانهم توجيه ضربة للقسطنطينية؟ أو حتى منع الصليبيين من توجيه حملاتهم نحو البلاد الإسلامية؟ بالتأكيد ستكون الإجابة لا، فقد كانت تلك الحقبة فترة مظلمة في تاريخ العالم الإسلامي، تشابه إلى حد كبير واقع الأمة الإسلامية الحالي، ففي الوقت الذي تقدمت فيه جحافل المغول من الشرق، وقضت على الخلافة العباسية في بغداد، كانت بقايا الجيوش الصليبية لا تزال تحتل أجزاءً من شواطئ فلسطين، والذين كانوا السبب في تعطل قوى الإبداع والنمو في الحضارة الإسلامية[3]، مثلما الوقت الحاضر من تداعي يهود ومن لف لفيفهم على الأمة الإسلامية التي راق لحكامها الترف وإهمال أمورها السياسية، والتعليمية، والاقتصادية والعسكرية، فوجد يهود من ذلك مدخلاً لحشو أنوفهم في كل أمر من أمور بلادنا .

ومما زاد الحالة سوءاً، أن الدولة الأيوبية التي تولت حماية العالم الإسلامي من هجمات الصليبيين أخذت تضعف بعد وفاة صلاح الدين، وقد ترتب على هذا أن أخذت مناطق المسلمين تتقلص بين ضربات المغول من الشرق، وحملات الصليبيين من الغرب، وراح بعض الناس يعتقد أن الإسلام لن تقوم له قائمة، كما عانى الغرب الإسلامي من الضعف بسبب تفككه إلى دويلات عرفت بملوك الطوائف في الأندلس، وعليه فإن أحوال العالم الإسلامي في ذلك الوقت كانت لا تساعد على إقامة جبهة إسلامية لمواجهة الصليبيين[4]، ولا التوسع على حساب الإمبراطورية البيزنطية .

وبهذا لم تكن هناك قوة إسلامية قادرة على مواجهة الروم، إلا قوة السلاجقة التي شكل ظهورها فاتحة جديدة في تاريخ العلاقات بين المسلمين والمسيحيين، في وقت تفكك فيه العالم الإسلامي واشتدت الخلافات المذهبية بين دويلاته التي انقسم إليها، حيث واجهت هذه القوات الإمبراطور البيزنطي رومانوس ديوجينوس حينما توغل في الأراضي الإسلامية، فدارت معركة مانزكرت

---

(1) **مرآة الزمان** 479/8

(2) للاستزادة حول أوضاع المسلمين في تلك الفترة، وما ألم بالبلاد من التفكك والضعف، ينظر: الشهري، عبد الله، **دور العلماء المسلين في حركة الجهاد الإسلامي ضد المغول** 13، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1416هـ

(3) عبده، قاسم، **ماهية الحروب الصليبية** 12، 98

(4) يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 218

473هـ /1071م[1]، والتي كتب النصر فيها لألب أرسلان، حيث أقام فيها دولة سلاجقة الروم، وقد أثار هذا الانتصار مخيلة الأتراك السلاجقة نحو تحقيق إنجازات عسكرية كبرى، ومن ثم مهاجمة القسطنطينية [2]، ورفع راية الإسلام في ربوع أراضي الدولة البيزنطية، غير أن الأحداث التالية عطلت هذا المشروع، وقد حفظ لنا التاريخ أسماء ثلاثة من أعظم ملوك السلاجقة وهم: طغرل بك (455هـ/1063م)، وألب أرسلان (455- 465هـ/1063- 1072م)، وملكشاه (465- 485هـ/1072 – 1092م) [3] الذي استولى على دمشق[4]، ولكن وفاته كانت إيذاناً بتفكك إمبراطورية السلاجقة[5] ولعل أبرز مظهر لانحلال دولة السلاجقة هو ظهور ما اصطلح على تسميتهم بالأتابكيات[6]، وظهور

---

(1) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 66/10؛ ابن كثير، **البداية والنهاية** 108/12؛ ابن العديم، عمر بن أحمد، **زبدة الحلب** 33/2؛ ابن القلانسي، حمزة، **ذيل تاريخ دمشق** 99؛ ابن العبري، غريغوريوس، **تاريخ مختصر الدول** 185؛ باربارو نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 13؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 188؛ أومان تشارلز،**الإمبراطورية البيزنطية** 195؛ رانسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية** 98؛ عبده، قاسم، **ماهية الحروب الصليبية**91 عوض، محمد، **الحروب الصليبية** 38؛ وعن معركة مانزكرت ينظر: ابن القلانسي، حمزة، **ذيل تاريخ دمشق** 99 ابن العديم، عمر، **زبدة الحلب** 33/2؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 66/10 – 67

(2) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 13

(3) عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 419؛ الشهري، عبد الله، **دور العلماء المسلين في حركة الجهاد الإسلامي ضد المغول** 15، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى 1416هـ؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 63

(4) جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 18؛ عوض، محمد، **الحروب الصليبية** 43

(5) ابن القلانسي، حمزة، **ذيل تاريخ دمشق** 118؛ عوض، محمد، **الحروب الصليبية** 43؛ محمد، عمر، **التوسع السلجوقي في آسيا الصغرى** ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، مج14، 2006م/1427هـ، 56؛ الشهري، عبد الله **دور العلماء المسلين في حركة الجهاد الإسلامي ضد المغول** 15، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1416هـ ؛ وقد عاشت دولة السلاجقة حوالي خمسين عاماً، وكان يسوسها الوزير نظام الملك السلجوقي، والذي كان عهده من أزهى عصور التاريخ السلجوقي وأكثرها ازدهاراً، وكان السلاجقة سنيين حيث عملوا على نصرة الخليفة العباسي ضد الفاطميين الشيعة في مصر و الشام (ينظر: عاشور، سعيد، **أوروبا العصور الوسطى** 419- 420، وعن انحلال وتفكك دولة السلاجقة ينظر: الشهري، عبد الله، **دور العلماء المسلين في حركة الجهاد الإسلامي ضد المغول** 15، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – مكة المكرمة 1416هـ)

(6) **الأتابكيات**: هي اسم يطلق على الأمراء من السلالة السلجوقية، حيث أصبح الواحد منهم صاحب دولة مستقلة، ومن هذه الأتابكيات: أتابكية لورستان الكبرى، والصغرى، وأتابكية شوانكاره، وفارس، وأذربيجان، ويزد، وبنو سكمان، وأربيل، وبنو زنكي(ينظر: أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 53/1؛ الشهري، عبد الله، **دور العلماء المسلين في حركة الجهاد الإسلامي ضد المغول** 16، رسالة ماجستير جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1416هـ؛ عن الانقسامات التي ظهرت في الدولة الإسلامية والإمارات التي قامت ينظر: عوض، محمد، **الحروب الصليبية** 43 – 47

بعض الإمارات الإسلامية، كإمارة بني عمار في طرابلس[1]، والدولة الخوارزمية[2]، الأمر الذي زاد من ضعف العالم الإسلامي في ذلك الوقت، وبذلك خلا الشرق الإسلامي من وجود دولة موحدة، كما دخلت هذه الإمارات في تطاحن مع بعضها .

وقد أدى فساد الحياة السياسية في أواخر عصر السلاجقة إلى فساد في عقائد الناس وأخلاقهم، الأمر الذي زاد من ضعف البلاد، فضعفت عزائم الناس، وانتشر التواكل، واشتد التعصب وضيق النظر[3] مما صرف الزعماء عن متابعة الجهاد، فقد قال ابن الأثير[4]:" فما نرى من ملوك الإسلام من له رغبة في الجهاد، ولا نصرة الدين، بل كل منهم مقبل على لهوه، ولعبه، وظلم رعيته"، وقد عقب على ذلك بأنه أشد خطراً من العدو على المسلمين.

يتضح مما سبق أن الخلافتين العباسية والفاطمية، وما رافقهما من إمارات إسلامية، لم تكن في وضع يسمح لها بمواجهة أي عدو، فقد شغلتها مشكلاتها الداخلية عن مقاومة أعدائها، وتوجيه الحملات إلى بلاد الروم، ولا أدل على ذلك من قيام الحملات الصليبية التي وجدت طريقها نحو المسلمين من الغرب، والغزو المغولي القادم من الشرق، مستغلين ضعف المسلمين وتردي أحوالهم .

وبالرغم من تلك الصورة التي كان عليها العالم الإسلامي، إلا أن الله هيأ له من يتولى مواجهة أعدائه، وقد تمثل ذلك في العثمانيين الذين تمكنوا من إسقاط القسطنطينية، والذين هم محور البحث في الفصل التالي .

---

(1) عن إمارة بني عمار ينظر: ابن القلانسي، حمزة، **ذيل تاريخ دمشق** 146؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 250/7 ابن شداد، عز الدين محمد، **الأعلاق الخطيرة** 107 - 112

(2) عن إمارة الدولة الخوارزمية ينظر:ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 267/10؛ 11، 67؛ الشهري، عبد الله **دور العلماء المسلين في حركة الجهاد الإسلامي ضد المغول** 18، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1416هـ

(3) الشهري، عبد الله، **دور العلماء المسلين في حركة الجهاد الإسلامي ضد المغول** 16، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى مكة المكرمة 1416هـ

(4) **الكامل في التاريخ** 497/12

الفصل الخامس

محاولات فتح القسطنطينية في العصر العثماني

تمهيد : نسب العثمانيين واستراتيجيتهم لفتح القسطنطينية

- نسب العثمانيين

أثـــار نـــسب العثمـــانيين خلافـــاً بـــين المـــؤرخين[1] لكـــن الـــرأي الغالـــب يقـــول إنهـــم ينتـــسبون إلـــى قبائـــل الغـــز التركمانيـــة، التـــي اســـتوطنت منطقـــة مـــا وراء النهـــر[2] وأقـــدم زعـــيم معـــروف لهـــذه العـــشيرة هـــو ســـليمان شـــاه[3]، وقـــد خرجـــت هـــذه القبيلة هاربة من وجه المغول تحت زعامته للبحث عن موطن العشب والمأوى[4]، فاستقروا أخـــيراً

---

(1) فذهب فريق للقول بأنهم جماعة من سلالة عيسى بن إسحق، وذهب آخرون للقول إنهم من طائفة بني قطورة، أتت من الحجاز بسبب القحط ونزلت بلاد القرمان، وأقام كل فريق منهم الحجج والدلائل على صحة قولة (آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 29)، وذهب فريق آخر للقول إنهم من ولد يافث بن نوح (عليه السلام) (ابن إياس، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور** 28/1؛ سرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبارعن دول البحار** 482/1-483؛ جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 42؛ كوبرلي، محمد فؤاد، **قيام الدولة العثمانية** 119؛ بحري، فائقة، **أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا** 7، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – مكة 1989م) وهناك من قال إن أصلهم من قبيلة قابي خان (زيادة، محمود **دراسات في التاريخ الإسلامي** 513-514)

(2) ينظر: ابن فضلان، أحمد، **رسالة بن فضلان** 91؛ التونجي، محمد، **بلاد الشام إبان العهد العثماني** 19

(3) جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 23؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 29؛ باربارو نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 15؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 17/1؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 16 جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 61؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 482/1-483؛ ياغي إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 11؛ الحويري، محمود، **تاريخ الدولة العثمانية** 35؛ كوبرلي، محمد فؤاد، **قيام الدولة العثمانية** 121؛ مصطفى، أحمد، **في أصول التاريخ العثمانية** 17-18؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 21 التونجي محمد، **بلاد الشام إبان العهد العثماني** 19

(4) تحركت هذه القبائل في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي في الانتقال من موطنها الأصلي نحو آسيا الصغرى في هجرات ضخمة، حيث تباينت الأسباب التي ساهمت في هجرتهم؛ فهناك من قال إن ذلك بسبب عوامل اقتصادية ، فالجدب الشديد وكثرة النسل، جعلت هذه القبائل تضيق ذرعاً بمواطنها الأصلية، فهاجرت بحثاً عن الكلأ، والمراعي، والعيش الرغيد، والبعض الآخر يعزو تلك الهجرات لأسباب سياسية، حيث تعرضت تلك القبائل لضغوط كبيرة من قبائل أخرى أكثر منها عدداً، وعدة وقوة، وهي المغولية، فأجبرتها على الرحيل، لتبحث عن موطن آخر وتترك أراضيها (المقريزي، أحمد، **كتاب السلوك**3/1)

بجهات أذربيجان[1]، غربي بحر قزوين، حيث مكثوا بضع سنين، وقد وعرفوا بالترك أو الأتراك[2].

ولما خرج سليمان بقومه للعودة إلى موطنهم الأصلي بعد هدوء العاصفة المغولية، غرق في نهر الفرات، فاختلف أبناؤه من بعده، وتفرقوا في البلاد بعد أن انقسموا إلى طائفتين: فذهبت الأولى إلى خراسان، والأخرى سارت تحت قيادة أحد أبناء سليمان (أرطغرل) إلى الأناضول، حتى انتهى بهم الأمر إلى آسيا الصغرى[3]، وقد منح علاء الدين السلجوقي أرطغرل إقليم أسكي شهر[4]، لمساعدته ضد الروم والمغول، وذلك بقصد رد غارات الروم ضد سلطنته[5]، وبهذا أقيم حجر الأساس للدولة

---

(1) ينظر:ابن الأثير، عز الدين إسماعيل، **الكامل في التاريخ** 22/8؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 16

(2) وقد أطلق المسلمون لقب الترك على أقوام كثيرة، احتك بهم المسلمون سلماً أو حرباً، وبعضهم لا ينتمي للأصل التركي، فكان بعض من العرب المسلمين يعتقد أن كل شعب قدم من شرق آسيا أو وسطها فهو تركي، ويبدو أن لعامل التشابه في اللغة والعادات أثراً في هذا الاعتقاد، فالأصل التركي لا يقتصر على السلاجقة والعثمانيين، ولكنه لا يشمل كل أقوام شرق آسيا ووسطها (كوبريلي محمد فؤاد، **قيام الدولة العثمانية** 120) ومن الأمثلة على ذلك قول إسماعيل بن أبي اليسر في رثاء بغداد:

وكم حريم سبته الترك غاضبة وكان من دون ذاك الستر أستار

ويقصد بالترك هنا المغول، بعد استباحتهم بغداد أثر سقوطها على أيديهم، (جرار، مأمون، **الغزو المغولي أحداث وأشعار**39) كما أطلق اسم الترك على شعوب غير تركية تسكن شرق آسيا، وأطلق بعض المؤرخين اسم التتر على الترك غير العثمانيين وللاستزادة حول الترك ينظر: الحويري، محمود، **تاريخ الدولة العثمانية** 11-17

(3) أوزتونا، يلماز، **قيام الدولة العثمانية** 83/1؛ سرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبارعن دول البحار** 413/1؛ آرنولد، توماس **الدعوة إلى الإسلام** 170؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 15؛ عاشور، سعيد **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 638؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 115؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 17/1 الرشيدي سالم، **محمد الفاتح** 17؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 21؛ التونجي، محمد، **بلاد الشام إبان العهد العثماني** 19-20؛ دهيش، عبد اللطيف، **قيام الدولة العثمانية** 12

(4) **أسكي شهر**: منطقة بغرب الأناضول، وعاصمتها باسمها، وتعد الآن من المراكز التجارية في تركيا (**الموسوعة العربية الميسرة** 153)

(5) ينظر: كوبريلي، محمد فؤاد، **قيام الدولة العثمانية** 116-117؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 87/1؛ آصف يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 29؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 10؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 17؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 19؛ الشناوي، عبد العزيز، **الدولة العثمانية دولة مفترى عليها** 33-34 جونز، ج،ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 61؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 115؛ العمري، عبد العزيز **الفتوح الإسلامية عبر العصور** 253؛ الحويري، محمود، **تاريخ الدولة العثمانية** 36؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 21؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 246؛ بحري، فائقة، **أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا** 9 ، 42، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – مكة 1989م؛ حمودة، سمية، **حركة الفتح العثماني في القرن 11هـ**، 16 رسالة ماجستير، جامعة أم القرى مكة 1427هـ/2006م

العثمانيــة[1]، ومنــذ ذلــك الحــين اتجهــت أطمــاع الدولــة الجديــدة إلــى اتخــاذ هــذا الموقــع للغــزو والفتح، والتوسع في أملاك الإمبراطورية البيزنطية[2] الـتي كانت تعاني من الضعف الشديد[3] .

كانت هذه بداية لاستقرار هذه الجماعة، وتكوين إمارة حدودية صغيرة، قدر لها – فيما بعد – أن تصبح دولة قوية ذات شأن عظيم تؤدي دوراً مهماً في إنقاذ الحضارة الإسلامية من الاندثار، بل ستكون لها ريادة العالم الإسلامي .

وسلك عثمان[4] مسلكَ أبيه في التوسع والفتوح، واستغل ضعف دولة السلاجقة، وإغارات المغول التي أجهزت عليها، فأعلن استقلاله مقتدياً بغيره من أمراء المناطق السلجوقية[5]، وبذلك عُدَّ المؤسس الأول للدولة العثمانية التي نسبت إليه[6]، كما وجد مسرح الأحداث مهيأ لمواصلة التوسع على حساب

---

(1) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 87/1

(2) كوبريلي، محمد فؤاد، **قيام الدولة العثمانية** 116-117؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 65/1؛ بيتروسيان، إيرينا **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 9؛ جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 22، 41،23 بروكلمان، كارل **تاريخ الشعوب الإسلامية** 13/3؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 15-16؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 19؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 154-155؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 19/1؛ لويس، برنارد **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 35؛ الشناوي، عبد العزيز، **الدولة العثمانية دولة مفترى عليها** 33/1-34؛ هرماس، غسان **السيد العظيم محمد الفاتح** 21؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 298؛ هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 219؛ التونجي، محمد، **بلاد الشام إبان العهد العثماني** 20؛ حمودة، سمية، **حركة الفتح العثماني في القرن 11هـ**، 16 رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة 1427هـ/2006م

(3) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 10؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 16 جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 9؛ أومان، **الإمبراطورية البيزنطية** 247

(4) عثمان بن أرطغرل: ولد عام 656هـ/1281م، وشب على البسالة، والإقدام، والشجاعة، وكان موادعاً لعلاء الدين السلجوقي الذي أمر بخطب الجمعة على اسمه، كما كان شجاعاً شديد البأس ذا رأي وهمة، توفي في عام 726هـ/1350، وقد قضى في الحكم سبعة وعشرين عاماً (ينظر: آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 31-32؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 89/1 ينظر: الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 17)

(5) لما توفي علاء الدين السلجوقي لم يكن له نسل يتولون من بعده، فاستقل ولاة المقاطعات السلجوقية، وجعلوا منها إمارات خاصة بهم، وعلى هدى هؤلاء سار عثمان الذي استقل بما كان تحت يده من بلاد (الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 18)

(6) آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 30؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 91/1؛ المحامي، محمد فريد **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 116؛ إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 13؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 10؛ التونجي، محمد، **بلاد الشام إبان العهد العثماني** 20؛ الشناوي، عبد العزيز، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها** 39،40/1؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 35؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 20؛ هرماس غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 24؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 283؛ بحري، فائقة، **أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا** 12، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – مكة 1989م

البيـزنطيين، بهـدف الجهـاد، ونـشر الإسـلام[1]، فنقـل مقـر ملكـه مـن سـكود[2] إلـى ملانجتـون[3] (قره حصار) [4]، وبذلك احتل موقعاً استراتيجياً يتحكم بـالطرق القادمـة من القسطنطينية التـي فشلت دفاعاتها من إيقاف مده[5]، وأمام هذه النجاحات قام كثير من سكان الإمارات التركية في آسيا الصغرى بالتحالف معه، والخضوع لـه، ليصبح خانـاً عليهم[6]، فاكتسب بذلك قوى بشرية سـاعدته فـي توسعه لغزو أوروبا[7] .

وقد حاول الإمبراطور البيزنطـي صد العثمـانيين، غير أنـه هزم أمـامهم بـالقرب مـن مدينـة قويـون حصـار(بـافيوم) [8]عـام 700هـ/1301م [9]، كمـا حـاول سكان المـدن البيزنطيـة القريبـة مـن الأمـلاك

---

(1) بيتروسيان، إيرينـا، **الإنكشاريون فـي الإمبراطوريـة العثمانيـة** 10،11؛ مـانتران، روبيـر، **تـاريخ الدولـة العثمانيـة** 19/1 أبو غنيمة، زياد، **جوانب مضيئة في تـاريخ العثمـانيين الأتـراك** 33؛ يـاغي، إسماعيل، **الدولـة العثمانيـة في التـاريخ الحديث** 10 الشناوي، عبد العزيز، **الدولة العثمانية دولة مفترى عليها** 33/1-34؛ الحويري، محمـود، **تـاريخ الدولـة العثمانيـة** 37؛ التـونجي محمد، **بلاد الشام إبان العهد العثماني** 20؛ بحري، فائقة، **أثر الدولة العثمانية في نـشر الإسـلام فـي أوروبـا** 12، رسـالة ماجستير جامعة أم القرى – مكة 1989م؛ حمودة، سمية، **حركـة الفـتح العثمـاني فـي القرن 11هـ**، 19، رسـالة ماجستير، جامعـة أم القرى مكة 1427هـ/2006م

(2) **سكود**: بلدة صغيرة من أعمال ولاية خداوندكار في آسيا الصغرى، إلى الجنوب من سقاريا، بين لفكة وأسكي شـهر، وعلـى مسيرة يوم من كل من هذين الموقعين، وتقوم سكود عند ممر جبلي عميق وضيق، ويحيط بها سهل الأناضول الأوسط في الجنوب وأراضي نهر سقاريا في الشمال (**دائرة المعارف الإسلامية** 389/12)

(3) جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 21؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 31؛ المحامي، محمـد فريـد، **تـاريخ الدولـة العليـة العثمانيـة** 116؛ مـانتران، روبيـر، **تـاريخ الدولـة العثمانيـة** 23/1؛ أوزتونـا، يلمـاز، **تـاريخ الدولـة العثمانية** 91/1؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 35؛ الشناوي، عبد العزيز، **الدولـة العثمانيـة دولـة مفترى عليها** 34/1؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 22؛ بحري، فائقة، **أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا** 12 رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – مكة 1989م

(4) **قره حصار**: تطلق علـى أمـاكن عدة فـي تركيـا، ومعناهـا القلعـة السوداء، والقصد منهـا هنـا هو بلدة أفيـون القريبـة مـن قونيـة (المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 116)

(5) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 17 نقلاً عن Asik Pasa oglu, **Asik Pasa oglu Tarihi**. Pp18-19

(6) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 11 اعتماداً على كتاب تاريخ أسرة عثمان، للطفي باشـا، والعائد إلى النصف الأول من القرن السادس عشر؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 22/1؛ آصف، يوسف، **تـاريخ سلاطين بنـي عثمان**31؛ أومان، **الإمبراطورية البيزنطية** 247

(7) هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 219 -220

(8) **بافايوم**: مدينة تركية بالقرب من مدينة نيقوميديا (باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 17)

(9) كوبريلي، محمد فؤاد، **قيام الدولـة العثمانيـة** 163؛ أوزتونـا، يلمـاز، **تـاريخ الدولـة العثمانيـة** 91/1؛ باربـارو، نيقولـو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 17؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 155؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثمـاني للقسطنطينية** 63 التونجي، محمد، **بلاد الشام إبان العهد العثماني** 19

العثمانيـة فـي عـام 707هـ/1307م التحـالف ومهاجمـة العاصـمة العثمانيـة، غيـر أن عثمـان اسـتطاع القضـاء علـى ذلـك التحـالف فـي مهـده[1]، ممـا دفـع بالأبـاطرة البيـزنطيين لبنـاء علاقـات دبلوماسـية وسياسية معه[2].

ولمـا جـاء أورخـان[3] اسـتمر علـى نهج أسـلافه فـي التوسـع علــى حسـاب البيزنطيـين، فـافتتح مدينـة بروسـا[4] علـى شـواطئ بحـر مرمـرة[5]، والتــي ظلـت عاصـمة لهـم طـوال أربعـين عامـاً، ابتـداءً من عام 727هـ/1326م[6]، وبذلك ترسخت أقدام العثمـانيين فـي آسيا الصـغرى، فكـان انطلاقهم منهـا لأوروبا دون التحرش بالقسطنطينية[7]، مما اضطر البيزنطيون إلى وضع الأمارة العثمانية الجديدة في

---

(1) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 18؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 31؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 156؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 64

(2) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 12

(3) **أورخان بن عثمان بن أرطغرل**: ولد عام 680هـ/1281م، بدت عليه علامات الذكاء، وحب ركوب الخيل، وحمل السلاح منذ نعومة أظفاره، ولما تولى السلطنة عمل على سن الشرائع، والأنظمة لتدبير ملكه، وقد كان رءوفاً، ذا هيبـة، ومحباً للعلوم ونشرها تـوفي فـي عـام 761هــ/1360م بعد أن قـضى فـي الحكـم خمسة وثلاثـين عامـاً (ينظـر: آصـف، يوسـف، **تـاريخ سـلاطين بنـي عثمان**33-34؛ المالكي، إبراهيم، **قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان** 22-23)

(4) **بروسا**: بورصه: مدينة بآسيا الصغرى تشتهر بجوده هوائها، وجمال مناظرها الطبيعية، بها مسجد دفن بصحنه الخارجي ستة سلاطين من آل عثمان وغيرهم من أفراد الأسرة الحاكمة (المحامي، محمد فريد ، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 119)

(5) القرمـاني، **أخبـار الـدول وآثـار الأول** 297؛ آصـف، يوسـف، **تـاريخ سلاطين بنـي عثمـان** 32، 34؛ أوزتونـا، يلمـاز، **تـاريخ الدولة العثمانية** 93/1؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 36؛ الحويري، محمـود، **تـاريخ الدولـة العثمانيـة** 38 باربـارو، نيقولـو، **الفتح الإسـلامي للقسطنطينية** 18 نقلاً عن ا Asik Pasa oglu, **Asik Pasa oglu Tarihi**. Pp18-19 عطـا، زبيـدة، **التـرك فـي العـصور الوسـطى** 158؛ الرشـيدي، سـالم، **محمـد الفـاتح** 18؛ جـونز، ج.ر، **الحـصار العثمـاني للقسطنطينية** 64؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 119؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 247-248 ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 298؛ توفيق، عمر، **تـاريخ الدولـة البيزنطيـة** 224؛ يوسـف، جوزيـف **تاريخ الدولة البيزنطية** 284

(6) جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 15، 22؛ كوبرلي، محمد فؤاد، **قيام الدولـة العثمانيـة** 180؛ المحـامي محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 119، 124؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطوريـة العثمانيـة** 13؛ مـانتران روبير، **تـاريخ الدولـة العثمانيـة** 24/1-25؛ لـويس، برنـارد، **إسـطنبول حـضارة الخلافـة الـشرقية** 36؛ يـاغي، إسماعيل، **الدولـة العثمانية في التاريخ الحديث** 14

(7) عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 638؛ الشناوي، عبد العزيز، **أوروبـا فـي مطلـع العصور الحديثـة** 42/1 المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 124

الحسبان[1]، أو التعايش معها[2]، ولعل مرد ذلك إلى نظـام الإنكشارية[3] الذي أنشأه العثمانيون، والروح العسكرية التي طبع عليها هؤلاء الأتـراك، حتى صارت القـوة مثلهم الأعلى[4] .

- الإستراتيجية العثمانية لفتح القسطنطينية

- في عهد أورخان

كـان فتح القسطنطينية أحد أهداف الدولـة العثمانيـة منذ نشأتها، ولتحقيق هذا الهدف قامت الدولـة بحركة التفاف حول القسطنطينية بغرض عزلها عـن عالـمـها الأوروبــي، وقـد بـدأ هـذا المشــروع

---

(1) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 13

(2) مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 43/1؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 62

(3) **الإنكشارية**: لفظة تركية معناها الجيش الجديد، وهو نظام عسكري وضعه أورخان، قائم على تكوين فرقة من المشاة من أطفال الرعايا المسيحيين، الذين يقدمونهم للسلطنة العثمانية كجزية، قبالة حرية العبادة لهم، حيث ربوا تربية دينية، ثم ينظمون في الحرس الإمبراطوري (اليني شريه) أو يلتحقون بالخدمة المدنية (إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 22-23؛ مانتران، روبير **تاريخ الدولة العثمانية** 60/1؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 248؛ ينظر: جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 10-11، 52؛ المالكي، إبراهيم، **قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان** 24؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 123؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 56-57) وكان هؤلاء يدربون تدريباً عسكرياً جيداً، ويجيدون استخدام الأسلحة المختلفة، ويتحركون بمجموعات متراصة، وفق نظام متين لم يعرف عن أحد منهم أنه اعتزل، أو تخلى عن منصبه (أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 248)، وقد استمر نظامها بكفاءة حوالي ثلاثة قرون قبل أن يتسرب الضعف إلى الدولة العثمانية (عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 639) وللاستزادة حول الجيش الإنكشاري، ينظر بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 17- 23، والذي بيّن أن هناك خلافاً بين المؤرخين حول بداية نشأة هذا الجيش بين أورخان ومراد الأول، لكنه وضح أن هذا الجيش ظهر بشكل واضح في عهد مراد الذي توسع بالفتوحات، ومن ثم كان هناك الكثير من الأسرى المسيحيين الذين شكلوا هذا الجيش، وبيّن أنه حينما تولى مراد الأول السلطة كان هناك ثلاثة أنواع من التشكيلات الحربية لدى العثمانيين وهي: وحدات الترك شبه العسكرية الفلاحية (يايا)والتي تمتعت بتسهيلات ضريبية؛ وفيلق المشاة (الألف) المكون من المسيحيين المعتنقين للإسلام، والذين يخدمون مقابل أجر، والذين شكلوا أساساً للجيش الجديد (الانكشارية) وفيلق الحرس من المحاربين الغلمان (العبيد) الذين كانوا يشكلون حرس الحاكم العثماني (بيتروسيان، إيرينا **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 18؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 60/1؛ دحلان، أحمد زيني، **الفتوحات الإسلامية** 132/2؛ أبو غنيمة، زياد، **جوانب مضيئة** 34؛ حمودة، سمية، **حركة الفتح العثماني في القرن 11هـ**، 19، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى مكة 1427هـ/2006م

(4) مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 39/1؛ إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 15؛ ينظر: دهيش، عبد اللطيف **قيام الدولة العثمانية** 8

على إثر الضعف الذي ألم بالإمبراطورية البيزنطية[1]، وازدياد قوة العثمانيين، ونفوذهم العسكري حيث انتهزوا ظروف الإمبراطورية البيزنطية للتوسع على حسابها، وقد ساعدهم على ذلك الانشقاق الكنسي الذي أصاب البابوية، فلم تستطع دول أوروبا تكوين جبهة لمقاومة العثمانيين الذين نجحوا في الاستيلاء على كثير من المدن البيزنطية، خاصة في عهد أورخان الذي انصرف إلى العمليات الحربية، وتنظيم شؤون الدولة الداخلية، وبذلك استطاع أن يجمع بين البناء الداخلي، والجهاد الخارجي[2]، وقد حرص أورخان على تحقيق بشارة رسول الله (ﷺ) في فتح القسطنطينية، فوضع خطة استراتيجية تستهدف إلى محاصرتها من الغرب والشرق في آن واحد[3]، ولتحقيق ذلك أرسل ابنه

---

(1) دب الضعف في الإمبراطورية البيزنطية قبل قيام العثمانيين بفتوحاتهم، وقد تمثلت بعض عوامل الضعف هذه في تعدد أجناس سكان الإمبراطورية (Vryonis, **Byzantium The Social Basis of Decline**. Vol. II . P. 167) والصراع بين الأرستقراطية المدنية والأرستقراطية العسكرية، مما أوجد العديد من الحروب الأهلية (نفسه 163 - 165) التي أفقدت الشعب الثقة بزعمائه (زيادة، محمود، **دراسات في التاريخ الإسلامي** 596) والتي ساهمت في انهيار الإمبراطورية فيما بعد(أومان تشارلز،**الإمبراطورية البيزنطية** 250 – 251؛ بينز، نورمان **الإمبراطورية البيزنطية** 348 - 349) كما مثلت كثرة الضرائب المفروضة على الشعب، نتيجة لخلو الخزينة من الأموال عاملاً مهماً في ذلك (توفيق، عمر كمال، **تاريخ الدولة البيزنطية** 221) حيث زاد عدد المتذمرين من جراء تلك السياسة (الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 566/1)، ومن الأمور التي زادت الأوضاع تعقيداً اعتماد الإمبراطورية على المرتزقة في جيوشها، والذين كانوا معولاً هداماً لا أداة تدعيم (توفيق، عمر **تاريخ الدولة البيزنطية** 221) حيث تطاولوا على إمبراطوريتهم أيما تطاول (اليوسف، عبد القادر، **الإمبراطورية البيزنطية** 172) إضافة إلى ذلك فقد مثلت غزوات المسلمين وغارات السلاجقة وانتصارهم في مانزكرت (ابن القلانسي، حمزة **ذيل تاريخ دمشق** 99؛ ابن العديم، عمر، **زبدة الحلب** 33/2؛ ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** 66/10 – 67)عاملاً آخر يضاف إلى ما سبق، مثلما مثل العداء المذهبي بين بيزنطة والصليبيين، والذي ظهر بشكل واضح في الحملة الصليبية الرابعة التي أسقطت القسطنطينية (أومان، تشارلز،**الإمبراطورية البيزنطية** 222- 224؛ هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 209؛ عاشور سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 631؛ وهبة، مصطفى، **موجز تاريخ الحروب الصليبية** 42؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 199)

(2) آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 43؛ جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 9؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 36؛ بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 410-415؛ حيث عمل على توطيد أركان دولته بالكثير من الأعمال الإصلاحية، والعمرانية، ونظم شؤون الإدارة، وقوى الجيش، وبنى المساجد، وانشأ المعاهد العلمية (الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 19؛ إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 17) التي أشرف عليها خيرة العلماء والمعلمين، فكان في كل قرية مدارسها، وفي كل مدينة كلياتها التي تعلم النحو، والتراكيب اللغوية، والمنطق، والميتافزيقا، وفقه اللغة، وعلم الإبداع اللغوي، والبلاغة، والهندسة، والفلك، (عبد الرحيم، محمد، **في أصول التاريخ العثماني** 40؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 61) كما أسس جيشاً من المشاة للمساعدة في عمليات الحصار الطويلة من أبناء الفلاحين مقابل بعض الأجور المادية في أوقات الحروب (بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 15-16 التونجي، محمد، **بلاد الشام إبان العصر العثماني** 22)

(3) المالكي، إبراهيم، **قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان** 23؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 126

وولـي عهده "سـليمان " لعبـور مـضيق "الـدردنيل" والاسـتيلاء علـى بعـض المواقـع فـــي الناحـــية الغربية، فافتتح مدينة أزميد (نيقوميديا)[1] عام 726هـ/1326م[2]، آخر معاقل البيزنطيين فـي الـركن الشمالي من آسيا الصغرى، حيث صار الطريق إلى البسفور مفتوحاً أمام الجيوش العثمانيـة[3]، ومُهد الطريق إلى القسطنطينية، ثم جاء افتتاح مدينة نيقية[4]، وقد عمل العثمانيون علـى قطـع خطـوط الإمداد عن هاتين المدينتين[5]، وبسيطرتهم عليهما وعلى ساحل بحر مرمرة لم يعد يفصلهم عن أوروبـا سـوى المضيق الصغير[6]، وهنا لم يتوقف أورخان عند هذا الحد، بل أخذ بالتوسع فـي الأراضـي البيزنطيـة الباقية، فضم إلى مملكته إمارة قره سي[7]، والعديد من القلاع[8]، مما اضطر بيزنطة لطلب صلح علـى

(1) **نيقوميديا**: مدينة يونانية قديمة بآسيا الصغرى، أصل اسمها نيكوميدس، كانت عاصمة لمملكة بيثينيا الواقعة على بحر مرمرة، ولها ميناء من أكبر الموانئ، كما بها مياه معدنية (المحامي، محمد فريد، **الدولة العلية العثمانية** 118)

(2) آصف،، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 34؛ باربارو، نيقولو **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 18 نقلاً عن المصدر العثماني Asik Pasa oglu, **Asik Pasa oglu Tarihi**. Pp.50-51 ؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 118 مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 25/1؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 13؛ أوزتونا، يلماز **تاريخ الدولة العثمانية** 93/1؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 35؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 18 الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 55؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 36؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 26؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 248؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 298؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 284؛ التونجي، محمد، **بلاد الشام إبان العصر العثماني** 22

(3) باربارو، نيقولو **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 18؛ البيشي، سعدية، **الجهاد البحري العثماني من خلال معركة ليبانتو** 10 رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – مكة 1997م

(4) **نيقية**: مدينة يونانية قديمة بآسيا الصغرى، حوالي ثمانين كيلو متراً شرق مدينة بروسة، وهي مدينة أسنك الحالية (المحامي محمد فريد بك، **الدولة العلية العثمانية** 41) كانت من أمهات المدن البيزنطية، بل المدينة الثانية بعد القسطنطينية (العصامي عبد الملك، **سمط النجوم العوالي** 50/4؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 489/1؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 18؛ عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 639؛ باربارو، نيقولو **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 18 نقلاً عن المصدر العثماني Asik Pasa oglu, **Asik Pasa oglu Tarihi**. Pp.46-47)

(5) باربارو، نيقولو **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 18؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 157؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 64؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 36

(6) المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 124؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 35 الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 18؛ البيشي، سعدية، **الجهاد البحري العثماني من خلال معركة ليبانتو** 10، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – مكة المكرمة 1997م

(7) **قره سي**: إمارة تقع غرب الأناضول، جنوب بحر مرمرة، وإلى الشرق من بحر إيجة (محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 124؛ ينظر: أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 76/1)

(8) العصامي، عبد الملك، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي** 60/4-61؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 36؛ إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 15، 19؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 19؛ المحامي، محمد فريد **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 124؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 36؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 60؛ التونجي، محمد، **بلاد الشام إبان العصر العثماني** 22

الجزية، وإبقاء الكثير من الأراضي بيده، وقد كان ذلك في عام 732هـ/1333م[(1)]، أي بعد معركة بلاكونون[(2)] عام 1329م والتي هزم فيها الإمبراطور البيزنطي أندرنيكوس هزيمة قاسية على حد تعبير أومان[(3)].

وبسقوط هذه المدن تمكن العثمانيون من السيطرة على بحر مرمرة، مما أثار الفزع في الإمبراطورية البيزنطية والدول الأوروبية، فعملت البندقية على تأليب المسيحيين ضد العثمانيين بعقد حلف صليبي اشترك فيه البابا، وملك فرنسا، والبندقية، وإسبتارية رودس، وإمبراطور القسطنطينية[(4)] إلا أن حرب المائة عام[(5)] التي دارت رحاها بين فرنسا وإنجلترا عطلت هذا المشروع، ولم تقم لهذه الحملة قائمة[(6)]، لكنها أيقظت الشعور الأوربي للقيام بحملات صليبية على الدولة العثمانية، على غرار تلك الحملات الصليبية في العهدين الأيوبي والمملوكي .

وترتب على هذا الفشل أن وجد العثمانيون متسعاً من الوقت لترتيب أمورهم، فاستعد أورخان للقيام بعمل يعد مرحلة جديدة في مجرى حوادث التاريخ الإسلامي، وتاريخ أوروبا كلها، ذلك هو نزول العثمانيين في أوروبا ومفتاحها الشرقي "البلقان"[(7)]، وما تلاه من الفتوحات الواسعة فيها[(8)]، وقد جاءت

---

(1) ينظر: باربارو، نيقولو **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 18-19؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 14؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 25/1؛ وأشار في صفحة23/1 أن الكثير من المواقع التي فتحها العثمانيون لم يشر إليها المؤرخون ولا إلى تاريخ حدوثها؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 65

(2) **بلاكونون**: معركة وقعت بين العثمانيين والبيزنطيين على إثر محاصرة أورخان مدينة أزنيق، حيث هب إلى نجدتها إمبراطور بيزنطة "آندرنيكوس بالأولوغوس" الذي سارع إلى حشد جيشه، والانتقال في ثلاثة أيام من "أسكودار" إلى "مالتبة" حيث التقى الأتراك، في مايو رجب 729هـ/ 1329م، في معركة "بلاكونون"، التي جُرح فيها، فنُقل إلى الساحل، وتولت إبعاده السفن عن ساحة المعركة، الأمر الذي أثر في الجيش البيزنطي، وأدى إلى هزيمته، وقتل العديد من البيزنطيين، أما قائد القوات العثمانية في هذه المعركة فكان ابن السلطان عثمان "بازارلي بك"، وهناك رواية، تشير إلى أن هذه المعركة وقعت عام 731هـ/1330م. وتقول رواية بيزنطية ضعيفة، إن هذه المعركة، كانت في "تاوشانجل" Tavsancil نقلاً عن دائرة المعارف اليونانية مج18، 226) (http://www.**moqatel**.com

(3) **الإمبراطورية البيزنطية** 248

(4) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 24؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 26

(5) **حرب المائة عام**: حرب دارت بين إنجلترا وفرنسا حول أملاك إنجلترا في القارة الأوروبية، وكان ذلك ناتجاً عن التنافس الاقتصادي بين البلدين، وتعارض مصالحهما السياسية في القارة، وكانت نتيجة هذه الحرب بخروج إنجلترا نهائياً من قلب القارة الأوربية (عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 505 – 520)

(6) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 19؛ الشناوي، عبد العزيز، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**46/1

(7) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 95/1؛ الشناوي، عبد العزيز، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**43/1 سليمان، أحمد، **مذكرة في تاريخ الدولة العثمانية** 15

(8) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 488/1؛ إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 23؛ آصف، يوسف **سلاطين بني عثمان** 34؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 164

الفرصة المواتية لذلك من خلال تحكم العثمانيين في مصير الإمبراطورية البيزنطية التي قام بها صراع على العرش بين صبي تحت وصاية أمه أنا (Anna) وحنا كنتاكوزين، حيث استنصر كلاهما بأورخان الذي دعم حنا كنتاكوزين بعشرين ألف مقاتل، مقابل الحصول على قلعة تزيمب[1] (Tzympe) على مقربة من غاليبولي[2] وذلك عام 753هـ/1352م[3]، وقد توجت هذه المساعدة بزواج أورخان من ثيودورا ابنة حنا كنتاكوزين[4]، وبهذا كانت قلعة تزيمب أول أرض يدخلها العثمانيون في أوروبا، كما أنها أول مركز عسكري لهم فيها[5] وبهذا خطا هذا السلطان خطوة كبيرة استفاد منها من جاء بعده في فتح القسطنطينية[6].

وهكذا استغل العثمانيون فرصة الصراع على العرش البيزنطي بتثبيت موضع قدم لهم في القارة الأوروبية، ذلك المكان الذي لم يتزحزحوا عنه حتى نجحوا في فتح القسطنطينية .

ولم يمض وقت طويل على استيلاء العثمانيين على هذه القلعة، حتى حدثت زلزلة كبيرة دمرت أسوار أهم حصن على الدردنيل (مدينة غاليبولي) التي فر أهلها، مما فتح الطريق أمام العثمانيين

---

(1) تزيمب (زمبة): حصن يقع على مضيق الدردنيل (مؤنس، حسين، **أطلس تاريخ الإسلام** 345) بالقرب من بحر إيجة، في جزئه الشمالي الشرقي الأوربي، وتبعد عن القسطنطينية 86 ميلاً تقريباً في جنوبها الغربي، وقد أطلق عليها تزومبا (لانجر، وليم **موسوعة تاريخ العالم** 869/3؛ وأطلق عليها آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 34 اسم ظنب)

(2) غاليبولي: بالغين، أوالجيم، أوالكاف، تقع الآن في تركيا الأوربية، وهي ميناء مهم في الطرف الشرقي لمضيق الدردنيل في شبه جزيرة يحمل اسمها، وقد شهدت حملة باسمها شنها الحلفاء في الحرب العالمية الأولى للاستيلاء على الدردنيل وإسطنبول وتبعد عن مدينة أدرنة بحوالي مئة وأربعين كيلو متراً، وهي أول مدينة استولى عليها المسلمون في أوروبا، وقد شيد فيها بايزيد برجاً (سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 464/1؛ ينظر: المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 126 جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 30) وسماها آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 34 كليبولي بالكاف بدل الغين .

(3) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 490/1؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 96/1؛ باربارو، نيقولو **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 20؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 126؛ إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 20؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 20؛ مصطفى، أحمد، **في أصول التاريخ العثماني** 47؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 61-61؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 26؛ ينظر: أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 250-251؛ ينظر: ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 299؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 224

(4) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 19؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 37؛ مانتران، روبير **تاريخ الدولة العثمانية** 28/1؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 20؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 66؛ أومان تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 251؛ ربيع، حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 300؛ هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 220

(5) المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 126، الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 26؛ لانجر، وليم، **موسوعة تاريخ العالم** 869/3؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 159،160؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 37

(6) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 25

للسيطرة عليها بغير حرب ولا قتال[1]، فاستقدم لها السكان من آسيا الصغرى بقصد الاستقرار بها[2] كما شرع سليمان بن أورخان في إعادة تعميرها حتى غدت أهم قلعة إسلامية انطلق منها العثمانيون لفتح باقي أقاليم أوروبا المسيحية[3]، بقصد نشر الإسلام بها، ورفع لواءه في كل مدنها[4]، ومن ثم الالتفاف لفتح القسطنطينية، فافتتحت إمارة كاريسي على الضفة الجنوبية لمضيق الدردنيل[5] وبذلك سيطر العثمانيون على غالبية المناطق الغربية من الأناضول والمطلة على القسطنطينية[6] .

---

(1) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 490/1؛ إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 20؛ ينظر: أوزتونا يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 96/1؛ المالكي، إبراهيم، **قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان** 23، ويبدو أنه خلط بين محاولة بايزيد في فتح القسطنطينية، ونسبها له، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال سرد أحداث محاولة بايزيد والتي تكاد تكون نفس الأحداث التي نسبها لأورخان؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 21 نقلاً عن المصدر العثماني Asik Pasa oglu, **Asik Pasa oglu Tarihi**. Pp.51-53؛ كوبريلي، محمد فؤاد، **قيام الدولة العثمانية** 181 – 182 Vasiliev, **History of the Byzantine** pp583-585,622-623؛ دحلان، أحمد زيني، **الفتوحات الإسلامية** 70؛ لويس برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 15-16؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 51؛ مانتران روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 26/1، 30؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 126؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 20-21؛ الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة**597/1 ؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 37؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 252؛ ربيع حسنين، **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 300 البيشي، سعدية، **الجهاد البحري العثماني من خلال معركة ليبانتو** 10، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – مكة 1997م؛ عطا زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 160؛ بحري، فائقة، **أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا** 45،16، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – مكة 1989م

(2) كوبريلي، محمد فؤاد، **قيام الدولة العثمانية** 187؛ إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 20؛ هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 220

(3) حليم، إبراهيم، **التحفة الحلمية في تاريخ الدولة العلية** 37؛ كوبريلي، محمد فؤاد، **قيام الدولة العثمانية** 181 – 182 الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 21؛ لويس، برنارد، **إسطنبول وحضارة الخلافة الشرقية** 36؛ الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 598/1؛ عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 640؛ التونجي، محمد، **بلاد الشام إبان العصر العثماني** 23؛ البيشي، سعدية، **الجهاد البحري العثماني من خلال معركة ليبانتو** 11، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى مكة المكرمة 1997م

(4) هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 220؛ أحمد، مصطفى، **في أصول التاريخ العثماني** 47 البيشي، سعدية، **الجهاد البحري العثماني من خلال معركة ليبانتو** 11، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – مكة 1997م؛ بحري، فائقة، **أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا** 17، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – مكة 1989م ، ومن أهم المدن التي استولى عليها سليمان بن أورخان بعد غاليبولي، أبسالا، ورودستوا (المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 126)

(5) مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 27/1؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 94/1

(6) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 94/1

كما كان الاستيلاء على غاليبولي بداية الحركة التوسعية في أوروبا في عهد أورخان وابنه مراد الأول[1] بحيث تمكن العثمانيون من الاستيلاء على أجزاء في البلقان[2]، كتراقيا[3]، كما استطاع أورخان أن يملي إرادته على أباطرة بيزنطة[4]، لذلك أدرك كنتاكوزين خطأه حينما استدعى العثمانيين إلى أوروبا، وما ترتب عليه من استيلائهم على عدد من القلاع والمدن فيها، وخاصة بعد تقديمهم المساعد لأهل جنوة (أعداء بيزنطة) ضد أهل البندقية في مياه البسفور، والذين أمدوه بتسع سفن، مقابل السماح لهم باستخدام أراضيه[5]، فبث شكواه إلى أورخان طالباً منه تسليم غاليبولي مقابل عرض مادي، لكن أورخان رفض هذا الطلب، فغضب البيزنطيون عليه، وخلعوه وولوا ابنه مكانه، ثم ما لبثوا أن خلعوه، وولوا يوحنا الخامس إمبراطوراً على بيزنطة[6] دون منازع[7] .

وهكذا تحكم العثمانيون في المضائق التي تفصل آسيا عن أوروبا، وأصبح في وسعهم فصل القسطنطينية عن أوروبا، وقد أحس سكانها بحصار العثمانيين لهم، وتوقعوا سقوطها في أي لحظة حتى قيل "إنهم كانوا يحسون أنهم واقعون في شبكة[8]".

---

(1) مراد بن أورخان : ولد عام 726هـ/1326م، حضر مع والده العديد من الحروب التي خاضها في بلاد اليونان، فأظهر بسالة لا توصف، تولى السلطنة في عام 761هـ/1360م، وسار في الفتوحات العديدة في أوروبا، توفي في عام 791هـ/1388 بعد أن حكم ثلاثين عاماً قضاها في الفتوحات العسكرية والبناء، حيث أعلى شأن دولته ببناء الجوامع، والمدارس، والحصون، ويعود إليه اتخاذ العلم العثماني، والطغراء الشاهنشاهية (ينظر: العصامي، عبد الملك، **سمط النجوم العوالي** 60/4-61؛ آصف، يوسف **سلاطين بني عثمان** 35-37)

(2) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 54؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 38 توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 224

(3) تراقيا: إقليم من أهم أقاليم البلقان، تتوزعه دول عدة مثل: اليونان، وتركيا، وبلغاريا، وهو من أقاليم الخلافات الحدودية (**الموسوعة الميسرة**501)

(4) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 21؛ لانجر، ويليام، **موسوعة تاريخ العالم** 864/3، 869؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 21؛ يشير أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 251 أن كنتاكوزين يعد من محطمي الإمبراطورية البيزنطية وبأسلوب تهكمي يقول بأنه يستحق أن يتخذ له مقاماً سامياً بجانب إسحق، وأليكسيوس أنجيلوس اللذين توليا بعد فتح القسطنطينية على يد الصليبيين 1402م .

(5) نفسه 21

(6) مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 30/1، 31؛ الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 598/1 – 600؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 21

(7) الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة**598/1 ؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 21؛ أومان، تشارلز **الإمبراطورية البيزنطية** 251 ؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 21؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 28/1؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 67؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 161

(8) السعيد، أحمد، **تاريخ الدولة العثمانية** 8

ومن ناحيته واصل سليمان بن أورخان فتوحاته في الأراضي البيزنطية في البلقان، وقام بالاستيلاء على العديد من المدن والقلاع[1]، وقد أدخلت هذه الانتصارات الرعب في نفس يوحنا الخامس الذي قدم فروض الطاعة والولاء للسلطان أورخان في معاهدة عقدت بينهما[2]، كللت بزواج خليل بن أورخان من ابنة يوحنا الخامس[3].

- في عهد مراد الأول

استغل مراد الأول بعد وفاة والده أورخان[4] فرصة الضعف البيزنطي ليزيد مساحة الدولة العثمانية أضعاف ما كانت عليه إبان عهد والده؛ حيث فسح المجال أمامه للتوغل في البلقان[5]، وإعادة وحدة الأناضول[6]، فتمكن من الاستيلاء على أدرنة[7]،سنة 763هـ/1361[8]، ولأهمية موقعها[9] نقل

(1) آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 34؛ إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 21؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 21 نقلاً عن المصدر العثماني Asik Pasa oglu, **Asik Pasa oglu Tarihi**. P.55؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 29/1-30؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 68

(2) الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة**600/1

(3) آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 36؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 31/1

(4) مات أورخان في السنة التي مات فيها ابنه وولي عهده سليمان؛ أي سنة 761هـ/1359 - 1360م، ويقال: إنه مات حزناً على موت ابنه (مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 31/1؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 27)

(5) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 22؛ Ostrogorsky, **History of the Byzantine State**. P.520؛ آصف يوسف، **سلاطين بني عثمان** 37؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 252؛ هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 221

(6) أوغلي، أكمل الدين، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة** 2/1

(7) **أدرنة**: وهي أدريانوبوليس، بلد من بلدان طراشيا، وسميت بذلك نسبة إلى الإمبراطور الروماني إيليوس هدريانوس الذي أجرى فيها تحصينات عدة، أوجبت إطلاق اسمه عليها (جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 44؛ المحامي محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 129)، وتعد المدينة الثانية بعد القسطنطينية (الدسوقي، كمال، **الدولة العثمانية** 22 الصلابي، محمد، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب الانهيار**47)

(8) جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 44؛ القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 299؛ آصف، يوسف **سلاطين بني عثمان** 36؛ إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 21؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 98/1؛ مانتران روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 50/1؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 51،18؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 129؛ الدسوقي، كمال، **الدولة العثمانية** 22؛ الصلابي، محمد، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب الانهيار**47؛ **السلطان محمد الفاتح** 64؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 37؛ الرشيدي سالم، **محمد الفاتح** 21؛ لويس برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 38؛ هرماس، غسان **السيد العظيم محمد الفاتح** 27 توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 225؛ هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 221؛ حمودة، سمية، **حركة الفتح العثماني في القرن 11هـ**، 22، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة 1427هـ/2006م؛ البيشي، سعدية، **الجهاد البحري العثماني من خلال معركة ليبانتو** 11، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1997م

(9) فهي تبعد عن القسطنطينية خمسة وتسعين ميلاً، والسيطرة عليها يمد جيشه بالجنود من أبناء المسيحيين (الدسوقي، كمال **الدولة العثمانية** 22) كما هي ملتقى ثلاثة أنهار (المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 129)

مقـر العاصـمة إليهـا، ممـا جعلهـا مركـزاً مهمـاً لنـشر الإسـلام فـي أقـاليم أوروبـا، ومـن ثـم فـتح القسطنطينية[1]، كما تم الاستيلاء على فليبوبولي[2]، وعدد من المدن والقلاع القريبة منها، والواقعة علـى طريـق القسطنطينية[3]، وشـيدت الثكنـات الانكـشارية[4]، كمـا سـعى قيـصر بلغاريـا لخطـب ود العثمانيين[5]، وقد تزامنت هذه الانتصارات في البلقان بانتصارات في الأناضول توجت بالاستيلاء على أنقرة[6]، وضم دولة القرمان[7] إلى أملاك الدولة العثمانية[8]، حيث سارت الفتوح في كل من

---

(1) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 490/1؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 98/1؛ باربارو، نيقولو **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 22 نقلاً عن المصدر العثماني Asik Pasa oglu, **Asik Pasa oglu Tarihi**. Pp.57-58 جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 44؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 38؛ هسي ج.م، **العالم البيزنطي** 222؛ الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 601/1؛ محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 129؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 18؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 64-65 توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 225؛ بحري، فائقة، **أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا** 18، رسالة ماجستير جامعة أم القرى – مكة 1989م

(2) **فليبوبولي**: أو فليبوبوليس، أي مدينة فيليب والد الإسكندر الأكبر الذي أسسها، تقع غرب أدرنة، (المحامي، محمد فريد **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 130) ويسميها آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 36 سيذيبولي .

(3) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 98/1؛ أوغلي، أكمل الدين، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة** 15؛مانتران، روبير **تاريخ الدولة العثمانية** 50/1؛ المحامي، محمد فريد **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 130؛ بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 416؛ الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 601/1؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 28؛ السعيد أحمد، **تاريخ الدولة العثمانية** 9؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 18؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 166؛ دهيش، عبد اللطيف، **قيام الدولة العثمانية** 35؛ البيشي، سعدية، **الجهاد البحري العثماني من خلال معركة ليبانتو** 12، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – مكة المكرمة 1997م؛ حمودة، سمية، **حركة الفتح العثماني في القرن 11هـ**، 22 رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة 1427هـ/2006م

(4) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 51

(5) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 22؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 51/1

(6) **أنقرة**: أو أنكورية أو أنجورة، هي إحدى عواصم الرومان الإقليمية القديمة، ثم أصبحت عاصمة دولة القرمان، اشتهرت بمعركة أنقرة التي هُزم فيه السلطان بايزيد الأول أمام تيمورلنك سنة 804هـ/1402م، وكادت أن تسقط الدولة العثمانية بسببها وأصبحتْ عاصمة تركيا الحديثة بدلاً من إسطنبول بقصْد قطع الصلة بالماضي ولتوسطها (**الموسوعة الميسرة** 248) وهي التي فتحها المعتصم عند ما فتح عمورية (ينظر: الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 271/1 -272؛ القرماني، أحمد، **أخبار الدول وآثار الأول** 325)

(7) **القرمان**: هي إحدى الإمارات التي خلفت دولة سلاجقة الروم، وكانت أكبر هذه الإمارات بعد الإمارة العثمانية، وأكثرها رقياً وتحضراً، وتنسب إلى كريم الدين قرامان، وقد عادت أسرة قرامان إلى حكمها بعد وقعة أنقرة، إلى أن تم استيلاء العثمانيين عليها نهائياً سنة 888هـ/ 1483م (السعيد، أحمد، **تاريخ الدولة الإسلامية** 415/2 - 419)

(8) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 109؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 38؛ مانتران، روبير **تاريخ الدولة العثمانية** 29/1؛ آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 36؛ المحامي، محمد فريد **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 129 لانجر، ويليام، **موسوعة تاريخ العالم** 869/3؛ بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 416

الأناضول والبلقان بشكل متوازٍ، فكان أي تقدم في جبهة يتبعه تقدم آخر في الجبهة الأخرى[1]، ويبدو أن ذلك بهدف حصر القسطنطينية وعدم السماح لها بالنفاذ إلى خارج أسوارها، وبهذا أصبح العثمانيون يتوسطون ممالك الصرب، والبلغار، والبيزنطيين، وأحدقوا بالقسطنطينية من جميع الجهات الأوربية والآسيوية، وفصلت عن باقي الإمارات والممالك البلقانية، واقتصر الحكم البيزنطي على القسطنطينية وما حولها[2]، وسد الطريق إلى حلفائها في أوروبا، ولا سيما الشعوب السلافية، وصارت محاطة بأملاك آل عثمان من الجهة المتصلة بأوروبا كلها[3]، هذا وعاد الإمبراطور البيزنطي للإذعان لقوة العثمانيين، فاعترف بها، وتعهد أن يقصر ولاءه على السلطان مراد[4]، ولم يأت عام 768هـ/1366م ألا وأصبح الدانوب يشكل حداً شمالياً للدولة العثمانية[5].

وهكذا مضت عمليات الفتح في منطقة البلقان بسرعة كبيرة حتى أن بعض المؤرخين[6] فسروا هذه السرعة بتزامن الفتح مع الانقسام السياسي والخلاف الديني الذي ساد أوروبا في تلك الفترة، في وقت تميزت فيه الدولة العثمانية بسياسة ثابتة، وقوة عسكرية، وسلطة مركزية .

مثلت سيطرة العثمانيين على أدرنة أهمية كبيرة، إذ انتقلت عاصمتهم إلى أوروبا، فأصبحت أدرنة عاصمة إسلامية، وقد كان هدف مراد من هذا استغلال مناعة استحكامات أدرنة الحربية، وقربها من مسرح العمليات الجهادية، بالإضافة إلى السيطرة على الأقاليم الأوربية التي وصلوا إليها في جهادهم وثبتوا أقدامهم فيها[7]، ولهذا جمع مراد في هذه العاصمة كل مقومات النهوض بالدولة وأصول الحكم فتكونت فيها فئات الموظفين، وفرق الجيش، وطوائف رجال القانون، وعلماء الدين، وأقيمت دور

---

(1) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 26؛ حمودة، سمية، **حركة الفتح العثماني في القرن 11هـ** 21، رسالة ماجستير جامعة أم القرى، مكة 1427هـ/2006م

(2) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 28؛ المحامي، محمد فريد **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 130؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 166؛ بحري، فائقة، **أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا** 19، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى مكة 1989م

(3) المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 130

(4) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 22؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 252؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 68

(5) ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث** 39؛ مصطفى، **أحمد في أصول التاريخ العثماني** 49 حمودة، سمية، **حركة الفتح العثماني في القرن 11هـ** 21، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة 1427هـ/2006م

(6) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 32؛ حمودة، سمية، **حركة الفتح العثماني في القرن 11هـ** 22، رسالة ماجستير جامعة أم القرى، مكة 1427هـ/2006م

(7) نفسه 21؛ الصلابي، محمد، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب الانهيار**47؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 130

المحاكم، وشيدت المدارس المدنية، والمعاهد العسكرية لتدريب الانكشارية، وقد استمرت أدرنة على هذا الوضع حتى فتح العثمانيون القسطنطينية، ونقلوا عاصمتهم إليها[1].

وإزاء هذا التطور بفتح أدرنة، قام البابا أوربان الخامس بمحاولة جمع أوروبا في حرب صليبية جديدة ضد العثمانيين، غير أن حرب المائة عام بين فرنسا وإنجلترا، والحروب الجنوية البندقية أحبطت هذا المشروع، إذ لم يلب تلك الدعوة إلا حكام شبه جزيرة البلقان، من الصرب، والبلغار والمجريين، وإقليم ولاشيا[2]، ولم تنضم لهذا التحالف الإمبراطورية البيزنطية نفسها، نتيجة للعلاقة السيئة بين الإمبراطوريتين، ولاعتقادهم بأن أعضاء الحلف الصليبي - وبخاصة الصرب والبلغار- كانوا يهدفون من الاشتراك في هذه الحملة إلى وراثة الدولة البيزنطية في أملاكها وعاصمتها، وزعامة شبه جزيرة البلقان[3]، وقد استطاعت هذه الحملة استعادة مدينة غاليبولي، وبعض القلاع على بحر مرمرة[4] غير أن القوات العثمانية تصدت لهذه الحملة عام 766هـ/1364م، حيث ولت الأدبار[5]،وعلى رأسها ملك المجر قائد الحملة[6]، كما كان لاختلاف أجناس أفراد الحملة الدور البارز في انهزامهم[7]، وقد أطلق على هذه الحملة هزيمة الصرب، وعرف القائد العثماني بأنه أسد الحرب وسند الإسلام[8] .

ولما فشلت محاولات الغرب وإمبراطور القسطنطينية أيضاً في وقف زحف التوسع العثماني اتصل إمبراطور القسطنطينية يوحنا الخامس بالغرب الأوروبي، وبالبابا يدعوه لوحدة الكنيستين ومساعدته لصد العثمانيين، إلا أن تلك الجهود لم تفلح، عندها لم يجد إمبراطور القسطنطينية بداً من

---

(1) ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث** 38

(2) ينظر: الدسوقي، كمال، **الدولة العثمانية** 22 – 23؛ الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 602/1 الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 28؛ السعيد، أحمد، **تاريخ الدولة العثمانية** 21؛ بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 416

(3) مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 51/1؛ ينظر: الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 603/1-306؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 166

(4) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 24؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 51/1؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 22؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 167؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 68

(5) المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 131؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 39 الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 22؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 28

(6) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 98/1؛ الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 604/1؛ الرشيدي سالم، **محمد الفاتح** 28؛ السعيد، أحمد، **تاريخ الدولة العثمانية** 13؛ بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 417، لانجر ويليام، **موسوعة تاريخ العالم** 869/3؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 131

(7) بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 417

(8) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 23؛ الدسوقي، كمال، **الدولة العثمانية** 23؛ الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 604/1؛ السعيد، أحمد، **تاريخ الدولة العثمانية** 13

مصالحة مراد الأول على دفع الجزية، والاعتراف بسيادته عليه، مع تقديم العون العسكري وقت الحاجة[1]، وقد نتج عن هذا الصلح أن استكمل العثمانيون فتح تراقيا، ومقدونيا، ثم استسلم السلاف وأعلنت جمهورية راجوزة ولاءها للسلطان العثماني، وعقدت معه معاهدة ودية وتجارية، كانت الأولى بين العثمانيين ودولة مسيحية[2] .

وهكذا أصبحت الإمبراطورية البيزنطية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعثمانيين، حتى غدا الإمبراطور البيزنطي مجرد تابع لهم، عليه أن يؤدي الجزية والالتزامات العسكرية، وكان بإمكان مراد الأول أن يقضي عليها ويفتحها، إذ أن حصاراً يسيراً كان كفيلاً أن ينجح في فتحها، لأنها لم تعد سوى مجرد مقاومة هامدة تعتمد على الحجر والطين، ولا تشد أزرها حامية من الداخل[3]، لكنه (مراد) لم يوجه لها حملة مع أن الفرصة مواتية لتحقيق الحلم، إذ يبدو أنه عدل عنها لعلمه بضعفها، وأن فتحها تحصيل حاصل، والأولى له أن يتابع فتوحه في إمارات البلقان من الصرب، و البلغار، وغيرهم، ليأمن بذلك عدم تعاونهم في فك الحصار عن القسطنطينية إذا ما حاصرها .

واصل العثمانيون فتوحاتهم بعد ذلك حتى وصلوا إلى جنوب بلغاريا، كما فتحت مدينة نيسا[4]، مما دفع أمير الصرب (لازار) لطلب الهدنة التي تعهد فيها بدفع الجزية، ونهج هذا النهج ملك بلغاريا (سيشمان) [5]، وتتويجاً لهذه المعاهدة تزوج مراد الأول من ابنة ملك بلغاريا، ثم استولى بعد ذلك على مدينة صوفيا، كما فتحت مدينة[6] سلانيك[7]، حيث تناقصت مساحة الإمبراطورية البيزنطية عما

---

(1) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 23؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 53/1؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 23؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 69

(2) كوبريلي، محمد فؤاد، **قيام الدولة العثمانية** 282؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 98/1-99؛ اليوسف، عبد القادر **الإمبراطورية البيزنطية** 347؛ محمد فريد بك، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 131-132؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 23 الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 66؛ ينظر: أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 252

(3) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 252

(4) **نيسا**: ويقال لها نيش، مدينة في جنوب الصرب، بين الطريق الموصل إلى القسطنطينية وسيلانيك، في بلاد الأناضول (جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 9)

(5) مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 57/1؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 162-163

(6) المحامي، محمد فريد ، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 133؛ عطا، زبيدة **الترك في العصور الوسطى** 170؛ مانتران روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 57/1

(7) **سلانيك**: مدينة رومية قديمة، تقع جنوب مقدونيا، كان اسمها ترما، ولما تولى عليها كساندر ملكاً على بلاد مقدونيا أطلق عليها اسم زوجته تسالونيك، وقد حرف هذا الاسم على مر العصور، وهي أهم ثغر تجاري بعد القسطنطينية (ينظر: سيرهنك إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 466/1؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 133)

كانت عليه من قبل، ولم يجد الإمبراطور بداً من القدوم إلى مدينة بروسا معلناً التبعية للعثمانيين من جديد[1].

وبهذا فإن غالبية أمراء البلقان، وصربيا، وإمبراطور القسطنطينية أعلنوا تبعيتهم للسلطات العثمانية[2]، ولكن ذلك لم يمنع الغرب من التوجه لعقد حلف صليبي جديد للنيل من القوات العثمانية التي أخذت تهدد الكثير من المناطق في أوروبا، وتمهد لفتح القسطنطينية، وقد كان هذا الحلف الصليبي بقيادة الممالك السلافية عام 789هـ/1387م، حيث تحالف لازار ملك الصرب، وسيشمان ملك بلغاريا وانضم إليهما قوات من البشناق، والهرسك، وألبانيا، وبولندا، والمجر، ودبروجه[3]، كما حصلت هذه القوات على مساعدات من سكان ولاشيا، والمجر، وطلب المتحالفون من البابا أوربان الخامس تحريض أوروبا لنجدتهم، ولكن دون جدوى، وقد فاجأ البلغار والصرب بعض القوات العثمانية في البوسنة، وأوقعوا بهم هزيمة في معركة بلوشنيك 1388م[4] .

ولا ريب أن هذا الانتصار قد أثر على معنويات البلقانيين؛ حيث تجدد العزم لديهم على إخراج العثمانيين من أوروبا، كما أثر على الوجود العثماني في البلقان، إلا أن آثار هذا الانتصار كانت مؤقتة فما لبث العثمانيون أن استعادوا قوتهم من جديد[5] وهاجموا شمال بلغاريا مما اضطرسيشمان إلى الفرار والتحصن في نيقوبوليس[6]، وعندها خرج طالباً الصلح والصفح، وقد استجاب له السلطان مراد الأول[7]، على أن يدفع الجزية المتأخرة، وأن يتنازل عن بعض المواقع لصالح العثمانيين[8]، غير أن

(1) مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 57/1؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 23؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية**253

(2) أوغلي، أكمل الدين، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة** 15/1-16؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 252-253 حمودة، سمية، **حركة الفتح العثماني في القرن 11هـ**، 23، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة 1427هـ/2006م

(3) الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 605/1

(4) Ostrogorsky, **History of the Byzantine State**. P.854؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 58/1 إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 28؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 100/1؛ عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 641

(5) ينظر: بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 417-418؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 58/1؛ الشناوي عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 704/1

(6) **نيقوبوليس**: وتسمى نيكوبولي، ومعناها مدينة النصر، أسسها الإمبراطور الروماني تراجانوس عقب انتصاره على أعدائه تقع هذه المدينة شمال بلغاريا على حدود رومانيا (المحامي، محمد فريد بك، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 135)

(7) المحامي، محمد فريد بك، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 134-135

(8) ينظر: بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 418؛ الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 705/1-706

الخلاف ظهر من جديد واستؤنفت الحرب[1]، ولما شدد العثمانيون الحصار على مدينة نيقوبوليس خرج سيشمان ومعه زوجته وأولاده، حيث عفا عنهم السلطان، وحفظ لهم العرش[2] .

أما لازار ملك الصرب فقد تضايق مما قام به العثمانيون، فجمع باقي القوات الصليبية المتحالفة وراسل السلطان العثماني يتحداه إلى معركة فاصلة[3]، عندها حشد مراد الأول قواته والتقى الجيشان في موقعة قوص أوه[4](كوسوفا) وذلك عام 792هـ/1389م[5]، وقد حارب السلطان مراد بنفسه فاغتيل بطعنة خنجر من يد أحد الصرب[6]، ورغم ذلك فقد انجلت المعركة عن انتصار العثمانيين وأسر لازار الذي قتله الإنكشارية انتقاماً لسلطانهم، كما وقع الكثير من الصليبيين في الأسر[7] .

---

(1) بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 26/3؛ المحامي، محمد فريد بك، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 134

(2) الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 605/1؛ المحامي، محمد فريد بك، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 135؛ السعيد، أحمد، **تاريخ الدولة العثمانية** 17؛ بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 418

(3) بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 26/3؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 28؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 30

(4) **قوص أوه، أو قوصوه**: كلمة تركية معناها السهل الواسع، كما تعني ميدان الطيور السود، وهي الإقليم المعروف الآن بكوسوفا، الذي يقع جنوب غرب صربيا، بمحاذاة الحدود مع ألبانيا، وتقطنه أغلبية ألبانيا، وعاصمتها برشتينا (المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**135؛ بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 418)

(5) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 28؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 100/1؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 38؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 58/1؛ كوبريلي، محمد فؤاد، **قيام الدولة العثمانية** 282 Ostrogorsky, **History of the Byzantine State**. Pp.546-547؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 55؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 70؛ اليوسف، عبد القادر، **الإمبراطورية البيزنطية** 180؛ الشناوي عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 606/1؛ الصلابي، محمد، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب الانهيار**48 العمري، عبد العزيز، **الفتوح الإسلامية عبر العصور** 390-391؛ أبو غنيمة، زياد، **جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك** 190؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 66؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 225؛ هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 221؛ بحري، فائقة، **أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام** 49، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة 1989م

(6) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 100/1؛ آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 36؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 58/1؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 39؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 54؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 135؛ الصلابي، محمد، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب الانهيار** 48؛ **السلطان محمد الفاتح** 67؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 172؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 24؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 29

(7) مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 58/1؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 135؛ الرشيدي، سالم **محمد الفاتح** 30، العمري، عبد العزيز، **الفتوح الإسلامية عبر العصور**389؛ كما وتشير إحدى الروايات الصربية أن السلطان مراد قد قتل بخناجر اثني عشر مقاتلاً صربياً، كانوا قد أخذوا على أنفسهم عهداً بقتله متى حانت الفرصة لهم، وأنهم اتجهوا إليه في خيمته على حين غفلة من حرسه فيما يبدو، فأردوه صريعاً، ويحرص الصرب إلى الآن على تداول هذه الروايات ضمن ملاحم صربية عن هذه المعركة، واصفة هؤلاء الجند بالأبطال (بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 418؛ عاشور، سعيد **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 641)

وبعد استشهاد السلطان مراد الأول استلم الدولة من بعده ابنه بايزيد الأول[1](791 – 805هـ 1389 – 1402م) حيث جنى ثمار هذا النصرالذي ترتب عليه انتشار الإسلام في منطقة البلقان واضطرت العديد من الدول الأوروبية لأن تخطب ود الدولة العثمانية، فبادرت بعضها بدفع الجزية[2] والأخرى بإعلان ولائها للعثمانيين[3]، فأعلن ستيفن بن لازار ملك الصرب تبعيته للسلطان بايزيد والذي تزوج من أخته أوليفيرا[4]، وتمت السيطرة على كل بلغاريا[5]، وامتدت سلطة العثمانيين على أمراء المجر، ورومانيا، وألبانيا[6]، وفقد الصرب استقلالهم مثلما فقد البلغار ممتلكاتهم في البلقان[7] وأتيح للمسلمين مرة جديدة من الانسياب في البلقان، حيث أضحوا قوة كبرى متفوقة لا يمكن الوقوف في وجهها من وجهة نظر الغرب الصليبي[8]، فغدا السلطان العثماني "سيد البلقان"[9] .

---

(1) بايزيد بن مراد بن أورخان: ولد عام 761م/1360م، وقد كان يلقب بالصاعقة لأنه كان كالبرق لخفته ومهارته في الحرب (آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 38) بالإضافة إلى سرعة تحركاته بين الجبهتين البلقانية والأناضولية (ياغي، إسماعيل **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث** 40) كما ولقب بيلدرم أي البرق (أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 103/1 المحامي، محمد فريد ، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 133؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 172؛ إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 13؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 74)،كما سمي بتيمور تاش باشي (بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 19) توفي بعد أن أسر عقب معركة أنقرة التي دارت بينه وبين تيمورلنك عام 803هـ/1402 (آصف يوسف، **سلاطين بني عثمان** 42)

(2) Ostrogorsky, **History of the Byzantine State**.p.487؛ الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 604/1؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 29؛ السعيد، أحمد، **تاريخ الدولة العثمانية** 13؛ عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 640؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 172

(3) المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 132؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 29؛ بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 417، لانجر، ويليام، **موسوعة تاريخ العالم** 869/3؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 172

(4) آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 39؛ الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 610/1؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 137؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 31؛ بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 419 لانجر، ويليام، **موسوعة تاريخ العالم** 856/3

(5) Ostrogorsky,**History of the Byzantine State**. P.849؛ إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 29؛ بروكلمان كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 419؛ الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 610/1؛ لويس، برنارد **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 38؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 73؛ هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 221

(6) العمري، عبد العزيز، **الفتوح الإسلامية عبر العصور** 388

(7) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 492/1؛ الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 607/1 – 608؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 135؛ عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 641؛ بروكلمان كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 419؛ لانجر، ويليام، **موسوعة تاريخ العالم** 865/3

(8) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 492/1 – 493

(9) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 84؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 16 عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 172؛ حمودة، سمية، **حركة الفتح العثماني في القرن 11هـ**، 22، رسالة ماجستير جامعة أم القرى، مكة 1427هـ/2006م

الحملة الأولى: في عهد بايزيد الصاعقة

الاستعدادات الإسلامية

أولاً : توحيد منطقة الأناضول: بعد أن اعتلى السلطان بايزيد الأول العرش العثماني (791-805هـ 1389-1402م) استمر في متابعة السياسة العثمانية نحو القسطنطينية بتطويقها من الجهات كافة ولذلك قام بتوحيد الإمارات العثمانية في الأناضول[1]، حيث كانت تلك المنطقة منقسمة على نفسها لعدة إمارات صغيرة يحكمها أمراء متغلبون، وقد سعى السلطان مراد الأول لتوحيد الأناضول بعدة وسائل فاستطاع أن يضم إمارات منتشا[2]، وبني آيدين[3] وصاروخان[4]، دون قتال[5]، بناءً على رغبة سكان هذه الإمارات وسلمت فيلادلفيا (ألا شهر) على دفع الجزية، والتي كانت آخر معاقل البيزنطيين في آسيا الصغرى[6] كما ضم إمارة القرمان، وسيواس، وتوقات[7]، لأملاكه، ثم شق بايزيد طريقه إلى إمارة اسفنديار التي تحولت إلى ملجأ للأمراء الفارين، وطلب بايزيد من أمير اسفنديار تسليم هؤلاء

---

(1) آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 39؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 54؛ عطا، زبيدة **الترك في العصور الوسطى** هامش 173؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 38

(2) منتشا: تقع دولة بني منتشا جنوب غرب الأناضول على البحر الأبيض المتوسط، وهي إحدى الإمارات السلجوقية التي استقلّتْ سنة 700هـ/1300م، وأصل بني منتشا من الأكراد، أعاد تيمورلنك لهم إمارتهم بعد وقعة أنقرة سنة 805هـ/1402م إلى سنة 824هـ/1421م؛ حيث استولى عليها العثمانيون نهائيًا (ينظر: السعيد، أحمد، **تاريخ الدول الإسلامية** 401/2-402؛ المحامي محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 139؛ ينظر: أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 76/1)

(3) بني آيدين: هي إحدى الإمارات التي خلفت دولة سلاجقة الروم، وتقع في الجنوب الغربي للأناضول، في منطقة إزمير وأفسس وما حولهما، وقد تعرضت لحرب صليبية قاومها زعيمهاعمر بك حتى قتل، وقد استمر حكم هذه الإمارة من سنة 700هـ - 805هـ/1300 - 1403م (ينظر: السعيد، أحمد، **تاريخ الدول الإسلامية**396/2 – 400؛ المحامي، محمد فريد ، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 139)

(4) صاروخان: هي إحدى الإمارات التي خلفت دولة سلاجقة الروم كذلك، وتقع شمال دولة بني آيدين، بينها وبين دولة قره سي حول بحر إيجه، وقد استمر حكمها من 700 - 813هـ / 1300 - 1410م (ينظر: السعيد، أحمد، **تاريخ الدول الإسلامية** 393/2 – 395؛ المحامي، محمد فريد ، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 139؛ ينظر: أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 76/1)

(5) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 103/1؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 56؛ البيشي سعدية، **الجهاد البحري العثماني من خلال معركة ليبانتو** 12، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – مكة المكرمة 1997م

(6) مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 62/1؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 103/1؛ بيتروسيان، إيرينا **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 55؛ التونجي، محمد، **بلاد الشام إبان العصر العثماني** 24؛ وذكر أن إمبراطور القسطنطينية، وابنه كانا من ضمن جيش بايزيد؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 169؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 138

(7) سيواس، وتوقات: مدينتان تقعان في شمال شرق تركيا (المحامي، محمد فريد ، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 139)

الثوار فأبى، فانقض عليه وضم بلاده، والتجأ أميرها ومن معه إلى تيمورلنك، ولم تنته سنة 1392م إلا وقد سلمت غالبية مناطق الأناضول له[1].

ثانياً: التحالف مع الصرب: فبعدما فرغ بايزيد من ترتيب الشأن الداخلي، والقضاء على ثورات الأناضول، اتجه إلى ناحية أوروبا، وبدأ أولى خطواته هناك بإقامة حلف ودي مع الصرب[2] ليجعلهم بمنزلة الحاجز بين الدولة العثمانية وإمبراطورية المجر[3]، ووافق على أن يحكم الصرب ابنا الملك (لازار) الذي قتل في معركة قوصوه، وفرض عليهما أن يكونا حاكمين على صربيا، يحكمانها حسب قوانين بلاد الصرب، وأعرافها، وتقاليدها، وعاداتها، وأن يدينا له بالولاء، ويقدما له جزية وعدداً من الجنود، يشتركون معه في فرقة خاصة بهم في الحروب، وتتويجاً لذلك تزوج بايزيد ابنة الملك لازار "أوليفيرا" [4] .

ثالثاً: إخضاع بلغاريا للسيادة العثمانية: فبعد أن تم التفاهم مع الصرب وجه بايزيد ضربه خاطفة في عام (797هـ/1393م) إلى بلغاريا، فاستولى عليها، وأخضع سكانها[5]، والتي استمرت تحت الحكم العثماني حوالي خمسمائة عام[6] وبذلك فقدت البلاد استقلالها السياسي، وكان لسقوط بلغاريا في قبضة الدولة العثمانية صدى هائلاً في أوروبا، فانتشر الرعب والفزع والخوف أنحاءها، مثلما انتشرت هيبة بايزيد في معظم أرجائها، فقد حاول ملك نابولي أن يؤمن نفسه بصداقة بايزيد[7] غير أن القوى

---

(1) ينظر: المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 138، 139، 140؛ بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 419 آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 39؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 1/65-66؛ الرشيدي، سالم **محمد الفاتح** 25؛ ينظر: أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 1/104-106

(2) آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 39؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 137؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 40؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 173؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 24؛ الصلابي علي، **السلطان محمد الفاتح** 74؛ هذا وقد كان الوسيط بين بايزيد وسكان هذه المناطق البيلك العثماني أحمد برهان الدين، والذي ازدادت أهميته السياسية بشكل ملحوظ في عهد بايزيد (بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 56)

(3) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 29

(4) آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 39؛ الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 1/610؛ المحامي محمد فريد ، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 137؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 31؛ بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 419؛ لانجر، ويليام، **موسوعة تاريخ العالم** 3/856؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 74

(5) آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 40؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 41؛ بيتروسيان، إيرينا **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 56؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 75؛ هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 223 البيشي، سعدية، **الجهاد البحري العثماني من خلال معركة ليبانتو** 13، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – مكة المكرمة 1997م

(6) عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 175

(7) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 56

المسيحية الصليبية تحركت للقضاء على الوجود العثماني في البلقان فيما بعد[1] ، كما أخضع غالبية قرى ومدن البلقان، في محاولة لقطع الإمدادات عن القسطنطينية[2].

رابعاً: التدخل في شؤون الإمبراطورية البيزنطية: وقد تمثل ذلك في إعانة حنا السابع في اعتلاء عرش بيزنطة من والده[3]، وأخذ السلطان بايزيد بالتدخل في أمور الإمبراطورية البيزنطية دون مقاوم، ففرض على إمبراطورها الجديد إرسال ولده مانويل لمساعدته في حروبه في الأناضول[4] ولما بدا لحنا السابع أن بايزيد يحيط بمدينته من كل جانب، أخذ في ترميم وتحصين بعض أسوار القسطنطينية المتداعية، عندها لم يجد السلطان بايزيد من إصدار أوامره له بهدم التحصينات التي أقامها، ليعزز الضغط على القسطنطينية[5]، ولكنه رفض[6]، غير أن موته كان المنجي له من مواجهة بايزيد، بعد حياة من المذلة والمهانة[7]، وقد فر مانويل – الذي كان ضمن جيش بايزيد - إلى القسطنطينية وتولى عرشها، مما أغضب بايزيد، ولكن السياسة التي انتهجها هي التي خففت من حدة غضبه، والتي تمثلت بالاستمرار بدفع الجزية، والتبعية للعثمانيين، وتقديم الخدمات العسكرية، وبذلك أضحت سلطة الإمبراطور تقتصر على ما بداخل أسوار القسطنطينية[8]، مما ساهم في توجيه أنظار بايزيد إليها[9].

خامساً: بناء قلعة على حدود القسطنطينية: أنشأ السلطان بايزيد الأول قلعة الأناضول على ضفة البسفور الآسيوية، على أضيق نقطة من مضيق البسفور المؤدي إلى البحر الأسود أمام القسطنطينية والتي عرفت بقلعة (أناضولو خيسار)، هذا وحاول إنشاء قلعة أخرى لكنه لم يكملها بسبب فك

---

(1) ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث** 41؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 75

(2) ينظر: مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 67/1-68؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 174

(3) آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 39؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 63/1؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 72

(4) ومن ذلك أنه حينما رفض قائد آلاشهر(فيلادلفيا) تسليمها للسلطان بايزيد، زحف إمبراطور القسطنطينية عليها وسلمها لبايزيد (الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 25؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 72؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 253؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 225؛ التونجي، محمد، **بلاد الشام إبان العصر العثماني** 24)

(5) آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 39؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 62/1؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 72

(6) عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 174

(7) آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 40؛ Ostrogorsky, **History of the Byzantine start**.P.487

(8) مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 64/1؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 73

(9) آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 40

الحصار، والتي أتمها السلطان محمد الثاني(الفاتح) قبيل فتح القسطنطينية، إذ لم يكمل بايزيد منها إلا الأسوار وبرج الزاوية من القلعة[1] .

سادساً: فتح بعض جزر البحر المتوسط: أدرك بايزيد الأول أهمية عزل القسطنطينية عن عالمها الخارجي، فكانت استعداداته السابقة بمثابة الحاجز لها من البر، وبخصوص عزلها بحرياً كان لا بد من السيطرة على البحر الذي يمدها بالزاد والمؤن، وعلى هذا توجه لفتح جزيرة رودس في البحر المتوسط، بالإضافة إلى عدة جزر غيرها[2]، وقد تم ذلك من خلال أسطول مكون من ستين سفينة، كان الغرض منه إلى جانب فتح تلك الجزر محاصرة القسطنطينية[3] .

الاستعدادات البيزنطية

اعتمدت القسطنطينية في مقاومة الحصارات التي تعرضت لها بالاعتماد على تحصيناتها وأسوارها، وفي هذه الحملة الإسلامية الجديدة لم ترق استعدادات البيزنطيين إلى أن تكون استعدادات إذ لم يفعل إمبراطورها في مواجهة العثمانيين إلا ترميم بعض أسوارها[4]، ورفض دفع الجزية المفروضة عليه، وعندها كانت هذه المحاولات للاستعداد دافعاً ومحركاً جديداً لبايزيد في التوجه للقسطنطينية وحصارها[5] .

حصار القسطنطينية الأول وأسباب فشله

ـ حصار القسطنطينية الأول

وبعد هذه الإجراءات الحربية يمم بايزيد شطره إلى القسطنطينية، فقرر وبعد التشاور مع مستشاريه الحربيين[6] محاصرة المدينة، وعدم الانصراف عنها حتى يفتحها، وبالفعل نزل في عام 1394م

---

(1) ينظر: أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 106/1؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 57

(2) آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 40

(3) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 104/1

(4) آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 39؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 62/1؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 72

(5) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 29؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 73

(6) يذكر بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 57 أن الذي أشار على بايزيد بمحاولة فتح القسطنطينية هو القائد الحربي قاره تيمورتاش باشا، والذي ظن أن النجاح سيحالف العثمانيين هذه المرة كما حالفهم في الاستيلاء على الكثير من الأملاك البيزنطية من قبل، وخاصة فيلادلفيا .

بساحتها وضرب عليها حصاراً مرهقاً[1] وضغط عليها بكل قوة، فنصب قرب أسوارها العرادات والمنجنيقات، مما أضعف المدينة[2]، ويظهر من هذا الحصار أنه ما كان يريد من القسطنطينية إلا أن تخضع له من غير قتال، مثلما تسلمت له إمارات الأناضول، ويظهر ذلك من خلال عدم التعرض لمناوشات حربية بين المسلمين والبيزنطيين، فقد أشار أحد المؤرخين[3] إلى أن هذا الإجراء لم يكن حصاراً بالمعنى المفهوم للحصار، وإنما كان مجرد الحجز على أمل أن يخضع له إمبراطور القسطنطينية كما فعل مع أمراء الأناضول، فقد استمر هذا الحجز قرابة سبعة شهور، وبالرغم من ذلك فقد حدثت مفاجأة لم تكن في الحسبان، جعلت بايزيد يفك الحصار، ويعود مسرعاً إلى الأناضول، لكنه لن يترك القسطنطينية من دون حصار، فقد بقي بجوارها بعض القوات العثمانية، وما يؤكد ذلك أن بعض المؤرخين[4] بينوا أن حصار القسطنطينية استمر إلى وفاه بايزيد .

ـ أسباب فشله

تراجعت الحملة عن القسطنطينية ويعود ذلك إلى الأسباب التالية :

1. عدم إحكام الحصار حول المدينة، خاصة في الجهات البحرية، ولذلك فقد قدمت إليها المؤن والمساعدات التي أرسلتها البندقية[5] .

2. ضعف الأسطول العثماني في ذلك الوقت[6]، وما رافقه من تحصينات القسطنطينية التي كانت لا تزال قوية[7] غير أن هذا لم يكن السبب الرئيس .

---

(1) جاويش، سليمان، **التحفة السنية في فتح القسطنطينية** 15؛ إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 29؛ آصف، يوسف **سلاطين بني عثمان** 40؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 57؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 139؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 41؛ عطية، عزيز، **العلاقات بين الشرق والغرب** 135 توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 225؛ بحري، فائقة، **أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا** 25، رسالة ماجستير جامعة أم القرى – مكة 1989م؛ البيشي، سعدية، **الجهاد البحري العثماني من خلال معركة ليبانتو** 13، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1997م

(2) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 57-58

(3) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 104/1

(4) المحامي، محمد فريد ، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 139؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 67/1

(5) مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 67/1

(6) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 58

(7) Ostrogorsky, **History of the Byzantine start**.P.473؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 67/1؛ عطا زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 164؛ وللاستزادة حول تحصينات القسطنطينية ومناعتها ينظر: التمهيد أول الدراسة .

3. الحلف الصليبي بقياد سيجزموند[1] ملك المجر، والذي أدى إلى نجاة القسطنطينية[2]، وحدوث معركة نيكوبوليس .

معركة نيكوبوليس ونتائجها

- المعركة

حينما سيطر العثمانيون على بلغاريا، وحاصروا القسطنطينية من بعدها، أصاب الذعر معظم سكان تلك المنطقة، فانبرى سيجزموند والبابا بونيفاس التاسع بالدعوة لتكتل أوروبي صليبي ضد الدولة العثمانية[3]، وقد وعد البابا بالغفران لكل من يشترك في هذه الحملة قتل أم لم يقتل[4]، ولهذا قدم إليه الكثير من الناس حتى كان هذا التكتل من أكبر التكتلات التي واجهتها الدولة العثمانية، فقد بلغ العدد الإجمالي لهذه الحملة مائة وعشرين ألف مقاتل، من مختلف الجنسيات الأوروبية[5] في حين كان عدد العثمانيين ما يقارب ذلك العدد أو أقل[6]، وذلك بهدف إخراج العثمانيين من البلقان وصرفهم إلى الأناضول[7] .

تحركت الحملة عام (800هـ/1396م) إلى المجر، ولكن زعماءها وقادتها اختلفوا مع سيجيزموند قبل بدء المعركة، والذي كان يؤثر الانتظار حتى يهاجمهم العثمانيون، لكن الفرنسيين اعترضوا على

---

(1) **سيجيزموند دي لوكسمبرج** (الكسمورجي): ملك المجر، كما ضم إليه أحيانًا رومانيا، وألمانيا، وبوهيميا، اتصف حكمه بالضعف أحياناً، والقوة والاتساع أحياناً أخرى، مات سنة 840هـ/1437م (المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 140، 141؛ لانجر، ويليام، **موسوعة تاريخ العالم** 815/3، 818، 852)

(2) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 58؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 16

(3) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 106/1؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 140-141

(4) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 25؛ بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 419؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 106/1

(5) هي: ألمانيا، وفرنسا، وإنجلترا، واسكتلندا، وسويسرا، ولوكسمبرج، والأراضي المنخفضة الجنوبية، وبعض الإمارات الإيطالية (ينظر: بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 58؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 106/1؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 140-141؛ الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 612/1-613؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 75)

(6) ينظر: بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 58؛ ذكر لانجر، ويليام، **موسوعة تاريخ العالم** 872/3 أن قوات الصليبيين مائة وعشرون ألفًا، ومثلها جيش العثمانيين، بينما ذكر المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 144 أن عدد الجند العثمانيين مائتا ألف مقاتل .

(7) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 106/1

هذا الرأي، ووصفوه بالانهزامية، وقد تغلب الرأي الأخير[1]؛ لأنه مثل رأي أغلب المشتركين في هذه الحملة، ومما زاد هذا الشعور، وشجع الصليبيين على الغرور، أن السلطان بايزيد كان محاصراً القسطنطينية بغية فتحها، فظنوا أنه لا يمكن عبور البحر إلى أوروبا[2]، ولما جاءت أخبار قدوم قوات بايزيد لم يصدق قادة الحملة ذلك، بل قطعوا آذان فرق الاستطلاع الذين أشاعوا الخبر، لكن الحقيقة ما لبثت أن تأكدت لدى هؤلاء، فأقدموا على قتل ألف أسير عثماني، كانوا قد وقعوا في أيديهم أثناء زحفهم[3].

وقد اتبع الفرسان الفرنسيون رأيهم هذا بأن أصروا على أن يكونوا في مقدمة الجيش، وعجز أعضاء الحملة عن إقناعهم بترك الخلاف[4] حيث شرعوا بالهجوم[5]، وانحدروا مع نهر الدانوب حتى وصلوا إلى نيكوبوليس، وبدؤوا في حصارها[6] وتغلبوا في أول الأمر على القوات العثمانية[7]، إلا أن بايزيد ظهر فجأة فانهزم معظم النصارى، ولاذوا بالفرار، وقتل، وأسر، عدد من قادتهم[8] .

---

(1) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 108/1

(2) الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 616/1 – 618؛ السعيد، أحمد، **تاريخ الدولة العثمانية** 18 بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 419

(3) السعيد، أحمد، **تاريخ الدولة العثمانية** 18؛ الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 616/1 – 618

(4) الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 617/1

(5) ينظر: بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 58؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 32؛ الشناوي عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 615/1-616؛ السعيد، أحمد، **تاريخ الدولة العثمانية** 18؛ بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 419

(6) آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 40؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 144؛ الرشيدي، سالم **محمد الفاتح** 26؛ الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 616/1؛ لانجر، ويليام، **موسوعة تاريخ العالم** 755/3، 872؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 75

(7) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 108/1؛ الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 617/1؛ السعيد أحمد، **تاريخ الدولة العثمانية** 18؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 75

(8) ينظر: آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 41؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 108/1؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 68/1؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 144؛ إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 13، 29؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 175؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 41، 16 بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 420؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 26؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 41؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 76؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 31؛ توفيق، عمر **تاريخ الدولة البيزنطية** 225؛ هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 223؛ حمودة، سمية، **حركة الفتح العثماني في القرن 11هـ**، 24 رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة 1427هـ/2006م؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 59 والذي أشار إلى أن الجيش العثماني استطاع من خلال ثلاث ساعات في القتال أن يهزم الصليبيين، وأن يقتل أكبر وجهاء الحملة الفرنسيين .

نتائجها

تعد هذه الحملة من أكبر الحملات التي وجهت للقضاء على العثمانيين، وإخراجهم من أوروبا في تلك الحقبة، ومن هنا تظهر هذه المعركة من أهم المعارك الفاصلة في التاريخ، وتبرز أهميتها من خلال النتائج التالية :

1- تواصلت الفتوحات الإسلامية في أوروبا، ورسخت فكرة الغزو لبقية أوروبا لدى السلطان بايزيد ويؤكد ذلك قول السلطان لوفد قدم من إيطاليا لعقد بعض الصفقات التجارية: "إنه سيفتح إيطاليا، ويطعم حصانه الأبيض الشعير في مذبح القديس بطرس[1] في روما"، ولولا إغارة المغول على بلاد الأناضول لسعى السلطان بايزيد لتحقيق رغبته تلك[2] .

2- فقدت دولة المجر مكانتها بين الدول الأوربية عامة، ودول البلقان خاصة[3]، فقد كان الأوربيون يعتقدون أنها الدولة البلقانية الوحيدة القادرة على التصدي للعثمانيين، وبخاصة بعد فشل البلغار، وعجز الصرب، لكن هذه الهزيمة أزالت كل ما كان يحيط بالمجر من مكانة، وبخاصة بعد أن فر ملكها سيجيزموند الذي كان قد بلغ من الإعجاب بقوة جيش هذه الحملة أنه قال: "لو انقضت السماء من عليائها لأمسكناها بحرابنا[4]"، كما اعترفت صربيا، والبوسنة، بالتبعية العثمانية، وقدمت إتاوة لذلك وافتتحت الكثير من المناطق فيها[5] .

3- عم الحزن والأسى كل أوروبا الغربية، وبخاصة فرنسا التي فتحت جميع الكنائس في باريس لتخفف عن الناس مآسيهم وأحزانهم[6].

4- أما على مستوى العالم الإسلامي فقد ذاعت شهرة السلطان بايزيد الأول كمجاهد كبير، واستحق لقب سلطان المجاهدين، وسلطان الروم، وأقره الخليفة العباسي على هذه الألقاب، وبذلك أسبغ على سلطته طابعاً رسمياً وشرعياً، وزادت هيبته في العالم الإسلامي[7] .

---

(1) **مذبح القديس بطرس**: هو المكان الذي قتل فيه بطرس في روما، وبنيت عليه كنيسة، وبطرس هذا تذكر الروايات أن عيسى (عليه السلام) جعله من أتباعه، والداعين معه، وقد رأس كنيسة المهد، ثم رحل إلى أنطاكية، فروما داعياً حيث قتل هناك (**الموسوعة الميسرة** 378)

(2) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 24، 26؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 146؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 31

(3) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 30؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 69/1

(4) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 33

(5) ينظر: بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 60-61؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث** 42

(6) الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 620/1

(7) أوغلي، أكمل الدين، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة** 19/1؛ حمودة، سمية، **حركة الفتح العثماني في القرن 11هـ**، 25 رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة 1427هـ/2006م

5- أصبح العثمانيون قوة كبرى من وجهة نظر أوروبا، فقدمت إليهم الوفود بمفاداة الأسرى[1] حيث بعث ملك فرنسا وفداً بالهدايا للسلطان بايزيد، وتكريماً لهذا الوفد، قدم بايزيد هدايا لملك فرنسا وفاداه بالأسرى الذين استعرضهم بحضور الوفد، وكان "دي نيفر" كبيرهم[2] والذي أقسم ألا يعود للمحاربة غير أن بايزيد أحله من هذا اليمين، وسمح له إن قدر على المحاربة أن يقابله، موضحاً بأنه سيكون مستعداً للمواجهة، في سبيل حرب المسيحيين، كونه ولد للحرب[3].

6- توطدت أقدام العثمانيين في البلقان[4]، وأيقن سكانه خطورة الخروج عليهم، والذين عملوا على معاقبة الذين قدموا مساعدة للحملة، بتدمير معظم أراضي شبه جزيزة[5] المورة[6]، واجتاح العديد من المناطق في البلقان[7]، وبعد هذه الحملة عاد بايزيد لحصار القسطنطينية من جديد.

7- أصبح للعثمانيين أسطول حققوا من خلاله سيادة وقوة وتفوقاً في بحر إيجة، حتى قيل إنهم بهذا الأسطول فاقوا قوة البندقية ذات التاريخ البحري العريق[8].

حصار القسطنطينية الثاني

أدى فشل هذه الحملة إلى وقوف البيزنطيين وجهاً لوجه أمام العثمانيين، وليس لهم محام أو مدافع من الأوروبيين، فبدا سقوط القسطنطينية قريباً، ولم تعد قادرة على نيل مساعدة الغرب المسيحي الذي عانى خسائر ضخمة في مغامرته الأخيرة بالقرب من بلغاريا[9]، مما أتاح للسلطان بايزيد متابعة حصاره للقسطنطينية إذ أصبح الطريق ممهداً[10]، وعقد العزم على فتحها[11] فقد روي أنه كان يتباهى

---

(1) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 60؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 69/1

(2) ينظر: آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 41؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 60 الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 76

(3) المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 144؛ الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 620/1 الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 76

(4) آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 41؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 69/1

(5) الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 620/1؛ بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 420 الصلابي، علي، **الدولة العثمانية عوامل الازدهار وأسباب السقوط** 54؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث** 42

(6) **المورة**: شبه جزيرة كبيرة تشكل الجزء الجنوبي من بلاد اليونان (المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 158)

(7) ينظر: مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 69/1؛ إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 30؛ بيتروسيان، إيرينا **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 61

(8) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 108/1-109

(9) ينظر: آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 41؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 60

(10) ينظر: عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 175

(11) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 30؛ آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 41؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 108/1؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 26؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 41؛ ياغي، إسماعيل **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 43؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 225

بعد هذا النصر بأنه سيفتح القسطنطينية، وسيهدم سورها، وسيحول كنيسة آيا صوفيا إلى مسجد[1] ولتحقيق هذا توجه إلى القسطنطينية المحاصرة أصلاً ببقايا جيوشه التي تركها عليها، وفرض عليها الحصار، وفي أثناء ذلك سار إمبراطور القسطنطينية إلى طلب المساعدة من الغرب[2]، وتفاوض مع ملك فرنسا لبيع حقه في العرش مقابل حماية القسطنطينية، حيث أرسل قوة من الفرنسيين قوامها ألف ومائتا رجل أخذت تشق طريقها للقسطنطينية، وانضمت إلى هذه القوة امدادات من رودس، وقد استطاعت هذه القوة تخفيف الضغط على القسطنطينية، ولكن كان واضحاً أنها لن تستطيع حمايتها[3] وباءت محاولات مانويل بالفشل[4].

على أية حال قد يكون من الخطأ تضخيم السهولة التي كان يمكن للعثمانيين أن يستولوا بها على القسطنطينية في تلك المرحلة، إذ لم يكونوا يملكون المدفعية القادرة على دك أسوارها الحصينة، ولم يكونوا قد أنشأوا الأسطول البحري الكافي لحصار المدينة من البر والبحر ذلك العاملان اللذان تداركهما محمد الفاتح الذي تمكن من فتح القسطنطينية[5] .

وهكذا بدا لبايزيد أن حصار المدينة قد يطول، لكنه قرر أن يحقق نتائج حاسمة مهما كلف الأمر ولذلك عسكر خارج أسوار القسطنطينية، ومنع وصول الإمدادات إليها، وبدأ رجاله ببناء آلات الحصار، وصفها بالقرب منها، ولكن دون جدوى، فقد أخفقت عملياته الحربية بسبب غزو التتار لآسيا الصغرى، مما اضطره لرفع الحصار عنها[6] .

وقبل فك الحصار عن القسطنطينية كان قد تولى العرش البيزنطي حنا السابع حليف العثمانيين السابق، وذلك في غياب الإمبراطور البيزنطي في رحلة طلب المساعدة من الغرب الأوروبي لفك الحصار عن القسطنطينية، وقد حاول بايزيد أن يقنعه بفتح أبواب القسطنطينية وتسليمها، لكنه تنازل عن كل ما لبيزنطة خلف أسوار القسطنطينية، وقدم وعداً بتسليم المدينة إذا تم الانتصار على

---

(1) ينظر: بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 61

(2) فقد شملت رحلته في بادئ الأمر فرنسا التي مدته بقوة من ألف ومائتي رجل، ثم توجه إلى انجلترا فوجدها أقل استعداداً لمعونته فعاد إلى فرنسا، وظل أكثر من سنتين يطوف بلدان أوروبا دون أن ينال شيئاً، فعاد إلى بلاده، وقد كان يتوقع أن يأتيه خبر سقوط القسطنطينية في كل لحظة، وقد بدت عليه الدهشة، والحيرة، والفرحة، عندما بلغه خبر بايزيد بعد أسره على يد تيمورلنك (ينظر: أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 108/1؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 58-59)

(3) مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 70/1؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 176؛ عطية، عزيز، **العلاقات بين الشرق والغرب** 135؛ Ostrogorsky, **History of the Byzantine start**.P.493؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 58

(4) مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 70/1

(5) عطية، عزيز، **العلاقات بين الشرق والغرب** 135

(6) الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 77؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 16، 41؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 144؛ عطية، عزيز، **العلاقات بين الشرق والغرب** 135؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 43؛ مصطفى، أحمد، **في أصول التاريخ العثماني** 54-55؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 32

تيمورلنك[1]، كما يقال بأنه حاول رشوة وزير بايزيد علي باشا، آملاً إنقاذ مدينته من القدر المحتوم، إذ أرسل له مئة سمكة محشوة بالنقود البيزنطية الذهبية والفضية، وقد تمكن علي باشا من إقناع بايزيد بعقد سلام مع الإمبراطور البيزنطي، ووعد بالسماح للمسلمين بالعيش في القسطنطينية[2]، إلى أن يتم القضاء على الخطر القادم من الشرق[3]، ولذلك فك الحصار عن المدينة، ولكن بعقد اتفاق على[4] :

1. إنشاء محكمة إسلامية، وتعيين قضاة مسلمين بها للفصل في شئون الرعية المسلمة بها.
2. بناء مسجد للمسلمين في الحي الإسلامي الذي سيقام في القسطنطينية[5] .
3. تخصيص سبعمائة منزل داخل المدينة للجالية المسلمة بها .
4. التنازل عن نصف حي "غلطة" لوضع حامية عثمانية، قوامها ستة آلاف جندي .
5. زيادة الجزية المفروضة على الدولة البيزنطية .
6. فرض رسوم جديدة على مزارع الكروم والخضروات الواقعة خارج المدينة[6] .

والناظر لهذه الشروط يجدها في غاية الذلة والمهانة لإمبراطور بيزنطة، ولكنه قبل بذلك لعلمه بضعف موقفه وقوة المسلمين، وبهذا دوت تكبيرات الآذان في جنبات القسطنطينية[7]، وأصبح هناك حي خاص لهم، ويبدو أن الهدف من ذلك هو محاولة النفوذ للمدينة من الداخل، والتعرف إلى مواطن الضعف والقوة فيها، والعمل على نشر الإسلام بها، حتى يتسنى لها الفتح .

وبعد عقد هذه المعاهدة توجه بايزيد إلى الأناضول لمواجهة تيمورلنك، لكنه قبل مواجهته سار لإخضاع علاء الدين الكرماني - الذي لم يذق طعم الراحة والطمأنينة بعد الانتصارات التي حققها العثمانيون في الجبهة الغربية[8]- والذي سيطر على أنقرة - وقد رد بايزيد على ذلك بقوته المعهودة مما

---

(1) مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 70/1؛ حمودة، سمية، **حركة الفتح العثماني في القرن 11هـ**، 25، رسالة ماجستير جامعة أم القرى، مكة 1427هـ/2006م

(2) ينظر: بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 61

(3) الصلابي، علي، **الدولة العثمانية عوامل الازدهار وأسباب السقوط** 54؛ **السلطان محمد الفاتح** 77؛ ياغي، إسماعيل **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث** 43

(4) المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 144؛ ينظر: بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 61

(5) ينظر: بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 61؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 73

(6) الصلابي، علي، **الدولة العثمانية عوامل الازدهار وأسباب السقوط** 54

(7) مصطفى، أحمد، **في أصول التاريخ العثماني** 53؛ الصلابي، علي، **الدولة العثمانية عوامل الازدهار وأسباب السقوط** 54 **السلطان محمد الفاتح** 78

(8) مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 70/1؛ ينظر: بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 61

دفـع عـلاء الـدين للهـرب والاختبـاء فـي عاصـمته قونيـا[1]، فتبعـه بايزيـد وألقـى القـبض عليـه وقتله[2] ولم يكتف بذلك بل قرر إعادة السيطرة على "الاريدي" العاصمة السابقة لعلاء الدين[3]، كما خضعت له العديد من الإمارات التركية التي استغلت انشغال بايزيد بحصار القسطنطينية ومحاربة الصليبيين[4] .

وفي ربيع عام 1402م أرسل بايزيد رسولاً إلى إمبراطور القسطنطينية يطلب منه تسليم المدينة، إلا أنه رد برسالة يقول فيها:" قل لسيدك إننا ضعفاء، ولكن نؤمن بالله الذي سيجعلنا أقوياء، ومن الممكن أن يسقطهم من عروشهم، واجعل سيدك يفعل ما يريد"[5]. ويظهر من ذلك تحدياً واضحاً من قبل إمبراطور القسطنطينية الذي بدا واثقاً من عدم عودة بايزيد إليه، لعلمه بقدوم تيمورلنك الذي أخذ يجتاح المنطقة، وما يدعم ذلك المراسلات التي تمت بين إمبراطور القسطنطينية وتيمورلنك قبل حدوث معركة أنقرة، حيث استقبل تيمورلنك سفراء عدة دول كانت القسطنطينية إحداها[6] .

الصدام بين بايزيد وتيمورلنك

على أية حال فك بايزيد الحصار عن القسطنطينية مرة أخرى، وتأهب لمواجهة تيمورلنك[7] الذي تولى عرش خراسان عام 1369م ، واستطاع أن يتوسع بجيوشه، ويهيمن على القسم الأكبر من العالم الإسلامي[8]، وأعلن أنه سيسيطر على الأرض، ويجعلها ملكاً له، فقد كان يردد: "أنه يجب ألا يوجد سوى سيد واحد على الأرض، طالما أنه لا يوجد إلا إله واحد في السماء[9]"، ولذلك قرر المواجهة مع بايزيد، وقد ساهمت عوامل وأسباب كثيرة في إيجاد صراع بين تيمورلنك وبايزيد منها:

---

(1) ينظر: بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 62

(2) مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 70/1؛ ينظر: بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 62

(3) ينظر: بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 62

(4) ومن بين هذه الإمارات إمارة سيواس، وتوكات، ومالاتا، وسيواس (ينظر: بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية**62؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 70/1)

(5) عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 177؛ Ostrogorsky, **History of the Byzantine start**.P.496 الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 26

(6) مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 71/1، 75

(7) ابن عربشاه، أحمد، **عجائب المقدور في نوائب تيمور** 192؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 26؛ الصلابي، علي، **الدولة العثمانية عوامل الازدهار وأسباب السقوط** 54؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث** 43

(8) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 109/1؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 140؛ الصلابي، علي **السلطان محمد الفاتح** 79

(9) مصطفى، أحمد، **في أصول التاريخ العثماني** 56؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 79؛ **الدولة العثمانية عوامل الازدهار وأسباب السقوط** 54؛ وقد وردت تلك العبارة على لسان بايزيد نفسه حينما قتل أخاه الأكبر يعقوب خان كما يقال، والذي كان الأولى بالسلطنة (آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 39)

1. لجأ أمراء العراق الذين استولى تيمورلنك على بلادهم إلى بايزيد، كما لجأ إلى تيمورلنك بعض أمراء آسيا الصغرى، وفي كلا الجانبين كان اللاجئون يحرضون من استجاروا به على شن الحرب ضد الطرف الآخر[1] .

2.تشجيع النصارى لتيمورلنك على القضاء على بايزيد، حيث استقبل سفراء ملك فرنسا، وجنوة وإمبراطور القسطنطينية، والبندقية، الذين كانوا مهددين بفقدان كل شيء إذا ما سقطت القسطنطينية بيد العثمانيين[2].

3. استيلاء بايزيد على الإمارات التركمانية في الأناضول، والتي كانت غالبيتها تابعة لتيمورلنك حيث وجد في ذلك اعتداء على ممتلكاته، بالإضافة إلى سطوع نجم بايزيد الذي يعد منافساً له[3].

4.إهانة تيمورلنك لبايزيد في رسالة أبان فيها غموض أصل أسرته، واستصغار شأن بايزيد الذي قبل التحدي، وصرح بأنه سيتعقب تيمورلنك إلى تبريز وسلطانية[4] .

5. سعى كل من الزعيمين (تيمورلنك وبايزيد) لتوسيع دولته[5]، وقد كان تيمورلنك يكره أن تكون هناك إمارة تركية أقوى منه، أو منافسة له، ولذلك قرر التوجه نحو العثمانيين[6] .

معركة أنقرة ومقتل بايزيد

تقدم تيمورلنك بجيوشه واحتل مدينة سيواس، وأباد حاميتها التي كان يقودها أرطغرل ابن بايزيد[7]، ثم توجه إلى أنقرة وسيطر عليها، والذي عد تحدياً حقيقياً للسلطان

---

(1) ينظر: أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 109/1؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 71/1؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 146؛ الصلابي،علي، **الدولة العثمانية عوامل الازدهار وأسباب السقوط** 54؛ **السلطان محمد الفاتح** 79؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 27

(2) مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 71/1، 75؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 27؛ حمودة، سمية، **حركة الفتح العثماني في القرن 11هـ**، 25، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة 1427هـ/2006م

(3) هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 223؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 71/1

(4) مصطفى، أحمد، **في أصول التاريخ العثماني** 57؛ ينظر: أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 110/1؛ الصلابي، علي **الدولة العثمانية عوامل الازدهار** 55؛ **السلطان محمد الفاتح** 79

(5) الصلابي، علي، **الدولة العثمانية عوامل الازدهار وأسباب السقوط** 54

(6) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 109/1؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 177

(7) ينظر: ابن إياس، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**326/1؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 72/1؛ أوزتونا يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 109/1؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 146؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 178؛ آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 41؛ التونجي، محمد، **بلاد الشام إبان العصر العثماني** 24؛ وقد عرف تيمورلنك بوحشيته في الحروب فقد ذكر بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 64، أن تيمولنك أعطى سكان سيواس أماناً على أنفسهم بعدم إراقة الدماء، ولكنه لما سيطر عليها، أمر بدفن حاكم المدينة أرطغرل بن بايزيد وجنود الحامية العثمانية فيها وهم أحياء؛ ومن مظاهر وحشية تيمورلنك أنه حينما سيطر على مدينة سيزاوار بنى فيها برجا من أجساد محاربيه، وأخذ نحو ألفين من الأحياء ووضعهم فوق بعضهم كحجارة، وبناهم بالطين واحداً فوق الآخر (آصف، يوسف **سلاطين بني عثمان** 41)

العثماني[1] الذي تقدم بسرعته المعهودة، ولكن هذه المرة كانت سرعته نقمة عليه، إذ فاتته فرصة تنظيم الجيش[2]، ولم يحسن اختيار

المكان، ولا الإعداد للقاء جيش مثل جيش تيمورلنك[3]، ثم جاءت الطامة بفرار الجنود التتار الذين كانوا مع جيش بايزيد، وجنود الإمارات الأناضولية المفتوحة حديثاً وانضمامهم لجيش تيمورلنك[4] الذي كان يضم أمراء هذه الإمارات، والذين سبق أن فروا إلى تيمورلنك عند سقوط إماراتهم، فوقعت الهزيمة على بايزيد ووقع في الأسر[5]، حيث وضعه تيمورلنك في قفص، وأمر بإرساله إلى سمرقند، لكن المنية وافته قبل ذلك، حيث مات في أسره سنة 805هـ/1403م[6]، وقد سمح تيمورلنك بدفنه في جامع بروسة[7].

---

(1) ينظر: بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 65؛ ينظر: توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 225

(2) مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 75/1؛ ينظر: بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 63

(3) عن ترتيبات الجيشان واختيار مكان المعركة، ينظر: بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 65-67 مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 75/1-76

(4) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 30؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 110/1؛ آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 41؛ المالكي، إبراهيم، **قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان** 25؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 28؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 146؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 81؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 32؛ التونجي، محمد، **بلاد الشام إبان العصر العثماني** 24

(5) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 30؛ أوغلي، أكمل الدين، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة** 29/1؛ المالكي، إبراهيم **قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان** 26؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 75/1-76؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 67؛ آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 41؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 146؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 109؛عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 178 جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 75؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 16؛ هرماس، غسان **السيد العظيم محمد الفاتح** 33؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 255؛ هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 223 التونجي، محمد، **بلاد الشام إبان العصر العثماني** 25

(6) ينظر: بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 31/3؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 109؛ آصف، يوسف **سلاطين بني عثمان** 41؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العثمانية** 146؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 28؛ باربارو، نيقولو **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 29؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 43؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 255؛ عطية، عزيز، **العلاقات بين الشرق والغرب** 135؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 80؛ البيشي، سعدية **الجهاد البحري العثماني من خلال معركة ليبانتو** 14، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – مكة المكرمة 1997م، وتعد معركة أنقرة من المعارك الفاصلة في التاريخ، نتيجة لآثارها الكبيرة على مسرح الأحداث في العصور الوسطى، عن هذه الآثار ينظر ابن عربشاه، أحمد، **عجائب المقدور في نوائب تيمور** 319-331؛ ابن العماد، عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** 47/7 ابن تغري بردي، جمال الدين، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** 268/12-269؛ داهموس، جوزيف، **سبع معارك فاصلة** 169-193؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 67

(7) ابن إياس، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور** 660/1؛ آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 41؛ المحامي، محمد فريد **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 146؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 111

بيزنطة بعد معركة أنقرة

كانت معركة أنقرة أولى المعارك التي تلقى فيها العثمانيون هزيمة ساحقة، إلا أنها بفضل الأسس القوية التي قامت عليها الدولة لم تكن هذه الضربة القاضية، وتمكنت من امتصاص هذه الضربة ومعاودة النهوض في زمن يسير، لكن ذلك جعل بيزنطة تنعم بفترة راحة، وتأجل سقوط القسطنطينية نصف قرن من الزمان[1]، بسبب الصراع الذي دب بين أبناء بايزيد، والذي استمر عشر سنوات (806-816هـ/1403-1413م)، تنازعوا فيها على أشلاء دولتهم الممزقة[2] فسليمان الذي كان يتولى الجزء الأوروبي، دخل في صراع مع أخيه موسى حاكم آسيا الصغرى، وقد انضم إليه إمبراطور القسطنطينية، مقابل وعد بمنحه سالونيك وعدة مدن في آسيا[3]، وأرسل له أخاه الأصغر قاسم كرهينة وبهذا تحررت القسطنطينية من دفع الجزية للعثمانيين[4]، كما طرد الحي الإسلامي في القسطنطينية والذي كان قد طلب بايزيد تخصيصه لهم[5].

غير أن هزيمة سليمان على يد أخيه موسى عطلت مشاريعه، وبدأ موسى بالانتقام من حلفاء أخيه المقتول، فهاجم الصرب، واستعاد سالونيك، غير أن الأخ الأصغر "محمد" ثار عليه ، وانضم إليه إمبراطور القسطنطينية مانويل، وقائد الصرب، ودارت الحرب بين الأخوين كان النصر فيها حليف

---

(1) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 110/1-111

(2) ابن عربشاه، أحمد، **عجائب المقدور في نوائب تيمور** 334؛ المالكي، إبراهيم، **قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان** 26 أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 111/1؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 43؛ هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 219؛ Ostrogorsky, **History of the Byzantine start**.P.493؛ إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 30 بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 74؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 30،28؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 30 نقلاً عن المصدر العثماني Asik Pasa oglu, **Asik Pasa oglu Tarihi** Pp 83-85؛ لويس برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 43؛ التونجي، محمد، **بلاد الشام إبان العصر العثماني** 25؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 82؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 256؛ وللتعرف إلى هذه الإمارات التي تشكلت لأبناء بايزيد والصراع بينها، (ينظر: بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 68-74)

(3) ابن تغري بردي، جمال الدين، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** 269/12؛ إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 31-32؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 148

(4) ابن تغري بردي، جمال الدين، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** 269/12؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 30؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 180

(5) مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 79/1

محمد (الملقب بجلبي) الذي توج سلطاناً على الأتراك[1]، فنهضت الدولة في عهده من جديد وتهيأت لها أسباب القوة والاستقرار في زمن يسير[2] .

كرس محمد جهده لتثبيت حكمه، ومد نفوذه، حتى عد المؤسس الثاني للدولة العثمانية[3]، وأبدى تفهماً لموقف بيزنطة، وظلت العلاقة طيبة بين الطرفين، وأعاد ما سيطر عليه موسى لإمبراطور القسطنطينية، وبالأخص مدينة سالونيك[4]، وتوثقت العلاقات بين الطرفين، لدرجة أنه أوصى بإرسال اثنين من أبنائه ليكونا تحت وصاية إمبراطور القسطنطينية[5]، ولكنه وبالرغم من ذلك فقد مهد الطريق أمام من جاء بعده من السلاطين لتكملة الفتوح مرة أخرى في أوروبا[6]، فبعد أن توفي محمد وخلفه ابنه مراد الثاني[7] (1421 – 1451) [8] انتهت فترة السلم التي نعمت بها بيزنطة فترة من الزمن، وعادت لمقارعة العثمانيين من جديد[9]، والذي سار لحصار القسطنطينية من جديد .

---

(1) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 32؛ آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 41؛ ينظر: مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 1/80-83؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 1/114؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 148؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 44؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 180؛ جونز ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 76؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 43-44؛ أومان، تشارلز **الإمبراطورية البيزنطية** 257؛ هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 224

(2) حمودة، سمية، **حركة الفتح العثماني في القرن 11هـ**، 26، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة 1427هـ/2006م

(3) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 1/110-116

(4) Ostrogorsky, **History of the Byzantine start**.P.495؛ مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 1/83 الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 30

(5) آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 44؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 30؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 76

(6) المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 149؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 256؛ عاشور، سعيد **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 642؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 45

(7) **مراد بن محمد جلبي** : ولد عام 806هـ/1421م، بعد توليه السلطنة خاض العديد من المعارك، كما حاصر القسطنطينية، وقد كان تقياً صالحاً، محباً للخير، ميالاً للرأفة والإحسان، توفي في عام 855هـ/1450م بعد أن قضى في السلطة واحداً وعشرين عاماً موصياً بالملك لولده محمد الثاني(الفاتح) (ينظر: آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 46-48؛ المالكي، إبراهيم، **قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان** 26-27؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 153)

(8) مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 1/89 ؛ Ostrogorsky, **History of the Byzantine start**.P.495

(9) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 34؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 44؛ عطا، زبيدة **الترك في العصور الوسطى** 180-181؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 257

الحصار الثالث في عهد مراد الثاني

الاستعدادات الإسلامية

أولاً: عقد صلح مع أمير القرمان: بعد أن تولى السلطان مراد الثاني عرش الدولة العثمانية استهل حكمه بإبرام صلح مع أمير القرمان، والاتفاق مع ملك المجر على هدنة لخمس سنوات(1)، مقابل تخليه عن البلاد المجرية الواقعة على الشاطئ الأيمن لنهر الدانوب، ليكون بذلك هذا النهر حداً فاصلاً بين الدولتين(2)، ويبدو أن الهدف من ذلك هو التفرغ لإرجاع ما فقدته الدولة بعد معركة أنقرة، وما نتج عنها من انقسام وتفتت في الدولة العثمانية، ليمهد بذلك الطريق لفتح القسطنطينية، وهو ما حدث فعلاً إذ استطاع أن يستعيد البقاع التي سيطرت عليها بيزنطة بعد معركة أنقرة كافة(3).

ثانياً: القضاء على الفتن الداخلية: رفض مراد الثاني تسليم اثنين من إخوته لإمبراطور القسطنطينية عندما طالبه بذلك، تحقيقاً لوصية أبيه(4)، ولهذا أطلق إمبراطور القسطنطينية الأمير مصطفى ابن السلطان بايزيد، وقدم له مساعدة انتهت بسيطرته على بعض الأراضي العثمانية، لكن السلطان مراد استطاع القضاء على الفتنة التي نشبت عقب إطلاق سراحه، وتمكن من إلقاء القبض عليه وأمر بشنقه في عام 826هـ/1422م(5)

ثالثاً: إقامة التحصينات والمدافع حول القسطنطينية : أقام مراد الثاني خطاً من التحصينات بالقرب من أسوار القسطنطينية، وتمثلت في إقامة سور يمتد من البحر وحتى خليج القرن الذهبي، ليتمكن من السيطرة على الأراضي المحيطة بالمدينة وحصارها، وأقيم هذا الخط بسد ترابي مدعم بأخشاب قوية ومدرع بصخور كبيرة، وفي حماية هذا الخط كان السلطان يقيم مستعداً للهجوم في اللحظة المناسبة كما أعد أبراجاً متحركة لتحمل القوات إلى أسوار المدينة، ولتنقل البارود إلى المواقع الأمامية، ولأول

---

(1) آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 47؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 153؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 30؛ التونجي، محمد، **بلاد الشام إبان العصر العثماني** 26

(2) ا لبيشي، سعدية، **الجهاد البحري العثماني من خلال معركة ليبانتو** 15، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – مكة المكرمة 1997م

(3) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 257

(4) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 30؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 30؛ وذكر آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 47 أن مصطفى هرب إلى غاليبولي فخانه بعض أتباعه وقتلوه .

(5) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 500/1؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 120/1؛ آصف يوسف، **سلاطين بني عثمان** 47؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولةالعلية العثمانية** 153؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 44؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 93؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 37؛ أومان تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 257؛ وأشار الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 31 إلى أن السلطان مراد استطاع بدهائه أن يخذل جنود مصطفى عنه، ومن ثم انقض عليه وقتله .

مرة في التاريخ تستعمل المدافع من جانب العثمانيين في هذه الحملة[1] إضافة إلى حشد جيش بري يتراوح ما بين عشرين وثلاثين ألف مقاتل، بالإضافة إلى أسطول بحري كبير[2] .

الاستعدادات البيزنطية

لما رفض مراد الثاني تسليم اثنين من إخوته لإمبراطور القسطنطينية، عمل الأخير على إيقاد فتنة في الأراضي العثمانية بإطلاق سراح الأمير مصطفى بن بايزيد، وقدم له مساعدة مكنته من الاستيلاء على بعض الأراضي العثمانية في أوروبا[3]، فمده بقوة بحرية قوامها عشرة مراكب حربية تحت إمرة ضابط بيزنطي، وسير معه جنوداً برية، فتسلمت له مدينة غاليبولي بعد حصار شديد، كما قتل أمير الجيش الذي أرسله إليه مراد الثاني بعد أن تغلب عليه[4] .

كما حاولت القسطنطينية التحرر من الإتاوة التي كانت تدفعها للعثمانيين منذ سنه 799هـ/1396م عقب هزيمة التحالف الصليبي في معركة نيكوبوليس، كما كانت تدفع هذه الضريبة بلاد الصرب والبوسنة أيضاً[5]، بالإضافة إلى ذلك فقد كانت القسطنطينية تعتمد في مواجهة الحملات عليها على تحصيناتها القوية، وأسوارها المنيعة .

حصار القسطنطينية وأسباب فشله

- حصار القسطنطينية

لما فرغ السلطان مراد من القضاء على ثورة عمه مصطفى، اتجه إلى الانتقام من الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني جراء ما أثار من فتن واضطرابات في الدولة، ورأى أن الضربة الموجعة لإمبراطور القسطنطينية يجب أن تكون بالاستيلاء على القسطنطينية نفسها، ونشر الإسلام بها، وتحقيق بشارة النبي (ﷺ) في فتحها، فأخذ أهبته لذلك وسار إلى حصارها في سنة 825هـ/1422م[6] .

---

(1) Ostrogorsky, **History of the Byzantine start** .P.497؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 121/1 أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 257-258

(2) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 121/1

(3) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 34؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 153؛ الرشيدي، سالم **محمد الفاتح** 30؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 30-31

(4) آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 47؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 153؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 76-77

(5) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 500/1

(6) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 34؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 500/1؛ بيتروسيان، إيرينا **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 79؛ آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 47؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 120/1؛ الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 624/1؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 153؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 16،45؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 73 أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 257

حاول الأمبراطور البيزنطي استرضاء السلطان العثماني مرسلاً له الأعذار بما بدر منه، وحاول إعادة الأمور لما كانت عليه من قبل، لكن السلطان مراد الثاني رفض ذلك، وما جاء يوم الرابع والعشرين من آب 1422م إلا وكان مراد الثاني يقف على أبواب القسطنطينية، ومعه عشرون ألف مقاتل من أحسن الجند الذين انتقاهم لهذه المهمة[1]، وقيل ثلاثون ألفاً، بالإضافة إلى أسطول بحري كبير، والعديد من المدافع[2] .

كانت خطة السلطان مراد الثاني تتركز في أن يجمع بين حصار القسطنطينية وضرب القوات البيزنطية من حولها، تحسباً لأي نجدات قد تأتيها، ولهذا أفرد عشرة آلاف مقاتل تحت قيادة القائد العثماني ميخائيل بك، ووجههم للإغارة على الأراضي البيزنطية خارج القسطنطينية، أما بقية الجيش فقد قاده بنفسه، وخصصه لحصار القسطنطينية، وقد أحكم الحصار على المدينة بمهارة فائقة، وعبقرية فذة، كانت تندر في العمليات الحربية المعاصرة[3]، حتى كان هذا الحصار من أشد الحصارات التي تعرضت لها القسطنطينية[4] .

وفي أثناء الحصار عمل السلطان على إثارة حماس الجنود وبث الروح المعنوية فيهم، بإعلانه أن لكل مجاهد نصيباً من الكنوز الموجودة في المدينة[5]، ولهذا بلغ الحماس مبلغه في الناس، فانضم إليه خمسمائة من الشباب المتدين، والمتفقه في علوم الشريعة، وكان على رأس هؤلاء الشيخ البخاري عم السلطان مراد، والذي أخذ يبث روح الجهاد في صفوف الجند، وأعلن الشيخ البخاري وجماعته أنهم سيقودون المسلمين لفتح القسطنطينية[6].

سارت عملية الحصار بنصب سياج من الأعمدة لتتمكن القوات برمي المدينة من خلفها، كما تم وضع العديد من الأبراج قرب أسوار القسطنطينية، وأخذ المجاهدون بصيحات التكبير، وبدأ قصف المدينة بالمدافع والسهام، فشدد السلطان مراد الحصار على القسطنطينية، وبدأ بهجوم عنيف عليها وأخذ الجنود العثمانيون في اقتحام أسوار المدينة مراراً[7]، وقابلته الجيوش البيزنطية باستماتة واستبسال، وقاوموا على أسوار المدينة يدافعون بكل ما تقع عليه أيديهم، وقد كان أشد القتال بالقرب من بوابة سانت رومانوس[8]، ومع بسالة المهاجمين الذين أخذوا في اعتلاء الأسوار، صمد المدافعون

---

(1) الحنبلي، شاكر، **التاريخ العثماني** 32؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 31

(2) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 121/1

(3) Ostrogorsky, **History of the Byzantine start**.P.497

(4) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 121/1

(5) آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 47؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 31

(6) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 31

(7) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 79

(8) المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 154

الذين أخذوا في إسقاطهم عنها وردهم[1]، ولما رأى إمبراطور القسطنطينية مدينته على وشك السقوط في أيدي العثمانيين[2] - أراد أن يرمي بآخر سهم في جعبته - عمل على إثارة الفتن في الأراضي العثمانية، وقد نجح في أثارة فتنة في آسيا الصغرى تمثلت في إثارة أخ السلطان مراد "مصطفى" مما دفع بالسلطان لأن يتوجه لإخماد تلك الفتنة، وبالتالي فك الحصار عن المدينة[3]، بعد حصار دام ثلاثة أشهر تقريباً[4].

- أسباب فشله

تضافرت أمور عدة حالت دون فتح المدينة، وقد تمثلت تلك الأمور في :

1. نقص المدفعية العثمانية التي واجهت القسطنطينية بتحصيناتها الكبيرة، بالإضافة إلى نقص في القوات البحرية التي كانت مازالت في طور البناء، والتي عجزت عن إحكام الحصار حول المدينة بالإضافة إلى قلة أعداد الجيوش العثمانية[5] .

2. قيام فتنة ضد السلطان العثماني بتحريض من إمبراطور القسطنطينية، والتي تولى كبرها أخو السلطان مصطفى جلبي الذي شق عصا الطاعة، واستعان ببعض الأمراء الفارين من آسيا الصغرى الذين كان قدر رد لهم تيمورلنك أقاليمهم التي انتزعها العثمانيون، ولذلك توجه السلطان لإخماد هذه الفتنة، حيث تمكن من القبض على أخيه مصطفى وقتله في عام 827هـ/1423م[6].

3. مناعة أسوار القسطنطينية وتحصيناتها[7] .

---

(1) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 79

(2) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 121/1

(3) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 34؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 31؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 45؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 31؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 154

(4) فقد ذكر إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 34 أن مراد الثاني حاصر القسطنطينية في الثاني من حزيران، وحتى السادس من أيلول 1422م، غير أن بعض المراجع ذكرت أن مدة الحصار استمرت ستة أشهر (هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 38)

(5) عطية، عزيز، **العلاقات بين الشرق والغرب** 137؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 80

(6) ابن حجر العسقلاني، أحمد، **إنباء الغمر بأبناء العمر** 133/3؛ إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 34؛ أوزتونا، يلماز **تاريخ الدولة العثمانية** 121/1؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 258؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 31؛ جونز، ج.ر **الحصار العثماني للقسطنطينية** 77؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 154؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 17؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 37؛ عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 642

(7) آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 47؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 257، وللتعرف إلى حصانة ومناعة القسطنطينية، ينظر التمهيد أول هذه الدراسة

نتائج الحملة

أولاً: استغلت بعض البلدان الأوروبية الحصار العثماني على القسطنطينية بمحاولة مد نفوذها على ما تبقى لبيزنطة من أراض، فعقدت البندقية اتفاقية مع القسطنطينية تسمح لها بالسيطرة على سالونيك عام 1423م، وقد خشي العثمانيون أن يتخلى البيزنطيون عن القسطنطينية ذاتها، لذلك راحوا يعقدون الصلح معها[(1)].

ثانياً: وافق الإمبراطور مانويل الثاني على دفع الإتاوة التي كان يدفعها أبوه من قبله للسلطان بايزيد والتي تقدر ما بين الثلاثين ألف والخمسين ألف من الدوكات[(2)]، كما وافق على تسليم المدن الواقعة على البحر الأسود إلى السلطان مراد الثاني، وأن يتنازل له عن جميع ممتلكاته ما عدا القسطنطينية وسالونيك، والبلوبونيز[(3)]، غير أنهم سرعان ما أعادوا السيطرة على سالونيك[(4)]، وعادت الإمبراطورية البيزنطية دولة تابعة للعثمانيين من جديد[(5)] .

ثالثاً: لم تتوقف الحملات العثمانية على الأمراء الخارجين عن الخضوع للسلطان مراد الثاني، ومن ذلك ما قام به القائد العثماني حمزة بك من إخضاع حاكم غاليبولي الذي شق عصا الطاعة، واستولى على إمارة آيدين، كما أعاد مراد الثاني غالبية الولايات العثمانية في آسيا الصغرى وبلاد كرمان[(6)] والتي باستردادها أعيد للدولة العثمانية ما فقدته من جراء هجوم تيمورلنك[(7)]، كما استطاع العثمانيون استرداد العديد من المناطق التي فقدت أثناء الحروب الأهلية التي دارت بعد معركة أنقرة، فاستعاد مراد الثاني بعض القلاع على نهر الدانوب، حتى أصبح هذا النهر الحد الفاصل بين ممتلكات العثمانيين

---

(1) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 34

(2) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 121/1؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 258؛ بيتروسيان، إيرينا **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 82؛ ينظر: عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 643

والدوكات: هي العملة الذهبية التي كانت تسكها مدينة البندقية من الذهب الخالص

(3) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 35؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 258

(4) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 122/1؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 83؛ هرماس غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 37؛ البيشي، سعدية، **الجهاد البحري العثماني في معركة ليبانتو**، 16، رسالة ماجستير جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1997م

(5) عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 643؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 258؛ توفيق، عمر **تاريخ الدولة البيزنطية** 225

(6) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 500/1؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 154 بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 80

(7) ينظر: أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 121/1؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 154 الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 31

والمجر[1]، خاصة بعد الحملة التي تولاها شهاب الدين باشا، والذي اقتاد ملك البلغار أسيراً بعد أن عمد إلى مواجهته[2]، كما أذعن أمير الصرب لدفع الجزية، وتقديم بعض الجنود للعثمانيين عند الحاجة[3] وبهذا يمكن القول إن هذا الحصار يعد بداية الحلقة الأخيرة في سلسلة الصراع الذي انتهى بسقوط الإمبراطورية البيزنطية[4] .

رابعاً: ظهر من خلال الأحداث السابقة وبالرغم من فك الحصار عن القسطنطينية أن العثمانيين استعادوا عافيتهم، وبدءوا في إعادة تنظيم قواعدهم كخطر يهدد القسطنطينية باستمرار، وعادت الأمور بين العثمانيين والبيزنطيين كما كانت قبل عام 1402م، وهو ما جعل الأنظار تتجه إلى القسطنطينية من جديد[5]، مما دفع بإمبراطورها الجديد يوحنا باليولوغس عقد معاهدة مع السلطان مراد فرض عليه فيها جزية ثقيلة، واستولى على أكثر أملاك القسطنطينية، حتى أصبح إمبراطرها محصوراً بين أسوارها[6]، والذي تعاون مع بابا روما في مجمع فلورنسا سنة 843هـ/1439م واتفق على وحدة الكنيستين الشرقية والغربية[7] .

خامساً: عقد حلف صليبي ضد العثمانيين بقيادة حنا هينادي[8] الذي أوقع العديد من الهزائم بالعثمانيين عام 845هـ/1441م، وهزمهم في معركة وازاج[9] 846هـ/1442م[10]، وأخرى على شاطئ نهر

---

(1) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 500/1؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 46 الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الوسطى** 626/1؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 154 بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 81؛ البيشي، سعدية، **الجهاد البحري العثماني من خلال معركة ليبانتو** 15، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – مكة المكرمة 1997م

(2) آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 48

(3) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 81؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 154

(4) Ostrogorsky, **History of the Byzantine start**.P.497؛ عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 643

(5) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 31؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 154؛ جونز، ج.ر **الحصار العثماني للقسطنطينية** 77

(6) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 31

(7) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 259-260؛ اليوسف، عبد القادر، **الإمبراطورية البيزنطية** 183؛ هسي، ج.م **العالم البيزنطي** 219؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 60، وقد عد هذا الاتفاق حدثاً فريداً لأن ما بين الكنيستين من خلاف وصل إلى اتهام كل منهما بكفر أتباع الآخر، واعتبارها خارجة عن تعاليم المسيحية (هسي،ج.م، **العالم البيزنطي** 225؛ عاشور، سعيد **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 643؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 260) كما أثار هذا الاتحاد الاستنكار من قبل رجال الكنيسة الأرثوذكسية رغم أن ثمن هذه الوحدة هو المساعدة العسكرية للإمبراطورية البيزنطية (اليوسف، عبد القادر **الإمبراطورية البيزنطية** 183) حتى وجد إمبراطورها نفسه لا يستطيع الاعتماد على رعاياه (هسي، **العالم البيزنطي** 225)

(8) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 36؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 156؛ ياغي، إسماعيل **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 46؛ الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الوسطى** 631/1؛ هرماس، غسان **السيد العظيم محمد الفاتح** 38

(9) **وازاج**: مدينة تقع إلى الشمال الغربي من بلغراد (المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 157)

(10) الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الوسطى**632/1؛ الحنبلي، شاكر، **التاريخ العثماني** 33؛ الرشيدي، سالم **محمد الفاتح** 33؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 157؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 95

المورفـا، وقتـل الآلاف مـن الجـيش العثمــاني[1]، وظـل يتعقـب فلـول العثمــانيين حتــى وصـل إلــى فيلوبـوليس[2]، ولـم يعبـأ بالـسد الـذي أقامـه العثمـانيون فـي ممـرات جبـال البلقـان بالـصخور والجليـد[3] واستمر يشق الطريـق محققاً الانتـصارات التـي هلل لهـا الغـرب المسيحي، وباركهـا البابـا[4] وانتهت هزائم العثمانيين بطلب الصلح الذي عقد في أوائل سنة 848هـ/1444م، وقد نص هذا الصلح على قيـام هدنة لمدة عشر سنوات، وتنازل مراد الثاني عن كل أراضـي الصـرب، وسلمت ولاشيا لملك المجـر[5] ودفع ستين ألفاً من الدوكات الذهبية فدية لمحمود تكليبي القائد العثمانـي الـذي أسـره هينـادي وقد كتبت هذه المعاهدة باللغتين التركية والهنغارية[6].

وعلى إثر هذه المعاهدة تنازل مراد الثاني عن العرش لصالح ولده محمد الثـاني[7]، ولكن هينـادي نقض الصلح بتحريض من البابوية التي وعدته بالملك علـى بلغاريـا بعد انسحاب العثمـانيين منهـا وفقـاً لبنـود الـصلح، ففـي أول سـبتمبر 1444م تحـرك هينـادي وجمـع مـن الـصليبيين - يحفـزهم صـغر سـن السلطان محمد الثاني- واجتاحوا البلاد حتى وصلوا إلى شواطئ البحر الأسود، حيث استسلمت حصون كثيرة[8]، وتوج هينادي انتصاراته بالسيطرة على مدينة فارنـا[9] بعد حصار شديد[10]، مما دفع السلطان

(1) سيرهنك، إسماعيل، **حقـائق الأخبـار عـن دول البحـار** 503/1؛ الحنبلـي، شـاكر، **التـاريخ العثمـاني** 33؛ آصـف، يوسـف **سلاطين بني عثمان** 41

(2) بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 38/3

(3) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 41-42

(4) بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 38/3؛ عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 643

(5) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 36؛ المحامي، محمد فريد، **تـاريخ الدولـة العليـة العثمانيـة** 157؛ بيتروسيان، إيرينـا **الإنكشاريون فـي الإمبراطوريـة العثمانيـة** 85؛ يـاغي، إسـماعيل، **الدولـة العثمانيـة فـي التـاريخ الحـديث** 47؛ الـصلابي، علـي **السلطان محمد الفاتح** 95؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 39؛ ينظر: هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 225

(6) عطية، عزيز سوريا، **العلاقـات بـين الـشرق والغـرب** 102؛ اليوسف، عبد القادر، **الإمبراطوريـة البيزنطيـة** 183؛ أوزتونـا يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 123/1-124

(7) الحنبلي، شاكر، **التاريخ العثماني** 33-34؛ إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 36؛ بيتروسيان، إيرينـا، **الإنكشاريون فـي الإمبراطورية العثمانية** 85؛ أوزتونا، يلماز، **تـاريخ الدولـة العثمانيـة** 125/1؛ هسي،ج.م، **العالم البيزنطي** 225؛ لويس، برنـارد **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 45؛ الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الوسطى** 633/1؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفـاتح** 34؛ المحـامي، محمد فريـد، **تـاريخ الدولـة العليـة العثمانيـة** 157؛ الـصلابي، علـي، **الـسلطان محمـد الفـاتح** 95؛ هرمـاس غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 39؛ التونجي، محمد، **بلاد الشام إبان العصر العثماني** 26

(8) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 36؛ آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 48؛ الحنبلي، شاكر، **التـاريخ العثمـاني** 34 الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الوسطى** 634/1؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 34

(9) **فارنـا أو وارنـا** : مدينة تقع على شاطئ البحر الأسود في بلغاريا، ذات شواطيء سياحية جميلة (المحامي، محمد فريد، **تـاريخ الدولة العلية العثمانية** 157-158)

(10) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 504/1؛ آصف، يوسف، **سلاطين بنـي عثمـان** 48؛ بيتروسيان، إيرينـا **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 87؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 125/1؛ ياغي، إسماعيل، **الدولـة العثمانيـة في التاريخ الحديث** 47؛ الرشيدي، سالم، **محمـد الفـاتح** 36؛ المحامي، محمد فريد، **تـاريخ الدولـة العليـة العثمانيـة** 157؛ لـويس برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 45

مراد الثاني لإنهاء عزلته التي انتعشت لها آمال العثمانيين[1]، وسار بجيش قوامه أربعون ألفاً وهم يحملون صورة المعاهدة التي أبرمت بين الطرفين تأكيداً على نقضها من قبل المسيحيين[2] فالتقى الطرفان في رجب 848هـ/تشرين ثاني 1444م[3]، ودارت معركة انتهت بانتصار العثمانيين الذين غنموا غنائم لا تحصى[4]، عندها لم يجد إمبراطور القسطنطينية بداً من إرسال التهاني للسلطان مراد طالباً تجديد العهد والتحالف بينهما فأجابه مراد بذلك[5] .

حاول هينادي الذي فر من المعركة لم شعثه، وتجمع لقتال مراد الثاني في عام 852هـ/1448م والتقيا في معركة قوصوه الثانية والتي انتصر فيها العثمانيون مرة أخرى بعد أن انتصروا فيها في عهد السلطان مراد الأول سنة 791هـ/1389م[6] وبهذه الانتصارات قضى مراد الثاني على آمال الغرب الصليبي من إنقاذ القسطنطينية من الانهيار، الأمر الذي أدى إلى سقوطها في يد السلطان محمد الفاتح عام 1453م، والتي هي محور البحث في الفصل التالي .

---

(1) عطية، عزيز، **العلاقات بين الشرق والغرب** 103؛ دحلان، زيني، **الفتوحات الإسلامية** 75

(2) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 504/1؛ آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 42؛ الرشيدي، سالم **محمد الفاتح** 37

(3) المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 158؛ الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الوسطى** 634/1 الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 37؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 98؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 261

(4) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 37؛ آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 48؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 88؛ ينظر: أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 126/1-127؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 158؛ عطية، عزيز، **العلاقات بين الشرق والغرب** 103؛ عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 644؛ بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** 38/3-39؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 226؛ هرماس غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 41؛ هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 225؛ التونجي، محمد، **بلاد الشام إبان العصر العثماني** 26 البيشي، سعدية، **الجهاد البحري العثماني من خلال معركة ليبانتو** 16، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – مكة المكرمة 1997م

(5) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 37؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 207 رواية ميخائيل دوكاس؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 42

(6) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 505/1؛ إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 37؛ أوزتونا، يلماز **تاريخ الدولة العثمانية** 129/1؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 159؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 93؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 41؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 98؛ هرماس، غسان **السيد العظيم محمد الفاتح** 43؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 226

الفصل السادس

فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الثاني (الفاتح)

تمهيد: محمد الفاتح

هو السلطان محمد بن مراد الثاني، ولد في السادس والعشرين من رجب 833هـ، الموافق العشرين من نيسان 1429م، في مدينة أدرنة، عاصمة الدولة العثمانية آنذاك[1]، من زوجته خديجة خاتون حفيدة الأمير اسفنديار[2]، وفي أدرنه نشأ الفاتح تحت العناية المباشرة من والده، فلقي عناية تامة، واهتماماً بالغاً بتربيته، وتعليمه في الناحيتين: البدنية، والعقلية، فقد مرنه والده على ركوب الخيل، ورمي القوس والضرب بالسيف، وكان يحرص على أن يصحبه في معاركه بين حين وآخر، ليكتسب الخبرة، ويشتد عوده على فنون الحرب والقتال[3] .

وعندما بلغ الحادي عشر من عمره أرسله والده إلى أماسية[4] ليكون حاكماً عليها، وليكتسب شيئاً من الخبرة اللازمة لحكم الدولة، فمارس الأعمال السلطانية في حياة أبيه[5]، ومنذ تلك الفترة وهو يعايش صراع الدولة البيزنطية في الظروف المختلفة، كما كان على اطلاع بالمحاولات العثمانية السابقة لفتح القسطنطينية، بل ويعلم بما سبقها من محاولات متكررة في العصور الإسلامية المختلفة[6] وخلال الفترة التي قضاها حاكماً على أماسية، كان السلطان مراد الثاني قد أرسل إليه الشيخ أحمد بن إسماعيل الكوراني[7]"، وجعله معلماً له، فختم القرآن في مدة

---

(1) المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 160؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 13؛ آصف يوسف، **سلاطين بني عثمان** 49؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 85؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 48 أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 131/1 ولكنه أشار إلى أن مولده كان في الساعة الثالثة وثماني دقائق من صباح يوم الثلاثين من آذار 1432

(2) أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 13-15؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 49

(3) هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 49

(4) **أماسية**: هي مدينتان، إحداهما تقع شمال شرق الأناضول على البحر الأسود، والأخرى في الجنوب الشرقي من أزمير (المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 123)

(5) المالكي، إبراهيم، **قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان** 27؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 131/1؛ أبو غنيمة زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 15؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 106

(6) العمري، عبد العزيز، **الفتوح الإسلامية عبر العصور** 358-359؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 106

(7) هو شهاب الدين أحمد، بن إسماعيل، بن عثمان، الكوراني، الشافعي، ثم الحنفي، مفسر، كردي الأصل، تعلم بمصر، ورحل إلى بلاد الترك، فعهد إليه السلطان مراد بن عثمان بتعليم ابنه وولي عهده محمد الفاتح، ولي القضاء في أيام الفاتح، وتوفي بالقسطنطينية عام 894هـ/1440م وقيل 892هـ/1442م، وصلى عليه السلطان بايزيد الثاني، له عدة كتب منها : كتاب غاية الأماني في تفسير السبع المثاني، وكتاب الدرر اللوامع في شرح جامع الجوامع للسبكي في الأصول، وكتاب الكوثر الجاري وهو شرح للبخاري في عدة مجلدات، وكتاب شرح الكافية لابن حاجب في النحو، (الشوكاني، محمد، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع** 241/1؛ زادة، طاشكبري، **الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية** 51؛ ينظر: الزركلي، خير الدين **الأعلام** 94/1)

يسيرة[1]، ومنذ ذلك الحين انطلق الفاتح في مسار وطيد بالعلم والعلماء، بدأ بتلقي مختلف العلوم تحت إشراف أساتذة على قدر من العلم والخلق، وما سمع السلطان (مراد) برجل قد برع في علم من العلوم أو اشتهر بخصلة من خصال الفضيلة، إلا بعث به إلى ابنه محمد لتعليمه وتأديبه، وكان الشيخ محمد بن حمزه الدمشقي[2] المشهور بآق شمس الدين من العلماء الذين طلب الفاتح العلم على أيديهم، وكان له أثر كبير في مسار حياته وفي إعداده إعداداً معنوياً لخوض غمار الحياة، وحب الجهاد، كما كان للشيخ آق شمس الدين أثر في حث الفاتح على المضي لفتح القسطنطينية، ورفع الروح المعنوية لديه وبالإضافة إلى هذين العالمين فقد تلقى الفاتح - في هذه المرحلة من صباه إلى أن تولى الحكم - العلوم الإسلامية على يد عدد من كبار الأساتذة والمعلمين، البارزين يومئذ[3]، وهذا لم يمنعه من التطلع لباقي العلوم، فطالع التاريخ الروماني وتاريخ الأمم الأخرى، كما أتقن العديد من لغات العالم، كالعربية والتركية، واليونانية، واللاتينية وغيرها[4] وبهذا تميز في تلك الفترة بمزاحمة العلماء، والرغبة في لقائهم[5]، ليأخذ عنهم كل ألوان العلوم، ولم يكتف بذلك بل عمل على مراسلتهم، وتحفيزهم بإحسانه لهم، ودفعهم للقدوم إليه[6] .

كان لهذه التربية الإسلامية الأثر الأكبر في تكوين شخصية محمد الفاتح، فجعلته مسلماً ملتزماً بحدود الشريعة، معظماً لها، ومدافعاً عن إجراءات تطبيقها، فتأثر بمعلمه "الكوراني" وانتهج منهجه[7] وبرز دور الشيخ "آق شمس الدين" في تكوين شخصيته وبث فيه منذ صغره مضاعفة حركة الجهاد العثمانية، والإيحاء له بأنه الأمير المقصود بالحديث النبوي، لذلك كان الفاتح يطمع أن ينطبق عليه حديث النبي (ﷺ) [8] .

---

(1) زادة، طاشكبري، **الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية** 51؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 107

(2) هو الشيخ محمد بن حمزة الدمشقي، ولد في دمشق عام 792هـ/1390م، وتوفي في كونيوك عام 863هـ/1459م ويُطلق عليه الدمشقي نسبة إلى مولده، كما يسمى بالرومي أحيانا، لأنه ارتحل مع والده إلى الروم، حيث طلب فنون العلوم، وتبحر فيها، وأصبح من أعلام الحضارة الإسلامية في عهدها العثماني، وجمع الشيخ الدمشقي إلى علوم الدين عدداً من علوم الدنيا، حيث كان عالماً في النبات، والطب، والصيدلية، والأمراض المعدية، وللمزيد عن حياته ينظر: (الصلابي، علي، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط** 181 – 188)

(3) هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 51-52

(4) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 519/1؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 48 هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 52

(5) السخاوي، محمد **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** 47/10

(6) الشوكاني، محمد، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع** 261/2؛ السخاوي، محمد، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** 47/10

(7) حسون،علي، **الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية** 43؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 107

(8) العمري، عبد العزيز، **الفتوح الإسلامية عبر العصور** 358-359؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 26-27؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 108

تولى الفاتح السلطنة مرتين: الأولى بعد أن أبرم السلطان مراد الثاني معاهدة مع إمارة قرمان بالأناضول ليتنازل له عن الملك، إذ كان له من العمر أربع عشرة سنة، لكنه لم يمكث في خلوته بضعة أشهر حتى أتاه خبر غدر المجر وإغارتهم على بلاد البلغار[1]، مما دفع بمراد الثاني للعود إلى الحكم حيث أعاد الكرة على القرمان وهزمهم[2]، ولكنه تولى السلطنة فعلياً بعد وفاة والده في شباط 1451م[3].

أما عمر الفاتح حينما فتح القسطنطينية فقد اختلفت الروايات حوله، ففي الوقت الذي ذكر فيه جورجي دولفين[4] أنه كان في السادسة والعشرين من عمره، فإن جياكوموتيدالدي[5] ذكر أنه كان في الثالثة والعشرين، أو الرابعة والعشرين، لكن ما عليه غالبية المؤرخين والكتاب هو أنه تولى السلطنة في مقتبل عمره، وريعان شبابة .

امتاز الفاتح بالحصول على العديد من الألقاب، فكان يلقب بالفاتح، وبأبي الخيرات[6]، وكان يعرف بابن عثمان[7]، كما اتصف بصفات حسنة يجمع عليها المؤرخون المسلمون، ويشير إليها البيزنطيون فقد ذكر جورجي دولفين[8] أنه كان ذا طلعة بهية، وقامة معتدلة، ماهراً في استخدام السلاح، كما اتصف بمظهر يبعث على الخشية والخوف، والاحترام، قليل الضحك، حذر في أحكامه، شديد الكرم والعناد، طموح، شجاع[9]، وقد تحقق على يديه فتح القسطنطينية، كما جهز جيوشاً لفتوحات أخرى، إلا أن القدر لم يمهله لكي يتم ما كان يطمح له، إذ توفي في ليلة الجمعة الخامس من ربيع الأول سنة 886هـ/الموافق 3 مايو 1481م[10] .

---

(1) المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 157

(2) نفسه 158؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 16

(3) السخاوي، محمد، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** 47/10؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 131/1

(4) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطيننية سبعة مصادر معاصرة** 325

(5) نفسه 119

(6) ينظر: حرب، محمد، **العثمانيون في التاريخ والحضارة** 253؛ حمودة، سمية، **حركة الفتح العثماني في القرن 11هـ،** 27 رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1427هـ/2006م

(7) السخاوي، محمد، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** 47/1

(8) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطيننية سبعة مصادر معاصرة** 325-326

(9) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 519/1؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 48 وللمزيد حول صفات الفاتح، تنظر: هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 55-57

(10) الشوكاني، محمد، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع** 261/2؛ ينظر: السخاوي، محمد، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** 47/10

دوافع الفاتح لفتح القسطنطينية

لقد مثل فتح القسطنطينية منذ صدر الإسلام هدفاً حيوياً وجه القيادة الإسلامية لتحقيقه، رغبة في تنفيذ الوعد النبوي القاضي بفتحها، والذي وعد من يتولى ذلك بالمغفرة والرضوان، وقد بدا ذلك بشكل جلي في المحاولات الأموية، والتطلعات العباسية لفتح القسطنطينية ـ والتي كانت موضع بحثنا سابقاً ـ وهنا لم يكن العثمانيون أقل تحمساً ممن سبقوهم لتحقيق هذا الوعد النبوي منذ فجر دولتهم[1] ولما تولى عرش السلطنة محمد الثاني كان همه الأكبر أن يفتح تلك المدينة المنيعة، والعمل على تنفيذ وصية والده القاضية بفتحها[2]، فأشغل فكره بها، وكرس جهده لها، إذ كان يطمع أن ينطبق عليه حديث رسول الله(ﷺ) في فتح القسطنطينية[3] وحمل رسالة الإسلام إليها، فكان بحق، أشد الناس حماساً للإسلام وأصدقهم جهاداً في سبيل إعلاء كلمته[4] .

وحينما تمكن العثمانيون من التوغل في أوروبا، والسيطرة على محيط القسطنطينية، لم تعد العواصم السابقة[5] مؤهلة لأن تقوم بمهام العواصم في الدول، ولهذا كان لا بد من إيجاد عاصمة تتوسط أملاكهم في كل من آسيا وأوروبا، و هذا ما لا يحققه إلا القسطنطينية، فهي المدينة الوحيدة التي تستطيع تحقيق الوحدة لملكه[6]، بالإضافة إلى الحصول على موقع حصين، وترسانة بحرية تمكنهم من نشر الإسلام في أرجاء أوروبا وآسيا كافة[7]، هذا وشكل بقاء القسطنطينية في أيدي البيزنطيين تهديداً للمواصلات بين أملاك العثمانيين في أوروبا وآسيا[8]، ولذلك كان لا بد من تيسير ذلك الطريق بفتح تلك المدينة .

وكان مما دفع محمد الثاني لفتح القسطنطينية، ما كانت تقوم به القسطنطينية نفسها من تأليب الأحلاف المسيحية ضد العثمانيين، ومنازلتهم بالدسائس والمكائد، وكان ملوكها ورهبانُها يَكيدُون

---

(1) البحراني، عماد، **فتح القسطنطينية في عهد محمد الفاتح 1453**، مجلة كان التاريخية، دورية إلكترونية محكمة، ع3 السنة الثانية، 61

(2) آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 49

(3) ينظر: العمري، عبد العزيز، **الفتوح الاسلامية عبر العصور** 359

(4) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 67

(5) كانت أولى عواصم العثمانيين هي مدينة يني شهر، ثم نقلها السلطان أورخان إلى بروسة بعد أن فتحها، كما نقل السلطان مراد الثاني العاصمة إلى أدرنة بعد أن فتحها، لتظل عاصمة العثمانيين إلى أن تم فتح القسطنطينية على يد الفاتح الذي نقل العاصمة بدوره إليها (ينظر ما سبق من الفصل السابق)

(6) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 329 رواية جورجي دولفين

(7) نفسه 332 رواية جورجي دولفين

(8) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 42؛ حمودة، سمية، **حركة الفتح العثماني في القرن 11هـ**، 26، رسالة ماجستير جامعة أم القرى، مكة 1427هـ/2006م؛ البيشي، سعدية، **الجهاد البحري العثماني في معركة ليبانتو**،17، رسالة ماجستير جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1997م

للدولة العثمانية، ويدسون الدسائس، ويدبرون المكائد، ويؤلبون كل خارج عليها، ويمدونه بالسلاح والمال، والرجال[1]،وكم مرة عاهدوا ثم نقضوا[2]، فتارة تثير عليهم الخارجين من أمراء آسيا الصغرى وتارة تؤلب عليهم أمراء الغرب، وتغريهم بحربهم، فبيزنطة هي التي ألبت تيمورلنك على العثمانيين[3] وهي التي أثارت مصطفى بن بايزيد ضد عمه السلطان مراد الثاني، عندما أطلقت سراحه، وأمدته بقوات بيزنطية سيطر بفضلها على بعض الأراضي العثمانية[4]، وهي التي أثارت على مراد الثاني أخاه مصطفى أيضاً[5]، ولما زحف الصليبيون نحو فارنا بقيادة هينادي، كانت خطة بيزنطة أن تقوم السفن المسيحية بالحيلولة دون عبور السلطان من آسيا لأوروبا، ولولا تدارك مراد الثاني هذا الأمر برشوة الجنويين الذين نقلوه للبر الأوروبي على سفنهم - نظراً لعدم وجود أسطول بحري يتولى نقلهم وحماية ممتلكاتهم البحرية[6] - لوقع العثمانيون في الفخ الذي نصبته القسطنطينية، ولهذا كانت قلوب العثمانيين تفيض غيظاً من أفعال بيزنطة، ومؤامراتها .

هذا وكان محمد الثاني قد شهد معركة فارنا مع والده، ورأى الهلع الذي أصاب المسلمين جراء هذه المكيدة البيزنطية، وكان قد سمع والده قبل وفاته وهو يقسم على الله إن كشف عنه البلاء، ليزحفن نحو القسطنطينية ويفتحها، فكرر له بذلك وصية جده عثمان القاضية بضرورة فتح القسطنطينية، فأدرك السلطان محمد أنه لن يستقيم له الملك ما دامت القسطنطينية قائمة بيد البيزنطيين[7] .

زد على ذلك فقد كانت القسطنطينية في تلك الفترة تعاني من ضعف شديد نتيجة التعصبات الدينية والخلافات المذهبية، وتردي الأحوال المالية والاقتصادية، مما زاد من حماس الفاتح للانقضاض عليها وفتحها[8]، وجعلها حجر الزاوية في الإمبراطورية التي كونها أجداده[9] .

---

(1) ينظر: العمري، عبد العزيز، **الفتوح الإسلامية عبر العصور** 358؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 70

(2) ينظر: سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 506/1؛ علي، سيد رضوان، **السلطان محمد الفاتح بطل الفتح الإسلامي في أوروبا الشرقية** 20؛ ياغي، أحمد، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**48؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 70

(3) مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 71/1، 75؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 27؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 70

(4) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن عالم البحار** 506/1؛ آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 47؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 154؛ سالم، **محمد الفاتح** 31، 30؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 30-31 هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 70؛ البيشي، سعدية، **الجهاد البحري العثماني في معركة ليبانتو**، 17، رسالة ماجستير جامعة أم القرى - مكة المكرمة 1997م

(5) ابن حجر العسقلاني، أحمد، **إنباء الغمر بأبناء العمر** 133/3؛ أومان، تشارلز،**الإمبراطورية البيزنطية** 258؛ الرشيدي سالم، **محمد الفاتح** 31

(6) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 37؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 68؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 70

(7) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 68

(8) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن عالم البحار** 506/1

(9) لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 17

كما كان لسياسة بيزنطة نفسها في عهد الفاتح دور في توجيه أنظاره إليها، ومن ذلك أنه لما استقر له الملك، عقد سلاماً مع قسطنطين الحادي عشر، وخصص راتباً كبيراً للأمير العثماني أورخان المأسور في القسطنطينية[1]، وقد انتهز قسطنطين فرصة انشغال الفاتح في قمع إحدى الثورات في آسيا الصغرى، بطلب دفع مصاريف الأمير العثماني مضاعفة، وإلا أنه سيطلق سراحه ويثيره عليه، ومده بجيش من عنده ليجلسه على عرش السلطنة، وغره في ذلك صغر سن الفاتح في ذلك الوقت[2]، وما أن عاد الفاتح إلى أدرنه حتى أمر بإلغاء راتب الأمير العثماني، وأخذ يعد العدة لفتح القسطنطينية[3]. إضافة إلى ذلك فقد قام البيزنطيون – قبيل فتح القسطنطينية – ومن خلال ثلاث سفن حربية بمهاجمة العثمانيين، وقاموا بتكبيدهم الكثير من الأضرار والخسائر، كما أسروا العديد منهم، وقاموا ببيعهم في أسواق القسطنطينية، ولهذا السبب تنامى شعور العداء لدى الفاتح، وأقسم على الانتقام[4] . كما شكل إعادة الحكم المركزي للدولة العثمانية أحد الأهداف التي دفعت بالفاتح لفتح القسطنطينية، ذلك الهدف الذي كان يجري العمل عليه في عهد بايزيد الأول، ولهذا رأى السلطان محمد الثاني أن فتح القسطنطينية هو الخطوة الأولى التي ستؤمن له المكانة اللائقة لتحقيق هذا الهدف [5]. ورأى كريستوفورو ريشيرو[6](معاصر لفتح القسطنطينية) بأن ما دفع السلطان محمد لفتح القسطنطينية هو أنه أراد أن يكون إمبراطوراً على بلاد اليونان، فإذا ما اتخذ ذلك اللقب دون فتح القسطنطينية فسيكون ذلك اللقب فارغاً من مغزاه، وليكسب الشهرة الخالدة بين الأمم، وإذا ما كتب له ذلك فسوف يخشى العالم قوته وبأسه، ولكن الحقيقة غير ذلك، فهدف الفاتح ليس الشهرة، وإنما تحقيق نبوءة الرسول(ﷺ)، والفوز بالمغفرة والرضوان، أما فكرة أن يصير إمبراطوراً لبلاد اليونان فالفتوحات العثمانية كانت قد وصلت لها من دون القسطنطينية، وذلك في محاولة لعزلها عن عالمها المسيحي، وقد تحصل العثمانيون على ألقاب السلطنة والحكم من غير القسطنطينية، لكن الهدف الأول والأسمى للعثمانيين كان نشر الإسلام وتبليغ رسالة سيد الأنام، وليس البحث عن ألقاب أو شهرة بالرغم من حصولهم عليها بشكل تلقائي، فقد حفظت لنا العديد من الكتابات سيرة الفاتح وهي تسطر فتحه للقسطنطينية بحروف من ذهب، وبمداد من نور .

---

(1) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطيننية سبعة مصادر معاصرة** 216، 195، 218، 220

(2) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 69؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 71

(3) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 262؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 72-73؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطيننية سبعة مصادر معاصرة** 218، 220 رواية ميخائيل دوكاس

(4) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 85

(5) أوغلي، أكمل الدين، **الدولة العثمانية** 23/1؛ مصطفى، أحمد، **في أصول التاريخ العثماني** 65

(6) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 311

الاستعدادات الإسلامية

عمل الفاتح على الاستعداد لفتح القسطنطينية بالقيام بمجموعة من الأعمال التي من شأنها إسقاطها وعزلها، والتي استمرت مدة ثلاث سنوات تقريباً[1]، وقد كان لخطباء المساجد دور فعال في دعمها وتوجيه الجماهير للانخراط في صفوفها[2] وتركزت تلك الاستعدادات فيما يلي :

أولاً: عقد المعاهدات والاتفاقات السلمية: أدرك الفاتح أن فتح القسطنطينية لا يكون إلا بعزل تلك المدينة عن عالمها المسيحي والغربي، ولذلك عمل على عقد معاهدات وتحالفات سلمية مع البندقية والمجر، والأفلاق، والبوسنة، وغيرها من الدول، كما عقد هدنة لثلاث سنوات مع هينادي المجري[3] وأخرى مع إمارة غلطة المجاورة للقسطنطينية، ولكن هذه المعاهدات لم تصمد حينما بدأ الهجوم الفعلي على القسطنطينية، حيث وصلت قوات من تلك المدن وغيرها للمشاركة في الدفاع عن القسطنطينية[4] مشاركة لبني عقيدتهم من النصارى، متناسين عهودهم، ومواثيقهم مع المسلمين، كما خضعت له الممالك العثمانية في الأناضول كافة[5] .

ثانياً: بناء قلعة على البسفور: بدأ الفاتح استعداداته العسكرية بتشييد قلعة "الروملي" على الضفة الغربية للبسفور[6]، وعلى مسافة ستة أميال من القسطنطينية باتجاه البحر الأسود، وهي القلعة التي كانت تسميها المصادر البيزنطية "بقاطعة الرقبة"[7] بسبب وجودها في موضع مقابل للقلعة العثمانية

---

(1) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 78، 159رواية ليوناردو الخيوسي، 217 رواية ميخائيل دوكاس، والتي امتلأت بعبارات الشتم والتجريح للسلطان الفاتح ولأسرته العثمانية، ويمكن رد ذلك إلى حالة المرارة التي اعترت البيزنطيين عقب سقوط أمبراطوريتهم في يد الفاتح وتحويلها إلى عاصمة له .

(2) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 97

(3) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 41، 43؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 48؛ الرشيدي، سالم **محمد الفاتح** 70؛ علي، سيد رضوان، **السلطان محمد الفاتح بطل الفتح الإسلامي في أوروبا الشرقية** 24؛ حرب، محمد **العثمانيون في التاريخ والحضارة** 71؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 110-111؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 196؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 78-79؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 30 هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 74

(4) آصف، يوسف **تاريخ سلاطين بني عثمان** 58

(5) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 506/1

(6) المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 161؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 49؛ الصلابي، علي **السلطان محمد الفاتح** 109؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 229؛ هذا وقد أطلق عليها بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 97 اسم بوغاز كيسين، وفيما بعد عرفت بروملي كيسار

(7) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 33، 82؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 179رواية لاونيكوس خالكوكونديلاس، 220رواية ميخائيل دوكاس، 311رواية كريستوفورو ريشيريو؛ ويسميها أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 131/1 بقاطعة البوغاز (المضيق)

الموجودة على الضفة الشرقية للبسفور، والمعروفة باسم "أناضولو حصار" والتي بناها بايزيد الأول والتي عمل على ترميمها أيضاً[1]، وخلال بضعة أشهر كان العثمانيون قد انتهوا من بناء قلعة (روملي حصار) التي ساهمت بشكل كبير في إحكام الحصار البحري على القسطنطينية[2]، والتي احتوت على أربعة عشر برجاً، غطيت أكبر خمسة منها بأسقف مسطحة مكسوة بالرصاص، ولها جدران منيعة[3] وأصبحت القلعتان متقابلتين تتحكمان في عبور السفن من شرق البسفور إلى غربه، وتستطيع نيران مدافعهما منع أي سفينة من الوصول إلى القسطنطينية وغيرها من الأماكن التي تستطيع دعم المدينة عند الحاجة[4]، ولتقييد حركة الملاحة في بحر مرمرة، وضع الفاتح تنظيماً يحتّم على السفن القادمة من البحر الأسود إلى المضيق، أن تخفض أشرعتها، وأن ترسل قارباً إلى الموظف التركي المسئول من أجل الحصول على تصريح بالمرور، وإلا فإن مصيرها الغرق[5].

ثالثاً: توفير الأسلحة اللازمة: أدرك الفاتح مدى مناعة أسوار القسطنطينية، وعلم أنها السبب الرئيس الذي منع أباه وأجداده من اقتحامها، كما كان يدرك أن أجداده كثيراً ما طالبوا الأباطرة البيزنطيين بعدم ترميم أسوار القسطنطينية في حال تعرضها للسقوط، لتظل سهلة المنال للعثمانيين إذا ما ارتأوا مهاجمة المدينة في أي وقت، ولعل ذلك يذكر كيف أمر السلطان بايزيد الأول الإمبراطور البيزنطي يوحنا الخامس بضرورة هدم التحصينات والترميمات الجديدة التي أقامها بأسوار

(1) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 97؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 131/1؛ الرشيدي سالم، **محمد الفاتح** 70؛ آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 26؛ فهمي، عبد السلام، **السلطان محمد الفاتح** 73؛ أبو غنيمة زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 33؛ البيشي، سعدية، **الجهاد البحري العثماني في معركة ليبانتو** 17، رسالة ماجستير جامعة أم القرى - مكة المكرمة 1997م ؛ البحراني، عماد، **فتح القسطنطينية في عهد محمد الفاتح 1453**، مجلة كان التاريخية دورية إلكترونية محكمة، ع3، السنة الثانية، 61

(2) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 262؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 48؛ الرشيدي، سالم **محمد الفاتح** 72؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 312رواية كريستوفورو ريشيريو؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 82؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 34؛ حسون، علي، **الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية** 34؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 74؛ البحراني، عماد، **فتح القسطنطينية في عهد محمد الفاتح 1453** مجلة كان التاريخية، دورية إلكترونية محكمة، ع3، السنة الثانية، 62

(3) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 131/1؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 82؛ علي، سيد رضوان **السلطان محمد الفاتح بطل الفتح الإسلامي في أوروبا الشرقية** 23؛ حرب، محمد، **العثمانيون في التاريخ والحضارة** 71؛ عطا زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 195؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 77؛ وللاستزادة حول أساليب وطرق وكيفية بناء قلعة الروملي، ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 221-225رواية ميخائيل دوكاس

(4) آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 26؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 228رواية ميخائيل دوكاس الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 109

(5) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 131/1؛ إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 41؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 84؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 34؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 97

القسطنطينية في نهايات القرن الرابع عشر الميلادي[1]، وإيماناً منه بضرورة التعامل بجدية مع أسوار القسطنطينية اعتقد السلطان محمد الفاتح بأهمية تطوير مدافعه، وتوفير اللازم من السلاح[2]، فعمل على تجهيز أعداد ضخمة من الذخائر، والعتاد، والقوات، وبدأ في جلب الكبريت والملح الصخري (نترات البوتاسيوم، أو الصوديوم)، وكميات ضخمة من النحاس والرصاص[3] كما استقدم أحد أهم صناع المدافع في العالم آنذاك المهندس "اربان"[4]،وطلب منه صنع مدفع ضخم[5]، وقد نجح في تحقيق ذلك ببناء مدفع عملاق، ذكر أن وزنه كان يصل إلى مئات الأطنان

---

(1) مانتران، روبير، **تاريخ الدولة العثمانية** 62/1؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 36؛ آصف، يوسف **سلاطين بني عثمان** 39

(2) آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 49

(3) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 262؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 328رواية جورجي دولفن؛ 354رواية بنفينوتو قنصل الجالية الأنكونية بالقسطنطينية قبل الفتح .

(4) المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 161؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 36، 118-157 الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 63؛ جيبون، إدوارد، **إضمحلال الإمبراطورية البيزنطية وسقوطها** 345؛ الشناوي، عبد العزيز **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 643/1؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 100؛ جونز، ج.ر **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 183، 328؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 40 الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 110؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 83؛ البحراني، عماد، **فتح القسطنطينية في عهد محمد الفاتح 1453**، مجلة كان التاريخية، دورية إلكترونية محكمة، ع3، السنة الثانية، 61؛ وأوربان هذا كان مهندساً بيزنطياً، لكن المال الذي عرضه عليه الفاتح حوله لصناعة مدفع ضخم للسلطان الفاتح (جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 145رواية ليونارد الخيوسي؛ وأفاد ميخائيل دوكاس أن المبلغ الذي قدمه الفاتح له كان كبيراً جداً، ولو أن القسطنطينية منحته ربعه لبقي في القسطنطينية (نفسه 229)؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 100

(5) صنع هذا المدفع من البرونز، وقد كان قطره اثني عشر شبراً، وله قدرة على قذف كرة حجرية تزن اثني عشر قنطاراً ولمسافة ميل واحد، كما كان يتولى العمل على إعداده سبعمائة شخص، ويحتاج حشوه لساعة من الزمن، وحينما تم نقله من أدرنة إلى موضعه على حصار القسطنطينية، خصص له خمسمائة زوج من الثيران القوية، وثلاثة ألاف جندي (سيرهنك، إسماعيل **حقائق الأخبار عن دول البحار** 507/1؛ الحنبلي، شاكر، **التاريخ العثماني** 36-37؛ الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 643/1؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 107، 133رواية ليوناردو اليخيوسي،180رواية لاونيكوس خالكوكونديلاس، 230رواية ميخائيل دوكاس، 313رواية كريستوفرو ريشيريو؛ باربارو نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 118؛ البحراني، عماد، **فتح القسطنطينية في عهد محمد الفاتح 1453**، مجلة كان التاريخية، دورية إلكترونية محكمة، ع3، السنة الثانية، 61) ويبدو أن في هذا الرقم مبالغة كبيرة، ولو افترضنا وجود آلة تستطيع أن تقذف هذه الكتلة الكبيرة، فلا يمكن لأناس أن يرفعوا حجراً ليضعوه في هذا المدفع، فإنما اثنا عشر قنطاراً تعادل مئتين وخمسين كيلوغرام، وعلى هذا يكون وزن القذيفة حوالي ثلاثة آلاف كيلوغرام، أما إذا افترضنا أن القذيفة كانت تزن اثني عشر رطلاً لا قنطاراً، فقد يستقيم المقصود، حيث أشار بعض المؤرخين إلى أن وزن قذيفة مدفع الفاتح كانت تزن ثلاثمائة كيلوغرام (المحامي محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 161-162)

وأنه يحتاج إلى مئات الثيران لتحريكه[1]، وقد أشرف السلطان بنفسه على صناعة هذا المدفع وتجريبه[2]، كما عمل على توفير أدوات الحرب، والقتال، والحصار[3]، والتي لم ير مثلها في أي حرب سابقة[4]، فكان هناك منجنيق بحجم لم ير له مثيل، والذي قيل إن السلطان محمد الفاتح صنعه بنفسه، بالإضافة إلى أربعة أبراج متحركة، وقذائف طيارة تتحرك كالشهب، إلى غير ذلك من الأدوات الحربية[5]، ولتحقيق ذلك جعل من العاصمة العثمانية وقتذاك مصنعاً كبيراً للأسلحة، وأنشأ فيها دار السعادة لسبك المدافع[6] .

رابعاً: حشد جيش بري كبير: بذل السلطان محمد الثاني جهوداً كبيرة في مد الجيش العثماني بالقوى البشرية، فحشد جيشاً ضخماً من حيث العدد والعدة، وجعل من عاصمته مركزاً لتجمع هذا الجيش وتموينه[7] حتى قيل إن عدد القوات العثمانية في حصار القسطنطينية كان قرابة نصف مليون مقاتل[8]، كما عني بتدريب هذا الجيش على فنون القتال المختلفة، وبمختلف أنواع الأسلحة التي تؤهلهم للعملية الجهادية المنتظرة[9]، واعتنى بإعدادهم إعداداً معنوياً قوياً، وغرس روح الجهاد فيهم بتذكيرهم بثناء الرسول (ﷺ) على الجيش الذي يفتح القسطنطينية، هذا وتميز عصر السلطان محمد

---

(1) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 133/1؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 133رواية ليونارد الخيوسي؛ إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 42

(2) ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 106-107رواية جياكوموتيدالدي؛ ينظر: أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 132/1؛ العمري، عبد العزيز، **الفتوح الإسلامية عبر العصور** 361؛ علي، سيد رضوان **السلطان محمد الفاتح بطل الفتح الإسلامي في أوروبا الشرقية** 30؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 110؛ حرب، محمد **العثمانيون في التاريخ والحضارة** 71؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 197؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 39

(3) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 506/1

(4) الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 643/1

(5) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 133/1

(6) البيشي، سعدية، **الجهاد البحري العثماني في معركة ليبانتو**، رسالة ماجستير، 17، جامعة أم القرى - مكة المكرمة 1997م

(7) نفسه 17

(8) ينظر: سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 506/1؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 108؛ ياغي إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 49؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 83؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 105رواية جياكوموتيدالدي؛ 131رواية لونارد الخيوسي؛ 182رواية لاونيكوس خالكوكونديلاس 225رواية ميخائيل دوكاس؛ 354رواية بنفينوتو قنصل الجالية الأنكونية بالقسطنطينية قبل الفتح؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 113؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 161؛ بيتروسيان، إيرينا، **الانكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 98

(9) الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 109؛ وللتعرف إلى تلك الأدوات الحربية ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 107رواية جياكوموتيدالدي

الفاتح بجانب من التشكيلات العسكرية المتنوعة: من فرسان، ومشاة، ومدفعية، وفرق مساعدة تمد القوات المحاربة بما تحتاجه من وقود، وغذاء، وعلف للحيوانات، وإعداد صناديق الذخيرة حتى ميدان القتال[1] .

خامساً: الاهتمام بالأسطول البحري: فكما حرص الفاتح على تطوير الجيش البري، أبدى اهتماماً بالغاً في القوات البحرية[2]، استحق معه أن يعد مؤسس الأسطول البحري العثماني، فقد استفاد من الدول التي وصلت إلى مستوى رفيع في صناعة الأساطيل، كالجمهوريات الإيطالية، وبخاصة البندقية وجنوة، أكبر الدول البحرية في ذلك الوقت، وعندما وجد في سينوب[3] سفينة ضخمة نادرة المثال، أمر بأخذها وبناء سفن على نمطها مع إدخال التحسينات عليها[4] .

وبهذا عمل على تقوية الأسطول وتزويده بالسفن المختلفة، ليكون مؤهلاً للقيام بدوره في الهجوم على القسطنطينية، وليكون قادراً على رد سفن أي معونة تأتي إليها[5] وقد ذكر أن السفن التي أعدت لهذا الأمر بلغت أكثر من أربعمائة سفينة[6]، تقل آلاف الجنود من مشاة البحرية، والعديد من الجذافين[7]، وكان الأسطول يدار من قبل الترسانة الحربية، والتي تحوي العديد من الفرق العسكرية ويبلغ عددهم نحو ثلاثة آلاف جندي بحري تتألف من: القبطان، وقواد السفن، والضباط، والبحارة[8] .

---

(1) ينظر: الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 162

(2) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن عالم البحار** 506/1؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 262؛ باربارو نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 85؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 18؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 110

(3) **سينوب**: مدينة حصينة شمال الأناضول على البحر الأسود، بها ميناء متسع اتخذه العثمانيون ملجأ لسفنهم (المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 160)

(4) هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 85

(5) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 263

(6) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 89؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 110؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 98؛ وأفاد سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحر** 106/1 أن الفاتح أعد لحصار القسطنطينية ثلاثمائة غراب (نوع من السفن) حربي، وكثيراً من سفن النقل، وعن هذه السفن ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 107-108رواية جياكومونتيدالدي، بينما أشار ليونارد الخيوسي بأن عدد السفن العثمانية كان مائتين وخمسين سفينة (نفسه 140)، في حين ذكر دوكاس بأنها كانت ثلاثمائة سفينة (نفسه 254)؛ وقال لويس، برنارد **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 19 عدة مئات من السفن، وللتعرف إلى أنواع السفن العثمانية، وأحجامها أثناء حصار القسطنطينية (ينظر باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 120)

(7) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 98

(8) ينظر: الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 162

سادساً: بناء الخطط العسكرية: كان السلطان الفاتح يكمل استعداداته المادية لفتح القسطنطينية، وهو يتعرف إلى أخبارها، ويجهز الخرائط اللازمة لحصارها[1]، كما كان يقوم بنفسه بزيارات استطلاعية يشاهد فيها استحكامات القسطنطينية وأسوارها[2]، والتي عمل على دراستها من الداخل والخارج وأوضاعها، وأوضاع أهلها[3]، وقد بذل في سبيل تحقيق الفتح من السعي والإقدام ما جعله يعد من أعظم الفاتحين[4]، إذ لم يترك وسيلة ممكنة لتحقيق ذلك[5]، فقد كان يستعلم جيداً حول ما ينوي الإقدام عليه من مشاريع[6] حتى أنه كان لا ينام الليل وهو يرسم الخطط العسكرية لتوضع موضع التنفيذ صباحاً[7].

الاستعدادات البيزنطية

في مقابل الاستعدادات الإسلامية، عمل إمبراطور القسطنطينية قسطنطين الحادي عشر على مواجهة العثمانيين بوسائل عدة، كان من أبرزها:

أولاً: الزواج السياسي: لقد أدرك الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر أهداف السلطان العثماني القاضي بفتح مدينته، فحاول الزواج من أرملة السلطان مراد الثاني "ماريا الصربية"، وذلك بعد عودتها إلى وطنها عقب وفاة زوجها، رغم بلوغها الخمسين من العمر، وكان يأمل من ذلك أن يحقق أمرين: الأول كسب والدها جورج برونكوفتش حاكم صربيا، والثاني تحسين علاقته بمحمد الثاني كون أرملة مراد كانت له بمثابة الأم - فكان يجلها ويحترمها - لتصرفه عن حصار القسطنطينية وفتحها لكن آماله هذه ذهبت أدراج الرياح لكونها اعتزلت الناس وأقامت في أحد الأديرة[8]، ولما فشل

---

(1) أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 27

(2) انظر: الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 82؛ صفوت، محمد، **فتح القسطنطينية** 57؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 76

(3) علي، سيد رضوان، **السلطان محمد الفاتح بطل الفتح الإسلامي في أوروبا الشرقية** 31؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 197

(4) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 507/1

(5) نفسه 507/1؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 27

(6) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 327رواية جورجي دولفن

(7) ينظر: نفسه 232-233رواية ميخائيل دوكاس والذي بين أن الفاتح كان يمضي ليله قادحاً زناد فكره حول الوسائل الناجعة لمهاجمة القسطنطينية، وكثيراً ما أخذ ورقة وريشة ليرسم عليها تحصينات القسطنطينية، والطريقة التي تتناسب مع كل واحدة منها لاقتحامها؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 82

(8) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 63؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 33؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 29

في ذلك حاول الزواج من ابنة ملك الكرج الذي فرح لهذه المصاهرة، لكن سقوط القسطنطينية أسقط آماله بذلك الزواج تحت أنقاض أسوارها[1]، هذا ويقال إن قسطنطين الحادي عشر حاول الزواج من ابنة رئيس جمهورية البندقية، لكنه عدل عن ذلك خوفاً من الرأي العام الذي كان يتهمه بالميل إلى اللاتين، ومن جانبهم فإن أهل البندقية عدوا هذا العدول إهانة لهم، فكان ذلك من أسباب تثاقلهم عن نصر القسطنطينية حينما شدد الفاتح عليها الحصار[2].

ثانياً : الطرق الدبلوماسية: قام الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر بمحاولة ثني الفاتح عن تحقيق رغبته في فتح القسطنطينية بالعديد من الطرق الدبلوماسية، وكان ذلك بإرسال السفارات والهدايا لمحمد الفاتح من أجل ثنيه عن استكمال بناء قلعة الروملي[3]، تلك القلعة التي أدرك مدى أهميتها الإستراتيجية لكن الفاتح رفض ذلك[4]، وأمر باستبقاء سفيرين للإمبراطور البيزنطي وضرب عنقيهما[5]، إيذاناً ببدء المواجهة العسكرية بينهما، وبالرغم من ذلك فقد عمل أمبراطور القسطنطينية على إرسال الطعام والموائد المزينة بأنواع الطعام للبنائين[6]، إضافة إلى التعهد بدفع الجزية التي كان يدفعها سلفه[7] ولكن دون جدوى، كما أراد أن يعمل على رشوة الوزير العثماني خليل باشا[8] بإرسال الأسماك المحشوة ذهباً وفضة، لعله يصرف نظر السلطان عن الفتح، لكن الفاتح رد عليه بحزم أرعدت فرائصه[9].

ثالثاً: تقوية دفاعات القسطنطينية: حينما لم يجد قسطنطين الحادي عشر بداً من المواجهة، ذهب لبذل جهودٍ كبيرةٍ في تجهيز دفاعات القسطنطينية، والتي هي خط الدفاع الأول عن مدينته[10]، فأصدر

---

(1) أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 35-36؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 64

(2) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 64

(3) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 33؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 222رواية ميخائيل دوكاس؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 507/1؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 161

(4) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 71؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 161؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 35؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 49؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 111 البحراني، عماد، **فتح القسطنطينية في عهد محمد الفاتح 1453**، مجلة كان التاريخية، دورية إلكترونية محكمة، ع3 السنة الثانية، 61

(5) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 34، 83؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 79، 227

(6) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 71؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 225رواية ميخائيل دوكاس؛ هرماس غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 76

(7) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 507/1

(8) ينظر: صفوت، محمد، **فتح القسطنطينية** 69؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 76

(9) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 72

(10) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 132/1

الأوامر بترميم أسوار المدينة، وتشييد أبراج جديدة، وإقامة المتاريس، وجمع الأسلحة، وتوزيع المقاتلين على البوابات، فزاد من ارتفاع الأسوار المحيطة بالقسطنطينية[(1)]، وقبيل فرض العثمانيين لحصارهم، قام إمبراطور القسطنطينية بإغلاق أبواب القسطنطينية كافة، وفرض حراسة مشددة على أسوارها[(2)]، كما حفر حندقاً جديداً حول القصر الإمبراطوري الذي كانت أسوار المدينة بقربه يعتريها الكثير من الضعف[(3)]، بالإضافة إلى إغلاق خليج القرن الذهبي بالسلسلة الحديدية لمنع أي من سفن العثمانيين من العبور، بالاعتماد على قوة الجيش البيزنطي، وما بقى للقسطنطينية من أساطيل[(4)] وتحسباً لطول الحصار أمر بإحضار كميات كبيرة من المؤن والمواد الغذائية[(5)]، وحشد كميات أخرى من النار الإغريقية، والعتاد، والسلاح[(6)].

رابعاً: وحدة الكنيستين: راسل قسطنطين الحادي عشر البابا نيقولا الخامس (1447-1450) حاثاً إياه على ضرورة الاتحاد الكنسي في مواجهة العثمانيين الطامعين بالقسطنطينية، موضحاً بأن روما هي المدينة القادمة للوقوع ضحية للعثمانيين إذا ما سقطت القسطنطينية[(7)] وبدوره أرسل البابا الكاردينال ايزيدور للقسطنطينية من أجل إتمام عملية الاتحاد الكنسي، فدارت المشاورات، وتم التصويت في كنيسة أيا صوفيا، على إعلان الاتحاد الكنسي في كانون الثاني 1452م[(8)].

وبالرغم من ذلك الاتحاد إلا أنه لم تلق تلك الوحدة قبولاً لدى الشعب البيزنطي الأرثوذكسي[(9)]حتى قال الرجل الثاني في الإمبراطورية البيزنطية - القائد الأعلى - لوكاس نوتاراس:" إنني أفضل أن أرى

---

(1) لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 17؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 34، 106

(2) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 96، وللتعرف إلى حراس تلك الأبواب، ينظر: نفسه 109-110؛ البحراني عماد، **فتح القسطنطينية في عهد محمد الفاتح 1453**، مجلة كان التاريخية، دورية إلكترونية محكمة، ع3، السنة الثانية، 61

(3) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 106-107

(4) لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 17؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 108

(5) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 99

(6) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 132/1

(7) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 64؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 312 هامش (2) أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 36

(8) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 41؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 132/1؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 34، 89؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 262-263؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 234-236رواية ميخائيل دوكاس؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 99؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 64؛ عطية، عزيز، **العلاقات بين الشرق والغرب** 138؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 111؛ يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 286؛ التونجي، محمد، **بلاد الشام إبان العصر العثماني** 26

(9) ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 237-238رواية ميخائيل دوكاس؛ باربارو نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 84؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 506/1-507؛ بيتروسيان، إيرينا **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 99

عمائم الأتراك في القسطنطينية، على أن أرى قلنسوات رجال الدين اللاتين"[1].

خامساً: طلب مساعدة أوروبا: ناشد الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر أوروبا المسيحية لمساعدته لكن طلبه هذا لم يلق آذاناً صاغية، ولا قلوباً واعية[2]، فلم تصله سوى إمدادات بسيطة من مدينتي جنوة والبندقية، وكانت المساعدة الحقيقية التي تلقتها القسطنطينية هي وصول جيوفاني جستنياني، القائد العسكري الجنوي، على متن سفينتين حربيتين كبيرتين، وبرفقته سبعمائة مقاتل، منهم أربعمائة من مدينة جنوة، والباقي من جزيرة رودس، ولدى وصوله إلى القسطنطينية، رحب به قسطنطين ترحيباً حاراً، بل إنه عهد إليه بالمسئولية الأولى عن عملية الدفاع عن المدينة[3]، كما قدمت سفينة من جنوة محملة بستة وثلاثين ألف قنطار، ومئة رجل من رماة السهام، ومصوبي البنادق، وكل ذلك من أجل مساعدة القسطنطينية، كما قدمت بعض السفن من جزيرة كريت محملة بالنبيذ لتوفير بعض وسائل العيش لسكان المدينة، بالإضافة إلى سفينتين من كافا - في أوكرانيا – وأخرى من أحد موانئ البحر الأسود[4] (طرابزيون)[5].

---

(1) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 260؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 99؛ أوزتونا يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 132/1؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 35؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 61 أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 37؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 50؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 111؛ هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 225

(2) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 132/1؛ عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 644

(3) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 263؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 162؛ باربارو، نيقولو **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 103-104؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 41؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 80؛ البحراني، عماد، **فتح القسطنطينية في عهد محمد الفاتح 1453**، مجلة كان التاريخية، دورية إلكترونية محكمة، ع3، السنة الثانية، 61؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 99؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 241،250رواية ميخائيل دوكاس، 157رواية ليوناردو الخيوسي، والذي أشار إلى أن السلطان الفاتح كان معجباً بمهارة جستنياني القتالية، ولذلك حاول رشوته بالمال الكثير ويستقدمه إلى صفوفه، لكنه لم يستطع التأثير عليه؛ هذا ويمكن ملاحظة مدى محاولات ليوناردو الخيوسي لإسباغ صور البطولة لجستنياني كونه من بلده، والحقيقة أن معظم المصادر البيزنطية والعربية تحدثت عن شجاعة وبسالة جستنياني، لكن هذه هي المرة الأولى التي يذكر فيها أن الفاتح حاول رشوته (نفسه 340 رواية أنجيلو جيوفاني لوماللينو)

(4) ينظر: أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 133/1؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 86 – 87؛ يحاول البيزنطيون تقليل أعداد المدافعين عن القسطنطينية وقت حصارها، لمواساة أنفسهم بسقوط المدينة في يد المسلمين، وعلى هذا فقد ذكر بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 98 بالاعتماد على مصدر بيزنطي يعود للمؤرخ "سفراندزي " أن عدد القوات البيزنطية كان قليلاً جداً، حيث بلغ أقل من خمسة آلاف مقاتل، إضافة إلى حوالي مائتين من القوات المساندة من إيطاليا؛ ولكن الحقيقة غير ذلك فقد كان بالقسطنطينية العديد من المقاتلين، والذين كبدوا القوات الإسلامية العديد من الخسائر – والتي يمكن ملاحظتها خلال مجريات الحصار – فكيف بهذا العدد القليل يكبد المسلمين الكثير من الخسائر، إضافة إلى صمود المدينة ثلاثة وخمسين يوماً، فلو كانوا كذلك لما حمل الحصار أكثر من ساعة من نهار .

(5) طرابزيون: مدينة قديمة على البحر الأسود، واسمها مشتق من لفظة (ترابيزوس) اللاتينية، والتي معناها الشكل المعين (المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 160)

سادساً: الإبقاء على السفن التجارية وبحارتها في القسطنطينية: بذل قسطنطين الحادي عشر جهداً كبيراً في استبقاء سفن البندقية بتجارها وبحارتها في القسطنطينية، وذلك بغرض الاستفادة منها في مواجهة حصار القسطنطينية، وبعد مداولات ومشاورات بين البيزنطيين والبنادقة، تم الاتفاق على إبقاء السفن في القسطنطينية(1)، نظراً للحاجة الماسة لها في مواجهة العثمانيين الذين كانوا يعدون العدة لغزو المدينة براً وبحراً(2) .

تقدير قوات الطرفين

تباينت أقوال المؤرخين في تقدير أعداد المقاتلين من الطرفين الإسلامي والبيزنطي، فذهب المؤرخون الأوروبيون إلى تقليل أعداد الجيش البيزنطي، ورفع أعداد الجيش الإسلامي، والذين قدروها ما بين أقل من ربع المليون بقليل إلى قرابة النصف مليون(3)، وقد وافق بعض المؤرخين المسلمين على هذا التقدير(4) في حين قدر قسم آخر من المسلمين والأوروبيين الجيش العثماني بمئة وخمسين ألفاً(5)، وهو تقدير يكاد يكون أقرب إلى الاعتدال، والمصداقية .

ولا شك أن الذين بالغوا في أعداد الجيش العثماني قد تأثروا بالنتائج التي حققها هذا الجيش وهي فتح مدينة القسطنطينية واعتقدوا أن تلك النتائج لا يمكن تحقيقها إلا إذا كان عدد الجيش كبيراً، أي بهدف تهوين شأن الانتصار العثماني، ونوع من الاعتذار للروم عن هزيمتهم، لكن حقيقة الأمر أن إمكانات الدولة العثمانية في ذلك الوقت لم تكن تسمح بجمع أكثر من مائة وخمسة وستين ألفاً من الجند(6).

---

(1) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 250رواية ميخائيل دوكاس، وللاستزادة حول تفاصيل ذلك ينظر: باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 91-100

(2) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 94

(3) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 105رواية جياكوموتيدالدي الذي أشار إلى أن عدد الجيش العثماني كان مائتي ألف رجل، من بينهم ستون ألف مقاتل، وما بين ثلاثين ألف إلى أربعين ألف من الخيالة؛ بينما يشير لونارد الخيوسي أنهم ثلاث مائة ألف مقاتل (نفسه 131) كما يشير لاونيكوس خالكوكونديلاس إلى أنهم أربعمائة ألف مقاتل(نفسه 182)، أما ميخائيل دوكاس فقد أشار إلى أنه من الصعوبة تحديد أعدادهم، لكنه قدرها بأربعمائة ألف مقاتل (نفسه 525)، ويوافقه في ذلك بنفينوتو قنصل الجالية الأنكونية بالقسطنطينية قبل الفتح (نفسه 354)، أما المؤرخ البندقي باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 113 فقد أشار إلى أن القوات العثمانية كانت قرابة مائتين وستين ألفاً، ثم عاد وذكر أن الهجوم النهائي كان بواسطة مئة وخمسين ألف رجل (نفسه 168)

(4) المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 161 قدر القوات العثمانية التي حاصرت القسطنطينية بمائتين وخمسين ألفاً، إلا أن بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 98 قال: إن عددهم كان مئتي ألف .

(5) آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 50 ؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 19؛ توفيق، عمر **تاريخ الدولة البيزنطية** 229 وقال إنهم كانوا مئة وستين ألفاً؛ في حين أشار أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 263 إلى أنهم كانوا سبعين ألفاً .

(6) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 113 تعليق المترجم حاتم الطحاوي، هامش (1)

أما المدافعون عن القسطنطينية، فاتفق معظم المؤرخين البيزنطيين على تقديرهم بثمانية آلاف مقاتل[1] غير أن مؤرخي العثمانيين يقدرونهم بستين ألفاً[2]، ويرون أن تقدير مؤرخي الغرب ما هو إلا ضرباً من من أنواع الكذب .

والواقع أن تقدير أعداد البيزنطيين بثمانية آلاف مقاتل لا يمكن أن يصدق، فالحقيقة أن كل السكان البيزنطيين قد ساهموا في الدفاع عن القسطنطينية، من رجال، ونساء، ورهبان وغيرهم[3]، هذا بالإضافة إلى القوات العسكرية التي كانت تتولى الدفاع عن القسطنطينية، والتي كانت بعدد غير قليل كما جاءها الدعم من الغرب الأوروبي[4]، والتجار الذين كانوا يعملون فيها، والذين فرض عليهم البقاء في المدينة، ومما يؤيد ما ذهبنا إليه هو قدرة القوات البيزنطية على إلحاق العديد من الهزائم بالجيوش العثمانية قبيل فتح القسطنطينية، وتكبيدهم العديد من الخسائر، بالإضافة إلى صمودهم داخل مدينتهم أكثر من خمسين يوماً والقوات العثمانية (الكبيرة العدد) تحاصرهم .

هذا وقد أجرى بعض الباحثين[5] دراسة حول عدد سكان القسطنطينية، ونسبة المدافعين عنها والتي قدرها بعشرة في المئة من عدد السكان الذين قدرهم بحوالي نصف مليون نسمة قبيل اقتحام القوات العثمانية، وعلى هذا كان عدد القوات المدافعة عن القسطنطينية حوالي خمسين ألف مقاتل، وقد يكون هذا الرقم أقرب إلى التصديق .

سير الحملة وترتيباتها العسكرية

بدأت القوات العثمانية في التحرك من أجل تنفيذ الحصار البري والبحري على مدينة القسطنطينية فتحركت القوات البرية يوم الثالث والعشرين من آذار من مدينة أدرنة، تحت قيادة السلطان محمد الفاتح، كما غادر الأسطول البحري ميناء مدينة غاليبولى في نهاية آذار – أول نيسان، متجهاً صوب

---

(1) هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 92؛ في حين أشار أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 263 إلى أنهم أربعة ألاف مقاتل، وعاد ليقول إن من تولى الدفاع عن القسطنطينية كان تسعة آلاف مقاتل؛ ووافقه في ذلك توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 229

(2) نفسه 92

(3) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 263 ولكي يقلل من أثر ذلك وضح بأن غالبيتهم رفضوا الانخراط في الجيش لغضبهم من قسطنطين الذي عمل على وحدة الكنيستين .

(4) المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 162؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 103-104 أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 41؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 80؛ البحراني، عماد، **فتح القسطنطينية في عهد محمد الفاتح 1453**، مجلة كان التاريخية، دورية إلكترونية محكمة، ع3، السنة الثانية، 61؛ بيتروسيان إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 99؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 241،250رواية ميخائيل دوكاس؛ 157رواية ليوناردو الخيوسي

(5) خطاب، محمود شيت، **بين العقيدة والقيادة** 380-381

المياه الإقليمية للقسطنطينية، جنباً إلى جنب مع القوات البحرية، والذي كان تحت قيادة القائد البحري بلطة أوغلو[1]، أما المدفع العملاق فقد دفع باتجاه القسطنطينية في الثاني من نيسان 1453م[2]،على حين اكتملت القوات العثمانية البرية أمام أسوار المدينة في السادس من نيسان، وبدأت في اتخاذ مواقعها، ونصب معسكرها[3].

بدأ السلطان الفاتح في توزيع قواته لإحكام الحصار حول القسطنطينية، فوضع الفرق الأناضولية - وهي أكثر الفرق عدداً - عن يمينه إلى ناحية بحر مرمرة، والتي كانت تحت قيادة إسحق باشا ووضع الفرق الأوروبية عن يساره حتى القرن الذهبي، والتي كانت تحت قيادة قره جه باشا، ووضع الحرس السلطاني الذي يضم نخبة الجنود الإنكشارية في الوسط (القلب) والتي انتشرت من طوب قابو إلى باب أدرنة، وتحرك الأسطول العثماني من مدينة غاليبولي عبر بحر مرمرة إلى البسفور، وألقى مراسيه هناك، وهكذا طوقت القسطنطينية من البر والبحر[4]، وقد نصب المدفع السلطاني الكبير أمام بوابة القديس رومانوس والذي عسكر السلطان الفاتح قبالته[5] .

كانت باكورة أعمال الفاتح عند أسوار القسطنطينية أن أمر جنوده بتدمير ضواحي القسطنطينية كافة[6]، فسلمت العديد من المدن دون مقاومة تذكر[7]، ومن أجل التوصل إلى أضعف نقاط الأسوار ومهاجمتها، سار السلطان وكبار قادته لتفقد الأسوار الممتدة من بحر مرمرة وحتى خليج القرن الذهبي، ثم أصدر أمراً إلى أبرز قادته: "زاجانوشس باشا" بضرورة حصار مدينة غلطة، والتي تم

---

(1) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 506/1؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 98

(2) وهو نفس اليوم الذي قام فيه البيزنطيون بغلق السلسلة في مدخل خليج القرن الذهبي (ينظر: باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطيني** 108)، لكن بنفينوتو قنصل الجالية الأنكونية بالقسطنطينية أوضح أن ذلك كان في الرابع من نيسان، وليس في اليوم الثاني (ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 353)

(3) يوضح بنفينوتو قنصل الجالية الأنكونية بالقسطنطينية قبل الفتح أن العثمانيين نصبوا معسكرهم حول القسطنطينية في الخامس من نيسان 1453م، حيث نصبوا 60.000خيمة، وحوالي 300 سفينة، و300.000 مقاتل، منهم 36.000 في البحر، والباقي في البر (ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 354؛ البحراني، عماد، **فتح القسطنطينية في عهد محمد الفاتح 1453**، مجلة كان التاريخية، دورية إلكترونية محكمة، ع3، السنة الثانية، 61) وللتعرف إلى تجهيزات الجنود وملابسهم وأسلحتهم، ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 105-106رواية جياكوموتيدالدي؛ 181-182رواية لاونيكوس خالكوكونديلاس

(4) البحراني، عماد، **فتح القسطنطينية في عهد محمد الفاتح 1453**، مجلة كان التاريخية، دورية إلكترونية محكمة، ع3، السنة الثانية، 61؛ ينظر: هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 91

(5) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 98

(6) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 133/1؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 181رواية لاونيكوس خالكوكونديلاس؛ 312رواية كريستوفورو ريشيريو

(7) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 98؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 78

الاتفاق على تحييدها مقابل عدم تقديمهم المساعدة لأهل القسطنطينية، وقد قبل أهل غلطة ذلك، لكن الحقيقة أنهم كانوا يخدعون العثمانيين بإرسالهم بعض المساعدات لأهل القسطنطينية، فقد أثبتت بعض روايات المعاصرين من سكان القسطنطينية[1]، أن بعض المساعدات التموينية والعسكرية انطلقت من غلطة لتحط في القسطنطينية المحاصرة .

وأصدر محمد الفاتح أوامره لقائد الأسطول البحري العثماني، "بلطه أوغلو" بحصار السور البحري للقسطنطينية، الممتد من الباب الذهبي على بحر مرمرة، إلى ساحل مدينة غلطة، فضلاً عن التصدي لمحاولات البحرية البيزنطية الرامية إلى كسر حلقات الحصار العثماني للمدينة[2] .

قيادة الجيش البيزنطي وترتيباته العسكرية

اتخذت القوات البيزنطية مواقعها داخل القسطنطينية بحيث توسط الإمبراطور قسطنطين قواته بعد أن تمركز عند بوابة خاريسيوس، برفقة أعداد من فرسانه وأمرائه، على حين قاد القائد الجنوي جستنياني ميمنة القوات المحاصرة بالقرب من بوابة القديس رومانوس[3]، والذي كان – إضافة إلى ذلك – قائداً عاماً للقوات البرية كافة[4]، ومن فوره بدأ بتوزيع المدافع الصغيرة على أسوار القسطنطينية، ورتب المدافعين عنها[5]، كما تولى العديد من القادة البيزنطيين والبنادقة مهمة الدفاع عن ميسرة الإمبراطور، في المنطقة الممتدة من باب القديس رومانوس شمالاً، حتى باب سليمبريا جنوباً[6]، على حين عهد إلى القائد الأكبر نوتاراس، وبرفقته بعض القادة البيزنطيين من أسرة باليولوغس بمهمة الدفاع عن القسطنطينية بطول ساحل القرن الذهبي، وتركزت جل القوات البيزنطية والجنوية في المسافة الواقعة بين بوابة خاريسيوس – حيث أضعف تحصينات الأسوار– وبوابة القديس رومانوس[7].

---

(1) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 135؛ ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 253رواية ميخائيل دوكاس؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 44-45

(2) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 133/1؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 98؛ وللتعرف إلى ترتيبات الجيش الإسلامي حول القسطنطينية، ينظر: **خريطة رقم (11) من الملحق (1)** في نهاية الدراسة .

(3) ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 251رواية ميخائيل دوكاس؛ ويشير سيرهنك إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 508/1 إلى أن جستنياني قدم إلى القسطنطينية بعد الحصار، لكن الحقيقة التي تؤكدها المصادر المعاصرة البيزنطية توضح وجوده في القسطنطينية قبل الحصار .

(4) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 104-105

(5) هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 80

(6) ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 152-154رواية ليوناردو الخيوسي

(7) وعن ترتيبات البيزنطيين في القسطنطينية، ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 153-155رواية ليوناردو الخيوسي؛ 332-333رواية جورجي دولفين؛ ينظر: باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 93-94 101-102، 109، 114، 143-144

أما في البحر فقد سد البيزنطيون مدخل ميناء القرن الذهبي بسلسلة حديدية ضخمة، واحتمت السفن البيزنطية وراءها، وعهد بحراسة الميناء إلى البحارة الجنويين، وكان ذلك في الثاني[(1)] من نيسان 1453م[(2)] .

حصار القسطنطينية

بدأت عملية التقدم نحو القسطنطينية قبل شهرين من حصارها، حيث تحركت الجيوش وهي تجر المدافع من أدرنة إلى القسطنطينية[(3)]، ووصلت إلى مشارف القسطنطينية في يوم الخميس السادس والعشرين من ربيع الأول857هـ الموافق السادس من نيسان 1453م[(4)]، حيث جمع الفاتح الجند وحثهم على الجهاد وطلب النصر أو الشهادة، وذكرهم بالتضحية وصدق القتال عند اللقاء، وقرأ عليهم الآيات القرآنية التي تحث على ذلك، كما ذكر لهم الأحاديث النبوية التي تبشر بفتح القسطنطينية، وفضل الجيش الفاتح لها وأميره، وإظهاراً للموافقة قـــام الجيش بالتهليل، والتكبير، والدعاء[(5)]، والذين كان العلماء مبثوثين في صفوفهم يرفعون من معنوياتهم[(6)].

وفي اليوم التالي قام السلطان بتوزيع جيشه البري أمام الأسوار الخارجية للمدينة[(7)]، حيث تمكنت من إحكام الحصار البري حول مختلف الجهات، وعمل على نصب المدافع أمام الأسوار، والتي بلغ عددها أربع عشرة بطارية مدفعية، كان أهمها المدفع السلطاني العملاق الذي أقيم أمام باب

---

(1) وهو نفس اليوم الذي قام فيه العثمانيون بإحضار مدفعهم العملاق(ينظر: باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطيني**108)

(2) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 507؛ الحنبلي، شاكر، **التاريخ العثماني** 37؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 134/1؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 45؛ ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 110جياكومونتيدالدي، 254رواية ميخائيل دوكاس؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 80 البحراني، عماد، **فتح القسطنطينية في عهد محمد الفاتح 1453**، مجلة كان التاريخية، دورية إلكترونية محكمة، ع3، السنة الثانية، 61؛ وللتعرف إلى التحصينات وخطوط الدفاع البيزنطي ينظر: **ملحق (2)** في نهاية الدراسة .

(3) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 242رواية ميخائيل دوكاس؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 133/1 البحراني، عماد، **فتح القسطنطينية في عهد محمد الفاتح 1453**، مجلة كان التاريخية، دورية إلكترونية محكمة، ع3، السنة الثانية، 61

(4) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 133/1؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 263؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 105رواية جياكومونتيدالدي الذي يشير إلى أن ذلك كان في اليوم الخامس من نيسان، ويوافقه في ذلك ليونارد الخيوسي (نفسه 131)، كما يوافقه في ذلك باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 113؛ الصلابي، علي **السلطان محمد الفاتح** 112؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 77

(5) آصف، يوسف، **سلاطين آل عثمان** 24-25؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 112

(6) العمري، عبد العزيز، **الفتوحات الإسلامية عبر العصور** 364؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 192؛ المحامي محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 160-161؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 43؛ الصلابي، علي **السلطان محمد الفاتح** 112

(7) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 183

طوبو قابي[1]، وقد نصبت هذه المدافع بعد أن قام الجنود بحفر الخنادق لتقيهم ضربات العدو، كما كان التراب المخرج من تلك الخنادق يوضع لتنصب عليه تلك المدافع[2]، والتي عول على فاعليتها - بعد الاتكال على الله - في إحكام الحصار حول المدينة، وإسقاطها في أسرع وقت، خوفاً من قدوم المساعدات من الغرب[3]، كما وضع فرقاً للمراقبة في مختلف المواقع المرتفعة والقريبة من المدينة، وفي الوقت نفسه انتشرت السفن العثمانية في المياه المحيطة بالمدينة، إلا أنها لم تستطع الوصول إلى القرن الذهبي بسبب وجود السلسلة الضخمة التي منعت أي سفينة من دخوله، بل وتدمر كل سفينة تحاول الدنو والاقتراب، غير أن الأسطول العثماني استطاع أن يستولي على جزر بحر مرمرة[4] .

وكانت المدفعية العثمانية تطلق مدافعها من مواقع مختلفة نحو المدينة، وراحت تدك أسوارها منذ الأسبوع الأول من شهر نيسان 1453م، حيث كانت تطلق حوالي مئة طلقة يومياً[5] ومن أربعة مدافع كبيرة، تليها أربعة أصغر[6]، وترتب على قوة تأثير المدفعية العثمانية نتيجتان:

الأولى ذات تأثير نفسي، إذ تسبب صوت المدافع في إحداث حالة من الرعب، والهلع، والذعر لدى السكان البيزنطيين، إذ لم يسمعوا بمثل تلك الأصوات الهائلة من قبل[7]، حتى أنه أغمي على عدد كبير من نساء القسطنطينية عقب إطلاق القذائف من هذا المدفع العملاق[8] .

والثانية ذات تأثير مادي، إذ دكت قذائف المدافع العثمانية الأسوار البرية للقسطنطينية بشكل مؤثر للغاية، مما ترتب عليه تهدم مساحة كبيرة من السور الخارجي، وسقوط بعض الأبراج الموجودة به[9]. بدأ جيوفاني جستنياني والمدافعين عن المدينة في إيجاد حل سريع لمسألة تهدم جدران الأسوار الخارجية، وذلك عن طريق سرعة ترميمها، وسد الثغرات التي أحدثتها القذائف العثمانية، وإقامة سياج من الأوتاد، ووضع العديد من الأواني الخشبية المليئة بالرمال فوقها، من أجل صد القذائف الجديدة فضلاً عن ذلك قام بجمع الشجيرات القصيرة من داخل المدينة ووضعها مكان الثغرات الموجودة في

---

(1) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 133/1؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 161؛ باربارو، نيقولو **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 118؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 112

(2) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 98

(3) ينظر: أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 133/1

(4) نفسه 133/1؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 98

(5) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 100

(6) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 134/1

(7) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 134رواية ليونارد الخيوسي، 231 رواية ميخائيل دوكاس .

(8) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 157

(9) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 100؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 231رواية ميخائيل دوكاس؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 114

الأسوار[1]، بالإضافة إلى استخدام العديد من أدوات القتال لمواجهة العثمانيين، ومن ذلك البنادق التي تميزت بقدراتها الكبيرة على الاختراق[2]، وحينما رأى البيزنطيون بدايات حصار مدينتهم وما أحدثته تلك المدافع، قاموا بذبح ما بين أيديهم من الأسرى العثمانيين[3] .

و في النصف الثاني من نيسان قام العثمانيون بمحاولتين في البر والبحر لاقتحام المدينة، لكن دون أن تحدث أي تقدم، عندها أمر الفاتح بردم الخندق الموجود أمام الأسوار البرية - عند منطقة وادي ليكوس - بالأحجار، والرمال، والأخشاب[4]، وذلك بقصد الوصول إلى الأسوار، إذ أن الهجمات السابقة كانت تتم بعيداً عنها، كما هاجمت القوات العثمانية ليلاً أسوار المدينة، وبالرغم من المحاولات المستميتة للجنود العثمانيين، والتي استمرت حتى شروق شمس اليوم التالي، فقد نجح المدافعون البيزنطيون في الدفاع عن المدينة، ورد العثمانيين على أعقابهم، بعد أن قاموا بتكبيدهم خسائر فادحة[5]، وقد ساهم هذا الارتداد العثماني في رفع معنويات المدافعين عن المدينة[6]، ودفع هذا النصر البيزنطيين إلى الاهتمام بإصلاح الأسوار، وإلى التوجه بالشكر والدعاء للرب في كنيسة أيا صوفيا[7].

وبالرغم من ذلك فإن الهجوم العثماني لم يتوقف، وظل مستمراً دون هوادة، حيث أظهر جنود الإنكشارية شجاعة فائقة، وفي يوم الثامن عشر من نيسان [8] تمكنت المدافع العثمانية من فتح ثغرة في الأسوار البيزنطية عند وادي ليكوس في الجزء الغربي من الأسوار، فاندفع إليها الجنود العثمانيون محاولين اقتحام المدينة من الثغرة، كما حاولوا اقتحام الأسوار الأخرى بالسلالم التي ألقوها عليها ولكن المدافعين عن المدينة استماتوا في الدفاع عن الثغرة والأسوار، واشتد القتال بين الطرفين، ومع حلول الظلام أصدر الفاتح أوامره بالانسحاب، متحيناً فرصة أخرى للهجوم[9]، وقد أوضح باربارو[10]

---

(1) البحراني، عماد، **فتح القسطنطينية في عهد محمد الفاتح 1453**، مجلة كان التاريخية، دورية إلكترونية محكمة، ع3، السنة الثانية، 61؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 184رواية لاونيكوس خالكوكونديلاس 354رواية بنفينوتو قنصل الجالية الأنكونية بالقسطنطينية قبل الفتح .

(2) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 252رواية ميخائيل دوكاس

(3) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 98

(4) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 262؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 100 الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 120

(5) ينظر: باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 123- 125؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 94 هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 92

(6) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 120

(7) الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 114؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 100

(8) لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 20؛ العمري، عبد العزيز، **الفتوح الاسلامية عبر العصور** 367 بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 100

(9) فهمي، عبدالسلام، **محمد الفاتح** 123

(10) **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 129؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 114

أن العثمانيين لو قاموا بالهجوم من الثغرات التي أحدثتها المدافع بأعداد أكبر من تلك الأعداد التي هامجوا فيها - في ذلك الوقت - لأمكن رؤية (العمائم التركية في القسطنطينية) لكن مشيئة الرب حالت دون ذلك .

وبعد تلك الحادثة انطلق المدافعون عن القسطنطينية إلى إصلاح ما تهدم من الأسوار، ومحاولتهم ترميمها بمختلف الوسائل، من أغصان الأشجار التي تم غمرها بالمياه لتزيدها صلابة، وفروع أشجار الكروم، وأثناء ذلك لم تنقطع هجمات العثمانيين الذين استخدموا بالإضافة إلى مدفعهم العملاق البنادق اليدوية، والسهام، حيث غطى الجنود العثمانيون الأرض، خاصة الإنكشارية[1] والعزبان[2] .

وإدراكاً من الفاتح للأهمية الإستراتيجية لخليج القرن الذهبي، فقد وضعه ضمن أولوياته العسكرية لاقتحامه والاستيلاء عليه، إذ أصدر أوامره لقائد الأسطول البحري العثماني "بلطة أوغلو[3]" باقتحام السلسلة الموجودة في مدخل القرن الذهبي، ومهاجمة السفن البيزنطية التي اتخذت أماكنها أمام السلسلة وخلفها، حيث مدخل الخليج، فدارت معركة بحرية عنيفة بين السفن العثمانية والسفن البيزنطية، تمكنت الأخيرة خلالها من تحقيق النصر، ومنع السفن العثمانية من اجتياز السلسلة[4]، كما تسببت البحرية العثمانية في فشل جديد أثار حنق الفاتح، بعد أن فشلت - بعدة أيام- في منع أربع سفن قادمة من جزيرة خيوس[5] - تحمل المؤن والإمدادات - من دخول القرن الذهبي والوصول إلى القسطنطينية[6]، وقد كان

(1) ينظر: باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 129-130

(2) **العزبان**: هم الجنود غير المتزوجين، الذين كانوا في خدمة السلطان الفاتح، والذين تميزوا بالعمائم الحمراء عن الإنكشارية الذين تعمموا بالعمائم البيضاء، وقد كان لهم دور هام في فتح القسطنطينية، حيث كانت سهامهم تمزق الصدور، وتخرق القلوب وقد كانوا في ميمنة الجيش العثماني (باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 130 تعليق حاتم الطحاوي، هامش (2) .

(3) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 506/1

(4) العمري، عبد العزيز، **الفتوح الإسلامية عبر العصور** 368؛ الحنبلي، شاكر، **التاريخ العثماني** 37؛ الصلابي، علي **السلطان محمد الفاتح** 114؛ البحراني، عماد، **فتح القسطنطينية في عهد محمد الفاتح 1453**، مجلة كان التاريخية، دورية إلكترونية محكمة، ع3، السنة الثانية، 61

(5) **خيوس**: جزيرة تابعة للقسطنطينية في بحر إيجة، كانت من ممتلكات بلدوين فلاندرز عقب الحملة الصليبية الرابعة على القسطنطينية 1204م، ولم يستطع العثمانيون السيطرة عليها إلا في عام 1556م (ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 142)

(6) حضرت ثلاث سفن محملة بالمساعدات للقوات البيزنطية من جزيرة خيوس وهي تحمل الأسلحة والمواد الغذائية، كما حضرت سفينة رابعة من جزيرة صقلية، وكانت هذه السفن محملة بالقمح، والشعير، والنبيذ، والخضراوات، وبها العديد من الجنود والبحارة (المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 163؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 99؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 134/1؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 264؛ جونز، ج.ر **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 142-143رواية ليونارد الخيوسي؛ 188-189رواية لاونيكوس خالكوكونديلاس؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 142-125؛ الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 644/1؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 48؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 94-95 البحراني، عماد، **فتح القسطنطينية في عهد محمد الفاتح 1453**، مجلة كان التاريخية، دورية إلكترونية محكمة، ع3، السنة الثانية، 61

السبب في عدم قدرة القوات الإسلامية من السيطرة عليها هو جوانبها العالية، والتي كانت أعلى بكثير من السفن العثمانية، الأمر الذي سهل مهمة الدفاع، وصعوبة الهجوم[1]، وهو الأمر الذي أدى بالفاتح إلى إقصاء وزير البحر العثماني" بلطة أوغلو"[2] ليولي مكانه القائد البحري "حمزة باشا"، وقيل "أحمد بن جالي بك" [3].

- اقتحام القرن الذهبي

كان للهزائم البحرية التي مني بها الأسطول العثماني دور كبير في محاولة بعض مستشاري السلطان وعلى رأسهم الوزير (خليل باشا) إقناعه بالعدول عن الاستيلاء على القسطنطينية[4]، والرضا بمصالحة أهلها دون السيطرة عليها، ورفع الحصار عنها، ولكن السلطان أصر على محاولة الفتح واستمر في قصف دفاعات المدينة بالمدافع من كل مكان[5]، وفي الوقت نفسه كان يفكر في إدخال سفنه إلى القرن الذهبي، ليضطر البيزنطيون إلى سحب بعض قواتهم المدافعة عن الأسوار الغربية من المدينة، وبهذا التفريق ستتهيأ فرصة أكبر في الهجوم على تلك الأسوار بعد أن ينقص عدد المدافعين عنها[6].

ولتحقيق هذه الفكرة أمر الفاتح في ليلة الثاني والعشرين من نيسان 1453م، بتسوية الطريق البري من البسفور إلى القرن الذهبي، باستخدام الألواح الخشبية المدهونة بالشحم، ودهن الأغنام، ثم دفع السفن بوساطة الرجال، وجرها بوساطة الثيران والأبقار، وهو ما أدى إلى انزلاق السفن على الألواح الخشبية المدهونة، بالإضافة إلى أن السفن كانت صغيرة الحجم، خفيفة الـــوزن[7]، تجــر وأشرعــتها

---

(1) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 99

(2) ينظر:عنان، محمد، **مواقف حاسمة** 180/1

(3) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 134/1؛ ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 109رواية جياكومونتيدالدي؛ 144رواية ليونارد الخيوسي؛ 255-257رواية ميخائيل دوكاس؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 103؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 117

(4) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 42؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 97؛ لويس برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 20؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 113رواية جياكومونتيدالدي؛ 143-144، 159رواية ليونارد الخيوسي؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 134/1

(5) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 160رواية ليونارد الخيوسي

(6) العمري، عبد العزيز، **الفتوح الإسلامية عبر العصور** 369

(7) فهمي، عبد السلام، **السلطان محمد الفاتح** 100؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 507/1؛ جونز، ج.ر **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 140، 186؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 163

مفرودة، فساعدتها الرياح كما لو كانت تسير فوق سطح الماء، وهكذا نجح العثمانيون في إنزال حوالـي اثنتين وسبعين سفينة إلى مياه خليج القرن الذهبي، بعد رحـلة بريـة بـلغ طولـها ثلاثـة أميــال[1] بعيداً عن أنظار العدو ومراقبته[2] .

كان هذا العمل عظيماً، بل معجزة خارقة في ذلك الوقت، تجلت فيه سرعة التخطيط والتنفيذ، مما يدل على قدرة فائقة في التفكير والتدبير، واستغلال الإمكانات، حتى عد ذلك من العجائب العسكرية في التاريخ[3]، ولهذا كان وقع هذا الانجاز العسكري على البيزنطيين مروعاً[4]، إذ استيقظوا صباحاً على تكبيرات العثمانيين، وهتافاتــهم، وأناشيدهم[5] وسفن الأسطول العثماني تمخر عباب خليج القرن الذهبي، مما أوقع الرعب في قلوبهم، فلم يعد هناك حاجز مائي بين المدافعين عن القسطنطينية وبين الجنود العثمانيين[6]، وأصبحت واجهة المدينة البحرية الداخلية بالإضافة إلى واجهتها الخارجية محاصرة بالقوات العثمانية[7]، وهو ما دعاهم إلى ضرورة نقل العديد من القوات المرابطة على

---

(1) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 507/1؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 140، 186؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 163؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 96

(2) الشوكاني، محمد، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع** 261/2؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 134153/1 باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 131-132؛ ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 108رواية جياكوموتيدالدي؛ 140رواية ليونارد الخيوسي؛ 186رواية لاونيكوس خالكوكونديلاس؛ 257رواية ميخائيل دوكاس؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 20؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 507/1 بيتروسيان إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 99؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 50؛ أومان، تشارلز **الإمبراطورية البيزنطية** 264؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 49-51؛ العمري، عبد العزيز، **الفتوح الإسلامية عبر العصور** 370؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 119؛ البحراني، عماد، **فتح القسطنطينية في عهد محمد الفاتح 1453**، مجلة كان التاريخية، دورية إلكترونية محكمة، ع3، السنة الثانية، 61

(3) البيشي، سعدية، **الجهاد البحري العثماني في معركة ليبانتو** 18، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى - مكة المكرمة 1997م

(4) آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 50؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 507/1؛ الصلابي علي، **السلطان محمد الفاتح** 120؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 135/1؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 141ليونارد الخيوسي، وأشار إلى أن الذي أوحى لمحمد الفاتح بهذه الفكرة هو أحد الأشخاص المسيحيين ويوافقه في ذلك باربارو، نقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية**131-132، ولكنهما لم يحددا اسم الذي أوحى للسلطان محمد بهذه الفكرة، وهنا يمكن القول بأن نسبة هذه الفكرة إلى أحد المسيحيين ما هي إلا وسيلة من وسائلهم للتقليل من العبقرية التي تميز بها الفاتح .

(5) فهمي، عبد السلام، **السلطان محمد الفاتح** 102؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 120

(6) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 135العمري، عبد العزيز، **الفتوح الإسلامية عبر العصور** 370؛ الصلابي، علي **السلطان محمد الفاتح** 120

(7) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 1/ 509؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 264؛ عطية، عزيز **العلاقات بين الشرق والغرب** 139؛ آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 45

الأسوار البرية للقسطنطينية، من أجل الدفاع عن الأسوار البحرية، مما عرض القوات المدافعة عن الأسوار البرية إلى ضغط شديد لنقص أعدادهم بالمقارنة مع طول الأسوار[1] .

وبهذا الإنجاز نجحت الخطة العثمانية في تحقيق أمرين: أولاها الدخول لخليج القرن الذهبي ومهاجمة المدينة من أقرب طريق، والثانية تقليل أعداد المدافعين عن الأسوار الغربية، مما سمح للمهاجمين من تركيز ضرباتهم.

لم يكتف العثمانيون بهذا، بل أمر الفاتح بتشييد جسر من البراميل الخشبية يمتد من حي غلطة إلى القسطنطينية بعرض خليج القرن الذهبي[2]، ليصل إلى أقرب مكان للأسوار البحرية[3]، مما زاد من ارتباك البيزنطيين، فقاموا بتحويل قواتهم باتجاه رأس الجسر الجديد، فضلاً عن مراقبة السفن العثمانية المرابطة في القرن الذهبي، والتي أخذت في قذف أسوار المدينة بوابل من القذائف الثقيلة[4]، الأمر الذي ساهم في إرباك خطط الدفاع البيزنطية، وشتت جهودها في الدفاع عن أسوار القسطنطينية في أماكن عدة، بل مختلفة ومتباعدة عن بعضها البعض[5] .

وعلى الرغم من حدوث بعض المناوشات والمطاردات البحرية بين السفن البيزنطية والعثمانية داخل خليج القرن الذهبي، فإنها لم تسفر عن نجاح البيزنطيين في تحجيم الخطر البحري العثماني الذي أصبح واقعاً لا مفر منه[6] .

---

(1) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 106

(2) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 135/1؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 155-156؛ جونز، ج.ر **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 112رواية جياكوموتيدالدي؛ 142رواية ليونارد الخيوسي؛ 187رواية لاونيكوس خالكوكونديلاس؛ 265رواية ميخائيل دوكاس والذي أعطى وصفاً دقيقاً لبناء وطريقة بناء هذا الجسر؛ 314رواية كريستوفورو ريشيريو؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 50؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 97

(3) ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 109رواية جياكوموتيدالدي؛ سيرهنك، إسماعيل **حقائق الأخبار عن دول البحار** 507/1؛ باربارو، نقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 155

(4) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 1/ 507؛ عطية، عزيز، **العلاقات بين الشرق والغرب** 139؛ أومان تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 264؛ آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 45

(5) عطية، عزيز، **العلاقات بين الشرق والغرب** 139؛ باربارو، نقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 156؛ الصلابي، علي **السلطان محمد الفاتح** 120

(6) عن هذه المطاردات والحروب البحرية، ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 146-147رواية ليونارد الخيوسي؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 89-104

ـ سفارة الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر

يبدو أن الوضع العسكري البيزنطي الحرج، قد دفع الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر إلى إرسال سفارة للسلطان الفاتح تطلب منه التراجع عن فكرة الاستيلاء على القسطنطينية، مقابل دفع جزية سنوية كبيرة، لكن رد الفاتح كان قاطعاً وحاسماً، بأنه لن يرجع عن هدفه بفتح القسطنطينية، وأنه يهب بنفسه من أجل هذا الأمر، ولو أدى إلى أن يكلفه حياته، طالباً من الإمبراطور تسليم المدينة[1] لقاء رحيله عنها بسلام، وأنه في هذه الحالة لن يتعرض أحد من أهلها ولا كنائسها للأذى[2]، أما إذا لم يوافق على هذا العرض، فسوف يأمر قواته بقتل الإمبراطور ونبلائه، فضلاً عن نهب وسلب ممتلكات سكان القسطنطينية كافة[3]، وهنا تظهر مهارة الفاتح في شن حرب نفسية على المقاومين والسكان، فإن هم استمروا في المقاومة صاروا عرضة للقتل والسلب والنهب، وإذا ما استجابوا حافظوا على أنفسهم وحفظوا مدينتهم .

على أية حال، لم يجد الإمبراطور جديداً في رد الفاتح، لذلك أخذ يبذل محاولاته الأخيرة في الدفاع عن المدينة، وقرر مهاجمة الأسطول البحري العثماني بإضرام النيران في السفن العثمانية، وتشتيت شملها، وبالفعل بدأت سفن البنادقة بالاقتراب منها، لكن السفن العثمانية فاجأتها بإطلاق القذائف، فضلاً عن مساعدة المدافع البرية لها، مما أدى إلى فشل الهجوم، فلم تغرق سفينة إسلامية واحدة، وبقي الجسر على حاله، وفي الوقت نفسه تكبد البيزنطيون خسائر كبيرة، تمثلت في غرق العديد من سفنهم ببحارتها[4] .

---

(1) ينظر: المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 164؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 190رواية خالكوكونديلاس؛ 262رواية ميخائيل دوكاس؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 58؛ علي، سيد رضوان، **محمد الفاتح بطل الفتح الإسلامي في أوروبا الشرقية** 22؛ حرب، محمد، **العثمانيون في التاريخ والحضارة**72؛ السيد محمود، **تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها** 58

(2) فهمي، عبد السلام، **محمد الفاتح** 92؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 54؛ ويرى ليونارد الخيوسي أن هذه كانت خدعة من السلطان العثماني، أذ أفاد بأن تحقيقاته حول مطالبة العثمانيين بوقف القتال عبر تاريخهم تشير إلى الخيانة والغدر (ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 150) ولكني أرى بأن الحرب خدعة، وفيها يحاول كل قائد حربي تحقيق النصر، وبالرغم من ذلك فتاريخ العثمانيين كان ناصعاً بالحفاظ على التقيد بشروط المعاهدات التي كانت تعقد بينهم وبين غيرهم من المسيحيين، ولكن الذين طبعوا على الغدر والخيانة هم (المسيحيون) أنفسهم، ولتأكيد ذلك يمكن مراجعة نقض الصليبيين للهدنة التي عقدت في مدينة فارنا بين هينادي والسلطان مراد الثاني، والتي أقسم كلاهما على كتابه المقدس بالالتزام، ولكن بتحريض البابوية نقضت تلك الهدنة من الجانب المسيحي .

(3) ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 262-263رواية ميخائيل دوكاس

(4) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 135/1؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 50؛ ينظر: جونز، ج.ر **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 110جياكوموتيدالدي؛ 146-147رواية ليوناردو الخيوسي 263-264رواية ميخائيل دوكاس؛ ولتفاصيل العملية ينظر: باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 133-139 بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 99؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 97-98

أحدث فشل الخطة البيزنطية الرامية لمفاجأة السفن العثمانية وإشعال النار فيها، إحباطاً شديداً للمدافعين البيزنطيين، والذين اتهموا أهل غلطة بالتواطؤ مع العثمانيين بإبلاغهم عن موعد الهجوم(1) لكن ذلك لم يمنع إمبراطور القسطنطينية من الاستمرار في مجابهة المحاولات العثمانية المتكررة لاقتحام المدينة، ولتحجيم تلك المحاولات، قام بذبح ما لديه من الأسرى الأتراك بشكل وحشي فوق أسوار القسطنطينية، وعلى مرأى زملائهم المحاصرين للمدينة(2)، وفي الوقت نفسه استمر في ترميم ما تهدم من الأسوار جراء الهجمات العثمانية(3)، وهنا يحاول إمبراطور القسطنطينية إرهاب المهاجمين، وكأنه يوجه رسالة مفادها هذا هو مصير من يقع في أيدينا، ولكنه لا يعلم أن هؤلاء ما جاءوا إلا لهذا الأمر، إما النصر أو الشهادة .

وفي تلك الفترة كان الإمبراطور البيزنطي ينتظر الأسطول الذي وعدت البندقية بإرساله لمساندة القسطنطينية، وعندما وجد أن الوقت يمضي سدى، وأن الهجمات العثمانية تتواصل، لم يجد أمامه بداً من إرسال سفينة بيزنطية للبحث عن الأسطول البندقي المزعوم(4)، ولما كان من الصعب على أية سفينة بيزنطية أن تمر من حصار السفن العثمانية الرابضة أمام سلسلة القرن الذهبي، استخدم ربان تلك السفينة حيلة بسيطة لكي تشق طريقه، إذ رفعت العلم العثماني، وارتدى بحارتها الزي العسكري للبحرية العثمانية، وهكذا استطاعت تلك السفينة أن ترحل بسلام إلى البسفور، ومنها إلى بحر مرمرة لكنها لم تصادف الأسطول البندقي الذي لم يحضر إلا بعد سقوط القسطنطينية(5).

- استكمال إجراءات الحصار

دفع السلطان الفاتح بقواته البرية لاقتحام القسطنطينية بعد مرور أسبوع من شهر أيار، وذلك بدك أسوار المدينة بالقذائف المدفعية الضخمة(6)، مما أسفر عن إضرام النيران في بوابة القصر

---

(1) ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 110رواية جياكوموتيدالدي، 146-147 264رواية ميخائيل دوكاس؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 141؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 97

(2) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 135/1

(3) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 142

(4) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 508/1؛ ينظر: باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 142

(5) ينظر: باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 142-144؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 118رواية جياكوموتيدالدي؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 101

(6) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 260رواية ميخائيل دوكاس؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 145؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 122

الإمبراطوري، فضلاً عن تعرض أجزاء من الأسوار للتهدم، وهو ما دفع البيزنطيين لتوجيه جهودهم نحو إخماد النيران المشتعلة ببوابة القصر، وإعادة ترميم الأسوار التي تأثرت جراء القذائف، بالإضافة إلى فتح السلسلة الحديدية التي تغلق القرن الذهبي لتأمين ما بقي من الأسطول البيزنطي الذي تعرض لكثير من الضربات التي أغرقت بعض سفنه[1]، حيث تمكنت القوات المرابطة بالقرب من خليج القرن الذهبي من قصف تلك السفن البيزنطية هناك بمدافع "الهاون"[2] .

وبالرغم من هذا النجاح الإسلامي، إلا أن البيزنطيين تمكنوا من صد هجوم عثماني بري جديد بعد ذلك بخمسة أيام، وأوعز هذا الفشل العثماني الجديد إلى السلطان محمد الفاتح بنقل مجموعة من المدافع إلى مواجهة بوابة القديس رومانوس، حيث أمطرتها بالقذائف، وهو ما دعا الإمبراطور البيزنطي إلى إصدار أوامره بضرورة الدفاع عن تلك البوابة بوساطة ثلاثمائة جندي إيطالي لم يكن بينهم جندي بيزنطي واحد[3] .

واستمر العثمانيون في دك نقاط دفاع المدينة وأسوارها، والتي حاولوا تسلقها، وفي الوقت نفسه انشغل المدافعون عن المدينة في بناء وترميم ما يتهدم من أسوار مدينتهم، ورد المحاولات المكثفة لتسلق الأسوار، مع استمرار الحصار عليهم مما زاد في مشقتهم، وتعبهم، وإرهاقهم، وشغل ليلهم مع نهارهم حتى أصابهم اليأس[4]، لكن ذلك لا يعني عدم قدرتهم على المواجهة، فما زالت عندهم بعض المدافع ذات التأثير المحدود، بالإضافة إلى النار الإغريقية التي كانوا يلقونها على المهاجمين بين الفينة والأخرى، ولتفادي الكثير من الخسائر، سارع العثمانيون في تحريك بعض مدافعهم إلى الهضاب المجاورة[5] للبسفور والقرن الذهبي، بهدف تدمير السفن البيزنطية في القرن الذهبي والبسفور والمياه المجاورة، مما عرقل حركة تلك السفن وشلها[6]، كما عمل العثمانيون على إقامة المتاريس الخشبية لاتقاء الإصابة بالجروح، وصد هجمات المدافعين[7].

إن نقل المدافع العثمانية إلى الهضاب المجاورة للبسفور وخليج القرن الذهبي، ومن ثم أقامة المتاريس الخشبية، يوحي إلى مدى الخسائر العثمانية، الأمر الذي ألزمهم تغيير التخطيط للمعركة

(1) ينظر: باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 145؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 135/1

(2) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 134/1 والذي أشار إلى أن العثمانيين هم أول من استخدم مدافع الهاون لضرب السفن البحرية .

(3) ينظر: باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 150

(4) العمري، عبد العزيز، **الفتوح الاسلامية عبر العصور** 371

(5) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 135/1

(6) العمري، عبد العزيز، **الفتوح الاسلامية عبر العصور** 371

(7) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 112رواية جياكوموتيدالدي

بتحريك تلك المدافع، وإقامة هذه التحصينات، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من قبل من أن أعداد المدافعين عن المدينة كان أكبر مما قدره البيزنطيون الذين قللوا تلك الأعداد، فها هم يجبرون العثمانيين إلى التراجع وتغيير مواقع الهجوم .

مع هذا التغيير في التكتيك الحربي لقوات المسلمين، أدرك سكان القسطنطينية حرج موقفهم وشعروا بدنو يوم سقوط مدينتهم، خاصة بعد تقاعس البابوية والغرب الأوروبي عن مد يد العون والمساعدة، فانتشرت – نتيجة لذلك – الرؤى والأساطير القديمة التي تحدثت عن تعرض القسطنطينية للسقوط في يد عدو قوي[1]، وقد رافق ذلك خسوف للقمر الذي بدا لكثير من سكانها أنه نهاية المدينة الأمر الذي أحدث الرعب والفزع لدى السكان[2]، خاصة وأن العثمانيين يقرعون أبواب مدينتهم، مما بلبل أذهان الناس وأفكارهم نتيجة قسوة المصير الرهيب الذي بدت نذره في الظهور، إلى انتشار الشائعات، ومخاوف المصير المنتظر، ويبدو أن ذلك خيم على أفكار البيزنطيين، والذي انعكس على كتاباتهم عن سقوط القسطنطينية بيد الفاتح، فصوروه وجنوده بالمتوحشين، والقتلة، وما إلى ذلك من أوصاف، وكأنهم في كابوس يسيرون فيه أثناء النوم .

وهنا عقد قسطنطين ومستشاروه اجتماعاً، أشاروا عليه بخروجه من المدينة والتوجه لطلب النجدات من الدول الأوروبية، ولكنه رفض، واكتفى بإرسال وفود تمثله إلى مختلف أنحاء أوروبا لطلب المساعدة، ولكن تلك الوفود رجعت خالية الوفاض[3]، كما طلبوا منه الخروج من المدينة وتركها تسقط بيد العثمانيين، إلا أنه رفض وأصر على البقاء والموت مع جماعته[4]، وهذا يدل على نخوة تحلى بها ذلك الإمبراطور، كونه فضل الموت على أن يترك المدينة تسقط وهو ينظر إليها من بعيد .

ضاعف السلطان محمد الهجوم على الأسوار، وجعله مركزاً وعنيفاً، وأمعن في إظهار المفاجآت العديدة، بطرق مبتكرة جديدة[5]، ومن ذلك حفر العديد من الأنفاق تحت أسوار المدينة، بغية التسلل ومفاجأة القوات البيزنطية، ومن ثم اعتلاء الأسوار من الداخل[6]، وعلى الرغم من تكرار استخدام

---

(1) ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 129رواية ليونارد الخيوسي إن نهاية المدينة سوف تكون على عهد إمبراطور يدعى قسطنطين، كما راجت الرؤى الأسطورية القائلة بهبوط ملاك من السماء شاهراً سيفه ليقوم بتسليمه إلى أحد البيزنطيين البسطاء، من أجل تحرير المدينة، وطرد الأتراك العثمانيين، ينظر (نفسه 277رواية ميخائيل داكوس؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 160)

(2) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 160؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 102

(3) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 116؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 98

(4) خطاب، محمود شيت، **بين العقيدة والقيادة** 395؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 98

(5) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 108

(6) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 150-151؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 184رواية لاونيكوس خالكوكونديلاس؛ 313رواية كريستوفورو ريشيرو؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 124 هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 99

العثمانيين لأسلوب حفر الأنفاق[1]، فإن اليقظة البيزنطية حالت دون نجاح الجنود العثمانيين، وكثيراً ما قام البيزنطيون بمفاجأة العاملين في حفر الأنفاق بإشعال النيران من الجهة المقابلة، مما أدى إلى تعرض العديد منهم للحرق والاختناق[2]، ولم يكن عمل العثمانيين هذا سهلاً، فان هذه الأنفاق التي حفروها قد أودت بحياة كثير منهم، فماتوا اختناقاً واحتراقاً في باطن الأرض، كما وقع الكثير منهم في بعض هذه المحاولات في أسر الروم، فقطعت رؤوسهم وقذف بها إلى معسكر العثمانيين[3] .

وبعد فشل محاولات اقتحام المدينة بحفر الأنفاق، لجأ العثمانيون إلى أسلوب جديد من خلال إقامة قلعة خشبية متحركة تتكون من ثلاثة أدوار، لضرب القسطنطينية من أعلى أسوارها[4]، إلا أن المدافعين عنها كثفوا من قذف القلعة بالنيران حتى سقطت، فقتلت من فيها، وامتلاء الخندق المجاور لها بالحجارة والتراب[5]، ولم ييأس العثمانيون من المحاولة بل قال الفاتح:" غداً نصنع أربعاً أخرى"[6].

ومع تلك المفاجآت كانت المدفعية العثمانية لا تنفك عن عملها في دك الأسوار والتحصينات ولذلك تهدمت أجزاء كثيرة من السور والأبراج، وامتلأت الخنادق بالأنقاض، والتي يئس المدافعون من إزالتها، وهذا كان مما مهد الطريق لاقتحام المدينة بالقرب من أسوارها، غير أن موعد الاقتحام لم يحدد بعد[7] .

---

(1) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 136/1

(2) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 100؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 135-136رواية ليونارد الخيوسي؛ 185رواية لاونيكوس خالكوكونديلاس؛ العمري، عبد العزيز، **الفتوح الإسلامية عبر العصور** 372؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 99؛ ويذكر باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 151، 159 أن البيزنطيين استطاعوا اكتشاف أنفاق العثمانيين بأنفاق مقابلة لها، ومن ثم أطلقوا باتجاههم النار التي أحرقت العديد منهم، وتسببت في اختناق آخرين، بالإضافة إلى تدمير الأعمدة والدعامات الخشبية التي استخدمت في الحفر، مما أدى لتهدم تلك الأنفاق على رؤوس حافريها .

(3) ينظر: الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 125؛ وأشار جياكوموتيدالدي ضمن كتاب جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 111 أن البيزنطيين كانوا أيضاً يحفرون أنفاقاً باتجاه جيش الفاتح بغرض استراق السمع، في حين أوضح الطريقة التي تسببت في اختناق الجنود العثمانيين، وذلك بإحراق النفايات ذات الرائحة الكريهة داخل تلك الأنفاق كما عملوا على إغراق بعضها بالماء؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 161

(4) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 101؛ ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 112رواية جياكوموتيدالدي؛ 136رواية ليونارد الخيوسي؛ 185 184رواية لاونيكوس خالكوكونديلاس 314رواية كريستوفورو ريشيريو؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 153-154 والذي أوضح أن تلك القلعة بنيت في أربع ساعات، ولو أن أهل القسطنطينية حاولوا تقليدها لاحتاجوا إلى شهر من الزمن لتنفيذها؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 125؛ خطاب، محمود شيت، **بين العقيدة والقيادة** 393؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 100؛ فهمي عبد السلام، **السلطان محمد الفاتح** 111

(5) ينظر: الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 144؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 101؛ الصلابي علي، **السلطان محمد الفاتح** 126

(6) ينظر: الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 122؛ وأشار سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 509/1 إلى أن تلك القلعة قد بنيت في أربع ساعات فقط؛ خطاب، محمود شيت، **بين العقيدة والقيادة** 394

(7) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 142؛ ينظر:العمري، عبد العزيز، **الفتوح الإسلامية عبر العصور** 375 الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 127

- سفارة الفاتح إلى قسطنطين الحادي عشر

وأمام صمود الدفاع البيزنطي، واستكمال الاستعدادات العثمانية، أرسل الفاتح رسالة للإمبراطور قسطنطين الحادي عشر يخبره فيها باكتمال استعدادات الهجوم النهائي ضد القسطنطينية، ويحثه فيها على تسليم المدينة والرحيل في سلام إلى أية جهة يرغبها، برفقة أهل بيته وحاشيته، مع وعد من السلطان الفاتح بعدم التعرض لسكان القسطنطينية بسوء(1)، ولم ينس أن يذكر الإمبراطور البيزنطي أن رفضه تسليم المدينة واختياره طريق المقاومة، هو بمثابة استباحة لدمه وممتلكاته، فضلاً عن تعرض سكان القسطنطينية كافة للسبي، وتشتتهم عبر الأراضي العثمانية(2) .

وهنا تظهر هذه الرواية النوايا الحسنة للفاتح، وحرصه على عدم إراقة الدماء، والسعي للفتح بأقل التكاليف والخسائر، مبدياً الروح الإسلامية في الحروب، والبعيدة عن كل ما يسبب القتل والدمار، لكن رد قسطنطين جاء مخيباً لآمال الفاتح، إذ رفض تسليم المدينة، وجاءت كلماته التي أرسلها إلى السلطان الفاتح – بعد أن عقد اجتماعاً مع مجلس السناتو البيزنطي – على النحو التالي:" ... أما عن إمكانية تسليم القسطنطينية إليك، فهذا مالا أستطيعه، ولا يستطيع أي شخص آخر أن يقوم به، وبالأحرى عليك القضاء على حياتنا جميعاً، إنه قرارنا بالإجماع، المقاومة ... والموت عن طيب خاطر(3)، وقد نسي في هذا الرد أن مصير مدينته قد تقرر بالفعل، وأصبح وشيك الوقوع(4)، فلما وصلت الرسالة إلى الفاتح قال: " عن قريب سيكون لي في القسطنطينية عرش، أو يكون لي فيها قبر(5)، وأصدر تعليماته للمنادين في جيشه بإبلاغ الجنود بأن ساعة اقتحام القسطنطينية قد حانت، وأقسم أنه ليس من شيء أحب إليه من

---

(1) ينظر: الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 119؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 136/1؛ ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 110رواية جياكومونتيدالدي؛ 266-267رواية ميخائيل دوكاس؛ سيرهنك إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 508/1؛ علي، سيد رضوان، **السلطان محمد الفاتح بطل الفتح الإسلامي في أوروبا الشرقية** 22؛ حرب، محمد، **العثمانيون في التاريخ والحضارة** 72 – 85 ؛ أصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 50 البحراني، عماد، **فتح القسطنطينية في عهد محمد الفاتح 1453**، مجلة كان التاريخية، دورية إلكترونية محكمة، ع3 السنة الثانية، 61

(2) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 136/1

(3) آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 50؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 136/1؛ فهمي، عبد السلام، **محمد الفاتح** 116؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 119؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 127-128؛ هذا فقد بين سيرهنك إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 508/1-509 أن الإمبراطور قسطنطين اضطر لقبول عرض الفاتح، وأرسل رسلاً من عنده للاتفاق على ذلك، ولما خرج الرسل من عند الفاتح، خطر له أمر أراد أن يبلغ لإمبراطور القسطنطينية، فأمر جنده بالركض خلف الرسل الذين غادروا المكان، فلما رأى جنود القسطنطينية بعض جنود الفاتح يركضون خلف رسلهم، أطلقوا عليهم أسلحتهم وتبادل الطرفان القتال، وهناك وبالقرب من أسوار القسطنطينية دخل الرسل من باب سري تحت الأسوار، فتبعهم الجنود العثمانيون، واستولوا على المدينة بعد أن قتل الإمبراطور قسطنطين، لكن تلك الرواية من الأمور المستبعدة جداً، لأن ذلك لو حدث لما تردد المعاصرون في القسطنطينية من ذكرها .

(4) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 509/1

(5) عطا، زبيدة، **الفتوح الإسلامية عبر العصور** 376؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 128؛ العمري، عبد العزيز **الفتوحات الإسلامية عبر العصور** 376؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 103

سقوط أسوار القسطنطينية، عندها انطلقت حناجر جنوده بصيحات التكبير والتهليل طوال تلك الليلة حتى قال رئيس أساقفة القسطنطينية: "لو أنك سمعت مثلنا صيحاتهم المتوالية المتصاعدة إلى السماء لا إله إلا الله، محمد رسول الله، لأخذتك الروعة والإعجاب"[1]، وقد بين أومان[2] أن أهل القسطنطينية كلما سمعوا تلك الصيحات أيقنوا أن مصيرهم قد أصبح وشيك الوقوع في أيدي العثمانيين.

- الهجوم النهائي

اتخذ الفاتح قراره بسرعة اقتحام القسطنطينية، بعد قراءة الظروف المحيطة به، فالإمبراطور يرفض المرة تلو الأخرى تسليم المدينة، وفي الوقت نفسه لم تصل مساعدة أوروبية كما توقع السلطان العثماني أن تصل إلى القسطنطينية[3]، حيث وردت إليه الأخبار بأن أسطول البندقية، وأساطيل أخرى من أوروبا على وشك الوصول إلى المدينة، وأن جيشاً مسيحياً في أوروبا قد أعد، وربما أن هذه القوات في طريقها للوصول[4]، وخوفاً من انقلاب موازين القوى العسكرية بين الطرفين، قرر ضرورة الإسراع في عملية اقتحام القسطنطينية[5]، وعقد مجلساً حربياً شرح فيه لقادة جيشه حالة الضعف التي تمر بها الدفاعات البيزنطية، وذكرهم بالمجد الذي ينتظرهم عندما يفتحون القسطنطينية وبأنه سيكون في مقدمة موجات الهجوم، وقرر أن الهجوم العام والتعليمات باقتحام المدينة باتت وشيكة، وعلى الجنود الاستعداد لذلك[6]، كما قرر أن يمنح من يسبق إلى ارتقاء أسوار القسطنيطينية رتبة إضافية[7]، وإقطاعات مجزية[8]، وهنا يوجه الفاتح عنايته لتمكين الجبهة الداخلية في الجيش

---

(1) المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 160؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 124؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 104-105

(2) **الإمبراطورية البيزنطية** 263

(3) وصلت تلك المساعدات التي توقع وصولها السلطان محمد الفاتح بعد يوم من تحقيق الفتح

(4) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 136/1

(5) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 159

(6) ينظر: المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 164؛ ينظر: خطاب، محمود شيت، **بين العقيدة والقيادة** 400-401؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 104

(7) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 136/1؛ في حين أشار جمع من المؤرخين إلى أن الفاتح قرر أن يترك المدينة مستباحة لجنوده ثلاثة أيام، وأنه سيكتفي بالحصول على مبانيها (بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 101؛ ينظر: لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 21؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 162رواية ليونارد الخيوسي؛ 272رواية ميخائيل دوكاس؛ 314رواية كريستوفورو ريشيريو؛ 340رواية أنجيليو جيوفاني لوميللينو) في حين أشار بنفينوتو قنصل الجالية الأنكونية بالقسطنطينية إلى أن السلطان أصدر لجنوده استباحة المدينة لمدة يومين(نفسه 355)، وهذا الخلاف بين المؤرخين المعاصرين يفيد بأن هذا الموضوع قد يكون غير صحيح، كونهم معاصرين وعايشوا الحدث، فكيف بهم يختلفون في عدد أيامه؟ أو لا يذكرون تلك الفترة؟ أضف إلى ذلك فهناك من قال: إن ذلك كان في آخر يوم من أيام حصار القسطنطينية، إذ لما رأى الفاتح الكثير من جنوده صرعى في المعركة، أراد أن يشد من عزيمة الباقين ليخرج بنتيجة تفوق ما فقد من الجنود (الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 136، 141)

(8) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 109/1؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 164 أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 62؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 132؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 125؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 101

ويعدهم بالإغراءات العديدة حتى يرفع من معنوياتهم، ويزيد من بطولاتهم، بالترافق مع ضرورة الإخلاص والدعاء لله الذي هو مصدر النصر والتمكين .

وفي الجهة المقابلة تفقد الإمبراطور آخر الاستعدادات البيزنطية للدفاع عن المدينة، ومن ثم حضر القداس النهائي[(1)]، وخرج إلى الأسوار لتفقد الدفاعات البيزنطية بها، وبعد أن اطمأن إلى وضعها، قصد إلى قصره يزوره الزيارة الأخيرة، فودع جميع من فيه، واستصفحهم[(2)]، ثم غادر إلى مكان تمركزه مع حاشيته وباروناته، عند بوابة القديس رومانوس[(3)].

في اليوم السابع والعشرين من أيار، وجه الفاتح الجنود إلى الخشوع وتطهير النفوس، والتقرب إلى الله تعالى بالصلاة، وعموم الطاعات، والدعاء بين يديه، والصيام لعل الله أن ييسر لهم الفتح[(4)]، كما أوقد العثمانيون في مساء اليوم نفسه ناراً كثيفة حول معسكرهم[(5)]، حتى خيل للروم أن النار قد اندلعت فيه فإذا بهم يكتشفون أن العثمانيين يحتفلون بالنصر مقدماً، مما أوقع الرعب في قلوبهم[(6)]، كما تعالت صيحاتهم، وأصواتهم بالتهليل والتكبير[(7)]، وقد أحدث مشهد تلك النيران، وارتفاع الأصوات بالدعاء

---

(1) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 265؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 137/1؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 163-165رواية ليونارد الخيوسي؛ 315رواية كريستوفورو ريشيريو؛ ينظر باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 167؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 129؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 50-51

(2) الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 133؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 129

(3) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 315رواية كريستوفورو ريشيريو؛ باربارو، نيقولو **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 163

(4) نفسه 114رواية جياكوموتيدالدي؛ 161رواية ليوانردو الخيوسي، وقد أشار إلى أن الجنود لم يأكلوا حتى الليل، وبعد ذلك أخذوا في المصافحة والعناق مع بعضهم البعض؛ 192رواية خالكوكونديلاس، والذي بين أن بعض شيوخ المسلمين كانوا ينتشرون بين الجيش لحث الجنود على الجهاد؛315رواية كريستوفورو ريشيريو؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 162-163؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 58-59؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 131 هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 105

(5) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 114رواية جياكوموتيدالدي؛ 162رواية ليونارد الخيوسي؛ 267-268رواية ميخائيك دوكاس؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 163؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 59؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 51؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 131

(6) المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 164؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 163رواية ليونارد الخيوسي؛ 268رواية ميخائي دوكاس؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 163، 164

(7) آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 50؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 162رواية ليونارد الخيوسي؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 163؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 49؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 131؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 105

في نفوس البيزنطيين الرعب والجزع، حتى عبر عن ذلك المعاصر لتلك الأحداث ميخائيل دوكاس بقوله :" اجتاحت الرعدة أوصالهم (البيزنطيين)، فلم يتمكنوا من التقاط أنفاسهم"[(1)] .

وفي اليوم التالي كانت الاستعدادات العثمانية على أشدها، والمدافع ترمي البيزنطيين بنيرانها التي زيدت كثافتها[(2)]، والسلطان يدور بنفسه على المواقع العسكرية المختلفة، متفقداً، ومذكراً بالإخلاص والتضحية، والجهاد[(3)]، كما كان علماء المسلمين وشيوخهم يتجولون بين الجنود، ويقرءون على المجاهدين آيات الجهاد[(4)]، ويذكرونهم بفضل الشهادة، وبالشهداء السابقين حول القسطنطينية، وعلى رأسهم أبو أيوب الأنصاري الذي استشهد في أول محاولة إسلامية لفتح القسطنطينية[(5)]، وبعد أن عاد الفاتح إلى خيمته ودعا إليه كبار رجال جيشه، أصدر إليهم التعليمات الأخيرة بالتزام تعاليم الإسلام بتجنب الكنائس، والمعابد، وترك المتعبدين فيها، وتجنب الضعفاء، والعجزة الذين لا يقاتلون[(6)].

بدأ الهجوم الأخير صباح التاسع والعشرين من أيار 1453م[(7)]، وكان الفاتح قد اعد عدته الأخيرة ووزع قواته، وحشد آلاف المقاتيلن أمام الباب الذهبي، ورابط في القلب مع الجند الإنكشارية واحتشدت في الميناء السفن العديدة، وبدأ الهجوم براً وبحراً[(8)]، وكانت الخطة العثمانية تقوم على

---

(1) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 268؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 60

(2) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 137/1

(3) العمري، عبد العزيز، **الفتوح الإسلامية عبر العصور** 378؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 166

(4) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 137/1

(5) المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 161-162؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 48 الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 126؛ علي، سيد رضوان، **محمد الفاتح بطل الفتح الإسلامي في أوروبا** 33؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 192رواية خالكوكونديلاس، والذي بين أن بعض شيوخ المسلمين كانوا ينتشرون بين الجيش لحث الجنود على الجهاد .

(6) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 126؛ زيادة، محمود، **دراسات في التاريخ الإسلامي** 481/1؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 61؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 132؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 106-107

(7) كان الهجوم العثماني على القسطنطينية قبل ثلاث ساعات من شروق الشمس (باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 168؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 510/1؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 50 إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 42؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 15، 21؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 48؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 101؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 137/1؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 264

(8) الشوكاني، محمد، **البدر الطالع** 261/2؛ المالكي، إبراهيم، **قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان** 27؛ أوزتونا، يلماز **تاريخ الدولة العثمانية** 137/1

إرهاق المدافعين عن القسطنطينية بحرب متواصلة، بتناوب ثلاث فرق عسكرية على القتال[1]، فاشتد لهيب المعركة، وقذائف المدافع يشق دويها عنان السماء، ويثير الفزع في النفوس، وتكبيرات الجند ترج المكان فيسمع صداها من أميال، والمدافعون عن المدينة يبذلون كل ما يملكون دفاعاً عنها وهاجمت السفن العثمانية الأسوار البحرية على القرن الذهبي[2]، ومع استبسال البيزنطيين وشجاعة العثمانيين، كانت الضحايا من الطرفين بأعداد كبيرة[3]، وما هي إلا ساعة حتى امتلأ الخندق الكبير الذي يقع أمام السور الخارجي بآلاف القتلى، لكن ذلك لم يثن الفاتح عن هدفه[4] بل مهد له جسر العبور.

وبعد ساعتين من تلك المحاولات أصدر الفاتح أوامره للجنود لأخذ قسط من الراحة، بعد أن أرهقوا المدافعين في تلك المنطقة، وفي الوقت نفسه أصدر أمراً إلى قسم آخر بالهجوم على الأسوار من المنطقة نفسها، وفوجئ المدافعون بتلك الموجة الجديدة بعد أن ظنوا أن الأمر قد هدأ[5]، وهاجم المشاة العثمانيون المؤلفون من جنود الإنكشارية أسوار القسطنطينية، عبر استخدامهم لمئات السلالم التي صنعت من الحبال والأخشاب[6]، والذين تمكنوا – في النهاية – من الارتقاء إلى أعلى الأسوار ومهاجمة القوات البيزنطية المدافعة، والتي كانت تدافع دفاع اليائس، ونجح العديد من رجال

(1) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 265؛ وعن تقسيمات الجيش العثماني في الهجوم الأخير، ينظر: باربارو، نيقولو **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 168-170؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم، محمد الفاتح** 107

(2) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 115رواية جياكومونتيدالدي؛ 192رواية لاونيكوس خالكوكونديلاس

(3) لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 21؛ العمري، عبد العزيز، **الفتوح الاسلامية عبر العصور** 380 بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 101؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 137/1؛ جونز، ج.ر **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 316رواية كريستوفورو ريشيريو؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 169؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 134

(4) عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 204؛ علي، سيد رضوان، **محمد الفاتح بطل الفتح الإسلامي في أوروبا الشرقية** 34؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 135؛ البحراني، عماد، **فتح القسطنطينية في عهد محمد الفاتح**، مجلة كان التاريخية السنة الثانية،ع3، 61

(5) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 509/1؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 109؛ خطاب محمود شيت، **بين العقيدة والقيادة** 409

(6) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 138/1؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 110رواية جياكومونتيدالدي؛ 165رواية ليونارد الخيوسي؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 169 سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 509/1؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 67؛ الصلابي علي، **السلطان محمد الفاتح** 134؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 230

الإنكشارية في اقتحام الأسوار[1]، وتمكنوا من تمهيد الطريق لدخول المدينة عبر بوابة طوب قابي[2]، وعبر الثغرات التي أحدثتها قذائف المدافع، والتي لم تجد من يسدها، وتمكنوا من رفع الأعلام العثمانية محـل الأعلام البيزنطية، معلنين سيطرتهم على المدينة[3]، ثم قاموا بفتح بواباتها أمام باقي الجنود العثمانيين وقد استمرت تلك المعركة حتى طلوع الشمس، وتمكن العديد من العثمانيين من التقدم داخل أسوار المدينة، في محاولة لإحكام السيطرة عليها[4] .

مصرع إمبراطور القسطنطينية

وعلى الصعيد البيزنطي، فوجئ الإمبراطور وقواته بالموجات المتوالية للهجمات العثمانية التي لم تتوقف، فضلاً عن الدور الهائل الذي قامت به المدافع، فأخذت قواتهم في التراجع[5]، على أن الأمر الذي زاد أحوال المدافعين عن القسطنطينية سوءاً، كان إصابة القائد الجنوي جيوفاني جستنياني بجرح خطير تحت ذراعه، وانسحابه من المعركة[6]، وهو ما أدى إلى انسحاب المسئول العسكري الأول عن

---

(1) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 42؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 49؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 115رواية جياكوموتيدالدي؛ 131رواية ليونادر اليخيوسي؛ 193رواية لاونيكوس خالكوكونديلاس؛ 269رواية ميخائيل دوكاس؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 170؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 509/1؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 69؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 135؛ ويذكر أن أول جندي ارتقى أسوار القسطنطينية هو حسن طولو باتلي، حيث تمكن الصعود مع ثلاثين من رفاقه وساروا في مجابهة البيزنطيين وجهاً لوجه، حتى سقط شهيداً (الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 135؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 21؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 265)

(2) **طوب قابي**: ومعناها باب المدفع، وسمي بذلك لأن العثمانيين إبان حصار القسطنطينية أقاموا مدفعهم الضخم قبالة السور الذي عليه هذا الباب، وقد كان اسمه قبل الفتح باب سان رومان، ثم بنى الفاتح بالقرب منه قصره الكبير، والذي كان يعرف بسراي طوب قابي (ينظر: لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 23، هامش (14)، 95)

(3) ينظر: سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الإخبار عن دول البحار** 509/1؛ العمري، عبد العزيز، **الفتوح الإسلامية عبر العصور** 382؛ عطية، عزيز، **العلاقات بين الشرق والغرب** 138؛ توفيق، عمر، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 320؛ أبو غنيمة زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 72؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 135؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 21؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 101؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 256 البحراني، عماد، **فتح القسطنطينية في عهد محمد الفاتح**، مجلة كان التاريخية، السنة الثانية،ع3، 61

(4) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 171-172؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 69

(5) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 166رواية ليونارد الخيوسي؛ 270رواية دوكاس

(6) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 42؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 137 ؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 71؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 136؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 109؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 115رواية جياكوموتيدالدي؛ 166رواية ليونارد الخيوسي؛ 193رواية لاونيكوس خالكوكونديلاس؛ 270رواية ميخائيل دوكاس؛ 318رواية كريستوفورو ريشيريو؛ 354رواية بنفينوتو قنصل الجالية الأنكونية بالقسطنطينية قبل الفتح؛ وقد أشار باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 173-174 إلى أن جستنياني هرب من القسطنطينية في اللحظة الأخيرة لسقوطها، وقد صاح بقوله لقد اقتحم الأتراك المدينة، ولكن بمقارنة هذه الرواية بالروايات السابقة لمعاصرين لم يذكروا مثل هذا القول، بل أجمعوا القول بأن جستنياني غادر المدينة بعد أن أصيب بجرح تحت ذراعه، وهذا ما دعاه لترك المدينة بحثاً عن العلاج، كما أشار غالبيتهم إلى بسالته في الدفاع عن القسطنطينية، وبهذا يمكن تفسير هذه الرواية التي يرويها باربارو في إطار الصراع الجنوي البندقي، الناجم عن المنافسة التجارية بين تلك المدينتين، فباربارو بندقي، وجستنياني جنوي.

الدفاع عن المدينة، إلى سفينته بحثاً عن العلاج[1]، وجاء خبر انسحاب جستنيان ليوهن من عزيمة البيزنطيين، ويدركوا أن سقوط القسطنطينية ما هي إلا مسألة وقت، حينها لاحظ قادة الإنكشارية الضعف الذي خلفه جستنياني فعززوا هجماتهم، وثبتوا أقدامهم في تلك المنطقة[2] وتصدى الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الحادي عشر ومن بقي معه منالجنود لمحاولات العثمانيين اقتحام بوابة القديس رومانوس[3]، لكن عنف هجمات العثمانييندفع بالجنود البيزنطيين نحو الداخل، حيث الإمبراطور الذي سقط صريعاً تحت ضغط الجنود[4]وضربات الإنكشارية[5] .

وحينما بلغ خبر مقتل الإمبراطور البيزنطي إلى القائد العسكري المصاب جيوفاني جستنياني صاح في جنوده وأمرهم بالهروب، فهرب من استطاع العبور للسفن، وترك من لم يستطع العبور من بقية جنوده يقعون في الأسر [6] .

هذا وقد اختلفت الروايات التاريخية حول مصير الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الحادي عشر بالقول إنه فضل الموت على أن يقع في أسر العثمانيين[7]، في حين أشار آخرون إلى أنه لقي حتفة عند الثغرة الموجودة بجوار بوابة القديس رومانوس، بعد أن استغرق في النوم للحظات، فاستيقظ فزعاً وحاول منع سكان مدينته من الفرار، وقام بتوبيخ أتباعه على ذلك، ثم تحول لقتال ثلاثة من الجنود الإنكشارية، وأجهز عليهم، لكنه أصيب بجرح مميت بسيف أحد الجنود العثمانيين .

---

(1) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 138/1، 139؛ إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 42؛ الصلابي، علي **السلطان محمد الفاتح** 136؛ البحراني، عماد، **فتح القسطنطينية في عهد محمد الفاتح**، مجلة كان التاريخية، السنة الثانية،ع3، 61

(2) أومان، تشارلز،**الإمبراطورية البيزنطية** 256؛ توفيق، عمر، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 230؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 167رواية ليونارد الخيوسي؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 110

(3) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 271رواية ميخائيل دوكاس؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 174؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 230

(4) الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 136؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 116-117رواية جياكوموتيدالدي، وقد أوضح أن الإمبراطور سقط تحت وطأة الهجوم، ثم قطع رأسه؛ 197رواية لاونيكوس خالكوكونديلاس؛ 335رواية جورجي دولفن؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 110

(5) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 509/1؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 49 أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 71؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 51؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 21؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 139؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 139/1 والذي أشار إلى أنه سحق تحت أقدام الوافدين .

(6) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 283رواية ميخائيل دوكاس؛ 318رواية كريستوفورو ريشيريو، والذي أشار إلى أن إمبراطور القسطنطينية قد طلب منه البقاء في القسطنطينية، لأن رحيله يؤثر على معنويات المقاتلين، لكنه أصر على المغادرة، واعداً بالعودة بعد تلقي العلاج اللازم، كذلك رواية أنجيليو جيوفاني لوميللينو339

(7) ينظر: باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 89 -100؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 195رواية لاونيكوس خالكوكونديلاس

وأقد أشار ميخائيل دوكاس[1] إلى أن الفاتح بعد أن أتم الفتح أمر بإحضار رأس الإمبراطور وعلقه على أحد الأعمدة المقابلة لكنيسة أيا صوفيا، حيث بقى حتى المساء، ومن ثم تم تفريغ الرأس من جمجمته، وحشي بالنخالة، وتم إرساله إلى حكام فارس، وبلاد العرب، ومناطق الإمبراطورية التركية كافة، كإشارة إلى النصر وتحقيق فتح القسطنطينية[2] .

وقد ألهبت مسألة مقتل الإمبراطور البيزنطي مشاعر العديد من الشعراء فقاموا بكتابة العديد من الأشعار والمراثي التي تصور بطولاته في مواجهة العثمانيين، ومواجهة الموت الذي قابله بكل شجاعة[3] على حد تعبيرهم .

على أية حال قتل الإمبراطور البيزنطي، فكان لانتشار خبر موته دور كبير في زيادة حماس المجاهدين العثمانيين، ومكنت الجيوش العثمانية من دخول المدينة من مناطق مختلفة، عندها خارت قوى المدافعين، فمنهم من استسلم، ومنهم من فر يطلب النجاة[4]، بينما فر عامة الناس إلى كنيسة أيا صوفيا، أما من أبدى المقاومة فقد تعرض للقتل[5]، كما أسر العديد من قادة البيزنطيين، واحتجزت السفن البيزنطية، والجنوية، والبندقية التي بقيت في الجوار[6] .

---

(1) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 287، لكن بنفينوتو قنصل الجالية الأنكونية بالقسطنطينية قبل الفتح أشار إلى أن الفاتح أمر بإحضار رأس الإمبراطور، وقد جرى تقديمه له على حربة (نفسه 354)؛ أما أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 266 فقد بين أن الرأس تم الطواف به في المدينة كعلامة للنصر .

(2) لكن هذه الرواية انفرد بها دوكاس عن باقي المصادر المعاصرة للحدث، وتعليقاً عليها بيّن حاتم الطحاوي محقق كتاب جونز ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 287-288 حاشية (2) أنه لم يجد لا في المصادر العربية ولا في التركية ما يشير إلى هذه الرواية، وعزا ذلك إلى مبالغة من دوكاس، إذ لا يمكن التأكد مما حدث لجثة الإمبراطور المقتول؛ فهناك من أشار إلى عدم العثور عليها (ينظر: باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 178) وقد أشار إلى أن جثة الإمبراطور قد شوهدت بين جثث القتلى، كما أورد القول إنه شنق نفسه في اللحظة التي سيطر فيها العثمانيون على المدينة؛ في حين ذكر سيرهنك إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 509/1 أن الإمبراطور قتل أثناء مقاومة المهاجمين خلف الباب، ويقال إنه أصابه سهم وهو فوق السور يحرض عسكره فخر قتيلاً، وسمعه أحد عساكره يتضرع إليه أن يحتز رأسه حتى لا تعلم جثته بين القتلى، أو تم العثور عليها ودفنت في كنيسة الرسل، وهناك من أشار إلى أن الفاتح قام بتقبيل رأس الإمبراطور، وأحاطه بالفضة، ودفنه تحت مذبح كنيسة أيا صوفيا؛ وهناك من قال إن الفاتح سلمها لبعض النصارى ليتولوا دفنها وفق مراسيمهم (أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 141/1)

(3) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 273، تعليق للمترجم حاتم الطحاوي بالاعتماد على مصادر أجنبية غير مترجمة، لم اتمكن من مطالعتها؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 51

(4) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 509/1؛ آصف، يوسف، **سلاطين بني عثمان** 45؛ اليوسف، عبد القادر **الإمبراطورية البيزنطية** 184؛ توفيق، عمر، **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية** 230؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 117رواية جياكوموتيدالدي؛ 167رواية ليونارد الخيوسي

(5) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 168رواية ليونارد الخيوسي؛ 272 ،277رواية ميخائيل دوكاس؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 178؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 75

(6) ينظر: باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 174؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 195رواية لاونيكوس خالكوكونديلاس

هذا وقد قام العثمانيون بأسر الكاردينال الروسي أزيور (مبعوث البابا نيقولا الخامس لإقرار الاتحاد الكنسي) لكنهم لم يتعرفوا إليه، فقاموا بتركه بعد أن دفع مبلغاً نقدياً بسيطاً[1]، وإن كانت هناك رواية تذكر أنه تمكن من الهرب على متن إحدى السفن إلى البلوبونيز[2].

وعندما أدرك التجار الجنويون من سكان حي غلطة أن المدينة قد سقطت، حاولوا الهرب عبر الميناء برفقة زوجاتهم وأطفالهم، لكن العثمانيين قاموا باقتحام غلطة بقيادة زاجانوس باشا، الذي قام بتهدئة نفوس التجار الجنويين، ووعدهم بالحفاظ على امتيازاتهم التجارية، وأن السلطان سوف يوقع معهم معاهدة جديدة[3]، ونتيجة لذلك قام الحاكم الجنوي جيوفاني لوميللينو بتسليم مفاتيح مدينة غلطة لمحمد الفاتح[4]، الذي أمر بهدم الأسوار العالية للمدينة، حتى يتسنى له ضرب أي مساعدة قد تأتي لمساعدة المدينة[5]، أما بالنسبة لتجار البندقية والجنويين فقد هرب العديد منهم أثناء اقتحام العثمانيين للمدينة[6].

فتح القسطنطينية وأسبابه

ـ فتح القسطنطينية

وهكذا تمكن المسلمون من الاستيلاء على المدينة، وفتح الجيش الإسلامي أبواب المدينة، مما يسر دخول وحدات جيوشهم كافة، وتم القضاء على جيوب المقاومة المتبقية، وساروا في وحدة عسكرية نظامية نحو وسط المدينة[7]، بعد أن قاموا بتبديل العلم البيزنطي وسط المدينة بعلم السلطان الفاتح[8] الذي كان – في تلك اللحظات – يسير مع جنده يشاركهم فرحة النصر، ولذة الفوز بالغلبة على الأعداء من فوق صهوة جواده، وكان قواده يهنئونه وهو يقول:" الحمد لله، ليرحم الله الشهداء، ويمنح

---

(1) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 322رواية كريستوفورو ريشيريو

(2) نفسه 197رواية لاونيكوس خالكوكونديلاس

(3) للتعرف إلى بنود هذه المعاهد، ينظر: نفسه 349-350

(4) نفسه 116رواية جياكومونتيدالدي؛ 174رواية ليونارد الخيوسي؛ 199رواية لاونيكوس خالكوكونديلاس؛ 283-284رواية ميخائيل دوكاس؛ 322رواية كريستوفورو ريشيريو 341رواية أنجيلو جيوفاني لوميللينو

(5) نفسه 148، 174رواية ليونارد الخيوسي؛ 199رواية لاونيكوس خالكوكونديلاس؛ 299رواية ميخائيل دوكاس؛ 341رواية أنجيلو جيوفاني لوميللينو

(6) ينظر: باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 179-181؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 21

(7) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 140/1

(8) ينظر: عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى**205؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 175؛ هرماس، غسان **السيد العظيم محمد الفاتح** 111

المجاهدين الشرف والمجد، ولشعبي الفخر والشكر"[1]، مانعاً إياهم من السلب، والتدمير، والنهب[2]، ثم ترجل عن فرسه وسجد لله على الأرض شكراً وحمداً وتواضعاً[3]، وتقدم نحو كنيسة أيا صوفيا مبدياً إعجابه بعمارتها، وقام باستدعاء أحد الشيوخ الأتراك لإقامة الصلاة الأولى في مسجد أيا صوفيا الجديد[4] وتشير المصادر البيزنطية المعاصرة لفتح القسطنطينية إلى دخول الفاتح إلى الكنيسة العظمى، والذين لم يستطيعوا أن يمنعوا أنفسهم من الحسرة على سقوط مدينتهم[5] .

وبعد ان خرج الفاتح من أيا صوفيا أمر بإحضار القائد العسكرى الأعلى في القسطنطينية (نوتاراس) وأنبه على ما حدث جراء رفض البيزنطيين تسليم المدينة، موضحاً أن ما حدث في المدينة

---

(1) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 131؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 137؛ ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 285رواية ميخائيل دوكاس؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 112

(2) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 42؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 165؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 205؛ جيبون، إدوارد، **اضمحلال الإمبراطورية البيزنطية وسقوطها** 368/3

(3) بيتروسيان، إيرينا، **الأنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 102؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 139/1؛ العمري عبد العزيز، **الفتوح الاسلامية عبر العصور** 383؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 137؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 112؛ توفيق، عمر، **تاريخ الدولة البيزنطية** 230

(4) لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 23؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 86؛ الصلابي علي، **السلطان محمد الفاتح** 137؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 169رواية ليونارد الخيوسي؛ 285رواية ميخائيل دوكاس؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 266 وأول جمعة بعد فتح القسطنطينية خطب الشيخ آق شمس الدين خطبة الجمعة، وصلى بالناس (أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 141/1؛ المالكي، إبراهيم، **قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان** 27)

(5) والتي صورت في غالبها العثمانيين بمصاصي الدماء، وشاربي الخمور، وألصقت بهم العديد من التهم التي يندى لها الجبين كالممارسات الجنسية الفاحشة، وارتكاب الموبقات، واتخاذ كنيسة أيا صوفيا اصطبلاً لخيولهم، وتحطيم الذخائر المقدسة، والقتل والسلب والنهب (باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 176؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 131 جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 170-173رواية ليونارد الخيوسي؛ 279رواية ميخائيل دوكاس؛ 320رواية كريستوفورو ريشيريو، وبالرغم من تلك الأقوال فلا بد من حدوث بعض المخالفات أثناء نشوة النصر، ولكن لا يمكن تصور حدوث الموبقات والمحرمات، فأخلاق الفاتح ووصاياه قبل الهجوم النهائي خير دليل على حسن تصرفه، وإيمانه ويبدو أن ما دعا هؤلاء المؤرخين إلى وصف ذلك، العداء الذي طبع عليه هؤلاء للمسلمين الذين فتحوا المدينة، فحاولوا تضخيم الصورة؛ وفي الوقت نفسه يبدي بعض هؤلاء المؤرخين تسامح السلطان مع الأسرى بإطلاق سراحهم في حي غلطة الذي نقلوا إليه، كما قام السلطان بدفع الفدية المطلوبة عن إطلاق سراح بعضهم (جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 200، 279رواية لاونيكوس خالكوكونديلاس)، كما أشار جورجي دولفين إلى أن السلطان كان لا يطيق أن يسمع عن أخبار الشراب والسكر، ولا يضع نفسه تحت أية متع أو مسكرات (نفسه 329)، وهذه هي الإشارة الوحيدة التي أشار فيها مؤرخ بيزنطي على عدم تناول السلطان الفاتح للخمور والمسكرات، إضافة إلى ذلك فإن بقاء هؤلاء المؤرخين البيزنطيين ونقلهم لأحداث الصراع خير دليل على أن العثمانيين لم يكونوا كما تم وصفهم، ولو أنهم كانوا كذلك لما بقي هؤلاء على قيد الحياة، ولأخذتهم سيوف العثمانيين، وللاستزادة حول الردود التي قيلت في مواجهة اتهامات البيزنطيين، ينظر: الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 130-135؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 73-83)

من قتل وأسر للسكان البيزنطيين كان بسبب البيزنطيين أنفسهم، وقيادتهم التي اختارت طريق مقاومة العثمانيين[1]، وهنا يبدي الفاتح أن نتيجة ما حدث (وإن كان بها بعض المخالفات) ما هي إلا جراء السبيل الذي اختاره قسطنطين من قبل، ولو أنه قبل بالعروض التي قدمها الفاتح لما تعرضت المدينة لما حدث، في إشارة إلى تحميل البيزنطيين مسؤولية ما جرى .

- أسبابه

لم يكن فتح القسطنطينية أمراً سهلاً، بل بذل الجنود المسلمون أرواحهم رخيصة في سبيل ذلك وقاموا بالتضحية والفداء حتى تم لهم النصر، كما أن السلطان محمداً أعد كل ما يمكن من الوسائل العسكرية الناجحة، ولم يشك لحظة في ثقته بنصر الله (ﷻ) حتى تم له ذلك، ولهذا تضافرت مجموعة من العوامل والأسباب التي ساهمت في تحقيق فتح القسطنطينية، والتي تتمحور حول النقاط التالية:

1. التفوق العثماني العسكري، والتجهيزات الحربية الكبيرة، ومما يسجل للفاتح في هذا الجانب ما حققه من نجاح في تسليح الجيش العثماني بأحدث الأسلحة العسكرية، من البنادق، والأقواس[2] والمدافع الضخمة التي أدت إلى تهدم الأسوار، ناهيك عن آثارها النفسية من خلال أصواتها العالية محدثة الرعب والفزع لدى المدافعين قبل السكان[3]، وبناء قلعة الروملي التي شكلت ضغطاً مهماً على الملاحة البحرية في محيط القسطنطينية[4]، كما كان لأعداد المقاتلين دور كبير في زيادة الضغط على القسطنطينية، وهذا ما لم تشهده من قبل، زد على ذلك الأساليب القتالية المبتكرة، كحفر الأنفاق[5] والدخول لمياه القرن الذهبي[6]، بالإضافة إلى القلعة الخشبية ذات الأدوار الثلاثة[7]، والتي كان لها أثر

---

(1) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 286رواية ميخائيل دوكاس

(2) نفسه 133ليونارد الخيوسي؛ 314رواية كريستوفورو ريشيريو

(3) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 142؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 134رواية ليونارد الخيوسي، 231رواية ميخائيل دوكاس

(4) المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 161؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 49؛ الصلابي، علي **السلطان محمد الفاتح** 109؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 97 ؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 33، 82؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 179رواية لاونيكوس خالكوكونديلاس؛ 220رواية ميخائيل دوكاس؛ 311رواية كريستوفورو ريشيريو؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 131/1

(5) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 136/1؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 150-151؛ جونز، ج.ر **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 184رواية لاونيكوس خالكوكونديلاس؛ 313رواية كريستوفورو ريشيرو الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 124

(6) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 150-151؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 184رواية لاونيكوس خالكوكونديلاس؛ 313رواية كريستوفورو ريشيرو؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 136/1؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 124

(7) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 101؛ ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 112رواية جياكومونتيدالدي؛ 136رواية ليونارد الخيوسي؛ 185 184رواية لاونيكوس خالكوكونديلاس 314رواية كريستوفورو ريشيريو؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 153-154؛ الصلابي علي، **السلطان محمد الفاتح** 125

كبير في مد أنظار العثمانيين إلى داخل القسطنطينية[1] وضربها بشكل مباشر، إلى غير ذلك من الأساليب والأدوات القتالية، وقد أجمل هسي[2] أسباب تفوق العثمانيين على البيزنطيين في أربعة أنواع من الأسلحة، هي: المهارة العسكرية الفائقة، والموارد الوفيرة، والتفسخ الذي أصاب الحكام البيزنطيين والأوضاع الداخلية للإمبراطورية البيزنطية .

ومع إيماننا بأهمية التجهيزات الحربية المادية في سير المعركة، وفي ترجيح موازين القوى بين الطرفين المتحاربين؛ انطلاقاً من قوله تعالى:" وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ"[3]، إلا أن التجهيز المعنوي لا يقل عن ذلك أهمية، لذلك حرص الفاتح على تجهيز القوات الإسلامية معنوياً بخط مواز للتجهيزات العسكرية، فقد كان مهتماً بتفعيل دور العلماء في الإعداد المعنوي للمعركة، ولذلك كان يحرص على مرافقتهم للجيوش، يثيرون الحماس في نفوس الجند، ويتلون عليهم آيات الجهاد والنصر[4]، فالقوة المادية والحربية لا تكفل النصر والاحتفاظ بالمكاسب العسكرية والسياسية، فلا بد من دعمها بالعلم والإيمان[5] .

2. بسالة الجنود العثمانيين، خاصة الإنكشارية منهم[6]، حتى شهد لهم بذلك العدو قبل الصديق ومن ذلك ما ذكره نيقولو باربارو[7](أحد المعاصرين للفتح) بأن الواحد منهم ما أن يسقط في المعركة كان أخوه يأتيه في الحال لنقله لمعسكرهم، دون خوف من الموت، حيث كانوا يفضلون قتل عشرة منهم عن معاناة العار الذي سيلحق بهم إذا ما تركوا جثة لأحد قتلاهم عند الأسوار، وقد بدت تلك البسالة والإقدام في الهجوم الأخير، بالرغم من سقوط العديد منهم أثناء تسلق

(1) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 155

(2) **العالم البيزنطي** 225

(3) الأنفال 60

(4) المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 161-162؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 48 الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 126؛ علي، سيد رضوان، **محمد الفاتح بطل الفتح الإسلامي في أوروبا** 33؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 192رواية خالكوكونديلاس، والذي بيّن أن بعض شيوخ المسلمين كانوا ينتشرون في الجيش لحث الجنود على الجهاد .

(5) فهمي، عبد السلام، **السلطان محمد الفاتح** 155

(6) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 101؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 134ليونارد الخيوسي

(7) **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 123

الأسوار[1]، إلا أنهم في النهاية انتصروا بفعل الإقدام الذي كان يميزهم[2]، ولذلك استحقوا وعد السلطان لهم بالإنعامات الجزيلة[3]، والذين كانوا منظمين تنظيماً حسنا، فقد أشار ليونارد الخيوسي[4] إلى أن الناظر لجيوش العثمانيين سيصاب بالدهشة لما يراه من النظام الذي كانت عليه قواتهم، ومن اليقظة التي تدل على خطة هجومية بارعة، كما كان للمسيحيين الذين أسلموا من اللاتين، والألمان والمجريين، دور فعال في إرشاد هذه الجيوش إلى مواطن ضعف القسطنطينية[5].

3. الخطط العسكرية المحكمة، والتي عمل الفاتح على دراستها وإعدادها قبل الحصار، فدرس بذلك أحوال المدينة، وأماكن قوة وضعف الجنود والأسوار، بالإضافة إلى التخطيط الميداني المبتكر خاصة في قضية العبور إلى مياه القرن الذهبي بنقل السفن عن طريق البر[6]، فقد كان لتلك الخطط أثرها الناجع ضد سكان القسطنطينية الذين أصابهم الرعب والجزع جراء تلك الخطط، حتى كانوا لا يلقون أسلحتهم ليلاً ونهاراً[7] ، وقد مثل دخول القرن الذهبي أحد أهم الأسباب التي ساهمت في سقوط القسطنطينية، مما مكن من إحكام الحصار حولها، وضربها من أضعف نقاطها، فالأسوار التي كانت تطل على خليج القرن الذهبي لم تكن من الحصانة كغيرها من الأسوار، لاعتقاد البيزنطيين أن مهاجمة المدينة من هذه الناحية بعيدة الاحتمال، ولكن العثمانيين في هذه المرة قد دخلوها، فكان ما لم يحسب له أي حساب .

4. الحرب النفسية التي عمل الفاتح على بثها في صفوف العدو، وتمثلت تلك الحرب بالرسائل التي أرسلها للإمبراطور قسطنطين، والتي برهنت على تصميم الفاتح على الفتح، داعياً الإمبراطور ورعاياه لتسليم المدينة من دون قتال، مقابل منحهم الأمان على أنفسهم، ولا بد أن هذه المراسلات ساهمت في حرب نفسية لسكان المدينة وتحطيم معنوياتهم، ولا أدل على ذلك من انتشار الشائعات التي

---

(1) أشار جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 112رواية جياكوموتيدالدي إلى أن مقابل كل جندي بيزنطي يقتل كان هناك مائة جندي عثماني، وبالرغم من أن هذا الرقم تبدو المبالغة فيه بشكل واضح، إلا أنه يشير إلى قتلى كثر من العثمانيين، باعتباره مصدراً معاصراً .

(2) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 143/1

(3) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 509/1

(4) نفسه 132؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 102

(5) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر** 132رواية ليونارد الخيوسي؛ 319 رواية كريستوفورو ريشيريو

(6) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 150-151؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 184رواية لاونيكوس خالكوكونديلاس؛ 313رواية كريستوفورو ريشيرو؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 136/1؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 124

(7) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 121

تبين سقوط المدينة في يد عدو قوي[1]، وتفسيرات الظواهر الطبيعية كممهد لسقوط مدينتهم، ومنها حلول الظلام، والبرق، والرعد، والعواصف، فبات (من وجهة نظر سكان القسطنطينية) الدمار النهائي بالعالم وشيك الوقوع، وما يؤكد تردي النفسية البيزنطية قبيل سقوط القسطنطينية تخلي الفلاحين عن أراضيهم ومحاريثهم، وإهمالهم لمحاصيلهم[2]، والتي دفعتهم في آخر المطاف لترك المدينة، وإهمال العمل، والتقاعس عن الدفاع عنها، حتى أن بعضهم فر من المدينة صوب العثمانيين معلنين إسلامهم[3]، وفي مقابل ذلك كان هناك الدعم والتعزيز النفسي الذي انتهجه الفاتح في بث روح الحماس في المقاتلين، من خلال الخطب التي كان يلقيها قبيل كل هجوم، وإثباته قولاً وعملاً لجنوده بوجوده في الميدان[4]، إضافة إلى وجود الكثير من العلماء الذين كانوا يحثون الجنود على الصمود وطلب النصر أو الشهادة[5]، الأمر الذي ساهم في إعطائهم الدعم النفسي اللازم بالرغم من كل الخسائر .

5. إحكام الحصار على القسطنطينية من الجهات كافة[6]، الأمر الذي أسهم وبشكل فعال في عدم قدرتها على الحصول على أية إمدادات من الخارج، رغم أن مدة الحصار كانت قصيرة، لكن لا بد أنه كان لذلك أثر على النواحي الاقتصادية والمعيشية في القسطنطينية، حيث حدث نقص حاد في الإمدادات الغذائية، خاصة الخبز والنبيذ، وغيرها من السلع الضرورية للبقاء على قيد الحياة[7]، كما كانت مهاجمة القسطنطينية من جهة غير متوقعة بالنسبة للبيزنطيين، وهي المنطقة الغربية من القسطنطينية، مما حقق للعثمانيين أفضلية عسكرية على المدافعين البيزنطيين[8] الذين أنهكوا بحرب متواصلة (ليلاً ونهاراً) في البر والبحر، ولم تترك لهم فرصة لالتقاط أنفاسهم[9]، وهذا ما أربك دفاعاتهم وشتت شملها، خاصة بعد دخول السفن العثمانية إلى مياه القرن الذهبي، إذ اضطرت القوات

---

(1) ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 129رواية ليونارد الخيوسي؛ أن نهاية المدينة سوف تكون على عهد إمبراطور يدعى قسطنطين، كما راجت الرؤى الأسطورية القائلة بهبوط ملاك من السماء شاهراً سيفه ليقوم بتسليمه إلى أحد البيزنطيين البسطاء، من أجل تحرير المدينة، وطرد الأتراك العثمانيين، ينظر (نفسه 277رواية ميخائيل داكوس؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 160)

(2) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 334رواية جورجي دولفن

(3) هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 106، والذي أشار إلى أن الذي أسلم هو راهب اسمه بترو، ولما أسلم تسمى بمحمد بترو .

(4) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر** 268رواية ميخائيل دوكاس؛ 317رواية كريستوفورو ريشيريو

(5) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 100

(6) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 187رواية لاونيكوس خالكوكونديلاس

(7) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 142

(8) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 313رواية كريستوفورو ريشيريو

(9) نفسه 133رواية ليونارد الخيوسي؛ 314رواية كريستوفورو ريشيريو

البيزنطية إلى التوجه نحو تلك المنطقة، مما أضعف حماية المناطق الأخرى، والتي ركز العثمانيون ضرباتهم عليها، وفي الوقت الذي كانت القوات البيزنطية منهمكة في الدفاع عن مدينتهم ليلاً ونهاراً كانت الفرق العسكرية العثمانية تتوالى على ضرب المدينة، مما أتاح سبل للراحة للفرق المقاتلة .

6. تردي أوضاع الإمبراطورية البيزنطية، فقد كانت تعاني من أمراض الشيخوخة، والتفكك الناجم عن الحروب الأهلية، والصراع على العرش[(1)]، بالإضافة إلى الخلافات المذهبية التي نتجت بعد الاتحاد الكنسي الذي قوبل بمعارضة شديدة[(2)]، والتدهور الاقتصادي الذي أثر على قوة الجيش، لدرجة أن بيزنطة استخدمت في كثير من

7. حروبها الجنود المرتزقة[(3)]، الأمر الذي أوجد عجزاً مالياً كبيراً في القسطنطينية، حتى أنه لم يكن بوسع سكانها إصلاح معابدهم[(4)]، والتي دفعت الإمبراطور بجلب الأواني المقدسة وصهرها من أجل توفير المال اللازم لهم، والذين طالبوا بدفع نفقاتهم مقدماً[(5)] .

8. خيانة المواطنين الجنويين والتي تسببت في إغراق العديد من السفن البيزنطية والبندقية في بحر مرمرة[(6)]، والتي أوضحها نيقولو باربارو[(7)]، حيث بيّن أن سبب ذلك هو المنافسة التجارية، مما دفعهم لتسهيل هجوم العثمانيين عليهم، بالإضافة إلى هروبهم لحظة سقوط القسطنطينية[(8)]، ولم يتوقف الأمر عند ذلك بل انسحبت الكثير من القوات اليونانية التي كان يمولها الإمبراطور، واندلعت الخلافات

---

(1) عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 656؛ وللاستزادة حول عوامل ضعف بيزنطة قبيل سقوط القسطنطينية ينظر: يوسف، جوزيف، **تاريخ الدولة البيزنطية** 285-291

(2) ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 248-249رواية ميخائيل دوكاس؛ أبو غنيمة زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 102

(3) الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 566/1؛ توفيق، عمر، **الدولة البيزنطية** 221

(4) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 259

(5) ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 152رواية ليوناردو الخيوسي؛ باربارو، نيقولو **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 165

(6) ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 148، 174رواية ليوناردو الخيوسي، لكن حاكم حي غلطة البودستا أنجيلو حيوفاني لوميللينو أشار في رسالة وجهها إلى أخيه إلى أنه بذل جهوده في مقاومة العثمانيين، ومساعدة سكان القسطنطينية المحاصرين (ينظر: نفسه 340)

(7) ينظر: **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 135-137، 141، 151؛ وللاستزادة حول المنافسات التجارية بين المدن الإيطالية ينظر: الطحاوي، حاتم، **بيزنطة والمدن الإيطالية** 63-91

(8) ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 340رواية أنجيلو حيوفاني لوميللينو؛ 284رواية ميخائيل دوكاس؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 179-180

بين الإيطاليين والسكان المحليين[1]، الأمر الذي أدى إلى ضعف الدفاعات البيزنطية، والانشغال بالخلافات الداخلية، على حساب مقاومة هجمات المسلمين .

9. عجز الغرب المسيحي عن مد القسطنطينية بجيوش تنقذها مثلما كانت تفعل في الحصارات السابقة، إذ أن أحوال الدول الأوروبية قاطبة كانت في حالة لم تسمح لها بتقديم المساعدة، فلما راسل قسطنطين - في أثناء الحصار - البابا طالباً المعونة من الغرب، أعارته أوروبا "أذناً صماء" على حد تعبير إسماعيل سيرهنك[2]، إذ لم يكن في أوروبا إذ ذاك من يستطيع تقديم العون للقسطنطينية، وبهذا وقف الإمبراطور البيزنطي وحيداً في المعركة، دون معاونة تذكر من القوى الأوروبية[3].

10. ضعف الدفاعات البيزنطية في هذه الفترة، والتي انتقض العديد منها جراء ضربات المدفعية العثمانية، بالإضافة إلى تردي القوى العسكرية البيزنطية في القسطنطينية، فالكتابات التي كانت تصف الإمبراطورية البيزنطية تشهد بوجود حالة من الإعياء والوهن، تجعل من العجيب أن الإمبراطورية لم تتحطم قبل ذلك[4] هذا وأشار ليوناردو الخيوسي[5] إلى أن المدافعين في مدينته كانوا أقل بكثير من مهارة العثمانيين وتسليحهم، حتى أنه إذا ما قتل أحدهم فقد إلى الأبد، في المقابل كانت القوات العثمانية تستطيع جلب العديد من المقاتلين، بالإضافة إلى تهدم العديد من الأسوار الداخلية نتيجة لأحوال الجو والإهمال، والتي وضع البيزنطيون آمالهم عليها في حمايتهم، ليجدوا أنفسهم في نهاية المطاف محاصرين داخلها من غير حماية[6] .

11. افتقار الإمبراطور البيزنطي للصلابة والبأس، إذ كان ينظر إليه بنظرة الشك والريبة، كونه روماني الهوى[7]، مما أدى لحدوث عصيان عليه من قبل السكان، وبعض التجار الوافدين للقسطنطينية فلم يواجههم بشيء، حتى تظاهر بعدم سماع ورؤية ما يقوم به أولئك الخارجون عليه من التجار والذين أخذوا باستغلال الأسعار[8]، وقد وصفهم ليوناردو الخيوسي بلصوص هدفهم جمع المال، والذين قصروا - على حد تعبيره - في حماية المدينة[9] .

---

(1) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 42

(2) **حقائق الأخبار عن دول البحار** 507/1

(3) عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 644

(4) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 258

(5) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 150-151

(6) نفسه 157 - 158رواية ليوناردو الخيوسي

(7) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 261

(8) ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 156رواية ليوناردو الخيوسي

(9) نفسه 158رواية ليوناردو الخيوسي

12. العداء بين البيزنطيين واللاتين، وبالرغم من أنهم جاءوا لإنقاذ القسطنطينية، إلا أن العداء كان واضحاً بينهم، نظراً لأن تحقيق أي نصر في هذا الحصار سيعود فضلة إلى اللاتين الذين يقودهم جستنياني[1]، وهنا شعر البيزنطيون بأنهم إن نجت مدينتهم فقد يقعوا ضحية اللاتين الذين ما زالت صورة أفعالهم بادرة في أذهانهم من بعد الحملة الصليبية الرابعة، وإن سقطت فستسقط في يد العثمانيين الذين تمنى القائد الأعلى (لوكاس نوتاراس) سقوطها في أيديهم على إثر الاتحاد الكنسي المزعوم، فقد قال: "إنني أفضل أن أرى عمائم الأتراك في القسطنطينية، على أن أرى قلنسوات رجال الدين اللاتين"[2].

13. كما أن مقتل الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر[3] قبيل الفتح أربك القوات البيزنطية فانتشرت الفوضى في صفوفهم، مثلما شكلت إصابة القائد الجنوي جيوفاني جستنياني بجرح خطير تحت ذراعه[4]، الأمر الذي زاد الطين بلة بالنسبة لهم، إذ وجدوا أنفسهم من غير قيادة[5]، وهذا ما دفع في آخر الأمر لتحقيق الفتح .

هذا وأشار غالبية المؤرخين المعاصرين[6] لسقوط القسطنطينية إلى أن السبب الرئيس لسقوط مدينتهم كان بسبب المعاصي، والآثام، والخطايا، ويمكن رد ذلك إلى فداحة المصاب الذي اعترى القسطنطينية فظهرت النزعة الدينية بشكل جلي في تفسيرات هؤلاء المؤرخين .

مدة الحصار

تباينت أقوال المؤرخين في تحديد مدة الحصار، ما بين خمسين يوماً وستة وخمسين يوماً، ولتحديد مدة الحصار لا بد من تحديد أول أيام الحصار وآخره، وعلى هذا فقد اتفقت غالبية المصادر والمراجع[7] على أن السادس من نيسان 1453م هو اليوم الذي اكتملت فيه القوات الإسلامية حول

---

(1) ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 156

(2) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 99؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 132/1؛ باربارو نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 35؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 61؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 37؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 50؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 111

(3) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 171؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني** 319رواية كريستوفورو ريشيريو 167رواية ليونارد الخيوسي؛ 197رواية خالكوكونديلاس؛ 272رواية ميخائيل دوكاس

(4) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 137

(5) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 167رواية ليوناردو الخيوسي

(6) نفسه 125رواية ليوناردو الخيوسي؛ 297،211رواية ميخائيل دوكاس؛ 339روايه أنجيليو جيوفاني لوميللينو

(7) باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 113؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 112؛ جونز، ج،ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 339رواية أنجيليو جيوفاني لوميللينو؛ ويوافقه في ذلك بنفينوتو قنصل الجالية الأنكونية بالقسطنطينية قبل الفتح (نفسه 354)

القسطنطينية، وبدأت في حصارها، كما اتفقت على أن التاسع والعشرين من أيار[1] هو يوم فتح القسطنطينية .

وعلى ما سبق تكون مدة الحصار ثلاثة وخمسين يوماً، وهو رأي غالبية المصادر والمراجع التاريخية[2]، أما الذين قالوا إن مدة الحصار كانت أربعة وخمسين يوماً[3] فقد اعتمدوا في ذلك على أن بداية الحصار كانت في الخامس من نيسان1453م وليس السادس منه، اعتماداً على أن أول أيام الحصار كان بنصب المدفع السلطاني أمام أسوار القسطنطينية، على اعتبار أن هذا المدفع كان علامة فارقة في هذا الحصار.

والذين قالوا إن الحصار استمر ستة وخمسين يوماً[4]، فقد كانت أول أيام الحصار عندهم الثالث من نيسان، وهم في ذلك اعتمدوا على بدايات توافد القوات العثمانية في البر والبحر أوائل نيسان 1453م ولا أدري على ماذا اعتمد من قال إن الحصار استمر خمسين يوماً[5]، أو واحداً وخمسين يوماً[6] وعلى افتراض أن الحصار استمر خمسين أو واحداً وخمسين يوماً، فتكون بداية الحصار عندهم الثامن أو التاسع من نيسان 1453م، وهذا ما لم تذكره المصادر والمراجع التاريخية، لكن ربما اعتمد هؤلاء على بدايات الهجوم العثماني على القسطنطينية، ومجريات أحداث هذا الحصار، لكن الذي أميل إليه هو أن مدة الحصار كانت ثلاثة وخمسين يوماً، وذلك بالاعتماد على تاريخ اكتمال القوات العثمانية حول القسطنطينية، وضرب الحصار حولها، انتهاءً بسقوط القسطنطينية في التاسع والعشرين من أيار عام 1453م .

نتائج الفتح

على أية حال نجح العثمانيون في دخول القسطنطينية، بعد أن قاموا بمحو آخر صفحات الإمبراطورية البيزنطية من الوجود، وقد ترتب على هذا الفتح العديد من النتائج، والتي يمكن إجمالها فيما يلي :

---

(1) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 510/1؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 50؛ إينالجك خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 42؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 168؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 15، 21؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 48؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 101

(2) حليم، إبراهيم، **التحفة الحلمية** 30؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث** 49؛ جيبون، إدوارد **اضمحلال الإمبراطورية البيزنطية وسقوطها** 345/3

(3) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 100؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 105رواية جياكوموتيدالدي؛ 131رواية ليوناردو الخيوسي؛ حمودة، سمية، **حركة الفتح العثماني في القرن 11هـ**، 26، رسالة ماجستير جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1427هـ/2006م

(4) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 354رواية بنفينوتو

(5) حسون، علي، **الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية** 39

(6) المالكي، إبراهيم، **قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان** 27

على الصعيد الإسلامي :

1. بفتح القسطنطينية تحققت البشارة النبوية القاضية بفتحها، فاستحق صاحب الفتح وجيشه المغفرة والرضوان، وهنا لم يتوقف أمل الفاتح بهذا النصر، بل أخذ يهدد بفتح روما[1] تحقيقاً للوعد النبوي بذلك، ومواصلة نشر الإسلام في وسط أوروبا، ويؤكد ذلك ما أرسله أنجيلو جيوفاني لوميللينو[2] (حاكم حي غلطة) - بعد أن عقد السلطان معه هدنة - رسالة إلى أخيه في جنوة يخبره بنية السلطان اجتياح أوروبا، موضحاً أن القسطنطينية هي أولى تلك المدن؛ ويبدو أن هذه الرسالة ما هي إلا دعوة للغرب للاستعداد لمواجهته على غرار الرسالة التي وجهها ليوناردو الخيوسي[3] للبابا نيقولا الخامس حاثاً إياه على ضرورة الانتقام من الفاتح، نتيجة الانتصارات العثمانية المتوالية، والتي استطاعت فتح العديد من المناطق الأوروبية[4] حتى وصلت الجيوش العثمانية لحصار مدينة فيّنا[5] مرتين 1529م، 1683م[6].

2.نقل العثمانيون عاصمتهم إلى هذه المدينة[7] التي تتوسط ممتلكاتهم في كل من آسيا وأوروبا[8] حيث عملوا على تغيير اسمها من القسطنطينية لإسلامبول، أي مدينة الإسلام[9]. بالإضافة إلى تحويل

---

(1) جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية** 119رواية جياكوموتيدالدي؛ 343رواية أنجيلو جيوفاني لوميللينو

(2) نفسه 343-344

(3) نفسه 123، 173-175

(4) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 43؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 49؛ المحامي، محمد فريد **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 168-178؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 105؛ ياغي، إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 50؛ البحراني، عماد، **فتح القسطنطينية في عهد محمد الفاتح**، مجلة كان التاريخية، السنة الثانية،ع3، 64؛ حمودة، سمية، **حركة الفتح العثماني في القرن 11هـ**، 27، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى مكة 1427هـ/2006م

(5) **فيّنا**: هي عاصمة الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ومملكة المجر معاً، تقع على نهر الطونة (الدانوب) (المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 216)

(6) أوزتزنا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 272/1،593؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 123

(7) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 42،43؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 165؛ جونز، ج.ر **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 119 -120رواية جياكوموتيدالدي؛ 119-120رواية ليوناردو الخيوسي

(8) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 518/1-519؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 206

(9) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 42؛ ينظر: المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 165؛ ياغي إسماعيل، **الدولة العثمانية في التاريخ الحديث** 48؛ أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 266؛ الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 648/1 – 649؛ **الدولة العثمانية دولة مفترى عليها** 63، 64؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 300رواية ميخائيل دوكاس؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 149؛ البحراني، عماد **فتح القسطنطينية في عهد محمد الفاتح**، مجلة كان التاريخية، السنة الثانية،ع3، 62

كنيستها العظمى أيا صوفيا إلى مسجد أيا صوفيا[1]، وبهذا تحولت تلك المدينة من حاضرة مسيحية إلى حاضرة إسلامية، كما تمكن العثمانيون من السيطرة على ضفتي مضيق البسفور، والربط بين الأراضي العثمانية في آسيا الصغرى، والممتلكات العثمانية في القارة الأوروبية، وهو ما أدى في النهاية إلى تحسين وضعهم الاستراتيجي بشكل واضح، وسيطروا بشكل كامل على الطريق المؤدي إلى البحر الأسود[2]، وهنا بدأ العثمانيون في تدشين مرحلة جديدة، والتحول من مرحلة الدولة إلى مرحلة الإمبراطورية بعد أن أصبحت ممتلكاتهم تمثل رقعة واسعة من الأراضي الآسيوية والأوروبية وبعد أن اتخذ محمد الفاتح من القسطنطينية عاصمة جديدة له [3]، وبهذا عد محمد الفاتح المؤسس الحقيقي للإمبراطورية العثمانية، حيث أسس إمبراطورية ضمت الكثير من بلدان أوروبا وآسيا، كتب لها البقاء أربعة قرون من الزمن، ولذلك استحق أن يطلق عليه "سلطان العالمين" – الأناضول والبلقان- و"سلطان البحرين" –المتوسط والأسود[4]

3.برز دور العلماء بصحبة الفاتح مؤثراً في فتح القسطنطينية، منذ بدايات الإعداد للمعركة وحتى تحقيق النصر، فقد كان أثر العلم ومجالسة العلماء واضحاً في تكوين شخصية الفاتح، وترغيبه في الجهاد منذ المراحل المبكرة من حياته، وقد برز هذا الأثر بما قام به العلماء من حث للسلطان على مواصلة الجهود الإسلامية السابقة الرامية للفتح، وبيان أهميته، وبهذا استثمر الفاتح العلماء في التجهيز والإعداد المعنوي والمادي للمعركة، حيث قام أولئك العلماء برفع الروح المعنوية للجيش الإسلامي قبل و أثناء المعركة، إلى أن تحقق النصر[5].

4.برزت كفاءة الفاتح في الإعداد للفتح من خلال توفير الإمكانات كافة في تطوير الجيش وتجهيزه ومن استدعائه للمخترع المجري أوربان الذي صمم المدفع العملاق، إلى تجهيز الجيوش الجرارة والأساطيل الكبيرة، وغيرها من التجهيزات الأخرى، والتي مثلت ذروة النشاط العسكري الذي كان له دور فعال في تحقيق الفتح .

---

(1) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 509/1؛ البحراني، عماد، **فتح القسطنطينية في عهد محمد الفاتح** مجلة كان التاريخية، السنة الثانية،ع3، 62؛ المحامي، محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 164 والذي أشار إلى بقاء هذه الكنيسة مسجداً إلى أن تولى أتاتورك الذي أمر بتحويل هذه المسجد إلى متحف، والذي ما زال حتى يومنا هذا .

(2) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 44

(3) ينظر: الشوكاني، محمد، **البدر الطالع** 261/2؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 142/1؛ عن توسعات العثمانيين بعد فتح القسطنطينية، ينظر: سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 512/1-518؛ ينظر: حمودة، سمية، **حركة الفتح العثماني في القرن 11هـ**، 27، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة 1427هـ/2006م

(4) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 45

(5) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 100

5.لم يعمل الفاتح وجيوشه من المسملين مثلما فعل الصليبيون عقب إسقاطهم للقسطنطينية 1204م ولم يرد على همجية الحملات الصليبية التي احتلت القدس 1099م، وعاثت فيها فساداً، بل عمل على تطبيق أحكام الإسلام في القسطنطينية، بانتهاج التسامح الديني مع سكانها، وقساوستها ورهبانها، حيث أبقى العديد من الكنائس، على عكس المسيحية التي لا تجيز أن يكون في بلادها مسجداً للمسلمين[1] فقد أصدر الفاتح أوامره بحسن معاملة الأسرى، وصالح أهل حي غلطة لالتزامهم الحياد في الحرب[2] فضمن لهم حرية العيش بأمان، وأعطى لرجال الدين المسيحي حرية دينية كاملة، وأمر بانتخاب بطريرك لهم لتسيير أمورهم وفق شريعتهم، وأصدر قراراً يمنحهم حكم أنفسهم، بالإضافة إلى حرية عودة النازحين إلى أوطانهم ومساكنهم[3]، حتى كانت معاملة العثمانيين لأهل القسطنطينية وحماية آثارها الحضارية أفضل بألف مرة من معاملة الصليبيين للمدن التي كانوا يستولون عليها كما يقول المؤرخ الروسي يوسبسنكي[4] .

6.أدى سقوط القسطنطينية في يد العثمانيين إلى الحصول على غنائم كبيرة، تمثلت في كنوز المدينة، وأدواتها القتالية، والكثير من السفن البحرية[5]، بالإضافة إلى وقوع العديد من البيزنطيين أسرى في يد العثمانيين[6] .

7. عمل الفاتح على إعادة تعمير مدينة القسطنطينية التي طالتها يد الحرب، ولهذا انتهج سياسة إعادة إسكانها بخمسمائة أسرة جديدة[7]، وعمل على إعادتها لتلعب الدور الذي لعبته من قبل، حتى

---

(1) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 510/1؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 114

(2) للتعرف إلى بنود هذه المعاهد، ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 349-350

(3) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 511/1؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 141/1؛ المحامي محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 164؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 51؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 132؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 113؛ البحراني، عماد، **فتح القسطنطينية في عهد محمد الفاتح**، مجلة كان التاريخية، السنة الثانية،ع3، 62

(4) أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 75

(5) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 101؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 510/1

(6) كان من بين الأسرى المؤرخ ليوناردو الخيوسي (جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 125) كما كان من بين الأسرى وزير الإمبراطور البيزنطي نوتاراس، والذي أطلق سراحه بعد أن دفع الفاتح الفدية عنه من ماله، إذ يقال إنه أعلم الفاتح برسائل كان قد أرسلها وزيره خليل باشا إلى الإمبراطور البيزنطي يحثه فيها على التماسك، وإبداء المقاومة حتى لا ينجح الفاتح من اقتحام القسطنطينية، وهو ما أوغر صدر السلطان على خليل باشا (نفسه 172) وقيل إنه نورتاراس قدم للسلطان قائمة بأسماء الموظفين والنبلاء البيزنطيين، والذين عمل السلطان على أسرهم، ومن ثم افتداهم بألف أسير عن كل واحد منهم (نفسه 289)

(7) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 141/1؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 119-120رواية جياكوموتيدالدي؛ 119-120رواية ليوناردو الخيوسي

غدت وارثة الحضار الإسلامية، والتي أضاف لها العثمانيون رونقاً جديداً من الفن المعماري[1] والمدنية الإسلامية، فشيدت المساجد، والمدارس، والربط، وأقيمت المجالس العلمية والأدبية والمكتبات، كما شيد نصباً تذكارياً على قبر أبي أيوب الأنصاري الذي استشهد في أولى الحملات الإسلامية إلى القسطنطينية[2]، إلى غير ذلك من معالم الحضارة، مما يؤكد اشتراك العثمانيين في الإنجازات الحضارية للإسلام، وأخذهم مكانهم في الحضارة والثقافة الإسلامية[3]، حتى أصبحت القسطنطينية (إسلامبول) مصدر إشعاع للفكر الإسلامي في أوروبا، فتوافدت إليها جموع أهل العلم من بقاع العالم كافة، وغدت منبع المعارف والعلوم، مما كان له بالغ الأثر على تاريخ الإنسانية جمعاء[4] .

8. أحدث فتح القسطنطينية دوياً كبيراً في عالم العصور الوسطى[5]، فقد جاء سقوطها إيذاناً بنشوء نظام عالمي جديد، إذ نجح العثمانيون في القضاء على إحدى أهم القوى المؤثرة في العصور الوسطى لأكثر من أحد عشر قرناً من الزمان، وهي الإمبراطورية البيزنطية، وقيام إمبراطورية العثمانيين الجديدة[6] .

9. توافد عدد كبير من السفارات إلى مقر الفاتح تهنئه بالنصر الذي أحرزه، وقد بين ميخائيل دوكاس[7] أنه كان من بين تلك الوفود العديد من الحكام والأمراء المسيحيين، والذين قدموا من كل حدب وصوب، مؤكدين التزامهم بالمعاهدات التي عقدت قبل فتح القسطنطينية .

10. يعد فتح القسطنطينية من أهم أحداث التاريخ العالمي، وخصوصاً تاريخ أوروبا وعلاقتها بالإسلام، حتى عد نهاية العصور الوسطى، وبداية العصور الحديثة[8].

---

(1) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 48؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 135

(2) ينظر: الشوكاني، محمد، **البدر الطالع** 261/2؛ الشناوي، عبد العزيز، **الدولة العثمانية دولة مفترى عليها** 64؛ بيتروسيان إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 102

(3) لويس، برنارلد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 135؛ للتعرف إلى الإنجازات الحضارية والعلمية للعثمانيين (ينظر أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 46/1 - 50)

(4) هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 54

(5) فقد تمنى لونارد الخيوسي أن يموت على أن يرى تلك المدينة بيد العثمانيين (جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 123)

(6) لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 26؛ ينظر: حمودة، سمية، **حركة الفتح العثماني في القرن 11هـ،** 27 رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة 1427هـ/2006م

(7) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 139؛ ينظر: جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 300-302 هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 117

(8) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 142/1؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 511/1؛ المحامي محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 164؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 149؛ سيف الدين، عبد الحكيم، **عهد المتوكل بين الحقيقة التاريخية وظلم المؤرخين**، مجلة المؤرخ العربي، ع15، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، 2007، 125

11. أضحى فتح القسطنطينية انتصاراً عسكرياً كبيراً للدولة العثمانية، وكشف الجيش العثماني المسلم قدرة تنظيمية وقوة نادرة للقيام بالمهمات الحربية الكبرى[1]، خاصة بعد ما رواه المؤرخون عن الخطط الحربية الباهرة التي قام بتنفيذها السلطان محمد الفاتح، كنقل السفن العثمانية براً وإنزالها على نحو مباغت في خليج القرن الذهبي، وكذلك تشييده للجسر الخشبي ما بين غلطة وأسوار القسطنطينية، وعن آلات الحصار الجديدة التي اعترف المؤرخون البيزنطيون بأهميتها الفائقة في حصار القسطنطينية، فضلاً عن تسجيلهم لشجاعة وبسالة الجنود العثمانيين.

12. أدى هذا الانتصار إلى تنامي القوة البحرية العثمانية، حيث بدأ الاهتمام ببناء الأساطيل لمساعدة القوات البرية في مرحلة الفتوحات الجديدة[2]، خاصة بعد أن لوحظ عدم كفاءة الأسطول العثماني إبان المعارك البحرية مع الأسطول البيزنطي، مما دفع بالفاتح إلى العمل على تطوير الأسطول البحري، حتى عد مؤسس البحرية العثمانية[3] الأمر الذي أدى إلى خشية دول غرب أوروبا وخاصة البرتغال وإسبانيا على سفنها وتجارتها، وهو ما دفعها إلى محاولة البحث بشكل جدي عن طرق ملاحية جديدة، دون المرور بالمياه التي تخضع للسيادة الإسلامية، وبدأت حركة الكشوف الجغرافية التي قامت باكتشاف العالم الجديد، والدوران حول إفريقيا[4].

13. رفع فتح القسطنطينية من سمعة الفاتح كثيراً، بوصفه حاكماً مسلماً، فقد عمت مشاعر الفرح نتيجة ذلك الفتح عامة بلاد المسلمين، فقد أعلن المماليك ابتهاجهم بهذا الحدث[5]، وتعبيراً عن فرح العالم الإسلامي بهذا الحدث، أمر سلطان المماليك (إينال) بتزيين شوارع القاهرة، والحوانيت والأسواق كافة لعدة أيام[6]، وقد بعث السلطان الفاتح برسائل الفتح إلى سلطان مصر، وشاه إيران وشريف مكة، وأمير القرمان، كما بعث بمثل هذه الرسائل إلى الأمراء المسيحيين المجاورين له في

---

(1) بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 103؛ ينظر: حمودة، سمية، **حركة الفتح العثماني في القرن 11هـ**، 27، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة 1427هـ/2006م

(2) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 43؛ الشناوي، عبد العزيز، **أوروبا في مطلع العصور الحديثة** 649/1؛ لويس برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 49

(3) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 518/1

(4) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 254

(5) ابن إياس، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور** 316/2؛ ابن تغري بردي، جمال الدين، **حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور** 386/1؛ سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 511/1؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 102؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 139؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 51؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 152

(6) ابن إياس، محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور** 316/2؛ ابن تغري بردي، جمال الدين، **حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور** 386/1؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 142/1؛ **السلطان محمد الفاتح** 141؛ ينظر: حمودة، سمية، **حركة الفتح العثماني في القرن 11هـ**، 27، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة 1427هـ/2006م

المورة، والأفلاق، والمجر، والبوسنة، وصربيا، وألبانيا، والى جميع أطراف مملكته[1]، كما أرسل العديد من الحكام المسلمين، كسلطان الهند الجنوبية البهمني[2]، وآخرين سفراء إلى القسطنطينية لتهنئة الفاتح بنصره المجيد، وكان هذا في الحقيقة توطئة للنفوس لتقبل الزعامة العثمانية الجديدة، فمنذ سنوات لم تحرز أي دولة إسلامية انتصاراً مدوياً مثل هذا الإنتصار[3].

على الصعيد الأوروبي :

1.صعق نبأ سقوط القسطنطينية المسيحيين في الغرب الأوروبي، وانتابهم شعور بالفزع والألم، وبدا لهم خطر المسلمين وتهديدهم، فأخذوا يتتبعون خطوات الفاتح بقلق واهتمام، وعظمت في أعينهم القسطنطينية وخطورة قيمتها[4]، لأنها ظلت لأكثر من أحد عشر قرناً الدرع الواقي الذي قام بحماية القارة الأوروبية من أخطار الغزاة الآسيويين في العصور الوسطى، فضلاً عن كونها حامية المسيحية الأوروبية الشرقية.

2.بعد نجاح العسكرية العثمانية في اجتياح مدينة القسطنطينية، بدأت الجيوش الأوروبية تدرك التكتيكات العثمانية الجديدة في فن الحرب[5]، مما أدى بها إلى دراسة فنون الحرب العثمانية، وكيفية محاصرة واقتحام المدن، وأدى إعجابهم بالجنود الإنكشارية إلى محاولة تكوين فرق عسكرية مشابهة لها، كما وجهت الجيوش الغربية أيضاً اهتمامها نحو ضرورة الاستفادة من الدرس العثماني، وتطوير المدافع لدورها الحاسم في الحروب، ومتابعة تطوير مداها وقذائفها[6].

3.أدركت المدن الإيطالية مغزى تشييد الفاتح قلعة الروملي، حيث بدأ العثمانيون في تحصيل ضريبة المرور من البسفور إلى البحر الأسود والعكس[7]، مما أدى إلى تقليل تجارتها مع البحر الأسود واتجاهها نحو زيادة التجارة عبر دولة المماليك في مصر والشام[8]، كما سعت إلى كسب ود السلطان

---

(1) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 511/1؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 159؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 98-99

(2) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 142/1، وعن أسرة البهمني في الهند الجنوبية (ينظر: النمر، عبد المنعم، **تاريخ الإسلام في الهند** 170-174)

(3) حمودة، سمية، **حركة الفتح العثماني في القرن 11هـ**، 27، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1427هـ/2006م

(4) عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 645؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 137؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 150

(5) الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 137؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 143/1

(6) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 144/1

(7) البحراني، عماد، **فتح القسطنطينية في عهد محمد الفاتح**، مجلة كان التاريخية، السنة الثانية،ع3، 65

(8) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 141/1؛ فهمي، نعيم زكي، **طرق التجارة الدولية ومحطاتها أواخر العصور الوسطى** 38

العثماني، والحصول على امتيازات تجارية[1]، ونجح أهل جنوة أولاً في الحصول على اتفاقية تجارية مهمة من السلطان محمد الفاتح 1453م، منحهم فيها نفس امتيازاتهم السابقة، وبعض الإعفاءات التجارية، كما نجحت البندقية[2] في الحصول على اتفاقية مشابهة، وتحينت فلورنسا الفرصة لإقامة علاقات تجارية قوية مع الفاتح، وأرسلت أسطولاً تجارياً إلى القرن الذهبي بعد سقوط القسطنطينية كما استقبلت سفارة عثمانية تهدف إلى إقامة علاقة ودية معها، وبهذا أحرز العثمانيون نجاحاً اقتصادياً كبيراً، من خلال تأمين مورد مالي من أموال الضرائب والجزية[3].

4. على صعيد البابوية، دعا البابا نيقولا الخامس في الثلاثين من أيلول 1453م إلى ضرورة قيام حملة صليبية جديدة لاستعادة مدينة القسطنطينية من قبضة الأتراك العثمانيين، وأمر بإعادة فرض ضريبة العشر لتمويل تلك الحملة[4]، ونظراً لعدم تحمس الدول الأوروبية لهذه الفكرة، وخوفها من استثارة عداء العثمانيين، فلم تخرج هذه الدعوة إلى حيز التنفيذ بشكل جدي، وبعد وفاة نيقولا الخامس الذي مات في همه وغمه سنة 1455م[5]، وتولى البابا كالستوس الثالث (1455-1458م) زمام الإدارة البابوية، أعاد فرض ضريبة العشر من أجل تمويل أسطول بحري لاستعادة القسطنطينية، لكن ذلك الأسطول لم ينجح سوى في الحصول على بعض الجزر في بحر إيجة 1457م، وسرعان ما استطاع العثمانيون استردادها مرة أخرى[6] .

5. لا يمكن أن يغفل الأثر الإيجابي الذي أحدثه سقوط القسطنطينية على الفكر الغربي في نهايات العصور الوسطى، حيث دفع الكثير من رجال الفكر والثقافة في القسطنطينية للهرب باتجاه الغرب وخاصة إلى إيطاليا[7]، وحمل هؤلاء معهم ذخائر الكتب، ومفاتيح العلم اليوناني، مما ساهم في إثراء

---

(1) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 44

(2) البيشي، سعدية، **الجهاد البحري العثماني في معركة ليبانتو20**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى - مكة المكرمة 1997م
توجد ترجمة عربية كاملة لنص المعاهدة بين محمد الفاتح والبنادقة 1454م (ينظر: فهمي نعيم زكي، **طرق التجارة الدولية ومحطاتها أواخر العصور الوسطى** 437-438)

(3) أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 107؛ ينظر: حمودة، سمية، **حركة الفتح العثماني في القرن 11هـ**، 29 رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة 1427هـ/2006م

(4) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 142/1؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 138؛ وجرى فرض "ضريبة العشر" من أجل تمويل حملات صليبية، أو من أجل مساعدة الصليبيين في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، وأهمها تلك المعروفة باسم "عشر صلاح الدين" 584هـ/1188م تلك الضريبة التي قام بفرضها هنري الثاني ملك انجلترا في يناير 1188م بعد نجاح صلاح الدين الأيوبي في استعادة مدينة القدس على أثر معركة حطين 583هـ/1187م (ينظر: الطحاوي، حاتم **الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام** 157، 181)

(5) ينظر: الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 136-137؛ هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 117

(6) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 512/1

(7) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 255

الفكر الغربي، وزيادة الرغبة في تعلم اللغة اليونانية، وأدى ذلك ـ في النهاية ـ لأن تتبوأ إيطاليا مكانتها كوريثة للثقافة البيزنطية والفكر اليوناني، وإلى بزوغ فجر النهضة الأوروبية الحديثة فوق الأراضي الإيطالية[1].

6.كان السلطان محمد الفاتح يدرك مدى كراهية الشعب البيزنطي للاتين، ورفضهم لفكرة الاتحاد الكنسي كما جاءت في مجمع فلورنسا 1439م[2]، وكذلك رفضهم لما حدث من محاولة توحيد الكنائس التي جرت في كنيسة أيا صوفيا قبيل الحصار العثماني في كانون الثاني 1452م[3]، وهدف الفاتح إلى استقرار السكان البيزنطيين في المدينة، فأعاد تنصيب بطريرك للقسطنطينية عام1454م[4] ومنحه الصلاحيات السابقة كافة، وبهذا يكون قد كرس مبدأ الانفصال التام بين كنيسة القسطنطينية وكنيسة روما إلى الأبد[5]، بل جعل السكان الأرثوذكس ينظرون إليه باعتباره حامي الأرثوذكسية، بعد أن تمتعوا بحرية العبادة حسب مذهبهم دون خوف من هاجس الاتحاد الكنسي، حيث أصبحت الكنيسة الأرثوذكسية الوصي الوحيد على الحياة الثقافية والعقدية للرعايا المسيحيين في الإمبراطورية العثمانية [6].

7.يبدو أن الآثار السياسية لسقوط القسطنطينية في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي ما زالت تلقي بظلالها حتى الآن على العلاقات بين أوروبا وتركيا، إذ لم تنس ما فعله العثمانيون المسلمون بحصن المسيحية الشرقية، وهو ما انعكس إلى الآن على العلاقات بين الطرفين، ورفض الدول الأوروبية انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، فضلاً عن بعض الهواجس والممارسات الأخرى .

8.أخيراً حل السلاطين العثمانيون محل القياصرة الرومانيين في القسطنطينية، تلك المدينة التي افتتح تاريخها بقسطنطين الأول 330م، واختتمت آخر صفحاتها بقسطنطين الحادي عشر1453م والتي ظلت طوال العصور الوسطى الدرع الحامي لأوروبا .

---

(1) ينظر: أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 144/1؛ عطا، زبيدة، **الترك في العصور الوسطى** 206

(2) أومان، تشارلز، **الإمبراطورية البيزنطية** 259-260؛ اليوسف، عبد القادر، **الإمبراطورية البيزنطية** 183؛ الرشيدي، سالم **محمد الفاتح** 60، هسي،ج.م، **العالم البيزنطي** 225؛ عاشور، سعيد، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** 643

(3) إينالجك، خليل، **تاريخ الدولة العثمانية** 41؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 132/1؛ باربارو، نيقولو، **الفتح الإسلامي للقسطنطينية** 34، 89؛ جونز، ج.ر، **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة** 234-236رواية ميخائيل دوكاس؛ بيتروسيان، إيرينا، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية** 99؛ الرشيدي، سالم، **محمد الفاتح** 64؛ عطية، عزيز **العلاقات بين الشرق والغرب** 138؛ الصلابي، علي، **السلطان محمد الفاتح** 111

(4) سيرهنك، إسماعيل، **حقائق الأخبار عن دول البحار** 511/1؛ أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 141/1؛ المحامي محمد فريد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** 164؛ آصف، يوسف، **تاريخ سلاطين بني عثمان** 51؛ لويس، برنارد، **إسطنبول حضارة الخلافة الشرقية** 132؛ أبو غنيمة، زياد، **السلطان المجاهد محمد الفاتح** 106؛ البحراني، عماد، **فتح القسطنطينية في عهد محمد الفاتح**، مجلة كان التاريخية، السنة الثانية،ع3، 62

(5) أوزتونا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية** 142/1

(6) هسي، ج.م، **العالم البيزنطي** 225؛ ينظر: التونجي، محمد، **بلاد الشام إبان العصر العثماني** 27

الخاتمة

بعد أن جلنا هذه الجولة، ودرسنا المحاولات والجهود الإسلامية لفتح القسطنطينية التي انتهت بفتحها على يد العثمانيين بعد أن استعصى فتحها قرابة ثمانية قرون، نورد النتائج الآتية، وإليك البيان :

- ❖ تحتل القسطنطينية موقعاً فريداً بين مدن العالم، لربطها قارتين (أوروبا وآسيا) ببعضهما البعض وبموقعها البحري المميز، ولهذا تمتعت بحصانة كبيرة، صدّت عند أسوارها حملات عديدة وردت غارات كثيرة، ووقفت شامخة تعلوها مسحة الصمود والكبرياء.
- ❖ تتبعت الدراسة جذور الصراع الإسلامي البيزنطي منذ عصر الرسول (ﷺ)، كأساس لفهم طبيعة الصراع الإسلامي البيزنطي، ففي الفترة المكية لم يهتم الروم بتلك الدعوة الجديدة، لكن بروز قوة المسلمين بعد الهجرة أوقع الريبة لدى البيزنطيين وحلفائهم من العرب المتنصرة على أطراف جزيرة العرب، فأوقدوا فتيل حرب لم تنطفئ نارها إلا بإسقاط القسطنطينية، درة تاج الإمبراطورية البيزنطية، وعرين عزها، وعنوان مجدها، ورمز سؤددها .
- ❖ دفع وقوع الطريق التجاري بين الشام ومكة تحت أيدي المسلمين العرب المتنصرة على أطراف الشام للنظر إلى قوة المسلمين على أنها تهديد لهم، فالتمسوا لأنفسهم المبررات للتضييق على هذه الدولة الناشئة، بضرب اقتصادها وصد دعاتها حيناً، وقتل بعضهم حيناً آخر، مما حدا بالرسول (ﷺ) توجيه سراياه وغزواته لوأد هذه الأطماع، ومحاولة نشر الإسلام في تلك المناطق، والتي استمرت إلى آخر أيام الرسول (ﷺ) فوجه حملة بقيادة أسامة بن زيد إلى بلاد الروم، والتي أنفذها أبو بكر الصديق بعد توليه الخلافة .
- ❖ سار الخلفاء الراشدون على خطى ذاك المنهج الذي رسمه الرسول (ﷺ) بالتوسع ونشر الإسلام فاستطاعوا في فترة وجيزة من الزمن إخضاع الشام، ومصر، وبعض أطراف المغرب، في سرعة أبهرت الكتاب والمؤرخين، وقد ساروا بهذه الفتوحات يحدوهم الأمل بإسقاط عاصمة الروم التي بشر الرسول (ﷺ) بفتحها، مثلما أسقطوا المدائن عاصمة الفرس من قبل .
- ❖ بعد أن انتقلت مقاليد إدارة الدولة الإسلامية إلى الأمويين، واصلوا الحرب ضد الإمبراطورية البيزنطية، وسعوا لتوطيد سيطرتهم على البحر الأبيض المتوسط، وعقدوا العزم على إسقاط القسطنطينية، فوجهوا لها العديد من الحملات، وضغطوا عليها براً وبحراً، وأجبروها على اتخاذ موقف المدافع .
- ❖ انطلقت الحملات الأموية إلى القسطنطينية بعد أن ثبت معاوية أركان دولته، واتخذ الإجراءات اللازمة لتحقيق ذلك، من تقوية الأسطول البحري، إلى حشد الجيوش الكبيرة وتوجيه حملات الاستطلاع والاختبار، وكانت طلائع تلك الحملات، حملتين كبيرتين استطاعتا الوصول

للقسطنطينية وفرض الحصار عليها، والتي اكتسبت طابع الجهاد المقدس بمشاركة الكثير من الصحابة الذين سقط بعضهم على أسوارها شهداء، كالصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري(رضي الله عنه) .

- ❖ تابعت الدراسة خطوط سير الحملات الإسلامية إلى القسطنطينية، كما ناقشت الكثير من الإشكالات التي دارت حول بعض القضايا، وتتبعت تلك الحملات من حيث الإعداد والتجهيز وحددت مدد الحصار، وأسباب التراجع، والنتائج على كل من المسلمين والبيزنطيين .
- ❖ مثلت الحملة التي وجهها سليمان بن عبد الملك أكبر الحملات الإسلامية على القسطنطينية والتي بذلت لها جل الجهود والطاقات، وقد بدت بدايات الاستعداد لتلك الحملة في زمن الخليفة عبد الملك ابن مروان الذي استأنف الصوائف والشواتي، والتضييق على الإمبراطورية البيزنطية واختبار دفاعاتها، واستمر الوليد من بعده في ذلك إلى أن سنحت الفرصة في زمن سليمان الذي سير لها الجيوش براً وبحراً، وقد استطاعت تلك الجيوش فرض الحصار على القسطنطينية، لكن وفاة الخليفة سليمان - الذي أقسم على الله أن يفتحها أو يموت دون ذلك - حال دون استمرار الحصار الذي دام قرابة عشرين شهراً، فأمر الخليفة الجديد عمر بن عبد العزيز بفك الحصار عنها .
- ❖ سطر الأمويون بحملاتهم المتكررة على القسطنطينية سجلاً حافلاً بجهودهم في سبيل نصرة الإسلام وإعلاء رايته، ووضع حداً للإمبراطورية البيزنطية وحافزاً جعل خلفاءهم من الدول الإسلامية يتطلعون إلى الاستيلاء عليها، وظلت رسالتهم ماثلة إلى أن تحقق ذلك الهدف على يد الأتراك العثمانيين عام 1453م .
- ❖ شكل صمود القسطنطينية في وجه الحملات الأموية حافزاً لأباطرتها بالظهور بمظهر الأبطال المدافعين عن العالم المسيحي بأكمله، فأليون الأيسوري (ليو الثالث) الذي رد الحملة الأموية الأخيرة على القسطنطينية غدا بطلاً - لدى مسيحيي أوروبا - أكثر من معاصره شارل مارتل الذي أوقف جيوش المسلمين على حدود جبال البرتات بعد معركة بلاط الشهداء 114هـ/732م في الأندلس .
- ❖ ورث العباسيون تركة الصراع مع الإمبراطورية البيزنطية، لكن خلفاءهم لم يوجهوا الحملات بقصد فتحها، اللهم التطلع لذلك عقب كل إغارة رومية على بلاد المسلمين، وربما يعود ذلك إلى مناوأة أهل الشام لهم، والتزامهم أسلوب الدفاع والاهتمام بالتنظيمات الداخلية، وتقوية الدولة والإبقاء عليها أكثر من العمل على توسيع رقعتها، لكن ذلك لم يمنعهم من التطلع لغزو بيزنطة عقب إغاراتها عليهم، وقد تولى أعظم تلك الحملات هارون الرشيد قبل وبعد خلافته، والتي انتهت بعقود صلح تكفلت بيزنطة بدفع إتاوات باهظة للدولة الإسلامية خوفاً من سقوط عاصمتهم التي تجرأ المسلمون على حصارها مرات عدة .

- استفادت الإمبراطورية البيزنطية - بسبب فشل العديد من الحملات الإسلامية عليها - فترة الهدوء لإعادة قوتها بإنشاء الأنظمة الحربية المختلفة، كنظام البنود العسكرية، وتقوية دفاعات القسطنطينية، وإعادة تنظيم جيوشها، والقضاء على الثورات الداخلية المختلفة .
- عملت الإمبراطورية البيزنطية على منع المسلمين من توجيه الحملات القاضية بفتح عاصمتهم من خلال شغلهم بأعداء آخرين، وفتح جبهات أخرى أمامهم، كجبهة الخزر وأرمينيا التي شكت دولة حاجزة بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، بالإضافة إلى الاستفادة من ظروف الدولة الإسلامية في فترات الفتن والاضطرابات بالإغارة عليها، ومحاولة النيل من قوتها وتقويض أركانها .
- إن ظروف الحرب والعداء الديني والسياسي بين الدولة الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية لم يمنع من قيام علاقات اقتصادية وتجارية بينهما، بل وجد المسلمون أنفسهم مضطرين لفترة من الزمن للاعتماد على الاقتصاد البيزنطي، إلى أن أتيحت الفرصة بإقامة نظامهم الاقتصادي الخاص في زمن عبد الملك بن مروان، والذي سك العملة الإسلامية لأول مرة في التاريخ، كما لم تمنع المحاولات الإسلامية المتكررة لفتح القسطنطينية من التبادل التجاري بين الطرفين نتيجة لظروف الجوار والاحتكاك، وطبيعة المنطقة التي دار فيها الصراع .
- وهنا دعوة للباحثين لعدم الاقتصار على دراسة النواحي العسكرية و الحربية بين المسلمين وغيرهم، بل يجب أن تتعدى الدراسات التاريخية الإسلامية ذلك، والتوجه نحو دراسة المظاهر الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، بين المسلمين وغيرهم، وأخص بالذكر الروم، إذ أن هناك العديد من الموضوعات التي تستحق الدراسة والبحث، كدراسة أدب السفراء بين المسلمين والروم والمراسلات والهدايا بين المسلمين والبيزنطيين، إلى غير ذلك من الجوانب الحضارية والاجتماعية .
- سقطت القسطنطينية في يد الصليبيين بعد أن وجهوا لها حملة في عام 1204م، وقد دلت دراسة ظروف هذه الحملة إلى أن سقوطها كان ناجماً عن ضعف كبير اعتراها في النواحي كافة، غير أن ظروف المسلمين لم تكن أحسن حالاً، ولهذا لم يوجهوا لها حملة في تلك الفترة التي تميزت بالغزو الصليبي من الغرب، والزحف المغولي من الشرق، حتى ساءت أحوال المسلمين التي تماثل إلى حد كبير أحوال عالمنا الإسلامي في هذه الأيام .
- وضع العثمانيون منذ نشوء دولتهم فتح القسطنطينية نصب أعينهم، ولذلك وضعوا خططهم التي قامت على أساس تطويقها والالتفاف حولها، وهذا يدل على أنهم أخذوا العبرة من المحاولات الإسلامية السابقة، والتي فشلت في اقتحامها لعدم إحكام الحصار حولها، والتي عمل العثمانيون على تفاديها بفتح المناطق الغربية لها، في محاولة لمنع وصول أي من الإمدادات لها.

- ❖ تكررت المحاولات العثمانية لفتح القسطنطينية، لكنها لم تستطع فتحها ليس بسبب عدم إحكام الحصار عليها كما في الحملات السابقة، وإنما بلجوء أباطرة القسطنطينية إلى سلاح جديد لم تستخدمه من قبل، وهو طلب مساعدة أوروبا التي هبت في كثير من الأحيان إلى نجدتها، كونها الحصن الشرقي الذي يحمي أوروبا من نفوذ الإسلام إليها، ولهذا تشكلت أحلاف مسيحية أوروبية استطاعت ولعدة مرات منع العثمانيين من فتح القسطنطينية، وهذا يظهر التطور العسكري الذي وصلت إليه أحوال بيزنطة بابتكار أساليب جديدة لمنع المسلمين من فتحها .
- ❖ أظهرت المحاولات العثمانية لفتح القسطنطينية أن الدافع الديني لأباطرة القسطنطينية لم يكن له أي حساب، بل أزالت تلك المحاولات الفروق الدينية بين الغرب الكاثوليكي والشرق الأرثوذكسي وقد رأينا كيف تمت وحدة الكنيستين قبيل محاولات العثمانيين لفتح القسطنطينية، وهذا بحد ذاته يبين بأن هدف الأوروبيين وإن اختلفت المعتقدات وتباينت الطقوس الدينية ضد المسلمين واحد ورأينا كيف كانت تلك الفوارق تذوب في سبيل صد المسلمين عن نشر دينهم وتبليغ دعوتهم .
- ❖ حقق العثمانيون على البيزنطيين وأحلافهم من الغرب المسيحي العديد من الانتصارات التي تستحق الاحترام والتقدير، والتي أثارت عجب الكثير من الباحثين والمؤرخين، كموقعة نيكوبوليس 798هـ/1396م، وموقعة فارنا 848هـ/1444م، التي عدت من الحروب الفاصلة في التاريخ، وهنا دعوة أخرى إلى الباحثين بضرورة بحث تلك المعارك والأحلاف الصليبية التي قامت ضد الدولة العثمانية، وإفرادها في بحث تاريخي لإظهار المكانة الجلّى التي تبوأها العثمانيون في حماية الإسلام ونشره، والدفاع عن الدين وأهله .
- ❖ استطاع العثمانيون بعقيدتهم الإسلامية وإعدادهم المتواصل تحقيق فتح القسطنطينية وإسقاطها على يد الفاتح عام 1453م، بعد الكثير من الجهود التي بذلت لذلك، وبهذا تحولت من حامية للمسيحية إلى حاضرة إسلامية، فبين عشية وضحاها انقلبت الأمور، وتبدلت الأحوال، وهذا يبرهن على أن الأيام دول، وعلى الحكومات الظالمة أخذ العبرة من ذلك، فمهما طال الزمن، فلا بد أن يأتي اليوم الذي ستتبدل فيه الأحوال، وتنقلب فيه الموازين، وما حال تونس ومصر عنا ببعيد .
- ❖ وصلت الدولة العثمانية في عهد الفاتح إلى درجة من القوة بحيث أصبحت تؤثر في السياسة العالمية، وشكلت العلاقات معها جزءاً مهماً على الساحة السياسية في العالم، وهنا يجدر بنا أن نبين أن هذا المركز العالمي الذي وصلت إليه هذه الدولة لم يكن بشكل مفاجئ، ولكنه كان نتاجاً لعمليات الفتح المستمرة منذ التأسيس الأول لهذه الدولة، وعلى هذا لا بد من أخذ العبر والعظات من ذلك بالتدرج والتروي في إدارة أعمالنا اليومية والحياتية المختلفة .
- ❖ جاء فتح القسطنطينية ليكون نقطة حاسمة في العلاقات العثمانية الأوروبية، فقد قطع العثمانيون بهذا الفتح الطريق على البابوية لفرض سيطرتها على الأقاليم التي كانت تدين بالمذهب

الأرثوذكسي، ومنذ هذه الفترة لم تعد هناك دولة تفصل بين أملاك العثمانيين التي تصل إلى وسط أوروبا، الأمر الذي دفع بالدول الغربية أن تبدي اهتماماً بهذه الدولة القوية، ومحاولة الاستفادة من خبراتها العسكرية وخططها الحربية، على عكس هذه الأيام التي يتهافت فيها حكام العالم العربي والإسلامي لخطب ود الغرب، وتقليده في النواحي كافة .

- ❖ كان نتيجة لذلك أن أصبحت الدولة العثمانية دولة ذات طابع عالمي لم يقتصر ارتباطه على العلاقات مع العالم الغربي، بل تعداه إلى إقامة علاقات مع الدول الإسلامية الموجودة في ذلك الوقت، فقد عقد العالم الإسلامي آماله على هذه الدولة، وبالنظر إلى التهديد الذي تعرضت له هذه الدول من قبل القوى المسيحية، فقد كان كل نصر يحرزه العثمانيون على (الصليبيين) يرفع من شأنهم في البلاد الإسلامية، وفي المقابل كان العثمانيون يعدون دولتهم الحصن الحامي للإسلام ضد المسيحية، فكانت خططهم تستهدف اختراق أوروبا للحيلولة دون سقوط دولة الإسلام في الأندلس إلا أن عوامل عدة لعبت دوراً في فشل هذا المخطط .
- ❖ تمكن العثمانيون بعد فتح القسطنطينية من فتح عدة مناطق في القارة الأوروبية، وبذلك ملأت فراغاً سياسياً وحضارياً في ظل تفردهم بالقوة الإسلامية، الأمر الذي أهلهم لحماية العالم الإسلامي من الأخطار المحدقة فيه من الغرب والشرق، ففتحوا الكثير من البلاد والأماكن، مما أكسبهم الكثير من الثقافات، والعلوم، والأعراق، حتى أصبحت الدولة أشبه بمحيط يعج بالعلوم، والنظم والديانات، والأعراق المختلفة، خاصة أن القسطنطينية ذاتها تأهلت لأن تظل على مكانتها السابقة لكن في ظل الحكم الإسلامي .
- ❖ إن العثمانيين الذين دخلوا القسطنطينية فاتحين لم يكونوا متوحشين كما صورهم العديد من كتاب الغرب، بل كانوا ورثة حضارة الإسلام الرفيعة، والتي أضافوا لها قدراً من فنونهم التي ما زالت ماثلة في الكثير من معالم القسطنطينية إلى اليوم، كما يظهر في الكثير من العمائر والمباني والمساجد في تركيا .

وفي الختام آمل أن يكون هذا البحث قد حقق الغاية المرجوه، وأن يضيف جديداً لمكتبتنا العربية، راجياً من الله التوفيق والسداد، إنه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الملاحق

ملحق رقم (1) الخرائط

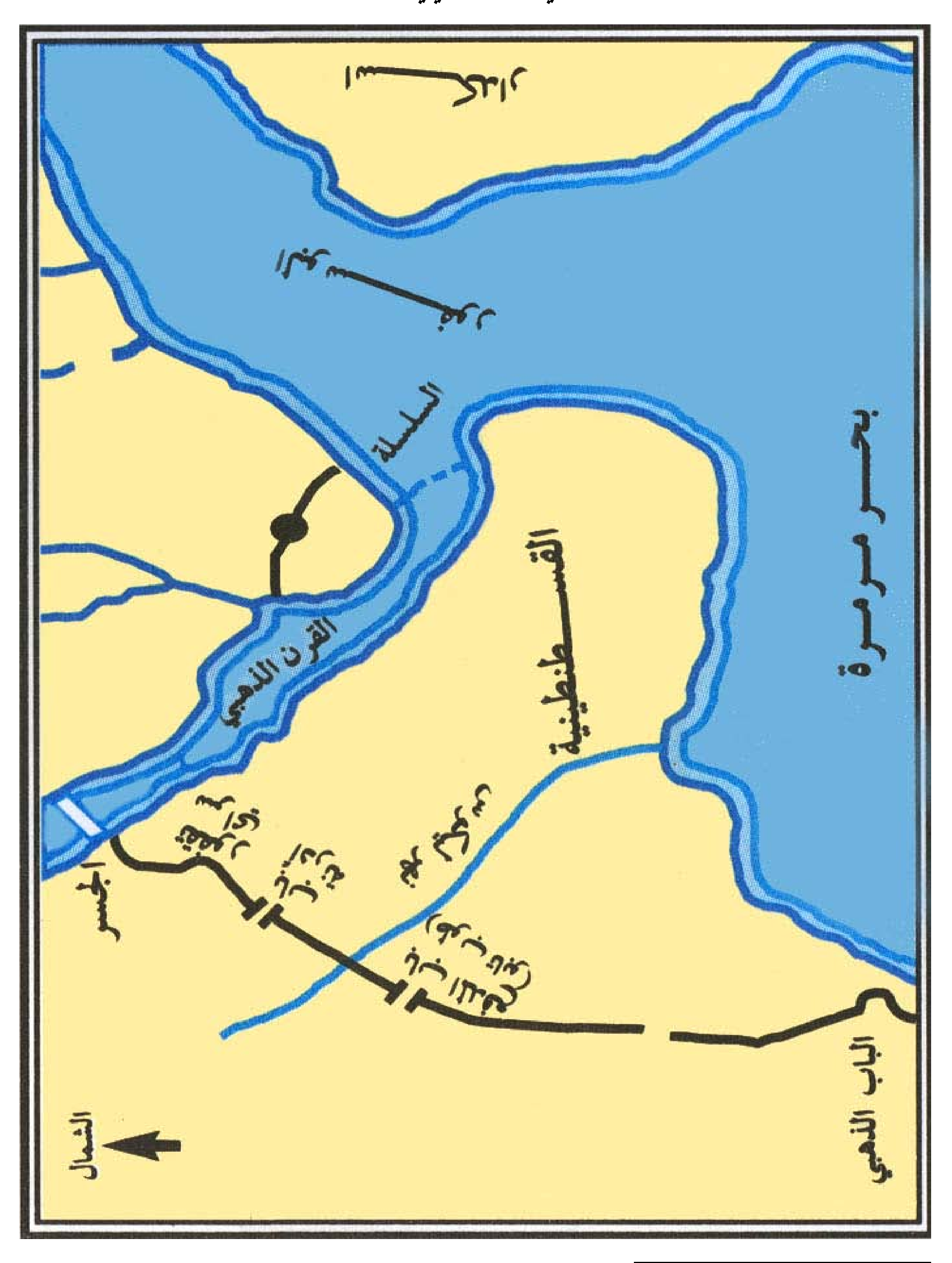
ملحق رقم (2) خطوط الدفاع البيزنطي قبيل فتح القسطنطينية

ملحق رقم (3) جدول ملخص المحاولات الإسلامية لفتح القسطنطينية

ملحق (1) الخرائط

خريطة (1)

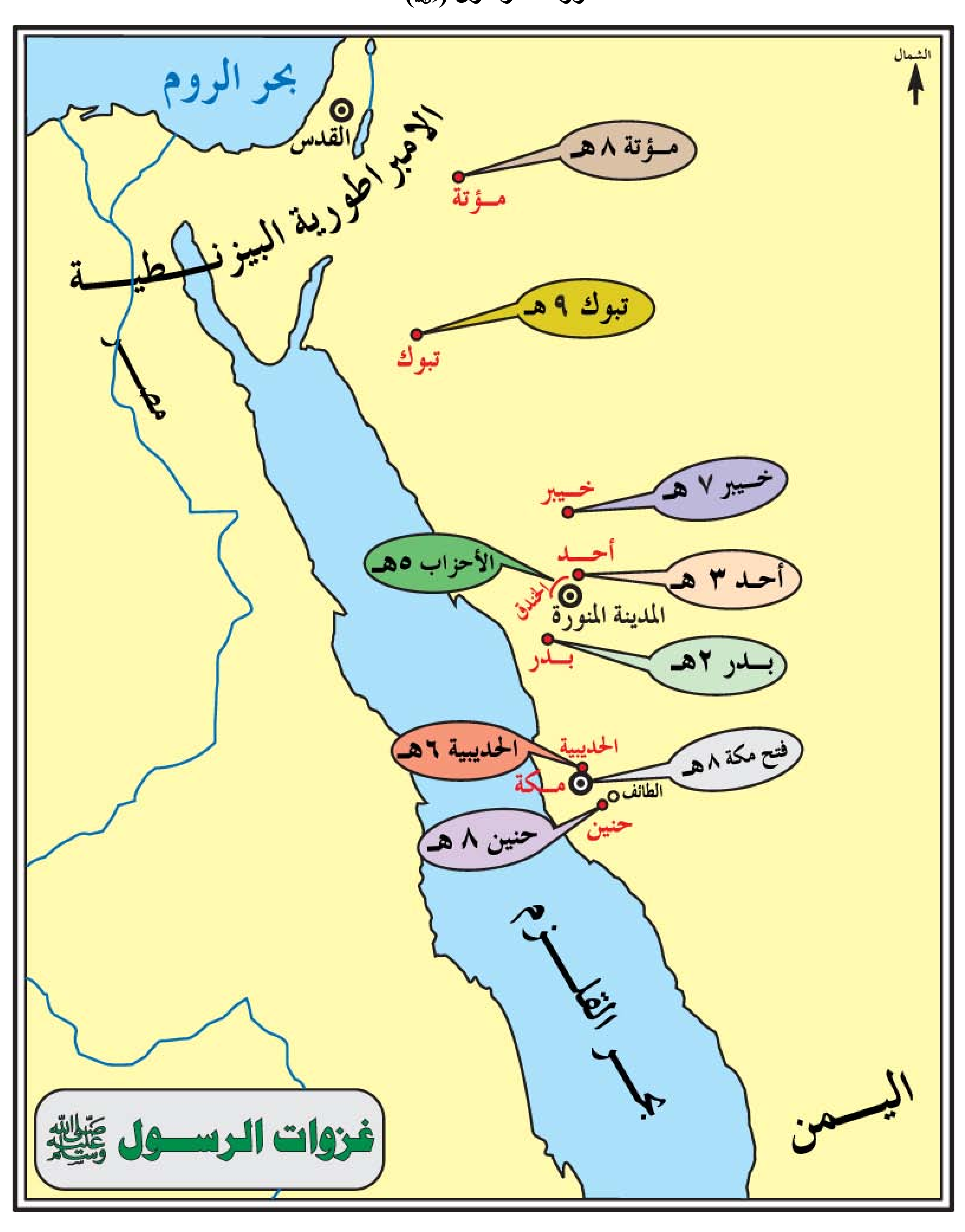
مدينـة القسطنطينيـة [1]



(1) http://www.edu-maps.com

خريطة (2)

غزوات الرسول (ﷺ)[1]



(1) http://www.edu-maps.com

خريطة (3)

خط سير حملة أسامة بن زيد [1]

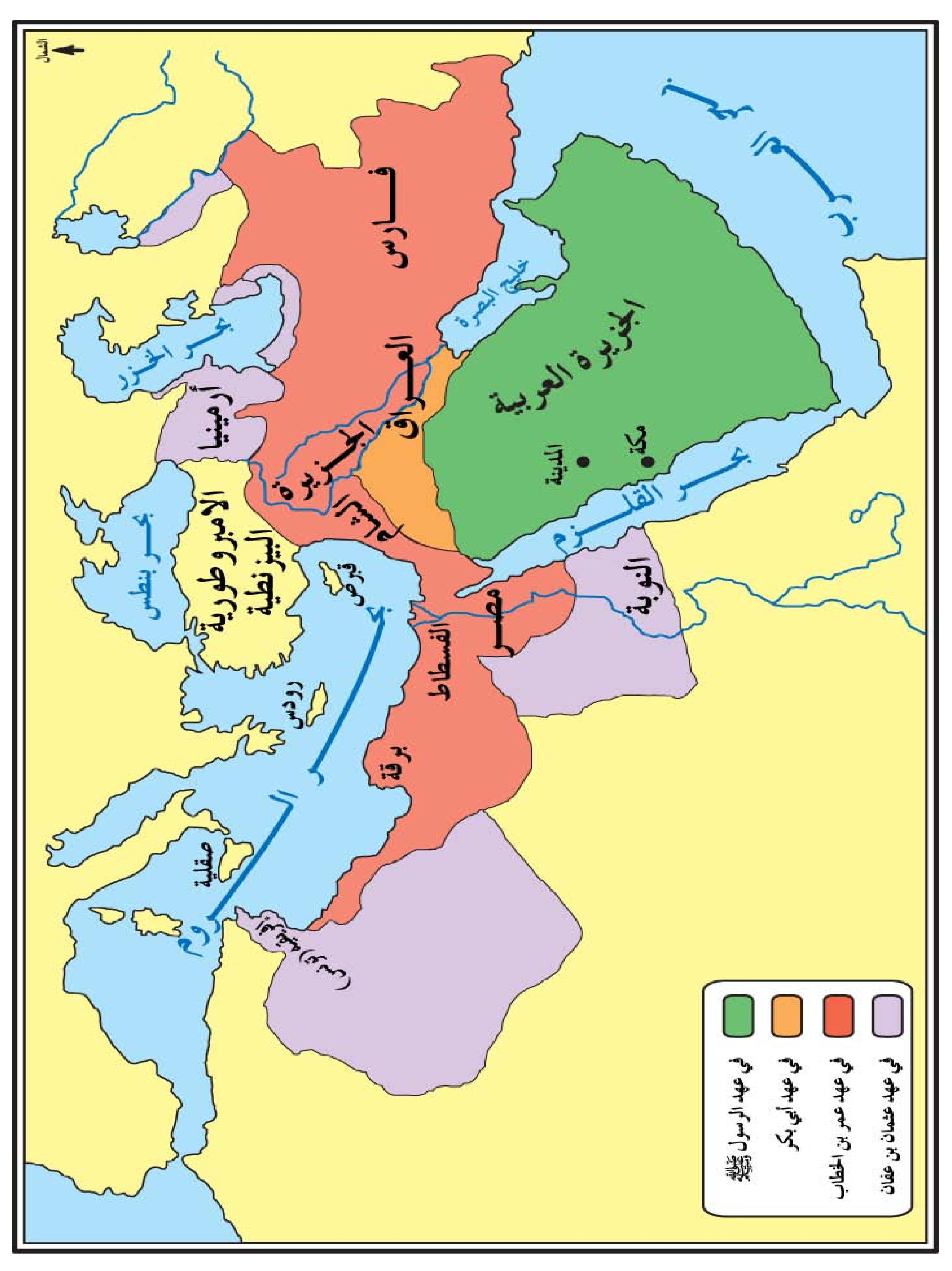


(1) http://www.edu-maps.com

خريطة (4)

الدولة الإسلامية في عهد الرسول(ﷺ)

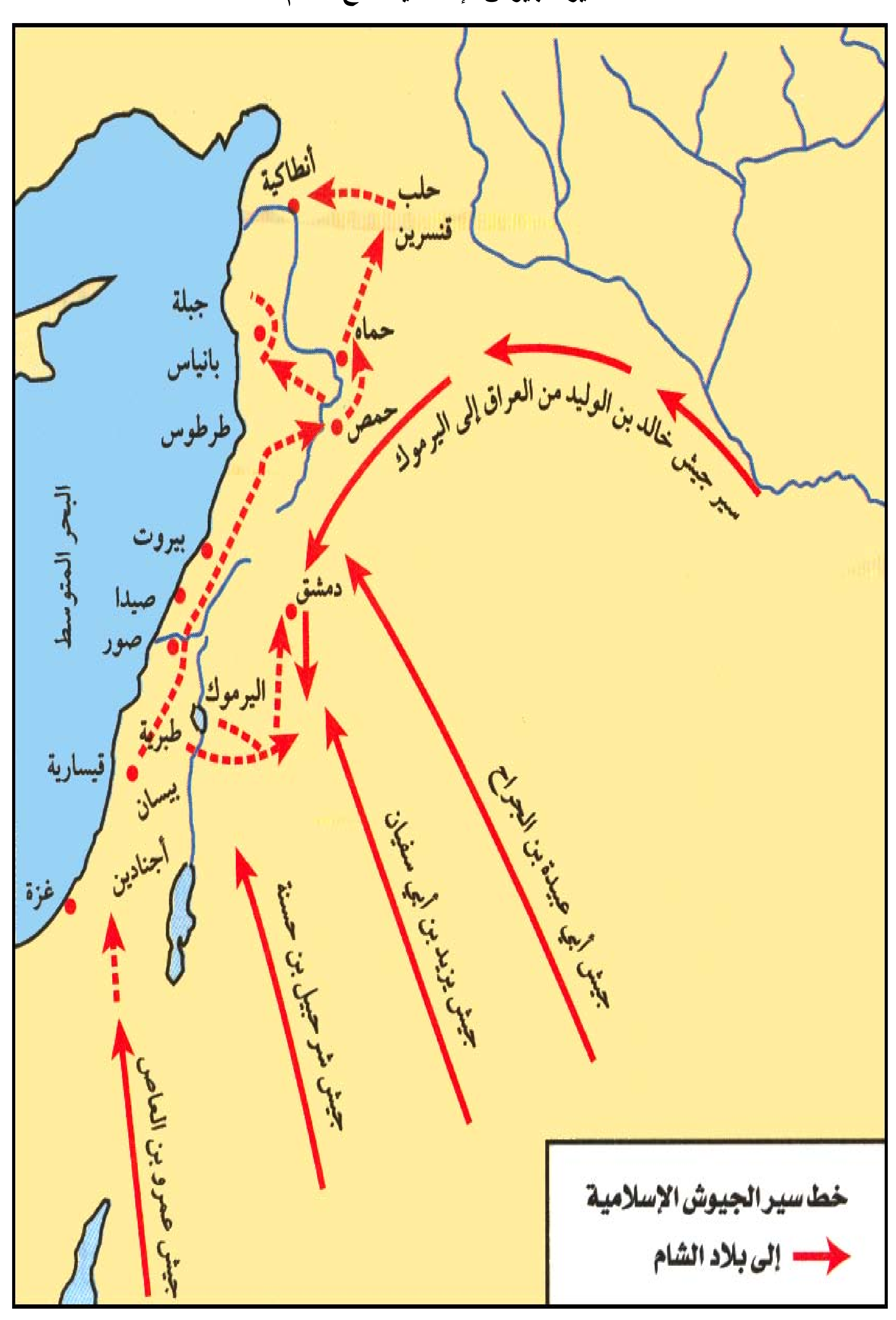
وحتى أواخر عهد عثمان بن عفان (رضي الله عنه) [1]



(1) http://www.edu-maps.com

خريطة (5)

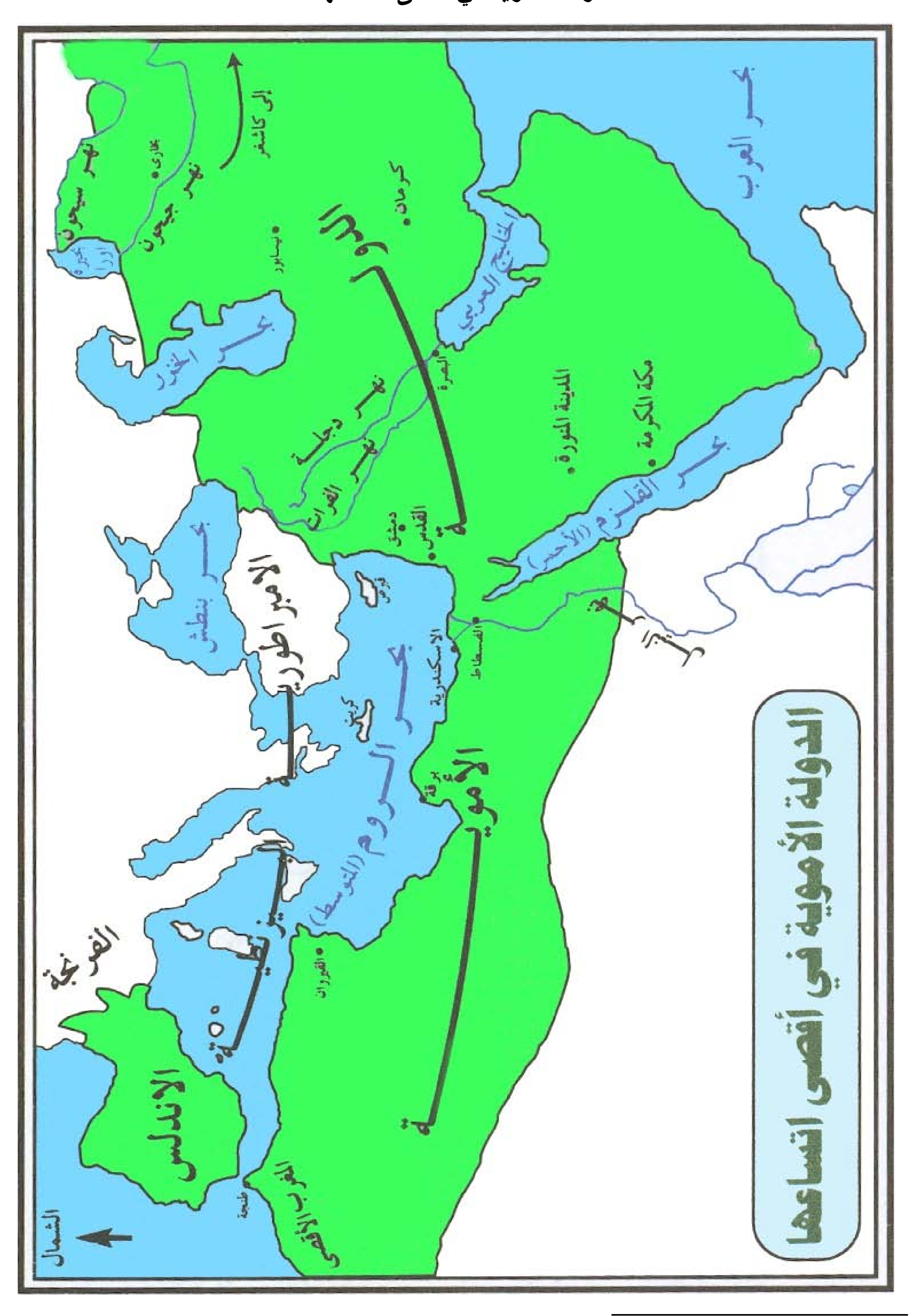
خط سير الجيوش الإسلامية لفتح الشام [1]



(1) http://www.edu-maps.com

خريطة (6)

الدولة الأموية في أقصى اتساعها [1]



(1) http://www.edu-maps.com

خريطة (7)

الثغور الإسلامية على الحدود البيزنطية [1]

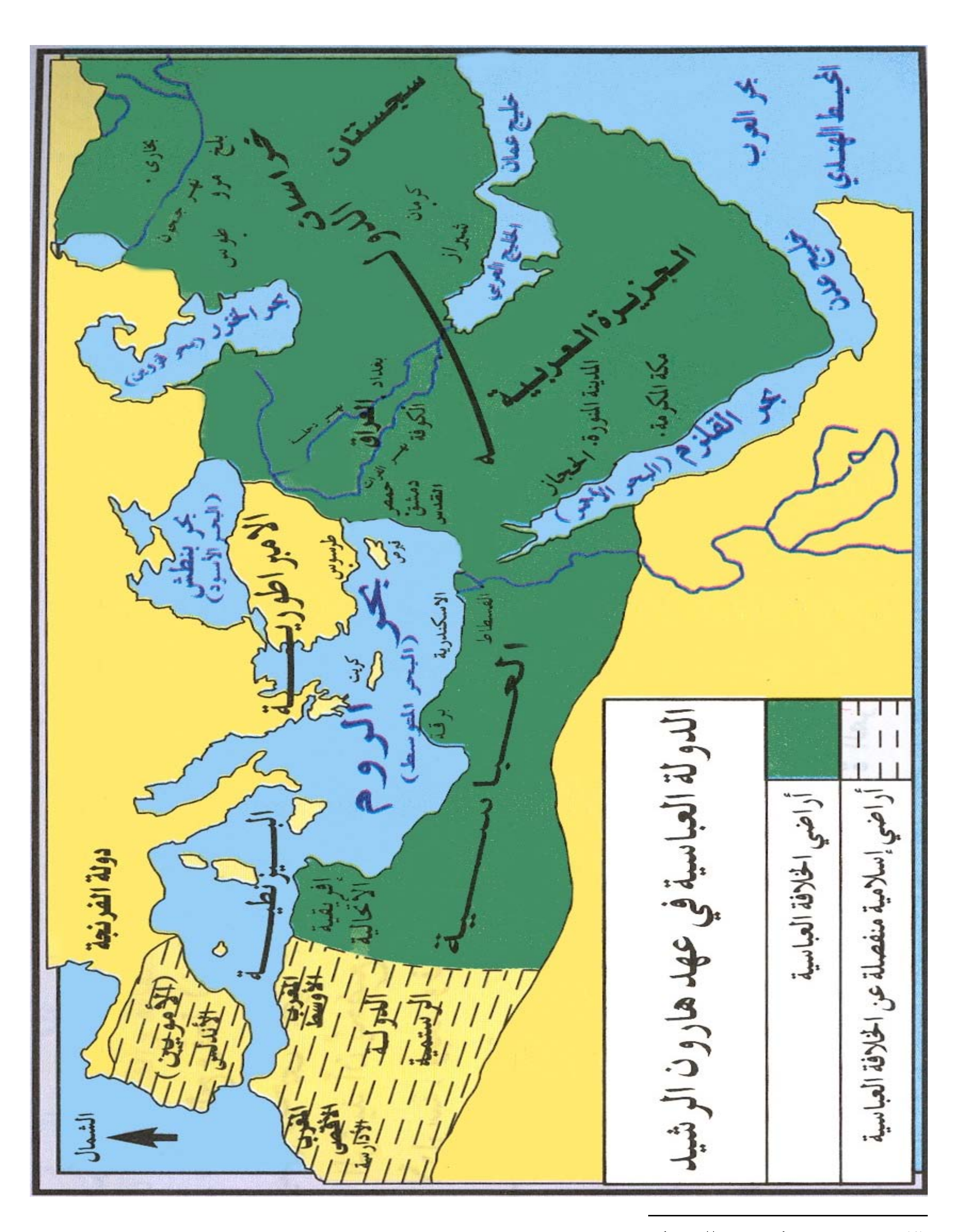


---

(1) http://www.edu-maps.com

خريطة (8)

الدولة العباسية زمن هارون الرشيد [1]

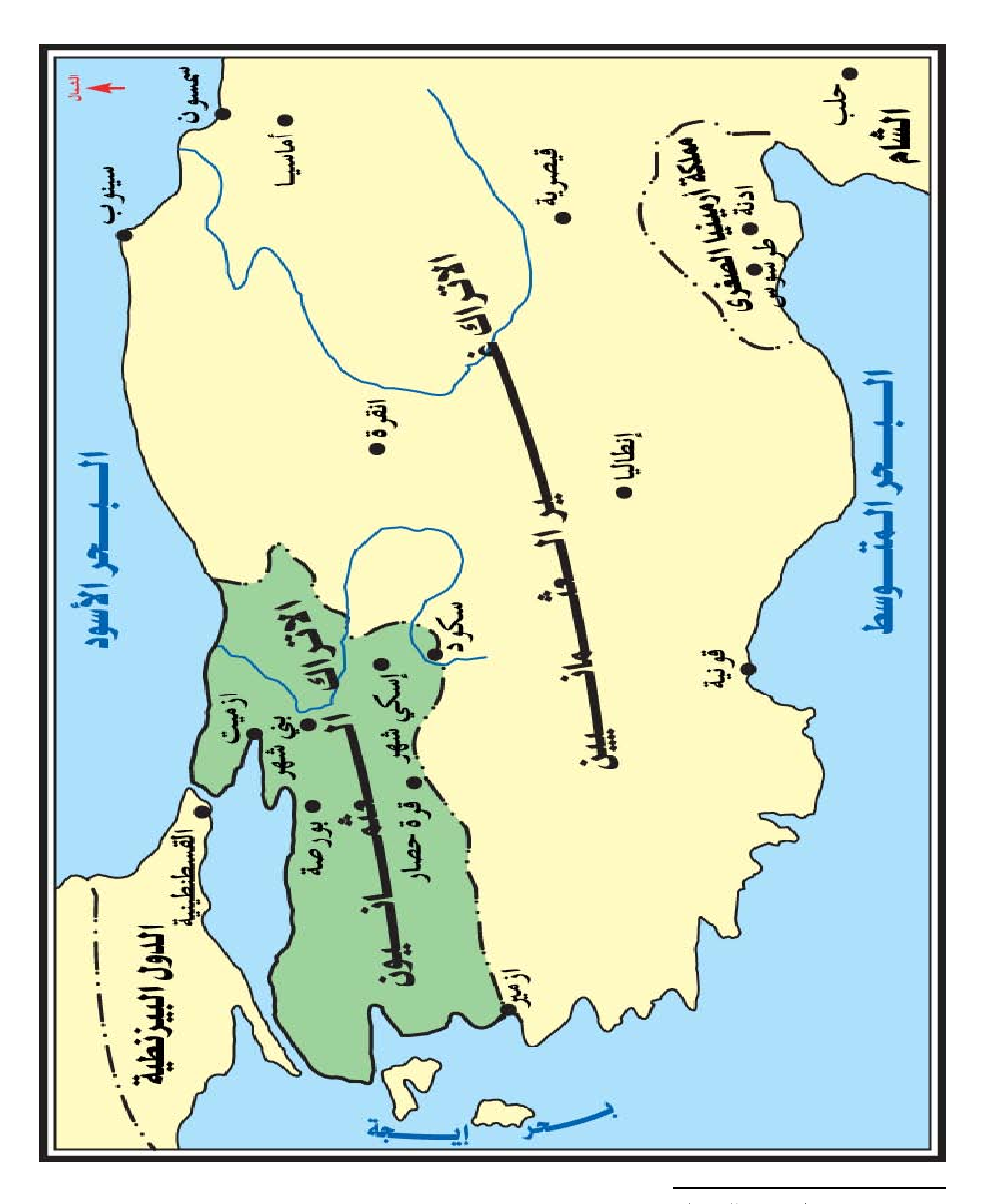


---

(1) http://www.edu-maps.com

خريطة (9)

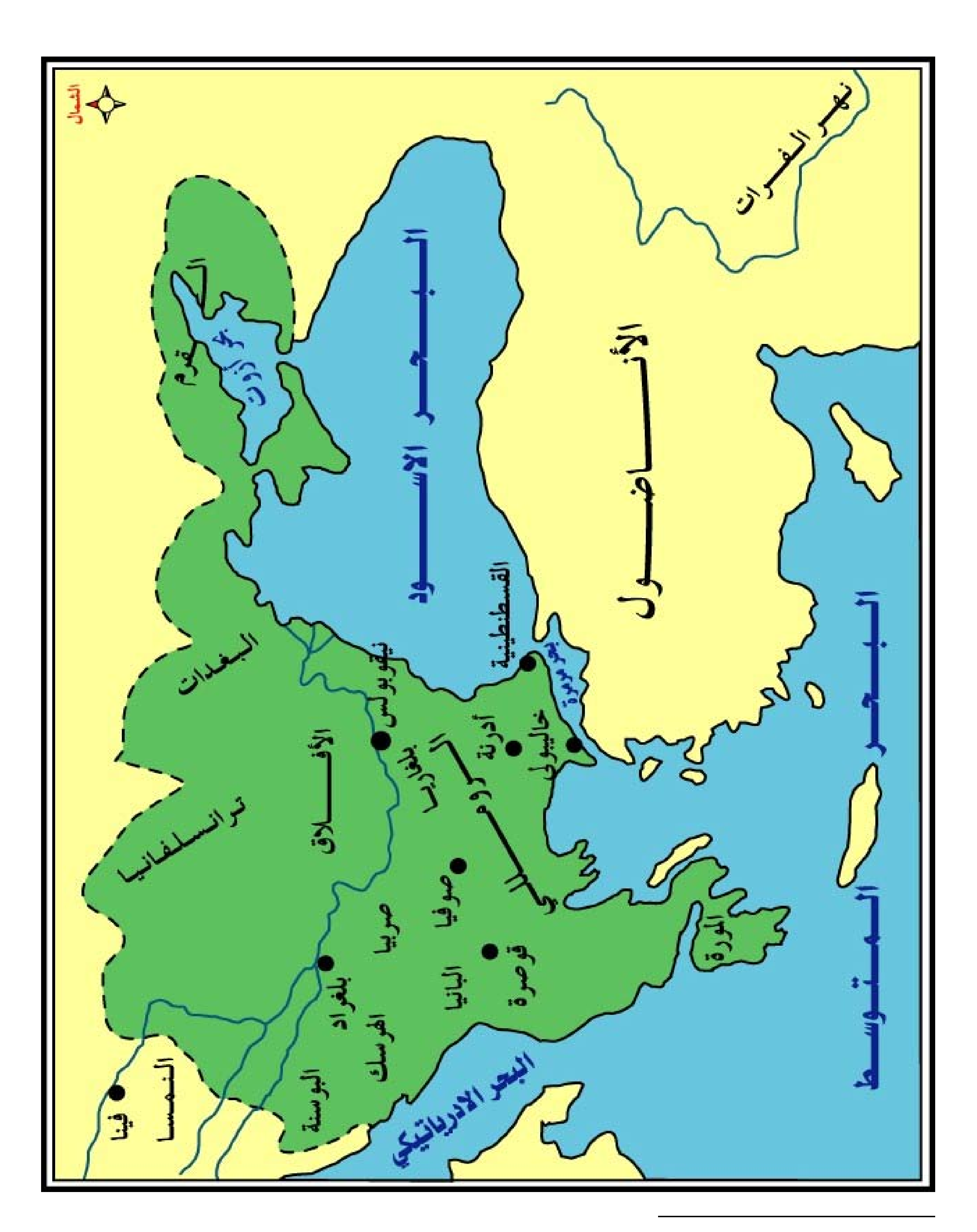
نشوء الدولة العثمانية [1]



(1) http://www.edu-maps.com

خريطة (10)

الفتوحات العثمانية في أوروبا [1]

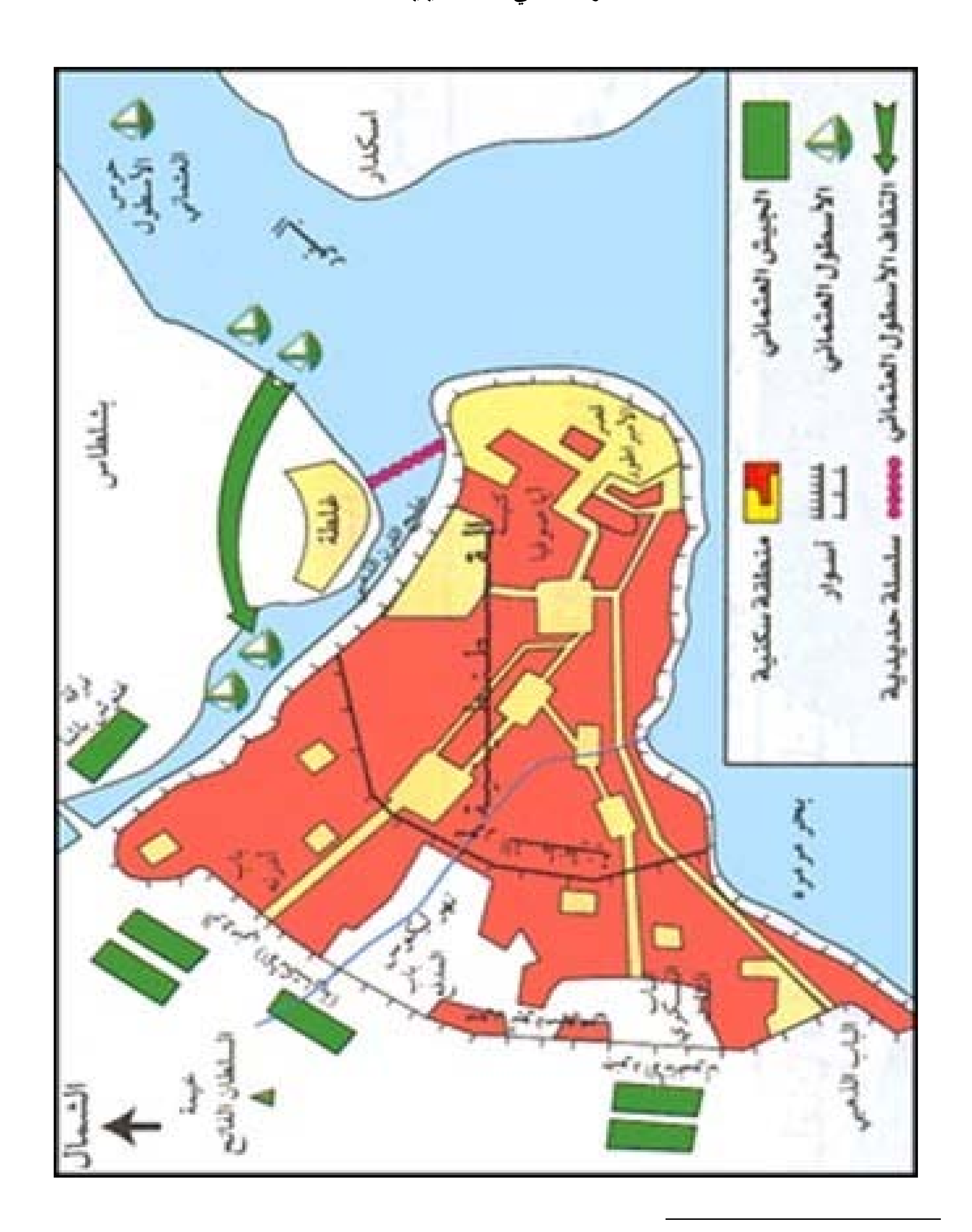


---

(1) http://www.edu-maps.com

خريطة (11)

الحصار العثماني للقسطنطينية[1]



(1) http://www.**google.ps/images**

ملحق (2)

خطوط الدفاع البيزنطي قبيل فتح القسطنطينية[1]

(1) هرماس، غسان، **السيد العظيم محمد الفاتح** 90

ملحق (3)

جدول ملخص المحاولات الإسلامية لفتح القسطنطينية

الحملة	الخليفة الذي وجهها	قائد الحملة	تاريخها	عدد المشاركين	مدة الحصار	ملاحظات
الأولى	عثمان بن عفان	معاوية بن أبي سفيان	32هـ/653م	30 ألف مقاتل	لم تصل القسطنطينية	وصلت إلى الأناضول فقط
الثانية	معاوية بن أبي سفيان	يزيد بن معاوية	49هـ/669م	غير محدد	3 -5 شهور	
الثالثة	معاوية بن أبي سفيان	***********	54 - 60هـ 673 - 679م	غير محدد	سبع سنوات	كان لكل عام قائدة في البر والبحر
الرابعة	سليمان بن عبد الملك	مسلمة بن عبد الملك	98هـ/716م	120 ألف مقاتل	20 شهراً	
الخامسة	المهدي بن المنصور	هارون الرشيد	165هـ/781م	95793 مقاتل	لم تحاصر القسطنطينية	
السادسة	هارون الرشيد	هارون الرشيد	190هـ/805م	120ألف مقاتل	لم تحاصر القسطنطينية	حاصرت هرقلة
السابعة	المعتصم بن هارون الرشيد	المعتصم	223هـ/837م	جيش كبير	لم تحاصر القسطنطينية	حاصرت عمورية ورابطت عند خليج القسطنطينية
الثامنة	بايزيد الأول	بايزيد الأول	797هـ/1394م	قرابة 120 ألف مقاتل	سبعة شهور	
التاسعة	بايزيد الأول	بايزيد الأول	802هـ/1401م	غير محدد	يقال إن الحصار استمر لوفاة بايزيد	
العاشرة	مراد الثاني	مراد الثاني	825هـ/1422م	20- 30 ألف مقاتل	ثلاثة أشهر	
الحادية عشرة	محمد الثاني (الفاتح)	محمد الثاني (الفاتح)	857هـ/1453م	150 ألف مقاتل	ثلاثة وخمسين يوماً	فتح القسطنطينية

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية

ثانياً: الرسائل الجامعية

ثالثاً: الدوريات

رابعاً: المصادر والمراجع الأجنبية

= المعربة

= غير المعربة

خامساً: المواقع الإلكترونية

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية

1. === - **القرآن الكريم**

2. الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت 850هـ/1446م)

- **المستطرف في كل فن مستظرف**، تحقيق وتعلق: محمد مهنا، خرج أحاديثه: محمد بيومي، مكتبة الإيمان، ط2، المنصورة 2006م

3. ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم (ت 630هـ/1232م)

- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود دار الكتب العلمية، (د.ط) بيروت (د.ت) (8أجزاء)
- **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت - لبنان 1407هـ/1987م (11جزء)

4. الإدريسي، محمد بن إدريس (ت 560هـ/1164م)

- **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، عالم الكتب، ط1، بيروت 1410هـ/1989م(جزءان)

5. إسكندر، فايز

- **الفتوحات الإسلامية لأرمينيا11-40هـ/632-661م** (مؤرخو الأرمن في العصور الوسطى1 جيفوند) دار نشر الثقافة (د.ط) الإسكندرية 1983م

6. الإصطخري، إبراهيم أبو القاسم (340هـ/951م)

- **مسالك الممالك**، تحقيق: محمد جابر الحييني، مراجعة: محمد شفيق غربال، (د.ن) ط1 (د.م) 1381هـ/1961م

7. آصف، يوسف بك

- **تاريخ سلاطين بني عثمان**، تقديم: محمد زينهم محمد غزب، مكتبة مدبولي، ط1 القاهرة 1415هـ/1995م

8. الأصفهاني، علي بن الحسين (ت 356هـ/976م)

- **الأغاني**، تحقيق: أحمد عبد الستار فراج، دار الثقافة، (د.ط)، بيروت 1958م (20جزء)

9. ابن أعثم، أحمد الكوفي (ت314هـ/926م)

- **الفتوح**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت – لبنان 1406هـ/1986م (4أجزاء)

10. الألباني، ناصر الدين

- **سلسلة الأحاديث الضعيفة**، مكتبة المعارف، ط1، الرياض، (د.ت) (11جزء)
- **السلسلة الصحيحة**، مكتبة المعارف، ط1، الرياض، (د.ت) (7أجزاء)
- **صحيح الجامع**، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ط3 1990م

11. أوغلي، أكمل الدين

- **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، مركز الأبحاث للتاريخ والثقافة الإسلامية، (د.ط) إسطنبول 1999م

12. ابن إياس، محمد بن أحمد (ت930هـ/1524م)

- **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، مصر 2008م (6أجزاء)

13. البخاري، محمد بن إسماعيل (ت256هـ/ 869م)

- **التاريخ الكبير**، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، بيروت 1407 (12جزء)
- **صحيح البخاري**، تحقيق: مصطفى البغا، دار ابن كثير، ط2، بيروت 1407هـ (6أجزاء)

14. بركات، وفيق

- **فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي**، معهد التراث العلمي العربي، (د.ط) حلب 1416هـ/1995م

15. ابن برهان الدين، علي (ت841هـ/1437م)

- **السيرة الحلبية إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون**، دار المعرفة للطباعة والنشر ط1، (د.م) 1990م (3أجزاء)

16. البسوي، يعقوب بن سفيان (ت 277هـ/890م)

- **المعرفة والتاريخ**، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مكتبة الدار، ط1، المدينة المنورة 1410هـ (3أجزاء)

17. ابن بطوطة، محمد بن إبراهيم (ت779هـ/1377م)

- **الرحلة**، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت 1418هـ/1997م

18. البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت463هـ/1069م)

- **تاريخ بغداد وذيله المستفاد**، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1 (د.م)، 1422هـ/2001م (21جزء)

19. البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز(ت478هـ/1092م)

- **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتاب ط3، بيروت 1403هـ/1982م (4 أجزاء)

20. البلاذري، أحمد بن يحيى (ت279هـ/892م)

- **أنساب الأشراف**، الجزء الأول بتحقيق: محمد حميد الله، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ودار المعارف، (د.ط) مصر 1959م، وباقي الأجزاء بتحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، مكتبة البحوث والدراسات، دار الفكر، ط1، بيروت – لبنان 1417هـ/1996م (13جزء)
- **فتوح البلدان**، تعليق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، (د.ط) بيروت لبنان 1412هـ/1991م

21. الترمذي، محمد بن عيسى (ت 297هـ/909م)

- **سنن الترمذي**، تحقيق: بشار عواد معروط، دار الجيل، ط2، بيروت – لبنان 1418هـ/1998م (6أجزاء)

22. ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف (ت 874هـ/1469م)

- **حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور**، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب ط1،(د.م) 1410هـ/1990م (جزءان)
- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق: جمال الدين الشيال، دار الكتاب (د.ط)، القاهرة 1390هـ/1970م (5أجزاء)

23. أبو تمام، حبيب بن أوس (ت 231هـ/845م)

- **ديوانه**، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، ط4 (د.م) (د.ت) (4أجزاء)

24. توفيق، عمر كمال

- **تاريخ الدولة البيزنطية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(د.ط)، الإسكندرية 1977م

25. التونجي، محمد

- **بلاد الشام إبان العهد العثماني**، دار المعرفة، ط1، لبنان – بيروت 1425هـ/2004م

26. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت728هـ/1723م)

- **مجموع الفتاوى**، جمع وترتيب عبد الرحمن قاسم وابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1، المدينة المنورة 1416هـ
- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية**، تحقيق: محمد رشاد سالم جامعة الإمام محمد، (د.ط) الرياض 1406هـ

27. الجاحظ، عمرو بن بحر(ت255هـ/868م)
- **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي،ط4، القاهرة 1975م (4أجزاء)
28. جاويش، سليمان بطرس
- **التحفة السنية في فتح القسطنطينية**، دار صادر، (د.ط) بيروت 1887
29. جرار، مأمون
- **الغزو المغولي أحداث وأشعار**، دار البشير، ط1، عمان – الأردن 1404هـ
30. جمعة، محمد
- **المكاييل والموازين الشرعية**، القدس للإعلان والنشر والتوزيع، ط2، القاهرة 1421هـ/2001م
31. الجنزوري، علية
- **الإمبراطورة إيرين**، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ط) مصر 1981م
- **الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية**، مكتبة الأنجلوا، (د.ط) القاهرة 1979م
32. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (597هـ/1200م)
- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، دار صادر، ط1، بيروت 1358هـ/1939م (18جزء)
33. الحاكم، محمد بن عبد الله (ت 405هـ/1014م)
- **المستدرك على الصحيحين**، مراجعة مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ط1 بيروت 1411هـ (4أجزاء)
34. ابن حبان، محمد بن حبان (ت 354هـ/965م)
- **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، مراجعة: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة،(د.ط)، بيروت1414هـ
35. ابن حبيب، أبو جعفر محمد (ت 245هـ/859م)
- **كتاب المحبر**، صححه: إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، (د.ط) بيروت (د.ت)

36. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت 852هـ/1449م)

- **إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة**، تحقيق: زهير بن ناصر الناصر وآخرين، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1، السعودية 1415هـ/1994م (19جزء)
- **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق : محمد البجاوي، دار الجيل، ط1، بيروت 1412هـ/1992م (4أجزاء)
- **إنباء الغمر بأبناء العمر**، تحقيق: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، (د.ط) القاهرة 1419هـ/1998م (4أجزاء)
- **تقريب التهذيب**، تقديم: محمد عوامة، دار الرشيد، ط4، حلب 1412هـ/1992م
- **تهذيب التهذيب**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت – لبنان 1404هـ/1984م (12جزء)

37. حرب، محمد

- **العثمانيون في التاريخ والحضارة**، دار القلم، ط1، دمشق 1409هـ/1989م

38. ابن حزم، علي بن أحمد (465هـ/1063م)

- **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف ط2،1386هـ/1962م
- **جوامع السير**، تحقيق: إحسان عباس، وناصر الدين الأسد، مراجعة: أحمد شاكر، دار المعارف (د.ط) مصر(د.ت)

39. حسن، إبراهيم حسن

- **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، (د.ن) ط7، (د.م) 1384هـ/1964م

40. حسون، علي

- **الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية**، المكتب الإسلامي، ط3، بيروت 1403هـ/1983م

41. حليم، إبراهيم بك

- **التحفة الحلمية في تاريخ الدولة العلية**، مطبعة عموم الأوقاف، ط1، (د.م) 1323هـ/1905م

42. الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ/1228م)

- **معجم البلدان**، دار صادر، (د.ط)، بيروت 1397هـ/1977م (5 أجزاء)

43. الحميدي، عبد العزيز

- **التاريخ الإسلامي مواقف وعبر**، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ط1، الإسكندرية 1418هـ/1997م (20جزء)

44. الحميري، محمد عبد المنعم (727هـ/1326م)

- **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مطبعة لبنان، ط2، بيروت 1984م

45. ابن حنبل، أحمد بن محمد (ت241هـ/854م)

- **المسند**، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ط2، بيروت 1389هـ/1979م (6أجزاء)

46. الحنبلي، شاكر

- **التاريخ العثماني**، (د.ن)، (د.ط) دمشق 1912م

47. الحويري، محمود

- **تاريخ الدولة العثمانية**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، ط1، القاهرة 2002م

48. خالد، محمد خالد

- **رجال حول الرسول**، دار ثابت، ط3، القاهرة 1407هـ/1987م

49. ابن خرداذبة، عبيد الله بن عبد الله (ت300هـ/912م)

- **المسالك والممالك**، ليدن (د.ط)، (د.م) 1889م

50. الخضري، محمد

- **الدولة الأموية**، المكتبة التجارية الكبرى، (د.ط) مصر (د.ت)

51. خطاب، محمود

- **بين العقيدة والقيادة**، دار الفكر، ط1، بيروت (د.ت)

52. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/1406م)

- **تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)**، ضبط المتن ووضع الفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، ط1، بيروت - لبنان 1421هـ/2000م (7 أجزاء)

53. خماش، نجدت

- **الشام في صدر الإسلام**، دار الفكر، ط1، (د.م) 1400هـ/1980م

54. خنفر، خلقي

- **تاريخ الحضارة الإسلامية**، دار الإسراء، ط1، 1412هـ/1991م
- **تاريخ الدعوة في حياة الرسول**، ط2، (د.م) 1419م/1999م
- **الخلافة الراشدة**، دار العودة ، ط1، القدس 1407هـ/1987م
- **الدولة الأموية**، (د.ن)، ط1، (د.م) 1422هـ/2001م

55. ابن أبي خيثمة، أحمد (ت 279هـ/ 892م)
- **تاريخه المعروف بالتاريخ الكبير**، تحقيق: صلاح فتحي هلل، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط1، القاهرة 1424هـ/2003م (4 أجزاء)
56. أبو داود، سليمان بن الأشعث (ت 275هـ/888م)
- **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، منشورات إحياد التراث العربي (د.ط)، بيروت (د.ت) (4أجزاء)
57. دحلان، أحمد زيني
- **الفتوحات الإسلامية**، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة 1387هـ/1968م (جزئين)
58. الدسوقي، كمال
- **الدولة العثمانية والمسألة الشرقية**، دار الثقافة للطباعة والنشر، (د.ط) القاهرة 1976م
59. ابن دقماق، إبراهيم بن محمد (809هـ/ 1406م)
- **الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين**، تحقيق: سعيد عاشور، جامعة أم القرى، (د.ط) مكة المكرمة 1403هـ/1983م
60. الدمشقي، محمد بن أبي طالب (ت727 هـ/1327م)
- **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1998م
61. دهيش، عبد اللطيف
- **قيام الدولة العثمانية**، مطبعة النهضة الحديثة، (د.ط) مكة المكرمة 1419هـ/1988م
62. دياب، صابر
- **المسلمون وجهادهم ضد الروم في أرمينيا والثغور الجزرية والشامية**، مكتبة السلام العالمية، (د.ط)، (د.م) 1404هـ/1984م
63. الديار بكري، حسين بن محمد (ت 966هـ/1558م)
- **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، (د.ط) بيروت (د.ت) (جزءان)
64. ديك، أغناطيوس
- **الحضور المسيحي في حلب خلال الألفين المنصرمين**، (د.ن) ط1، دمشق 2002م
65. الدينوري، أحمد بن داود (ت 282هـ/895م)
- **الأخبار الطوال**، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط1، القاهرة 1380هـ/1960م

66. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت748هـ/1347م)

- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت 1411هـ
- **تذكرة الحفاظ**، مراجعة: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار الكتب العلمية، (د.ط) بيروت 1374هـ
- **دول الإسلام**، تحقيق: حسن إسماعيل مروة، قراءة وتقديم: محمود الأرناؤوط، دار صادر ط1، بيروت– لبنان 1999م (جزئين)
- **سير أعلام النبلاء**، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3 بيروت 1405هـ/1985م (25جزء)
- **العبر في خبر من غبر**، تحقيق: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية،ط1، بيروت 1405هـ

67. الرازي، محمد بن عبد القادر (666هـ/1268م)

- **مختار الصحاح**، ترتيب: محمود خاطر، تخطيط وضبط: حمزة فتح الله، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر، ط1، بيروت 1417هـ/1996م

68. ربيع، حسنين محمد

- **دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية**، دار النهضة العربية، (د.ط)، القاهرة 1403هـ/1983م

69. رستم، أسد

- **حرب الكنائس**، الكتبة البوليسية، ط2، بيروت 1991م
- **الروم في سياستهم وحضارتهم**، منشورات المكتبة البوليسية، ط2، بيروت 1988م (جزءان)
- **كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى**، المكتبة البوليسية، ط2، بيروت 1988م (3أجزاء)

70. الرشيدي، سالم

- **محمد الفاتح**، دار البشير للثقافة والعلوم، ط1، طنطا 1420هـ/2000م

71. الرفاعي، أنور

- **النظم الإسلامية**، دار الفكر، ط1، بيروت 1393هـ/1973م

72. رمضان، عبد العظيم

- **الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية**، دار المعارف، (د.ط)، القاهرة 1983م

73. زادة، طاشكبري

- **الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية**، دار الكتاب العربي، (د.ط) بيروت 1395هـ/1975م

74. الزبيدي، مرتضى محمد بن محمد (ت1205هـ/1790م)

- **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج وآخرون، وزارة الإرشاد والأنباء، (د.ط) الكويت 1385هـ/1965م (40جزء)

75. الزبيري، مصعب بن عبد الله (ت236هـ/850م)

- **كتاب نسب قريش**، تصحيح وتعليق: ليفي بروفنسيال، دار المعارف، ط3، القاهرة 1982م

76. أبو زرعة، عبد الرحمن بن عمرو (ت 292هـ/905م)

- **تاريخ أبو زرعة**، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 1417هـ/1996م

77. الزركلي، خير الدين

- **الأعلام قاموس تراجم الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم للملايين، ط6، بيروت – لبنان 1405هـ/1985م (8أجزاء)

78. زيتون، عادل

- **العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى**، دار دمشق، ط1، دمشق 1980م

79. زيدان، جرجي

- **تاريخ التمدن الإسلامي**، دار مكتبة الحياة، ط2، بيروت – لبنان (د.ت) (جزءان)

80. سالم، السيد عبد العزيز و زميله

- **تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط**، مؤسسة شباب الجامعة (د.ط)، الإسكندرية 1971م
- **دراسات في تاريخ العرب العصر العباسي الأول**، مؤسسة شباب الجامعة، ط1، (د.م) 2008م

81. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (902هـ/1497م)

- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار الجيل، ط1، (د.م) 1412هـ/1992م (12جزء)

82. ابن سعد، محمد بن سعد (ت230هـ/844م)

- **الطبقات الكبرى**، تحقيق علي محمد عمير، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة 1421هـ/2001م (11جزء)

83. السعيد، أحمد

- **تاريخ الدولة الإسلامية تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسَر الحاكمة**، دار المعارف (د.ط) القاهرة (د.ت)

84. سليمان، أحمد

- **المسلمون والبيزنطيون**، مطبعة السعادة، (د.ط) القاهرة 1980م

85. ابن سيد الناس، محمد بن محمد (ت 734هـ/1334م)

- **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، تحقيق: محمد العيد الخطراوي تعليق: محيي الدين متو، مكتبة دار التراث (د.ط)، المدينة المنورة، (د.ت) (جزءان)

86. السيد، محمود

- **تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها**، مؤسسة شباب الجامعة، ط2، القاهرة 2000م

87. سيرهنك، الميرلاي إسماعيل

- **حقائق الأخبار عن دول البحار**، المطبعة الأميرية، ط1، بولاق- مصر 1341هـ/1923م، (3أجزاء)

88. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ/1505م)

- **تاريخ الخلفاء**، دار الفكر، ط1، بيروت 1394هـ/1974م
- **لب اللباب في تحرير الأنساب**، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، أشراف: أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، (د.ط) بيروت (د.ت) (جزءان)

89. ابن شاهين، غرس الدين خليل (873هـ/1468م)

- **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، اعتنى بتصحيحه: بولس راويس المطبعة الجمهورية، (د.ط) باريس 1893م

90. ابن شداد، محمد بن علي(684هـ/ 1285م)

- **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، تحقيق: يحيى زكريا عبارة، وزارة الثقافة، (د.ط)، دمشق 1412هـ/1991م
- **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، تحقيق: أحمد أيبش، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، (د.م) 2003م

91. الشناوي، عبد العزيز

- **أوروبا في مطلع العصور الحديثة،** نشر دار المعارف، (د.ط) مصر1389هـ (جزءان)
- **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها،** مطبعة جامعة القاهرة، (د.ط) القاهرة 1403هـ/1983م (3أجزاء)

92. الشنتريني، علي بن بسام (ت 542هـ/1147م)

- **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،** تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، (د.ط) بيروت 1417هـ/1997م

93. شوقي، أحمد

- **الشوقيات،** دار العودة، (د.ط) بيروت 1986م

94. الشوكاني، محمد بن علي (ت1250هـ/ 1834م)

- **- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع** ، وضع حواشيه: خليل منصور، دار الكتب العملية، ط1، بيروت – لبنان 1418هـ/ 1998م (جزءان)

95. الشيباني، أحمد بن عمرو (ت 287هـ/900م)

- **الآحاد والمثاني،** تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، دار الراية، ط1، الرياض 1411هـ

96. شيخ الربوة، محمد بن أبي طالب (727هـ/1327م)

- **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر،** دار إحياء التراث العربي، ط2، (د.م) 1998م

97. الشيخ، محمد مرسي

- **تاريخ الإمبراطورية البيزنطية،** دار المعرفة الجامعية، (د.ط) الإسكندرية 1994م

98. صبرة، عفاف

- **الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان،** دار النهضة المصرية ط1، القاهرة 1982م

99. صفوت، محمد

- **فتح القسطنطينية وسيرة السلطان محمد الفاتح،** منشورات الفاخرية، (د.ط) الرياض (د.ت)

100. الصلابي، علي محمد

- **الدولة العثمانية عوامل الازدهار وأسباب السقوط** ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ط1، مصر 1421هـ/2001م
- **فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح،** دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، ط1 الإسكندرية 2001م

101. الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ/922م)

- **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، القاهرة مصر 1970م (11جزء)

102. الطحاوي، حاتم

- **الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام**، عين للدراسات والبحوث، ط1، (د.م) 1999م
- **بيزنطة والمدن الإيطالية**، عين للدراسات والبحوث، ط1، (د.م) 1998م
- **دراسات في تاريخ العصور الوسطى**، عين للدراسات والبحوث، ط1، (د.م) 2003م

103. ابن الطقطقى، محمد بن علي طباطبا (ت709هـ/1309م)

- **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، دار صادر، (د.ط)، بيروت 1386هـ/1966م

104. طقوش، محمد سهيل

- **تاريخ الدولة الأموية**، دار النفائس، ط1، بيروت 1416هـ

105. ابن طولون، محمد بن علي (ت 953هـ/1546م)

- **قيد الشريد من أخبار يزيد**، تحقيق: وتعليق فاطمة مصطفى عامر، دار العلوم للطباعة ط1، القاهرة 1978م

106. طلاس، مصطفى

- **سيف الله خالد بن الوليد**، دار طلاس للطباعة والنشر، ط4، (د.م) 2003م

107. عاشور، سعيد عبد الفتاح

- **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط8، (د.م) 1985م

108. عاقل، نبيه

- **تاريخ خلافة بني أمية**، دار الفكر، ط4، بيروت 1403هـ

109. عبابنة، علي

- **خلافة سليمان بن عبد الملك**، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية،ط1، إربد 2004م

110. عبد الباقي، محمد فؤاد

- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار إحياء التراث العربي، (د.ط) بيروت لبنان (د.ت)

111. ابن عبد البر، يوسف بن محمد(ت 463هـ/1070م)

- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط1، بيروت 1412هـ

112. عبد الجواد، ليلى

- **الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور هرقل**، دار النهضة العربية، (د.ط) القاهرة 1985م

113. ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله (ت 257هـ/871م)

- **فتوح مصر وأخبارها**، الجزء الأول تحقيق: عبد المنعم عامر، والجزء الثاني تحقيق شارلز توري، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الأمل للطباعة والنشر، (د.ط)، القاهرة (د.ت)، (جزءان)

114. ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (328هـ/938م)

- **العقد الفريد**، تحقيق: أحمد أمين وزملائه، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط3 القاهرة 1384هـ (7أجزاء)

115. عبد العليم، أنور

- **الملاحة وعلوم البحر عند المسلمين**، سلسلة عالم المعرفة، ط1، (د.م) 1979م

116. عبد اللطيف، عبد الشافي محمد

- **العالم الإسلامي في العصر الأموي**، دار الوفاء، ط1، القاهرة 1404هـ

117. عبد الله، وديع فتحي

- **العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة (د.ط) الإسكندرية 1990م

118. عبد الوهاب، محمد

- **مختصر سيرة الرسول**، تحقيق: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، ط3 (د.م)1397م

119. عبده، قاسم

- **ماهية الحروب الصليبية، الأيديولوجيا – الدوافع – النتائج**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (د.ط) مصر 1993م

120. ابن العبري، غريغوريوس بن هارون الملطي (ت 685هـ/1286م)

- **تاريخ مختصر الدول**، تحقيق: الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني ط1، الحازمية 1403هـ

121. العبيدي، إبراهيم بن عامر

- **قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان**، المكتبة المصرية، (د.ط) مصر 1317هـ

122. عثمان، فتحي

- **الحدود الإسلامية البيزنطية،** (ج1)الدار القومية للطباعة والنشر،(ج2+3) دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (د.ط) القاهرة (د.ت) (3أجزاء)

123. العدوي، إبراهيم

- **الأساطيل العربية في حوض البحر المتوسط،** مكتبة النهضة، (د.ط)، مصر 1957
- **الأمويون والبيزنطيون، البحر المتوسط بحيرة إسلامية** ، الدار القومية للطباعة والنشر، ط2، مصر 1383هـ/1963م
- **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم،** مكتبة النهضة المصرية، (د.ط) القاهرة 1414هـ/1994م
- **قوات البحرية العربية في مياه المتوسط،** مكتبة النهضة، (د.ط) مصر 1963

124. ابن العديم، عمر بن أحمد (ت 660هـ/1261م)

- **بغية الطلب في تاريخ حلب،** تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، (د.ط) بيروت (د.ت) (12جزء)
- **زبدة الحلب من تاريخ حلب،** وضع حواشيه: خليل منصور، دار الكتب العلمية، ط1 بيروت – لبنان 1417هـ/1996م

125. ابن عذارى، عبد الله بن محمد (ت695هـ/1295م)

- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،** تحقيق ومراجعة: ليفي بروفنسال، ج.س كولان، دار الثقافة، (د.ط) بيروت – لبنان (د.ت)

126. ابن عربشاه، أحمد بن محمد (ت854هـ/1450م)

- **عجائب المقدور في نوائب تيمور،** دار نافع، (د.ط) القاهرة 1399هـ/1979م

127. العريني، السيد الباز

- **تاريخ الدولة البيزنطية،** دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (د.ط) بيروت 1982م

128. ابن عساكر، علي بن الحسن (ت 571هـ/1175م)

- **تاريخ دمشق،** دراسة وتحقيق: عمر غرامة العمري، دار الفكر، ط1، بيروت – لبنان 1421هـ/2000م (80 جزء)

129. العصامي، عبد الملك بن حسين (1111هـ/1699م)

- **سمط النجوم العوالي في أخبار الأوائل والتوالي،** تحقيق :عادل أحمد عبد الموجود علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 1419هـ/1998م (4أجزاء)

130. العصفري، خليفة بن خياط (ت240هـ/854م)

- **تاريخ خليفة بن خياط** ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2 الرياض 1405هـ/1985م

131. عطا، زبيدة

- **الترك في العصور الوسطى**، دار الفكر العربي، (د.ط)، بيروت (د.ت)

132. علي، جواد

- **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار الساقي، ط4، (د.م) 1422هـ/2001م (20جزء)

133. علي، سيد رضوان

- **السلطان محمد الفاتح بطل الفتح الإسلامي في أوروبا الشرقية**، الدار السعودية للنشر والتوزيع، (د.ط) جدة 1402هـ/1982م

134. ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي (ت 1089هـ/1089م)

- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، بيروت 1399هـ/1979م (8أجزاء)

135. عمران، محمود سعيد

- **تاريخ الحروب الصليبية**، دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، (د.م) 2000م

- **معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية**، دار المعرفة الجامعية، (د.ط) السويس 2000م

136. العمري، عبد العزيز إبراهيم

- **الفتوح الإسلامية عبر العصور**، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، ط3، المملكة العربية السعودية 1421هـ

137. عنان، محمد عبد الله

- **مواقف حاسمة في التاريخ** ، مكتبة مطبعة مصر، (د.ط) القاهرة 1952م (جزءان)

138. عوض، محمد مؤنس

- **الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، مصر 1999/2000م

139. عويس، عبد الحليم

- **إحراق طارق بن زياد للسفن أسطورة لا تاريخ**، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط1 القاهرة 1416هـ/1995م

140. غنيم، إسمت

- **الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية**، دار المجمع العلمي، (د.ط) جدة 1977م
- **الحملة الصليبية الرابعة ومسؤولية انحرافها ضد القسطنطينية**، دار المعارف، (د.ط) القاهرة 1982م

141. أبو غنيمة، زياد

- **جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك**، دار عمار- الفرقان للنشر والتوزيع، ط2 عمان 1406هـ/1986م
- **السلطان المجاهد محمد الفاتح فاتح القسطنطينية**، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط1 عمان 1403هـ/1983م

142. الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت 175هـ/791م)

- **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي وزميله، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، ط1 العراق 1982م

143. أبو الفرج، قدامة بن جعفر (ت 337هـ/948م)

- **الخراج وصنعة الكتابة**، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، (د.ط)، بغداد 1402هـ/1981م

144. فرج، وسام عبد العزيز

- **بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والإداري**، عين للدراسات الإنسانية، ط1، (د.م) 2004م
- **دراسات في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي في العصور الوسطى**، دار المعرفة الجامعية ط1، (د.م) 1985م
- **دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية**، مطبعة مصنع إسكندرية للكراس، (د.ط)، (د.م)، 1982م
- **العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن** الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، الإسكندرية 1981م

145. الفزاري، إبراهيم أبو إسحق (ت186هـ/802م)

- **كتاب السير**، تحقيق: فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت 1408هـ/ 1987م

146. ابن فضلان، أحمد بن راشد(ت310هـ/922م)

- **رسالة بن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس الصقالبة**، تحقيق سامي الدهان، المجتمع العلمي، (د.ط)، دمشق 1379هـ/1979م

147. فهمي، عبد السلام عبد العزيز

- **السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم**، دار القلم، ط1، دمشق 1395هـ/1975م

148. فهمي، نعيم زكي

- **طرق التجارة الدولية ومحطاتها أواخر العصور الوسطى**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، (د.م) 1973م

149. ابن الفوطي، عبد الرزاق بن أحمد (ت723هـ/1323م)

- **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة**، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت 2002م

150. الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب (817هـ/1414م)

- **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، ط2، (د.م) 1407هـ/1978م

151. ابن قتيبة، محمد بن عبد الله (ت276هـ/889م)

- **الإمامة والسياسة**، تحقيق: طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.م) 1378هـ/1967م
- **المعارف**، تحقيق: تروت عكاشة، دار المعارف، ط2، مصر (د.ت)

152. القرماني، أحمد بن يوسف (ت1019هـ/ 1611م)

- **أخبار الدول وآثار الأول**، دراسة و تحقيق: فهمي سعد، أحمد حطيط، عالم الكتب ط1 (د.م) 1412هـ / 1992م (3أجزاء)

153. القزويني، زكريا بن محمد (ت 682هـ/1283م)

- **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، (د.ط) بيروت (د.ت)

154. القشيري، مسلم بن الحجاج (ت 261هـ/ 874م)

- **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد عبد الباقي، دار إحياء التراث، (د.ط) بيروت (د.ت) (5أجزاء)

155. القضاعي محمد بن سلامة (ت 454هـ/ 1063م)

- **تاريخ القضاعي، عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف**، تحقيق: جميل عبد الله المصري، منشورات جامعة أم القرى، (د.ط) مكة المكرمة 1415هـ/1995م

156. ابن القلانسي، حمزة بن أسد (ت555هـ/1160م)

- **ذيل تاريخ دمشق**، تحقيق: سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، ط1، دمشق 1403هـ/1983م

157. القلقشندي، أحمد بن علي (ت820هـ/1417م)

- **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ط1، القاهرة 1963م (14جزء)

158. ابن القيم، محمد بن أبي بكر(ت658هـ/1259م)

- **زاد المعاد في هدى خير العباد**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرنائوط مؤسسة الرسالة، ط14، بيروت 1407هـ/1986م (5أجزاء)

159. الكتبي، صلاح الدين محمد بن شاكر(ت764هـ/1363م)

- **عيون التواريخ**، تحقيق: نبيلة عبد المنعم وفيصل السامر، (د.ن) بيروت 1984م
- **فوات الوفيات**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، (د.ط) بيروت 1393هـ/1973م (5أجزاء)

160. ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت 774هـ/1343م) :

- **إرشاد الفقيه إلى معرفة أدلة التنبيه** ، تحقيق: بهجة يوسف حمد أبو الطيب، مؤسسة الرسالة ط1، (د.م) 1416هـ (جزءان)
- **البداية والنهاية**، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، الجيزة 1997م (21جزء)
- **عمدة التفسير**، تحقيق: أحمد شاكر، دار الوفاء، ط2، (د.م) 1426هـ (3أجزاء)

161. كرد علي، محمد

- **خطط الشام**، المجمع العلمي العربي، (د.ط) دمشق (د.ت) (5أجزاء)

162. ماجد، عبد المنعم

- **التاريخ السياسي للدولة العربية عصر الخلفاء الأمويين**، مكتبة الأنجلو المصرية ط7، 1982م

163. المالكي، إبراهيم بن عامر

- **قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان**، طبع بمصر عام 1317م

164. ماهر، سعاد

- **البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية**، دار المجمع العلمي، ط1، جدة 1399هـ/1979م

165. الماوردي، علي بن محمد (ت 450هـ/ 1058م)

- **الأحكام السلطانية**، تحقيق: أحمد جاد، دار الحديث، ط1، القاهرة 1427هـ/2006م

166. ابن المبارك، عبد الله المروزي (ت181هـ/797م)

- **كتاب الجهاد**، تحقيق: نزيه حماد، التونسية للنشر، ط1، تونس 1972م

167. المحامي، محمد فريد بك

- **تاريخ الدولة العلية العثمانية** ، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، ط8، لبنان – بيروت 1419هـ/1998م

168. مختار باشا، محمد

- **التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية والقبطية** المؤسسة العربية للدراسات، والنشر، ط1، 1400هـ/1980م

169. المسعودي، علي بن الحسين (ت346هـ/957م)

- **التنبيه والإشراف**، مكتبة خياط، (د.ط) بيروت 1965 م

- **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية، (د.ط) بيروت 1966م

170. ابن مسكويه، أحمد بن محمد (ت 421هـ/1030م)

- **تجارب الأمم**، اعتناء دي غوية، منشورات مكتبة المثنى، (د.ط) بغداد (د.ت) نسخة مصورة عن ليدن 1288هـ/1871م

171. مصطفى، أحمد عبد الرحيم

- **في أصول التاريخ العثماني**، دار الشروق، ط2، بيروت 1406هـ/1986م

172. مصطفى، نادية وآخرون

- **الدولة الأموية دولة الفتوحات**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مشروع العلاقات الدولية في الإسلام 8، ط1، القاهرة 1417هـ/1996م

173. المقدسي، عبد الرحمن بن إسماعيل (665هـ/1266م)

- **"كتاب" الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية** ، تحقيق: غازي طليمات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (د.ط) دمشق 1401هـ/1980م

174. المقدسي، محمد بن أحمد (390هـ/999م)

- **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تحقيق: غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي (د.ط)، دمشق 1401هـ/1980م

175. المقدسي، مطهر بن طاهر (ت507هـ/1113م)

- **البدء والتاريخ**، اعتناء: كامتن هوار باريس، مكتبة الأسدي، (د.ط) طهران 1317هـ/1889م (6أجزاء)

176. المقري، أحمد بن محمد (ت1041هـ/1631م)

- **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت – لبنان 1367هـ/1949م (8أجزاء)

177. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي(845هـ/1441م)

- **الخطط المقريزية، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، وضع حواشيه:خليل منصور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت – لبنان 1418هـ/1998م (4أجزاء)
- **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، تحقيق: جمال الدين الشيال مكتبة الثقافة الدينية، ط1، بور سعيد 1420هـ/2000م
- **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، سعيد عبد الفتاح عاشور دار الكتب والوثائق القومية، ط2، القاهرة (د.ت) (12جزء)

178. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت711هـ/1311م)

- **لسان العرب**، دار صادر، ط3، بيروت1414هـ (15جزء)

179. ===- **الموسوعة العربية الميسرة**، طبعة دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر (د.ط)، القاهرة 1965م

180. مؤلف مجهول

- **العيون والحدائق في أخبار الحقائق**، مكتبة المثنى، (د.ط)، بغداد 1288هـ/1871م

181. نريمان، أحمد

- **معاملة غير المسلمين في الدول الإسلامية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط) مصر 1996م

182. النسائي، أحمد بن شعيب (ت 303هـ/ 915م)

- **سنن النسائي الكبرى**، شرح: جلال الدين السيوطي، حاشية: الإمام السندي، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت (د.ت)

183. النمر، عبد المنعم

- **تاريخ الإسلام في الهند**، دار العهد الجديد للطباعة، ط1، (د.م) 1378هـ/1959م

184. النويري، شهاب الدين أحمد (733هـ/1332م)

- **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج19 تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نسخة مصورة عن مطبعة كوستا توماس، ط1، القاهرة (د.ت) (26جزء)

185. هرماس، غسان

- **السيد العظيم سلطان البرين والبحرين محمد الفاتح،** جمعية الإصلاح- لجنة التراث مطبعة النبراس، ط1، فلسطين- بيت لحم 1416هـ/1996م

186. ابن هشام، عبد الملك بن هشام (ت125/741م)

- **السيرة النبوية،** تعليق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط3، بيروت 1410هـ/1990م (4 أجزاء)

187. الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت 807هـ/1404م)

- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،** دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، (د.ط) بيروت 1407هـ

188. الواقدي، محمد بن عمر(207هـ/822م)

- **فتوح الشام،** دار الجيل، (د.ط) بيروت (د.ت) (جزءان)
- **كتاب المغازي،** تحقيق مارسدن جونس، عالم الكتاب، ط3، بيروت 1404هـ/1984م (3أجزاء)

189. ابن الوكيل، يوسف الملوني (ت1131هـ/1719م)

- **تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب،** تحقيق: محمد الشنتاوي، دار الأفق العربية، ط1، القاهرة 1419هـ/1999م

190. وهبة، مصطفى

- **موجز تاريخ الحروب الصليبية،** مكتبة الإيمان، ط1، المنصورة 1418هـ/1997م

191. الوهيبي، خالد بن مبارك

- **أشراط الساعة النص والتاريخ،** مكتبة الغبيراء، ط1، سلطنة عمان 1425هـ/2004م

192. ياغي، إسماعيل

- **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث،** مكتبة العبيكان، ط2، الرياض 1419هـ/1998م

193. اليافعي، عبد الله بن أسعد (ت 768هـ/1366م)

- **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان،** وضع حواشيه خليل منصور، دار الكتب العملية، ط1، بيروت 1417هـ/1997م (4 أجزاء)

194. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (282هـ/895م)

- **تاريخ اليعقوبي،** دار بيروت، (د.ط) بيروت 1400هـ/1980م (جزءان)

195. يوسف، جوزيف نسيم

- **تاريخ الدولة البيزنطية،** مؤسسة شباب الجامعة، (د.ط)، الإسكندرية، 1984م

196. اليوسف، عبد القادر

- **الإمبراطورية البيزنطية،** المكتبة العصرية للطباعة والنشر،(د.ط) بيروت 1966م

ثانياً: الرسائل العلمية

1. الأحمد، ناصر

- **حركة الجهاد والفتح في عهد الدولة الأموية**، رسالة دكتوراه، معهد الدعوة الجامعي للدراسات الإسلامية، لبنان – بيروت 2008م

2. الأسطل، عبد القادر

- **مسلمة بن عبد الملك حياته وجهاده**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية،غزة 2007م

3. آل كمال، سليمان

- **الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية**، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى - مكة 1998

4. بحري، فائقة

- **أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى مكة المكرمة 1989م

5. البيشي، سعدية

- **الجهاد البحري العثماني في معركة ليبانتو**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1997م

6. الجاسم، هاشم

- **دراسات تاريخية عسكرية عن الثغور البيزنطية العربية منذ الفتح العربي للشام إلى نهاية العصر العباسي الأول**، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة - القاهرة 1971

7. الجدي، أحمد

- **دور المرأة الجهادي في الإسلام**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية – غزة 2005م

8. حمودة، سمية

- **حركة الفتح العثماني في القرن 11هـ**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة 1427هـ/2006م

9. خنفر، خلقي

- **عمرو بن العاص وأثره في الحرب والسياسة**، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر 1974م

10.أبو ريدة، جمال

- **الخداع العسكرية للمسلمين في صدر الإسلام**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة 2009م

11.أبو شبيكة، إبراهيم

- **خلافة بني أمية عند المسعودي**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية - غزة 2007م

12.الشهري، عبد الله

- **دور العلماء المسلين في حركة الجهاد الإسلامي ضد المغول**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى - مكة المكرمة 1416هـ

13.عبد الله، فريال

- **صورة يزيد بن معاوية في الروايات الأدبية دراسة نقدية**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية – عمان 1993م

14.عبوشي، فاطمة

- **صورة عمر بن عبد العزيز عند المؤرخين المسلمين**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية – نابلس 2009م

15.عواد، محمود

- **الجيش والأسطول الإسلامي في العصر الأموي**، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية عمان 1992م

16.عياش، حسن

- **الولاة والعمال في الجهاز الإداري في صدر الإسلام**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية – نابلس 2002م .

17.القواسمي، سحر

- **التجارة ودولة الخلافة في صدر الإسلام**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية نابلس 1999م

18.مرقص، عاطف

- **قبرص والحروب الصليبية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر**، رسالة دكتوراه جامعة عين شمس، القاهرة 1991م

ثالثاً: الدوريات

1. البحراني، عماد

- **فتح القسطنطينية في عهد محمد الفاتح**، مجلة كان التاريخية، دورية إلكترونية محكمة ربع سنوية، السنة الثانية،ع3، دار ناشري (د.م) 2009م

2. جلال، آمنة

- **دور مكة والمدينة في الثقافة الإسلامية، عصر الوليد بن عبد الملك**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب- القاهرة، ع15، 2007م

3. حنفي، عبد اللطيف

- **عبد الله البطال صفحة مشرقة للجهاد الإسلامي الأموي ضد البيزنطيين**، مجلة كلية الآداب حلوان، ع9+10، 2001م

4. السلومي، عبد العزيز

- **مرويات عمر بن شبه في تاريخ الطبري بين سنتي 59- 65هـ**، مجلة المؤرخ العربي اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، مج1، ع8، 2000م

5. سيف الدين، عبد الحكيم

- **عهد المتوكل العباسي بين الحقيقة التاريخية وظلم المؤرخين**، مجلة المؤرخ العربي اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ع15، 2007

6. الشلش، محمد

- **أخلاقيات الإسلام بين الفقه الإسلامي والقانون الدولي بين النظرية والتطبيق**، مجلة جامعة الخليل للبحوث، مج 3، ع1، 2007م

7. الشهابي، سكينة

- **البطل الغازي العربي عبد الله البطال**، مجلة التراث العربي- دمشق، ع15 + 16، 1404هـ

8. الشياب، شهاب

- **دور أبي أيوب الأنصاري العسكري ومواقفه السياسية والعسكرية**، مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة اليرموك، ع23، 2000م

9. عبد الجواد، ليلى

- **مملكة القسطنطينية في مسالك الأبصار وممالك الأمصار للعمري دراسة وتحقيق**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ع15، 2007م

10. عبيد، إسحق

- **قصة عثور القديسة هيلانة على خشبة الصليب أسطورة أم واقع**، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ع5، 1970م

11. العمري، عبد العزيز

- **خطط الراشدين في البحر المتوسط**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب القاهرة، مج1، ع8، 2000م

12. == - **القسطنطينية مدينة المليون نسمة**، مجلة وجهات نظر، ع9، 1999

13. كامل، محمد

- **النصارى والنشاط الاقتصادي في مصر الفاطمية في ضوء أوراق البردي العربية**، مجلة المؤرخ العربي، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ع15، 2007

14. محفوظ، محمد

- **السلاح البحري**، مجلة الأمة، (د.ع)(د.م) شعبان 1406هـ

15. محمد، عمر يحيى

- **التوسع السلجوقي في آسيا الصغرى** ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، مج 14، 2006م/1427هـ

16. المعيقيل، خليل

- **مسجد عمر بن الحطاب بدومة الجندل**، مجلة جامعة الملك سعود، مج 1، 1994

17. مؤنس، حسين

- **المسلمون في البحر الأبيض المتوسط** ، المجلة التاريخية المصرية، مج4 ،ع1 مايو 1951م

رابعاً: المصادر والمراجع الأجنبية

- المعربة

2. آرنولد توماس

- **الدعوة إلى الإسلام**، ترجمة: حسَن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية (د.ط)، مصر 1970م

3. أمير علي، سيد

- **مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي**، ترجمة: عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين ط1، بيروت 1961م

4. أوزتونا، يلماز

- **تاريخ الدولة العثمانية**، ترجمة: عدنان محمود سلمان، تنقيح: محمود الأنصاري مؤسسة فيصل للتمويل، ط1، إسطنبول – تركيا 1410هـ/1990م (جزءان)

5. أومان، تشارلز

- **الإمبراطورية البيزنطية**، تعريب: مصطفى طه بدر، دار الفكر العربي، (د.ط) مصر1953م

6. إينالجك، خليل

- **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار**، ترجمة: محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت – لبنان 2002م

7. باربارو، نيقولو

- **الفتح الإسلامي للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني 1453م**، دراسة وترجمة وتعليق: حاتم الطحاوي، عين للدراسات والبحوث، ط1، (د.م) 2002م

8. باركر، آرنست

- **الحروب الصليبية**، نقله إلى العربية: السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، ط2 بيروت - لبنان 1386هـ/1967م

9. بروكلمان، كارل

- **تاريخ الشعوب الإسلامية** ترجمة: نبيه فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين ط7، بيروت 1977م

10. بورفيروجنيتوس، قسطنطين السابع

- **إدارة الإمبراطورية البيزنطية في عهد قسطنطين السابع**، عرض تحليل وتعليق محمود سعيد عمران، دار النهضة العربية، (د.ط)، بيروت 1980م

11. بيتروسيان، إيرينا

- **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية**، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ط1 دبي 1427هـ/2006م

12. بينز، نورمان

- **الإمبراطورية البيزنطية**، ترجمة حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد، الدار القومية للطباعة والنشر، (د.ط)، القاهرة 1957م

13. جونز، ج.ر

- **الحصار العثماني للقسطنطينية سبعة مصادر معاصرة**، دراسة وترجمة وتعليق حاتم الطحاوي، عين للدراسات والبحوث، ط1، (د.م) 2003م

14. جيبون، إدوارد

- **اضمحلال الإمبراطورية البيزنطية وسقوطها** ترجمة: محمد علي أبو ريدة، دار الكتاب، (د.ط) القاهرة (د.ت) (3أجزاء)

15. حتي، فيليب

- **تاريخ سوريا ولبنان**، ترجمه: جورج حداد، عبدالكريم رافق، كمال اليازجي، دار الثقافة، ط2، بيروت 1983/1982م (جزءان)

- **تاريخ العرب**، ترجمة: محمد مبروك نافع (د.ن)، ط2، القاهرة 1949م (6أجزاء)

16. ===- **دائرة المعارف اليونانية**، مج18، أثينا 1932

17. داهموس، جوزيف

- **سبع معارك فاصلة**، ترجمة: محمد الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2 1992م

18. رانسيمان، ستيفن

- **الحضارة البيزنطية**، ترجمة: عبد العزيز جاويد، مراجعة: زكي علي، مكتبة النهضة المصرية، (د.ط) القاهرة 1961م

19. زابورو، ميخائيل

- **الصليبيون في الشرق**، ترجمة إلياس شاهين، دار التقدم، (د.ط) موسكو 1986م

20. ساليفان، ريتشارد

- **ورثة الإمبراطورية البيزنطية**، ترجمة وتقديم: جوزيف نسيم يوسف، مؤسسة شباب الجامعة، ط1، الإسكندرية 1985م

21. شاخت، جوزيف وزميله

- **تراث الإسلام**، ترجمة: حسين مؤنس وآخرين، تعليق وتحقيق: شاكر مصطفى، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط1، الكويت 1985م (جزءان)

22. عطية، عزيز سوريال

- **الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب**، ترجمة: فيليب صابر سيف، مراجعة: أحمد خاكي، دار الثقافة، ط1، القاهرة (د.ت)

23. فازيلف

- **العرب والروم**، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، مراجعة: فؤاد حسين علي، دار الفكر العربي، (د.ط)، (د.م)، (د.ت)

24. كلاري، روبرت

- **فتح القسطنطينية على يد الصليبيين**، ترجمة: حسن حبشي، مركز كتب الشرق الأوسط، (د.ط) القاهرة 1964م

25. كوبريلي، محمد فؤاد

- **قيام الدولة العثمانية**، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، (د.ط) 1967م

26. لانجر، وليم

- **موسوعة تاريخ العالم**، أشرف على ترجمتها: محمد مصطفى زيادة ، مكتبة النهضة المصرية (د.ط) القاهرة (د.ت)

27. لسترينج، كي

- **بلدان الخلافة الشرقية**، ترجمة: بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مؤسسة الرسالة ط2، بيروت - لبنان 1405هـ/1985م

28. لويس، آرشيبالد

- **القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط**، ترجمة: أحمد محمد عيسى مراجعة: محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، (د.ط)، القاهرة 1960م

29. لويس، برنارلد

- **إسطنبول حضارة الخلافة الإسلامية**، ترجمة: سيد رضوان علي، الدار السعودية للنشر، ط2، جدة 1402هـ/1982م

30. مانتران، روبير

- **تاريخ الدولة العثمانية**، ترجمة: بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة 1993م (جزءان)

31. مجموعة مستشرقين

- **دائرة المعارف الإسلامية**، ترجمة: محمد ثابت الفندي وزملائه، انتشارات جهان (د.ط) طهران 1352هـ/1933م

32. نيكول، دونالد

- **معجم التراجم البيزنطية**، ترجمة وتعليق: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط) مصر 2003م

33. هسي، ج.م

- **العـالم البيزنطـي** ، ترجمـة وتقـديم وتعليـق: رأفـت عبـد الحميـد، دار المعـارف، ط3 القاهرة 1984م

34. يوليوس، فلهاوزن

- **تاريخ الدولـة العربيـة من ظهور الإسـلام إلـى نـهايـة الدولـة الأمويـة**، ترجمـة: محمـد عبد الهادي أبو ريدة، (د.ن) القاهرة 1968م

- غير المعربة

1. Asik Pasa oglu, **Asik Pasa oglu Tarihi**, Hazirlan, H. Nihal Alsiz, Ankara. 1985
2. Bury (J.B), **History of the later Roman Empire from Arcadius to Irene (395-800)** London. 1889
3. Ostrogorsky , G, **History of the Byzantine stat** , Trans from German by Joan Hassey, Second edition, T.J press , London , 1968.
4. Vasiliev (A.A), **History of the Byzantine Empire.** Wisconsin, 1952
5. Vryonis, Speros, **Byzantium: The Social Basis of Decline in the Eleventh Century**, In Byzantium: its Internal History and Relations with the Muslim World. , II. London, Variorum Reprints. 1970.

خامساً: المواقع الإلكترونية

1. http://ar.**wikipedia**.org
2. http://**wapedia**.mobi
3. http://www.**google**.ps/images
4. http://www.**moqatel**.com
5. www.**al-mostafa**.com

campaigns, analysis of failure, confirming the periods of siege, and the most important result and their effects on both Muslims and Byzantine.

In continuation to the nature of the Islamic-Byzantine relationship, the study discusses the aspiration of Abbasids to conquer Constantinople, especially in the days of :Al-Mansuor, Al-Mhdi and Haron Al-Rasheed, who directed two campaigns to Constantinople , but did not besiege it.

They ended with reconciliation contracts (truce) with Byzantine who undertook to pay tributes and taxes to Muslims. The study ends with the eagerness of Al-Mu'tasim to conquer Constantinople after conquering 'Amoria Castle whose doom was similar to its previous castles.

The necessity of the scientific approach, based on comparison and analysis requires to discuss the fourth crusade which undermined and collapsed Constantinople in 1204A.D, with respect of preparation, itinerary, siege, decline Constantinople and comparing with reasons of its collapsed in the hands of crusaders and its refusal to be collapsed in the hands of Muslims. This demonstrates the general weakness from which it suffered , a matter that forced us to study the circumstances of the Islamic world which did not direct any campaign to it at that period, because its conditions were not better than those of Constantinople. This indicates that the Islamic world was exposed to crusader campaigns from the west and to Moghol invasions from the east.

Talking about the Ottoman attempts to conquer Constantinople occupies a large space of study. The Ottoman longed for achieving that goal since the establishment of their caliphate. They laid out a strategy of circulating around it, isolating and stripped from its western environment and then attacking it. After that, they directed four campaigns towards it: Sultan Bayazid, the first led two campaigns of them between 799-805A.M/1394-1402 A.D . These failed due to crusader allies appeared in the west and to Timourlank invasions in the east. For the third crusade, it was led by Sultan Murad II in 825A.M. 1422A.D. . He imposed a strict siege on Constantinople, but the internal upheaval led by his brother, Mustafa, prevented him to achieve the conquest, which happened at the days of his son, Mohammad II in 857A.M/1453A.D.

Mohammad II prepared a lot of weapons, ammunition and armies for this conquest. He headed towards Constantinople and imposed strict siege upon it, penetrating with military genius as the coming of the golden century after dragging ships by road and digging a lot of tunnels. A lot of battles resulted in death of a lot militants, occurred around Constantinople.

Despite these horrible victims, Mohammad Al-Fateh conquered it when his solders raided the walls of the city and killed its Emperor. At last Constantinople opened its doors after it has been besieged for 53 days. The study ends with analyzing of conquest reasons and their effects on Muslims and Europe in all dimensions and aspects of life.

Abstract

The study tackles the various Islamic attempts to conquer Constantinople, the city which our prophet, Mohammad (Allah's blessings and peace be upon him) gave glad tidings to conquered in the future. These attempts were reiterated-over the ages of the Islamic State (Caliphate)- to achieve that prophecy. So the study starts with the investigation about the establishment, the location and the impregnable castle of Constantinople for the importance to resist and turn down these attempts for the purpose to demonstrate its invulnerability and manifest its important location.

The study also discusses the position of Muslims and Romans towards each other as demonstrating the attitude of Islamic towards the Romans in the Holy Koran, which shows great tolerance with them since they are people of Gospel and Torah. Islam allows to get married from them and prohibited marrying them, Muslim-conquerors accepted tribute from those who rejected Islam. Besides, I analyzed the roots of the Islamic-Byzantine Struggle, which was ignited by the supporters of the Byzantine Empire from the Levant Arabs (عرب الشام) by preventing foods and Mirah from one side, and by killing (murdering) Muslim preachers from another side. Therefore, the Byzantine Empire was considered as s fierce enemy threatening the security of the newly-born State of our messenger (PBUH).

The prophet (Allah's blessings and peace be upon him) began to confront and resist it through his incursions and detachments on their lands. The researcher particularity mentions the incursion of Mu'tah in the year 8A.M/629A.D, and the incursion 0f Tabuk 9A.M/630A.D. The study also summarize s the Rashedeen conquests on the Byzantine Arena, as it was one of the series of episodes of struggle between Muslims and Romans.

Because the attempts of conquering Constantinople had to be done by road and by sea, it was a must to establish the Islamic fleet, which helped in the conquest of some islands of the Mediterranean Sea, such as Cyprus, Rhodes and Arwad in addition to the victory on Byzantines in the battle of "That Al-Sawari" 35A.M/654A.D, which prepared circumstances to hit Constantinople. But the hubbub and turmoil happened between Mu'awiyeh and Ali delayed these attempts until the pillars of the Umayyad Caliphate had been consolidated in 41A.M/661A.D. Mu'awiyeh Ibn Abu Suffayan prepared two incursions headed towards Constantinople between 49-60A.M/ 668-679A.D. followed by another incursion directed by Suleiman bin Abdul-Malik in 98A.M/717A.D. the study discussed these attempts exhaustively and conspicuously with respect of preparation of the two parties and followed the itineraries of these campaigns and imposing siege on Constantinople.

Moreover, it reviewed the procedures and proceedings of siege, with which accompanied of war - like operations, and ending with the failure of